تاريخ
الحركات القومية
في أوربة

الجزء الخامس

القومية الألمانية والقومية - الاشتراكية

تأليف

الدكتور نور الدين حاطوم

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة دمشق

دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ

الحركات القومية

في أوربة

تاريخ الحركات القومية

في أوربة

الجزء الخامس

القومية الألمانية والقومية - الاشتراكية

تعريب
الدكتور نور الدين حاطوم
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة الكويت

دار الفكر

الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م

طبع بطريقة الصف التصويري والأوفست في دار الفكر ، هاتف (١١١١٦٦) ، برقياً (فكر)
ص .ب (٩٦٢) ، دمشق ـ سورية

إهـــداء

إلى الذين يناضلون
في سبيل الحرية والقومية والانسانية
مجداً وعزاً

القسم الأول

القومية الألمانية

من ١٨٧١ إلى ١٩٣٩

المدخل

القضية التي توضع في هذه الدراسة هي التالية :

كيف جرى أن أمة مثقفة ، ووراءها ماض ثري ، استطاعت أن تشايع القومية - الاشتراكية ؟ كيف جرى أن ألمانيا جعلت المذاهب العقيمة واللامعقولة مذاهبها التي ساقتها إلى عمليات إجرامية ؟

إن حل هذه القضية مازال يشغل بال المفكرين الألمان منذ آخر الحرب العالمية الثانية ، حتى إن كتبهم في التاريخ مطبوعة بعاطفة واضحة جداً ، عاطفة الشعور بالذنب ومحاسبة الضمير .

وعندما تعالج هذه القضية يجب تجنب عقبتين : الخطأ الأول ، اعتبار النازية خاتمة ضرورية لكل التطور الفكري لألمانيا ، والنظر لمذهب هتلر كـ « زبدة » لتاريخ ألمانيا . والخطأ الثاني ، اعتبار النازية حادثاً محضاً ، وظاهرة طارئة دون ارتباط ببعض التقاليد السياسية الألمانية . ومن الصعب أن نجد موقفاً عادلاً بين هذين الموقفين المتطرفين لصعوبة القيام بدراسة لمصادر النازية . ولا يكفي أن يوجد مؤلف ، في سياق القرن التاسع عشر ، عبر عن أفكاره كالنازيين ليجعل منه سلفاً للقومية - الاشتراكية . وغالباً ما أسيء استعمال فيخته ونيتشه . ولذا يحسن أن يكون المرء حذراً على هذا الصعيد .

الجزء الأول

القومية في الرايخ الثاني

١٨٧١ - ١٩١٨[(١)]

الفصل الأول

النقد القومي للرايخ الثاني

ما من شك أنه وجدت في ألمانيا ، بين ١٨٧١ و١٩١٤ ، حركة قومية شديدة جداً ، ووثيقة الصلة بالنجاح المدوي الذي حصل عليه هذا البلد على الصعيد العسكري والسياسي والثقافي . ومع ذلك من الخطأ أن يتصور أن البناء البسماركي أرضى الرأي الألماني ، وعلى الأقل قسماً عظيماً منه ، ومن المهم أن نعرفه . فمنذ ١٨٩٠ بخاصة ، كانت الانتقادات شديدة ، وتغذي حالة روح من العصبية القلقة ، وصفها جيداً المؤرخ لامبرخت ، وتجعل الألمان يأملون بكسر الإطار الذي حبسوا فيه في ١٨٧١ .

تتناول هذه الانتقادات القوام الأرضي للرايخ الثالث على قواعد اجتماعية تفيده كأسس ، وعلى تفاهة الحياة المادية التي أجبر الشعب الألماني عليها .

أولاً - لقد وضع شكل الرايخ الثاني نفسه موضع اتهام . وفي الحقيقة ، إن سياسة بسمارك كان لها مماًلقوها ، وبخاصة صغار المؤرخين الألمان ، مثل : هاوسر

---

(١) راجع : E. VERMEIL, L'ALLEMAGNE CONTEMPORAINE, PARIS, 1952.

وزيبل وترايتشكه ، فقد وافقوا على الحل الذي أعطى لبروسيا إدارة ألمانيا التي طردت منها النمسا . وكان من الطبيعي ، في رأيهم ، أن تمارس بروسيا هيمنتها بفضل تفوق مؤسساتها ونظمها ، ونظام تربيتها ، والدفع الذي أعطته للحياة الاقتصادية ، والدين البروتستانتي الذي طبق على حدودها . ويذهب ترايتشكه ، في مدحه للدولة البروسية ، إلى أبعد من ذلك ويقدم للألمان فلسفة الدولة التي تؤدي رأساً إلى تأكيد سياسة القوة ، ومدح الحرب وأخلاق ماكيافيللية ، دون أن تخلو الاهتمامات المعنوية مع ذلك من أثره . وكان لترايتشكه بكتابه « السياسة » الذي صدر عام ١٨٨٨ تأثير كبير على الشبيبة الفكرية الألمانية ، فقد نما عندها ولا شك التطلعات القومية[1] .

ويرى مؤلفون آخرون مع ذلك أن البناء البسماركي لا يتفق وحاجات العصر . ونخص بالذكر كونستانتين فرانتز الذي لم يخلبه بسمارك . لقد كان مؤلفاً لكثير من المؤلفات مثل « الفيدرالية كمبدأ موجه ، ١٨٧٩ » ، و« السياسة العالمية من وجهة نظر ألمانيا بخاصة ، ١٨٨٢ » ، وبرهن فيها أن بسمارك أخطأ في طرد النمسا ، وأنشأ بذلك ألمانيا بأبعاد صغيرة كثيراً بالنسبة إلى الإمبراطوريات الكبرى التي أنشئت أو نشأت في العالم مثل : روسيا ، الولايات المتحدة . الإمبراطورية البريطانية ، الإمبراطورية الفرنسية . وبالتالي لم تستطع أن تتماسك إلا بتنمية لا تصدق لقوتها المسلحة ومنظومة معقدة من الأحلاف . ولذا كان يفضل تشكيل « أوربا وسطى » (ميتلؤروبا) ، تضم النمسا وتوابعها ، منظمة على أساس اتحادي فيدرالي ، ويمكن أن تصبح مركز جذب لجيرانها . وكان فرانتز خصماً لمبدأ القوميات ، ولذا كان يتصور تنظيم أوربا الوسطى على طراز الإمبراطورية المقدسة .

---

(١) راجع المقال : W. BUSSMANN, HISTORISCHE ZEITSCHRIFT, 1954.

ثم تناول مجموعة هذه الأفكار بول لاغارد . فهو يرى أيضاً في الرايخ البسماركي خلقاً اصطناعياً ، ويجب أن يعاد النظر في حدوده مع اعتبار قوة الدول الكبرى المجاورة . ويذهب لاغارد مع ذلك إلى ما هو أبعد : ففي خلق « ألمانيا كبرى » فكر بتخليص الرايخ من الثنائية المذهبية ، وتخليص العاطفة الدينية من الطقوس والعقائد التي تثقلها ، وخلق دين قومي يتفق وتعاليم المسيحية البدائية التي هيأت اللوثرية ألمانيا لها . وفي رأيه ، أن هذا الدين القومي نقطة انطلاق لتجديد ديني واسع(١)

ولم يكن لمجموعة هذه الأفكار كثير من النفوذ أيضاً في حكم غليوم الثاني . وهذا يرجع إلى أن السياسة العالمية وجهت انتباه الألمان إلى ما وراء البحار . وأوحت مع ذلك إلى فريدريك نومان ، عندما وضع ، في ١٩١٥ ، برنامجاً واضحاً لتنظيم أوربه الوسطى . وهذا يعني على كل حال بالنسبة للكثير من الألمان ، أن الحدود التي ثبتها بسمارك ليست كافية لتؤمن للبلاد دور الدولة الكبرى العائد لها .

وفي الحقيقة ، إن كثيراً من الألمان يرون أن البناء البسماركي ، الرايخ البسماركي ، يعتمد على قواعد ضيقة . ولا يستند على الأمة ، لاسيا وأن الجماهير العمالية خرجت عنه ، واتجهت نحو الاجتماعية ـ الديموقراطية الثورية ، وبهذا ، لم تأت إلى الرايخ بالدعم الذي من حقه أن يعتمد عليه . وبالتالي يرى القوميون إرجاع هذه الجماهير العمالية للفكرة القومية .

ظهر هذا الاهتمام في السنوات ١٨٨٠ في محيط الراعي الذي لعب دوراً عظيماً في البلاط ، وهو الراعي شتوكر ، الذي أنشأ في السنوات ١٨٨٠ « الحزب المسيحي ـ الاجتماعي » وحاول أن يأخذ على عاتقه أمر الطبقات العاملة .

---

(١) للاطلاع على هؤلاء المؤلفين راجع : الرايخ الثالث . . THE Third Reich . london , 1955

واستأنف محاولة شتوكر في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ، أحد أنصاره القدامى ، فريديريك نومان ، مؤلف كتاب « أوربه الوسطى » . وكان نومان راعياً أيضاً وناضل تحت إدارة شتوكر ، وانفصل عنه بسبب معاداته للسامية . وأسس ، في ١٨٩٦ ، جماعة « الاجتماعية ـ القومية » التي كان هدفها زيادة قوة الإمبراطورية الألمانية . فهو يرى أن يأتيها بمؤازرة الجماهير العمالية التي تحولت حالياً عن واجبها بالعقائدية الاشتراكية وبالعقائدية الماركسية التي كانت معادية للمسيحية ومعادية للقومية معاً . ولذا يجب أن ترد هذه الجماهير العمالية للإمبريالية ويبين لها بخاصة أن المسألة الاجتماعية لا يمكن أن تحل إلا على الصعيد القومي . وأن العمال بحاجة إلى ألمانيا قوية تمتد بإمبراطوريتها في كل أجزاء العالم ، وبحاجة إلى ألمانيا هذه لحل القضايا الاجتماعية نفسها . وأن الازدهار المادي للطبقة العاملة يتعلق بعظمة ألمانيا . ولكسب العمال لوجهات نظره وسع نومان ، في كتابه « الديمقراطية والملكية الإمبريالية » ، برنامجاً قريباً من برنامج الديموقراطية ـ الاجتماعية يقدم منافع مادية للطبقة العاملة . وبالإجمال طرح نومان أسس أمبريالية ديموقراطية واجتماعية معاً تعرف كيف تغير الجماهير وتتصيدها بالمادية وتكسبها للقضية القومية .

ولم يكن لوجهة نظر نومان هذه ، من الوجهة التطبيقية ، نفوذ سياسي كبير . حتى إن نومان نفسه لم ينتخب للرايخشتاغ إلا في ١٩٠٧ ، أي بمشقة وعناء ، ويجب الاعتراف بأن الأكثرية الواسعة للجماهير العمالية ظلت موالية للاجتماعية ـ الديموقراطية ، أي إلى الحزب الثوري ، ولم تتبع نداء نومان . إلا أن اتخاذ هذا الموقف من نومان ، على الأقل ، كان له نفوذ عظيم في الأوساط الفكرية الألمانية ، أي أن هذا المفهوم لإمبريالية اجتماعية وديموقراطية كان له صدى كبير لدى المفكرين في ألمانيا . فقد وسع بخاصة ، أفكاره في مجلة تدعى « العون » وساندته في هذه المجلة شخصيات عظيمة ، مثل المؤرخ ماينك ،

واللاهوتي ترولتش ، ورئيس الجمهورية الألمانية في المستقبل ، هويس ، الذي ألف كتاباً هاماً للغاية عن نومان ، وكان من أهم المعجبين به .

ومن جهة أخرى ، أدت أعمال علماء الاجتماع الألمان إلى نتائج مطابقة لوجهة نظر نومان(١) . وعلماء الاجتماع الألمان ، الذين يهتمون بقضية الجماهير هذه ، يميزون بين مفهومين متناقضين ومتعارضين في نظرهم : وهما مفهوما المجتمع والجماعة .

واعتاد علم الاجتماع الألماني ، ولا سيما منذ أعمال تونيس ، أن يميز بين هذين المفهومين . ما هو المجتمع ؟ هو الجمع الميكانيكي ، والعددي للأفراد . وهذا المجتمع يفصح عن نفسه بنظام مجرد ، غير بشري ، ويظهر بفردية الإنسان الاقتصادي الذي تظهر منافسة منافعه على الصعيد الاجتماعي بمنافسة فظة . والمفهوم الثاني : « الجماعة » ، كما يقول علماء الاجتماع ، يعتمد ، بالعكس ، على التضامن العميق للأفراد ، ويصنع من عواطف متوافقة ، ومن أعراف ، وتعاملات ، وأديان ، ولغات . ومن تضامن عميق ناجم عن قيم غير عقلانية . ويلح علماء الاجتماع الألمان على ضرورة تقوية القيمة العليا للجماعة على المجتمع . والمجتمع هو العنصر المتفتت ، والجماعة ، بالعكس ، هي العنصر الذي يوحد أعضاء أمة واحدة في عدد من العقائد وفي عدد من القناعات المشتركة .

وإلى هذا التحليل للمجتمع والجماعة ، يضاف ما يسمى : علم اجتماع **ماكس فيبير** . وكان هذا صديق نومان ومساعده في مجلة « العون » ، وعلى وجه التأكيد أعظم علماء الاجتماع الألمان في العصر الويلهلميني . وكان ماكس فيبير ، في مؤلفاته السياسية والسوسيولوجية ، متأثراً بعدم كفاية الرايخ الثاني ، الذي لم يكن قادراً على خلق طبقة موجهة حقيقية : فقد أهمل الجماهير ، ولم يرب الأمة

(١) راجع ، . Rauymond ARON , LA,SOCIOLOGIE ALLMANDE CONTEMPORAINE , PARIS , 1950 .

تربية سياسية . وتأثر فيبير بواقع ، وهو أنه لم يوجد حول غليوم الثاني رجال سياسيون ، وإنما فقط بوروقراطيون لم يكن عندهم حس بالمسؤوليات ، وشهر بقوة هذا النوع من عدم كفاية البوروقراطية الألمانية ، التي كانت غير قادرة على أن تمسك الأمة بيدها . وأظهر أن النظام يخنق الحرية بالميكانيكية البوروقراطية . وبالمقابل ، مجد فيبير بدور الزعيم ، دور ما يسميه الزعيم الموهوب الذي يتمتع بجاه عظيم ، أي الزعيم ، الذي يمارس بين الأمة وبينه ، نوعاً من تفاهم واتحاد صوفي ، الزعيم الذي يخضع لنداء داخلي ، الذي يجلد الشعب ولكنه يعرف كيف يقيم بينه وبين الشعب روابط سرية ، غير عقلانية ، ويؤثر على مصير الأمة لأنه موهوب بفضائل وصفات استثنائية . ويرى أن وجود مثل هؤلاء الزعماء وحده يمكن أن ينقذ ألمانيا من هذا النوع من الانحطاط الذي أوقعها فيه ضعف النظام الويلهاميني (الغليومي)

٣ ـ والنقطة الثالثة التي يحمل عليها نقد القوميين ، هي تفاهة العصر الوهلميني ، وسطحية المجتمع الألماني في ذلك العصر ، وما يسمى الطبع العامي لمجتمع لا يتطلع إلا إلى المراتب العليا وإلى المال . وسيظهر هذا النقد في ما يسمى « حركة الشبيبة الألمانية »[1] . كانت هذه الحركة في ألمانيا رد فعل شديد وعفوي ضد العالم الذي تكيف معه الرجال الذين أتوا عن الرايخ الثاني .

وعبر عن هذه الحركة بيقظة غير متوقعة للعقلية الرومانتية ، وبتذوق الطبيعة ، وبجاذبية طوافها معاً في المجالات الكبرى المقفرة في الريف الألماني . وفي هذه الروح ، أسس شاب ألماني باسم كارل فيشر ، في ١٨٩٦ ، حركة « العصافير الدورية » المعاصرة للحركات الكشفية الكبرى التي نمت في نفس هذا العصر في البلاد الأنغلو ـ ساكسونية . ونشأت في مدينة برلين ، وعلى وجه الدقة ، في

---

(١) راجع تجمع الشبيبة في : . W . LA Queur , Young GERMANY , 1962

ضاحية شتبليتز ، وفي ١٩٠٦ ، أنشئت حركة مماثلة تابعت أهدافاً سياسية ومعنوية بصورة أوضح ، وتسمى هذه الحركة : « الشبيبة الألمانية الحرة » ، وعقدت أول جلسة لها على قمة عالية في منطقة الهسّ تسمى هوهه مايسنر . وفي هذه التجمعات وجد ، على سبيل الحصر تقريباً ، أعضاء من الطبقة المتوسطة ، وينتمون بخاصة إلى البلاد البروتستانتية في ألمانيا .

ولم يكن لهذه الحركات ، في الأصل على الأقل ، وفي الدور الذي ندرسه ، برنامج سياسي محدد ، ولكنها ، ترتبط ، روحياً ، بكل المؤلفين الذين صنعوا شعارها : أولاً : بالرومانتيين (الرومانتيكيين) ، ثم بـ نيتشه ، ولانغبن ، وبخاصة الشاعر ستيفان جورج . وشيئاً فشيئاً نمت عندهم مفاهيم عنصرية (عرقية) . وفي قصة تدعى « هلموت هورّيغا » وصدرت في ١٩١٠ ، وقرئت جداً في أوساط ، « العصافير الدورية » ، يؤكد المؤلف هـ . بوبرت على ضرورة صيانة نقاء العرق ، كما يلح أيضاً على مساوئ الكحول . ولكن يرى أيضاً ، في هذه الأوساط ، ظهور مذاهب معادية للسامية . ومن النادر جداً أن تقبل تجمعات « العصافير الدورية » بينها بضم الشبان اليهود .

وفي حركات الشبيبة هذه ـ وهذه هي النقطة الهامة ، ستنمو الفكرة التالية وهي : أن تجديد ألمانيا الفاسدة بسهولة الحياة في عصر غليوم الثاني ، لن يعمل إلا بواسطة جمعيات الشباب ، المقتنعين بمثل أعلى واحد ويعيشون حياة واحدة مشتركة : وهذه هي الجمعيات هي رابطات الذكور التي ستكون ، كما قيل ، في أصل بعث ألمانيا . وهذا ما يوضح ، في الآجل ، في الحركات القومية ـ الاشتراكية ، كيف نمت التطلعات الجنسية للذكور . ونذكر بخاصة أحد المؤلفين الذي كان يقرأ أكثر من غيره في أوساط « العصافير الدورية »، وهو **هانز بلوهر** وقد اشتهر بعدائه للنساء ومدح العلاقات الجنسية ـ الذكرية .

وتوجد أيضاً نقطة يجب رؤيتها : وهي أن هذه الأوساط نمت فيها عبادة الزعيم الموهوب الذي يملك سلطة وجيهة ونافذة ولا عقلانية . ومن أوساط « العصافير الدورية » هذه خرج في الحرب العالمية الأولى بخاصة ما يسمى « سرايا الصراع » أو « سرايا الصدام » التي استعملها الألمان لأول مرة في ربى الأرغون المحرجة في شرق الحوض الباريسي في فرنسا في خريف ١٩١٤ . وفي سرايا الصراع هذه التي ضحت بحياتها كاملاً ، كافح الكاتب الألماني الشهير أرنست يونغر الذي أطرى على وجه الدقة ، بمدح حركات الشبيبة هذه ، والبطولة التي خرجت عنها في مؤلف يسمى « عواصف الفولاذ » .

الفصل الثاني

الاتجاهات الفكرية في داخل القومية الألمانية

١٨٧١ - ١٩١٤

إن كافة الانتقادات لا يمكن أن تفهم إذا لم تؤخذ بعين الاعتبار حركتان فكريتان ينبغي تحليلها ، وسيكون لها تأثيرها في الطبقة الفكرية الألمانية ، وهما : من جهة ، عداء السامية والعرقية ، ومن جهة أخرى تأثير مذاهب نيتشه .

أ - عداء السامية في الدور من ١٨٧١ إلى ١٩١٤[١].

لقد وجد العداء للسامية منذ زمن طويل في ألمانيا ، كما وجد ، في الدول الأوربية كافة ، وأخذ ، مع ذلك ، بسرعة جداً ، في ألمانيا ، صفة خاصة ، أي أن العداء للسامية ألح على الاختلاف بين الجرمن واليهود . وبدت ظاهرة العداء للسامية هذه منذ ١٨٧٣ ، في كتاب ألماني للمؤلف : ڤ . مارّ ، وعنوانه : « انتصار اليهودية على الجرمانية » ، أبان فيه أن اليهود يتمتعون ، في ١٨٧٣ ، في ألمانيا ، وفي العالم كله ، بنفوذ مسيطر ، وأنهم سادة الغرب .

---

(١) راجع : W. Massing, Reheawal for destruction. A Study of political anti - sémitism in imperial Germany 1871 - 1914 , edi . 1949 وقد ترجم إلى اللغة الألمانية .

ولكن هذا العداء للسامية سيأخذ شكلين مختلفين للغاية ، وبالتعاقب : شكلاً اقتصادياً . ومن بعد ، شكلاً عنصرياً (عرقياً) .

أولاً ، **عداء السامية الاقتصادي** ـ لقد عرف هذا العداء نمواً عظيماً في ألمانيا ، على أثر الفوضى المالية في ١٨٧٣ ، التي كانت هزة ضخمة تنذر بانقلاب عام للظروف الاقتصادية ، وكانت على صلة بالقضايا المالية الفرنسية ـ الألمانية بصورة نوعية . وقد أثارت هذه الهزة المالية في ١٨٧٣ حركة معادية للسامية قوية جداً . فقد جعل المتمولون اليهود مسؤولين عن هذه النكبة المالية ، ومنذ ذلك الحين شوهدت حركة تميل إلى البرهان إلى مختلف الطبقات الاجتماعية ، وبخاصة الفلاحين ، والحرفيين ، وصغار التجار ، على أن المال اليهودي عدوهم الأساسي ، وأن الطبقة الاقتصادية المتوسطة يجب بالتالي ، أن تقوم برد فعل وبشدة ضد الطرق الاقتصادية التي كان اليهود مسؤولين عنها ، وكانت الليبرالية الاقتصادية تعبيراً لها . وعليه فإن العداء للسامية ، في هذا الدور الأول ، كان في العداء للّيبرالية . وهذا يعني الشك في طرق الاقتصاد الرأسمالي الذي كانت ضحاياه الطبقات الوسطى في المجتمع ؛ والبرهنة على أن اليهود هم موجهو المالية العليا ، والمسؤولون الأساسيون عن هذه النكبة .

ظهرت هذه النظريات بخاصة في مجلة تدعى « عرائش الجنان » والتي كان رئيس تحريرها **أوتو غلاغاو** . وفي هذه المجلة ظهر لأول مرة هذا العداء الاقتصادي للسامية . ونقرأ فيها : « من المستحيل على الصناعة الحرفية والمزدهرة أن تعيش في نظام الليبرالية الاقتصادية ، وفي الرايخ الألماني الجديد ، كما في روما القديمة . إن الطبقة الوسطى المعافاة تتفتت ، والطبقة الكادحة اليائسة تتزايد كثلاجة . إن القضية الاجتماعية هي في الأساس قضية يهودية . والباقي عبث » . وقد شجع تطور بسمارك ، الذي انفصل ، نحو ١٨٨٠ ، عن القومية ـ الليبرالية في

نهاية « الكفاح في سبيل الحضارة » وتقرب من العناصر المحافظة ، نمو العداء الاقتصادي للسامية . وكان الممثل الرئيسي لهذا العداء للسامية **شتوكر** ، راعي البلاط ، ومدير « البعثة الداخلية في برلين » وهي أكبر مشروع للإحسان الاجتماعي في العالم البروتستانتي آنذاك - ومؤسساً للحزب المسيحي - الاجتماعي . ومن جهة أخرى ، كان مرتبطاً جداً بأوساط الأرستقراطية البروسية . وهذا الحزب المسيحي - الاجتماعي الذي يوجهه شتوكر ، حاول أن يكون له نفوذ في الأوساط العمالية ، ولكنه أخفق تماماً على هذا الصعيد ، واتجه بصورة أساسية نحو الطبقات الوسطى ، أي نحو المستحدثين (الحرفيين) ، نحو التجار وأيضاً نحو الفلاحين ، وبين لهم أن اليهود كانوا على ، وجه الدقة ، تلك العناصر الطفيلية التي دمرت حالتهم الاقتصادية . وبالتالي ، أخذ شتوكر بوضوح موقفاً معادياً للغاية لليهود ، دون أن يكون لعدائه للسامية طابع عرقي . فقد كتب مثلاً ، في ١٨٨٠ ، إلى الإمبراطور : « اتجهت في خطبي دوماً ضد اليهودية . ولم أهاجم اليهود باعتبارهم عرقاً ، وإنما اليهودية التافهة ، المرابية . والمخادعة التي هي نائبة عصرنا » . ولذا فإن شتوكر لم يهاجم اليهود كعرق وإنما هاجم طرقهم الاقتصادية .

ومع ذلك ، لم يكن لهذا الموقف المعادي للسامية الاقتصادية من تأثير على مصير ألمانيا ، بالرغم من دعاية شتوكر . وفي الحقيقة ، كان بسمارك متعلقاً كثيراً ، لأسباب سياسية ، بالمال اليهودي ، وكان مرتبطاً بخاصة بصاحب مصرف إسرائيلي يدعى **بلايشرودر** . وبالتالي ، لم تفكر حكومة بسمارك مطلقاً بتحديد حقوق اليهود العامة ، وبإبعادهم عن الوظائف العامة . وفي ١٨٦٩ ، أعطى تشريع ألمانيا الشمالية لليهود نفس الحقوق التي هي للمواطنين . ولم يمس بسمارك هذه الحقوق على الإطلاق .

ومع ذلك ، سينمو إلى جانب هذا العداء للسامية الاقتصادية في الدور الذي يشغلنا ، عداء للسامية العنصرية .

ثانياً ، عداء السامية العنصري

استلهمت التجمعات الأولى المعادية للسامية العنصرية في ألمانيا من كتاب المؤلف الفرنسي ، الكونت دو غوبينو ، وهو : « محاولة في التفاوت بين الأجناس البشرية » الذي يعتمد على الفكرة القائلة بأن الشر كله يأتي من الاختلاط بين الأجناس الدنيا والأجناس العليا . ويرى المؤلف أن الأجناس تبدي تفاوتات اجتماعية ويقول : « الطبقة النبيلة هي المنتصرة ، والبورجوازية هي الخلاسيون ، والشعب ينتسب إلى تنوعات عرقية أدنى » . وقد نجحت هذه الأفكار في ألمانيا بسرعة فائقة ، وأسرع بكثير مما في فرنسا . ففي ١٨٦١ ، صدر ، تحت تأثيرها ، كراس يدعى « اليهود والألمان » ويمثل اليهود الذين طردهم الفراعنة من مصر كحثالة شعوب فاسدة ومجرمة . ونما بسرعة في ألمانيا ما سمي « جمعيات غوبينو » التي تناولت أفكار هذا المؤلف الفرنسي .

وفي سنوات ١٨٨٠ وما يليها ، صدر عدد من الكتب العرقية المعادية للسامية . فقد نشر دورنغ ، وهو اشتراكي ذو اتجاه فوضوي ، كتاباً بعنوان : « المسألة اليهودية » ولم يقدم فيه اليهودية كدين وإنما كعرق ، ورفض التسامح الذي أبدي إزاءه دوماً . وامتدح حبس اليهود في بعض البلاد ، وإذا لم يكن هذا ، فليعتبروا ، على الأقل في الأمة التي يسكنون بين ظهرانيها ، كشعب أجنبي يجب أن تحرم عليه الأعمال والزواج . وإذن يبدو دورنغ نصيراً لتشريع عنصري . وقد هاجمه آنغلز بعنف في كتاب يدعى « عدو دورنغ » .

وتوجد أفكار مماثلة عند مستشرق ألماني يتمتع بشهرة عظيمة جداً واسمه

فارموند . فقد كتب ، في ١٨٨٧ ، « قانون البداوة وسيطرة اليهود الحالية » ، وأظهر الشعب اليهودي كشعب بدوي وطفيلي .

وسينمو العداء للسامية العرقية بشكل جماعات صغيرة ولكنها نشيطة : ففي برلين شكل هنريسي ، في السنوات ١٨٨٠ ، حزب الرايخ الاجتماعي الذي أخذ على المحافظين بشدة عدم تبنيهم موقفاً واضحاً إزاء المسألة اليهودية . ووجدت جماعتان هامتان بخاصة : **جماعة ليبتزيغ** التي يوجهها تيؤدور فريتش الذي كتب في التعليم المعادي للسامية فأحدث ضجة كبرى . والجماعة الثانية وهي الأهم ، **جماعة كاسّل** ، وكان على رأسها **أوتو بوكل** . ففي ١٨٨٧ ، وفي حملة انتخابية نشيطة للغاية ، كان بوكل يذهب من باب لباب عند فلاحي دائرته الانتخابية ويكرر : « أيها الفلاحون ، خلصوا أنفسكم من الوسيط اليهودي » . وكان له موقف عنصري واقتصادي معاً ، ومنذر تماماً بأعراض العصر . وعبر عنه في صحيفة « رايخشيرولد » .

وفي ١٨٩٠ ، تقدم هذا العداء للسامية تقدماً جاداً ، وأفصح عن نفسه بقضية تلفت النظر تدعى قضية « آلفاردت » . والفاردت هذا كان موظفاً في مدينة برلين وطرد بسبب أعماله السيئة ، وكان يعوزه المال ، فأصدر في ١٨٩٢ ، كتاباً حظي بنجاح واسع ويدعى « جودنفلنت » أي « بندقية اليهودي » وهاجم فيه صاحب مصنع في برلين كان يجهز الجيش بالبنادق ، وأخذ عليه التجهيز ببنادق غير صالحة للاستعمال لتسبب هزيمة الألمان في ميادين القتال . وكان لهذه القضية انعكاس واسع . وحكم على الفاردت افتراءً ، ولكنه بدا في أنظار الكثيرين بطلاً ، وستنتخبه مدينة براندبورغ نائباً في الرايخشتاغ الألماني . وأخذ الحزب الألماني المحافظ هذه القضية مأخذ الجد ، وفي انتخابات ١٨٩٣ وجد من الضروري أن يعطي لبرنامجه صفة معادية للسامية . وكتب : « نكافح نفوذ اليهودية المتعاظم والمفسد على شعبنا » . وفي ١٨٩٣ ، وجد ١٦ نائباً منتخباً في الرايخشتاغ معادين

للسامية . وظل هذا العدد متماسكاً حتى ١٩٠٧ ، وبعد ذلك تناقص . وعلى الصعيد الانتخابي ، أي على صعيد السياسة العامة لألمانيا ، يجب ألا نبالغ بنفوذ العداء للسامية العرقية . لقد كان لهذا العداء نفوذ في الجماهير الريفية ، ولكن لا يمكننا القول بأن كان له من الوجهة الانتخابية ، موقف عظيم لدى الشعب الألماني .

ويبقى من ذلك أن العداء للسامية نما بشكل مقلق في السنوات الأخيرة من حكم غليوم الثاني في الأوساط الفكرية[1]. ونراه يظهر في الخمس عشرة سنة الأخيرة من حكم غليوم الثاني ، في عدد عظيم من المؤلفات ذات الطابع العرقي التي تستلهم في معظمها من المذاهب الداروينية الاجتماعية . وقد عرض هذه المذاهب عالم في علم الاجتماع باسم غومبلوفيتش . وأكد بأن مجموعة القوانين الاجتماعية تتضح بنفس الشكل الذي توضح به القوانين الطبيعية . وزعم بأن يبرر بالداروينية التفاوت الذي هو أعظم قانون للمجتمعات البشرية . وانطلاقاً من هذه المفاهيم التي تلح على فكرة العرق تحدد عدد من المفاهيم البيولوجية والعرقية التي كان المثل الرئيسي لها في ألمانيا الويلهلمينية فولتمان الذي أظهر ، بين الأمور الأخرى ، أن نزاع الطبقات قبل كل شيء هو نزاع أعراق . ولكن المنظر الأساسي لهذه العرقية المناوئة للسامية ، في عصر غليوم الثاني ، كان شخصية ذات إشعاع عظيم وهو هوستون ـ ستيوارت تشامبرلن .

كان تشامبرلن ابناً لأميرال انكليزي ، ولكنه جعل من ألمانيا وطنه المفضل . وبعد أن عاش طويلاً في هذه البلاد جذبته إلى بيروت كوزيما فاغنر ، وتزوج للمرة الثانية ابنة فاغنر ، إيفا . وهو الذي سيجعل من بيروت مهداً وأول مركز نشيط للدعاية العرقية في ألمانيا . وفي الواقع كان اتجاه فاغنر عرقياً وفي ١٨٧٩ ألف كتاباً يسمى « اليهودية في الموسيقى » أظهر فيه الأثر المشؤوم لليهود على الحياة

---

(١) راجع : G. Lukacs, la destruction de la raison I, Paris, 1958

الفكرية للأمة . وتوصل في السنوات الأخيرة من حياته إلى مذهب انحطاط البشرية بفساد الدم . واستنتج منه لنفسه ضرورة حمية نباتية ، وبعد أن قرأ غوبينو ، اتهم اختلاط الأعراق النبيلة بالأعراق العامية بأنه كان السبب في هذا الانحطاط .

وهذه الفكرة في نقاء وانحطاط الأعراق ألهمت تشامبرلن في كتابه « أسس القرن التاسع عشر » الذي صدر في ١٨٩٩ ، وفيه يميل إلى إظهار التاريخ كنزاع بين الأعراق . وفي الحقيقة ، لا توجد أعراق نقية على الإطلاق ، ولكن يجب علينا كلنا أن نحاول التقرب من النقاوة البدائية ، وذلك على وجه الدقة ، بتجنب التماس مع العرق اليهودي . وألح تشامبرلن على هذا القانون . وانطلاقاً من هذه المعطيات وسع تشامبرلن نظرية في التاريخ تلفت النظر للغاية ، وبرهن فيها على أن يسوع لم يكن يهودياً ، ولكنه مثل داود . سليل أرومة آرية ، وأن القديس بولس اكتشف الدين المحتوم للسلامة الذي أفسد المسيحية . ومن بعد نجت أوربة من الفوضى ، نتيجة الانحطاط الروماني بالغارات الجرمانية ، وأن دانته ولوثير كانا تجسيدين عظيمين للعبقرية الألمانية . وألح أخيراً على هذه النقطة ، وهي : على العالم الجرماني أن يدافع عن نفسه ضد جميع الأمميات . كأممية الكنيسة الكاثوليكية ، وأممية الماسونية ، وأممية الليبرالية الاقتصادية ، وأممية الاشتراكية ، ويؤسس القومية على شجب هذه الأمميات والحكم عليها بالبطلان .

وبهذا ، مارس تشامبرلن نفوذاً عظيماً جداً على هتلر ، وعرفه في ١٩٢٣ . ومع ذلك يجب ألا يبالغ في تأثير تعليم تشامبرلن المعادي للسامية ، وبقية العرقيين الذين طرحنا أسماءهم وكانوا موضع بحث في هذه الدراسة ، فهم لم يؤثروا إلا على قطاعات ضعيفة من الرأي ، ولكنها مؤثرة نوعاً ما .

وأصبح العداء للسامية ، في السنوات التي سبقت حرب ١٩١٤ ، في ألمانيا ،

أداةً للامبريالية ، لأنه فقد كلياً صفته المناوئة للحرية التي كانت له في الأصل ، وأصبح الآن يستخدم بخاصة ، من قبل الحزب المحافظ والقوميين ـ الليبراليين ، واسطة نضال ضد الديموقراطية والسلمية ، لا سيا وأن كثيراً من الديموقراطيين وأنصار السلام إسرائيليون . وباختصار ، أصبح العداء للسامية عنصراً للمذاهب الجرمانية الجامعة والأمبريالية . وقد امتدحه عدد من جمعيات اليمين الألمانية ، وأكثرها نفوذاً « الاتحاد الألماني للمستخدمين التجاريين » التي تضم أهم عناصر الطبقة المتوسطة ، و « عصبة الجامعة الجرمانية » . وفي الكتاب الذي ألفه زعيمها هنري كلاس ، وهو « لو كنت الإمبراطور » ، في ١٩١٤ ، صرح بقوله : لو يصغى إليه ، لطرد اليهود مباشرة من كل الحياة العامة والوظائف في ألمانيا .

٢ ـ تأثير نيتشه في ألمانيا بين ١٨٨٠ و ١٩١٤

ينطلق نيتشه من القضية التالية : إن ألمانيا التي توحدت بانتصارات بسمارك المدوية هل لها ثقافة تستحق هذا الاسم ؟ لقد اعتقد أولاً ، خلال زمن طويل ، أن الأمة الألمانية يمكن أن توفق ، كالإغريقية القديمة ، بين القوة السياسية والثقافة الفكرية . ولكنها تخلت عن هذا الحلم بسرعة جداً . وفي مؤلف بعنوان « في غير حينها » يحتج بقوة ضد عدم الثقافة الحقيقية في ألمانيا ، وعدم الأصالة ، والتحذلق الجامعي ، وعبادة التقنية ، وفقدان النخبات الحقيقية . وتبدو له ألمانيا كأنها متعطشة للثراء والقوة ، وتضحي للروح العسكرية والوعود الصناعية ويقول ويلاحظ : إن ألمانيا ، في الحقيقة ، بلد تنقصه التقاليد . ويشجب هؤلاء العاميين العديمي الثقافة الذين يصف ضعفهم المنمط . وعلى وجه الدقة . إذا انفصل نيتشه في ١٨٨٠ عن فاغنر الذي أعجب به عن عمق ، فذلك لأن إطار بيروت الذي كان يحيط بفاغنر ، لم يعجبه بصورة عميقة .

إذن ما الحل الذي يقدمه نيتشه لألمانيا ؟ الحل هو انقلاب القيم . فقد

أمسكت قضية القيم بصورة أساسية بتفكيره . ونراه يميز ، في البشرية ، نموذجين من الأفراد : **النموذج الجماعي** ، الذي يريد السعادة ، ويؤمن بالتقدم . وأمام هذا النموذج ، يوجد **النموذج الأرستقراطي** الذي يميل إلى عزل نفسه ، وتوكيد إرادة القوة . ونراه يشجب النموذج الجماعي ، الذي يحب العيش مع الجماعة والمفعم بروح الجماعة ، لصالح النموذج الأرستقراطي . وستكون فلسفة نيتشه شجباً لأخلاق العبودية ، أخلاق القطيع ، التي تمدح أفكار الإحسان ، وصفات الشفقة ، ووجدت تعبيرها بادىء بدء في القديم في تعاليم سقراط ، ومن بعد ، في الديانة المسيحية . وإذا شجب أخلاق العبودية فذلك ، بالعكس ، لصالح الأخلاق الأرستقراطية التي تمتدح فضائل الشجاعة والجرأة التي ترد الاعتبار إلى الكبرياء والطموح واللذة . وإن ما يكرهه في المسيحية ، هو أنها دين التواضع والصبر والإذعان ، والتنازل . وهذا لا يعني أن نيتشه لا يقيم اعتباراً عميقاً لشخص المسيح نفسه . وباختصار ، إن فلسفته تؤدي إلى شجب التساوي الذي تجتاح فيه الطبقات الشعبية وتطالب وتضغط على الطبقة الأرستقراطية . وشجب عنصر الانحطاط : الديموقراطية ، السلمية ، الاشتراكية . وشجب التساوي التدريجي لجميع القيم التي تؤدي إلى تدني الطاقة . وشجب بخاصة هذا المرض الفكري الذي يسمى الميل إلى التاريخ ، التاريخية ، هذا التضخم للمعرفة العميقة التي تسوق الإنسان إلى فهم كل شيء . والصفح عن كل شيء . وقبول كل القيم حتى أكثرها تناقضاً .

وكل هذا ذهب به إلى عدمية ترفض إطلاقاً الاعتراف بالصفات الأساسية للعالم الحديث ، إلى عدمية توحي بآخر فلسفة لنيتشه وهي : « أسطورة العودة الأزلية » ، أي دورة كونية واسعة تريد أن يبدأ من جديد كل شيء في هذا العالم ، دون إضافة ولا تبديل ، وتؤدي بالبداهة إلى نفي قانون التقدم .

وبهذا التجديد لقضية القيم ، تجديد القيم القائمة ، المعنوية أو الدينية ، مارس نيتشه نفوذاً كبيراً على ألمانيا زمانه . وقد أشار ، بصورة خاصة ، إلى أن قائمة القيم الجديدة يجب أن تسمح بانتقاء وتربية نخبة جديدة ، وبناء ما أسماه في مؤلفه « السوبرمان » ، وعلى هذا العمل أن يبني هذا « السوبرمان » الذي تعلق به زردشت . وفي مؤلفاته الأخيرة ، مال إلى البرهان على أن « السوبرمان » يجب أن يعدّ بانتقاء بيولوجي قوي . وأن الصفات التي يجدر إبرازها هي الصفات الطبيعية للإنسان ، والطبيعة البشرية الغريزية والعنيفة . وهذا الإنسان الأعلى يفهم نيتشه ، حتى نقطة معينة ، كزعيم العصابة الذي لا يتقيد بأي هاجس ضمير ، وإنما بغريزة القوة .

وبهذا الشكل الذي اختصرت به فكرة نيتشه استخدمت ، في العصر الويلهلميني ، ولا سيا فيا بعد آجلاً ، كتصور مسبق لفكرة الجامعة الجرمانية وبخاصة ، الفكرة القومية ـ الاشتراكية . وقد تشجع هذا التفسير بالنشر الذي قامت به أخت نيتشه ، السيدة فورستر نيتشه لمراسلاتها ، وقدمت وفسرت فيها فكرة نيتشه في اتجاه عرقي وأعطت حججاً للقومية ـ الاشتراكية .

وهذا التفسير لنيتشه غير مقبول على الإطلاق . ولا شيء أبعد عن الصواب من أن يرى نيتشه سلفاً للفكر القومي ـ الاشتراكي . وقد احتج نيتشه نفسه ضد هذا التفسير الذي بدأ قبل وفاته ، واحتج على ما كان يسميه « قضية العرقية المشبوهة » . ونطق « كلاماً » معادياً للسامية . وأنكر وجود عرق بدائي يعلو على الأعراق الأخرى ، حتى إنه كان عنيفاً جداً للغاية ضد أشكال القومية ، فقد كتب : « قليل من الهواء النقي ، يجب ألا تسود هذه الحالة طويلاً في أوربة . وهل توجد فكرة ما وراء قومية الحيوانات ذات القرون؟ أما وإن كل شيء يتجه في الحاضر نحو أوسع المصالح المشتركة ، فما معنى وجود أنانيات جرباء » ؟ وعلى

العكس ، لقد صنع من مثله الأعلى ما يسميه « الأوربي الصالح » الذي يمكن أن يفهم كثرة انتقاء وكتركيب لكثير من الثقافات .

وإذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك ، فإن فكرة نيتشه ، في الحقيقة ، قليلة الاهتمام للغاية بالقضايا السياسية . إن السوبرمان عنده ينتسب إلى أرستقراطية فكرية ومعنوية وفنية ، ولم يوضح مطلقاً بأنه كان يريد أن يجعل من هذا السوبرمان قائداً للشعب . ولم يتوجه إنجيله إلى الكثرة الكثيرة ، حتى إنه كان يخشى المتملقين لبسمارك الذين خلقوا ، في رأيه ، السطحية والابتذال العام ، وما من أحد كان أشد من نيتشه على ألمان زمانه .

على أن ما يبقى ، على الأقل ، وقد برهن على ذلك ، بخاصة ، في كتاب جورج لوكاكش وعنوانه : « تدمير العقل » ١٩٥٨ ، أن نيتشه فتح الطريق إلى عقائدية امبريالية وذلك بطريقين : **أولاً** ، أن فكر نيتشه يتضمن دون نقاش شجباً للاشتراكية . فهو يحتقر ، بل يكره الجماهير الشعبية التي يسميها عبيداً ، أو أيضاً قطيعاً ، وفي رأيه ، محكوم عليها بالخضوع إلى طبقة السادة . وكتب : « الظلم ليس التفاوت في الحقوق ، الظلم هو المطالبة بحقوق متساوية » . وفي الحقيقة يوجد في كل أثره تمجيد للرق القديم . والمجتمع المثالي عند نيتشه هو المجتمع الديموقراطي من النوع الأثيني الذي يضم عبيداً يهتمون بإرضاء حاجات سادتهم . وفي المقام الثاني ، تؤلف فلسفة نيتشه باباً مفتوحاً للغريزة ، والعنف ، والأنانية ، وتبرر سلفاً أعمال نخبة مزعومة ، وأي محاولة اعتداء على الجمهور ، وقهر الطبقات الموجهة ، وبالتالي ، دون أن يقول نيتشه ، الإمبريالية المسيطرة لأمة أو طبقة . وهكذا تجهز فلسفة نيتشه ، بواسطة القيم اللاعقلانية ، الطبقات المسيطرة بتبرير « تطفلها » الاجتماعي .

وفي الدور الذي امتد حتى ١٩١٤ ، انتشر فكر نيتشه في قسم هام من الطبقة

الفكرية الألمانية . ومن غير الممكن متابعة نمو الفكرة النتشية ، ولكن يجب تحليل تأثيره على بعض الكتاب مثل لانغبن ولا سيا ستيفان جورج .

درس لانغبن تاريخ الفن ، وكان مختصاً بعلم الجمال ، وألف كتاباً يسمى « رامبرانت مرب » صدر في ١٨٩٠ . وقد رأى لانغبن في رامبرانت ممثلاً لفن الضياء ـ المعتم الذي يقدم القيم اللاعقلانية وغير الواعية ، وممثلاً لعلم جمال يهز قوى الخيال المحسنة والمخيفة معاً ، وممثلاً لثقافة ينتصر فيها النظام البورجوازي المؤسس على التعقيل الصناعي وعلى الطبيعة وتفاهة الحياة البورجوازية . إلا أن لانغبن يرفض تشاؤمية نيتشه الأرستقراطية ، ويفكر بأن هذا الانقلاب في القيم ، على نقيض نيتشه ، يمكن أن ينمو في ألمانيا زمانه . ويصرح بأن ألمانيا هذه يمكن أنْ تجمع بين القوة السياسية والثقافة ، وبالتالي ، تجديد العالم الإغريقي . وتقدم للعالم « مشهد سلطة سياسية قوية تغطي بقشرتها القاسية الثمرة الثمينة لثقافة عليا ، خليط ، كإغريقية القديمة ، من القوة الرجولية والحساسية الفنية . وبهذا يكون لانغبن قد تناول عدداً من الأفكار من أثر نيتشه وأضعفها ومسخها مقدراً أن ألمانيا عصره ، ألمانيا الويلهلمية أهل للقيام بهذا التركيب .

والكاتب الآخر **ستيفان جورج** . وتوجد عنه أطروحة عظيمة وهي أطروحة **كلود دافيد** التي يرجع تاريخها إلى ١٩٥٢ ، إن فكر ستيفان جورج ، الذي هو ولا شك أعظم أتباع وتلاميذ نيتشه ، يقع بين الجمالية والإرهابية .

وستيفان جورج شاعر ، انطلق من عبادة اللغة ، ومن تأمل عميق جداً في قوانين وموارد الشعر في عصره . لقد ترجم شكسبير وبودلير وفرلين ومالآرمه . ووضع الكتاب الشبان في حالة دفاع حيال النجاح السهل ، وألحّ على ضرورة مهنة كاملة . ولكن هذه الجمالية المحتقرة والمستعلية ، تحولت بسرعة في أثر جورج إلى تعبير عن مثل أعلى للحياة . وأسكت عن نفسه ليقبل المقدس ، وليعلن للناس

قانون الأزمنة الحديثة ، ويشهر بقباحاتهم ، ويهز جمودهم ، وينقل لهم نداء رسالة تتعلق بالجيل الجديد . وأول أثر كبير لستيفان جورج ويسمى « بساط الحياة » يمثل فلسفة تقرب للغاية من فلسفة نيتشه ، وتؤكد ضرورة خلق قيم جديدة وتشكيل نخبة جديدة . وسيمارس نفوذه في دائرة الكتاب المونيخيين ، الذين يدل عليهم باسم « الكونيين » . وهذا الفريق يدعو إلى القوى البدائية للسحر لخلاص العالم من العذاب الأبدي الذي يثقل عليه. والممثل الرئيسي لفريق الكونيين ، وكان زمناً طويلاً صديقاً لجورج ثم اختلف معه فيما بعد ، هو كلاج . فقد درس كلاج الميثولوجيات القديمة ، ودل على أن تاريخ الأديان يظهر في معارضة بين دين بدائي ومعطيات غريزية ، دين **الأرض** الأم ، ودين ، بالعكس ، عقلاني ، هو دين الله الأب . وهذا الشكل الثاني للدين الذي هو دين عقلاني - واليهودية والمسيحية ظاهرتان له - قد تسبب في انحطاط الحياة الدينية . إذن يجب العود إلى دين أسطورة سلطة الأم الذي يضم في ذاته قيماً سرية وسحرية . ويصحب هذه الأفكار في فريق الكونيين . نزعات فوضوية وعدمية . ولا يمكن للمجتمع أن ينتظم إلا بتهديم كامل ، الاستياء ، والتخلي عن التشريفات . ومن جهة أخرى . يوجد عند بعض هؤلاء الكونيين تأثيرات واضحة جداً من الفكر العرقي : فالخير والشر يأخذان ، في كتاباتهم ، صورة الآري والسامي . وفي هذه المواقف المختلفة ، يمكننا أن نعرف ، حتى نقطة معينة ، تأثير الفكر الفاغنيري . وانتهى جورج نفسه بالنفور من فريق الكونيين ، وانقطع عنه في ١٩٠٤ ، وألف ، انطلاقاً من هذا التاريخ ، فرقاً من تلاميذه الشخصيين في مدن ألمانية عديدة ، وحلقات ، ومارس عليها سلطة معنوية فائقة . وبين الشخصيات التي كانت تلاميذه ، يجب أن نشير إلى ناقدين أدبيين عظيمين : **غوندولف** ، مؤرخ غوتيه ، **وبرترام** الذي كان تلميذاً وموسعاً لنيتشه . ومن الملاحظ أن هؤلاء التلاميذ كانوا منتقين من وسطين محددين بوضوح : **أولاً** ، من الطبقة النبيلة

الصغيرة صاحبة الأطيان في بروسيا ، وأيضاً من الطبقة الفكرية اليهودية التي كانت تقدر الطابع التنبؤي لفكر جورج .

وقد اتضح الفكر القطعي لجورج في مؤلف يسمى « الحلقة السابعة » ، التي تدور حول الشخصية السرية لشخص كان قد عرفه ، ولكنه حوله ، في مونيخ ، إلى الشاب ماكسيمين ، إلى نوع من مسيح ، وجعل منه إلهاً لدين جديد ، تتجسد فيه الاسطورة الازلية للشبيبة الألمانية .

وفيَ كتابه المسمى : « نجم الحلف » الذي صدر بالضبط عشية الحرب ، في ١٩١٤ ، توجد فكرة جورج في الدولة ومجتمع زمانه . ومن السهل أن نرى أن جورج يشجب ما يمدح . يشجب البورجوازية الجشعة النهمة والفاسدة ، والروح العسكرية المتغطرسة للضابط البروسي ، وفقدان الطاقة وبرجزة الطبقة الكادحة التي تخلت عن القضية الثورية لمحاولة تحسين مصيرها في الحياة النقابية . إن كل الطبقات الاجتماعية : البورجوازية ، والارستقراطية ، والطبقة الكادحة قد نالها انتقاد جورج . فماذا عنده ليعارض المجتمع الحالي ؟ من الصعب القول بأن جورج لم يعط أبداً لأثره صفة الاعلان عن دين سياسي . ومع ذلك فإن نيتشية عتيدة تلهمه ، ولذا يمدح جورج الحياة الخطرة والبطولية : فقد كان يكن اعجاباً عظيماً لنابوليون ، ويلح على ضرورة العنف والحرب لينتزع العالم من عجزه . وأظهر عظمة جماعات الرجال الأقوياء والأشداء في نهوض الأمة . ويوجد في كل أثر جورج ، مدح للجسم البشري ، والعضلات ، والجمال البطولي ، وأخيراً ، إن الدولة التي يفضلها هي دولة ذات نظام تسلسلي يكون فيه مكان كل واحد محدداً بميلاده ، وما أتى به للجماعة : دولة ارستقراطية ، وبالتالي ، مؤسسة بصورة أساسية على الولاء والطاعة . وتوصل بذلك إلى توكيد تفوق ألمانيا التي يجب أن تجمع حولها الأمم الأخرى ، وحلم بأن يعيد ، تحت إدارة ألمانيا ، بناء أوربة

الموحـدة ، التي تتجمع حول نهر الراين ، رؤيـا لإمبراطوريـة توضـع ، كما أرادهـا لاغارد ، تحت شعار دين جديد .

وكان لكتب جورج ، في ١٩١٤ ، في ألمـانيـا ، اشعـاع كبير جـداً : ويُـزعم ، ولا شك بكثير من الافراط ، بأن كل جندي ألماني ذهب إلى الحرب كان في جعبته اثر ستيفـان جورج . ومـا من شـك في أن أثره مـارس نفوذاً عظيمـاً ، ولا سيما في أوساط جماعات الشبيبة ، وبخاصة بين « العصافير الدورية » .

الفصل الثالث

تغلغل القومية في ألمانيا

بين ١٨٧١ و ١٩١٤

هنالك ثلاث نقاط يجب إيضاحها في هذا الموضوع

نفوذ الروح العسكرية

النقطة الأولى ، هي الدور المتعاظم لنفوذ الروح العسكرية في الأمة الألمانية . وفي هذه النقطة يحسن الرجوع إلى مؤلف ظهر حديثاً ،بالألمانية ، للمؤرخ جيرهارد ريتر : وهو بعنوان « الفن السياسي والتقنية العسكرية » ، وقد صدر الجزء الأول منه في ١٩٦٠ ، وهذا المؤلف بصورة أساسية دراسة لدور الجيش ونفوذ الروح العسكرية في المجتمع وفي الدولة الألمانية ، في الدور الذي سبق ١٩١٤ .

يعبر عن نفوذ الجيش ، في ألمانيا ، بالاعتبار الخاص تماماً الذي تتمتع به المهنة العسكرية لدى كافة الأمة الألمانية ، ولا سيا في بروسيا . إن مهنة الضابط ، في ألمانيا ، هي من أكثر المهن اعتباراً ، ويعبر عن ذلك في الحياة الجارية ، في حياة كل يوم ، عندما يلتقي مدني بضابط في الشارع على الرصيف ، بترك المجال له ليمر . والضابط الاحتياطي ، بخاصة يتمتع بجاه عظيم ، ورتب الضابط الاحتياطي لا تعطى إلا إلى أوساط تنتسب إلى البورجوزاية . ويطرد منها على الإطلاق اليهود ، وبصورة عامة ، الشخصيات التي يشتبه بأن لها أفكاراً

يسارية . وبوظيفة ضابط احتياط يستطيع البورجوازي ، في الواقع ، الذي منح أشرطة أن يرتفع في الطبقات ويعاشر أوساط الارستقراطية . وهكذا تشكل في أوساط ضباط الاحتياط والجيش العامل ، نوع من طبقة عسكرية لاتكن للمدنيين إلا الاحتقار العميق . وقد تربت هذه الطبقة في الأفكار الملكية والمحافظة . وعندما يكون الضابط متعاطفاً مع الأوساط الديموقراطية أو الاجتماعية - الديموقراطية ، يحذف دوماً مباشرة . ويستشهد ، كمثال ، بحالة ضابط كان مهيئاً لمستقبل عظيم جداً ، وهو الأمير شونايش - كارولات فقد اضطر ؛ بسبب تعاطفه مع الحزب الاجتماعي - الديموقراطي ، أن يهجر المهنة العسكرية . ومن الممكن أن تتكرر هذه الحالة جداً في الغالب .

ومن حيث المبدأ ، هذا الجيش غير سياسي . وعليه ألا يهتم بقضايا الدولة . غير أنه على الأقل كان يمارس نفوذاً عظيماً على الرأي العام ، ويمارسه بصورة أساسية بواسطة الجنرالات المتقاعدين . وهذه ، مثلاً ، حال الجنرال ليبرت الذي ينتسب إلى جوقة « الجامعة الجرمانية » ، أو بكل بساطة إلى عدد من الجنرالات الذين غادروا الخدمة وأخذوا على عاتقهم كتابة كتب ، مثل الجنرال برناردي مؤلف كتاب « ألمانيا والحرب الآتية » الذي صدر في ١٩١٢ ، وصرح بشده لصالح فكرة الحرب الوقائية .

ومن الملاحظ أن السلطات المدنية ليس لها إلا تأثير قليل جداً على الطبقة العسكرية في ألمانيا ، لأن التسمية (التعيين) في المراتب العليا في الجيش الألماني تتعلق مباشرة بالمكتب العسكري للإمبراطور ، لا بوزارة الحربية . وهذا هام للغاية ، وعلى وجه الدقة ، للحفاظ على هذه الروح في الجيش . ولا توجد مقاومة ممكنة لنفوذ الطبقة العسكرية ، وهذا ما يوضح مناخ عسكرة الأمة الذي لم يكن دون نفوذ على الحياة السياسية للبلاد . هذا ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار

بأن التطور يوجد في الدول الكبرى الأخرى ، في نفس العصر ، ويقصد بذلك روسيا ، والنمسا ، وفرنسا ، وحتى انكلترا . ولكن ما من شك ، وهذا ما تجب ملاحظته ، في أنه لا يوجد بلد كان فيه نفوذ الجيش عظيماً كما في ألمانيا ، أو أن مقاومة الروح العسكرية فيه ، بخاصة ، كانت صعبة .

والحادث الأخطر بكثير وينجم عن الأول ، هو أن الاهتمامات العسكرية ، في داخل الحكومة نفسها ، كانت تفوق على « داعي الدولة » . لقد كان يعبر عن الروح العسكرية في ألمانيا قبل ١٩١٤ بواقع ، وهو أن رجال الدولة نفسهم كانوا عاجزين أمام العسكريين . وهذا يمثل فرقاً كبيراً جداً بين الدور البسماركي ودور غليوم الثاني . وما كان بسمارك ليقبل أبداً أن يترك العسكريين أحراراً . وكان دوماً يغلب داعي الدولة ، والمصلحة السياسية على المفاهيم العسكرية . وفي عهد غليوم الثاني ، كانت السلطة ضعيفة ، وتغيرت الأمور ، ومن الممكن أن نرى في حكمه ظاهرات واضحة للغاية لسيطرة المصالح العسكرية على المدنية . ويمكن أن نرى ذلك في واقعين اساسيين لعبا دوراً في الحياة السياسية الألمانية في ذلك العصر : **أولاً** ، في حالة النفوذ الذي مارسه الأميرال فون تيربتز على مجالس الحكومة . ومن بعد ، بخاصة ، في حالة خطة شليفن . لقد كانت ألمانيا تخشى في الواقع ومنذ زمن طويل حرباً على جبهتين . واضطر الحلف الفرنسي ـ الروسي الألمان أن يتصوروا أن الحرب يمكن أن تقوم ضد فرنسا وضد روسيا معاً . والخطة التي أعدتها الأركان العامة الألمانية ، وتحمل اسم مؤسسها ، خطة شليفن ، كانت تتوقع ان تنقل قوى الجيش الألماني كلها نحو الغرب أولا ، أي ضد فرنسا ، وليكون الهجوم ضد فرنسا صاعقاً كان ضرورياً غزو بلجيكا . وبالعكس ، على الجبهة الشرقية ، كان على الجيش الألماني أن يبقى على الدفاع ، وبعد أن يصفى الفرنسيون ، أن تنقل القوة الألمانية نحو الشرق . والملاحظ ، أن هذه الخطة العسكرية ، التي أعدتها الأركان ، فرضت ، دون مناقشة ، على

الحكومة المدنية ، ولم تناقش حكومة غليوم الثاني أبداً هذه الخطة ، على حين انها كانت تتضمن ، من وجهة النظر السياسية أخطر الأخطار على ألمانيا . لأنها كانت تتوقع غزو بلجيكا المحايدة ، وبالتالي ، تجعل بالضرورة إنكلترا والإمبراطورية البريطانية تقرران التدخل إلى جانب فرنسا وروسيا .

الضغط على الحكومة والرأي

والنقطة الثانية التي يجب إيضاحها ، هي عمل جماعات الضغط على الحكومة والرأي العام الألماني .

وما زلنا نعلم اليوم أيضاً بشكل سيء ما هو عمل جماعات الضغط هذه ، وبخاصة جماعات الضغط الاقتصادي ، على الحكومة الألمانية . والمؤلف الهام أكثر من غيره في هذا الحقل هو مؤلف مؤرخ من جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، كوزينسكي وهو بعنوان : « دراسة في تاريخ الإمبراطورية الألمانية » في مجلدين . وإلى جانب هذا لدينا أعمال هامة للغاية لمؤرخ آخر من جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، جيروزاليمسكي وعنوانه : «السياسة الخارجية ودبلوماسية الإمبريالية الألمانية في آخر القرن التاسع عشر » ويرجع تاريخه إلى ١٩٢٤ . وقد أظهر كوزينسكي ، بصورة خاصة وبالعديد من الأمثلة ، الروابط التي كانت قائمة بين أوساط الأعمال ، وبخاصة ممثلي الصناعات الكيميائية والمعدنية والمصارف ، وشركات الملاحة أيضاً ، مع الامبراطور مباشرة ، أو مع أوساط الجيش والدبلوماسية ، أو أيضاً مع عدد من النواب في الرايخشتاغ ، ولا سيما النواب القوميين ـ الليبراليين الذين يمثلون البورجوازية الكبرى ، والنواب المحافظين .

وبين جماعات الضغط هذه مادرس . ويجب أن نشير أن أكثرها نفوذاً ، « الجمعية الاستعمارية الألمانية » ، التي كانت على وجه الدقة تحت نفوذ الاميرال تيربتز ؛ و « جمعية المزراعين » التي كانت تهتم بخاصة بالسياسة الاقتصادية

الجمركية ؛ و « جمعية الرايخ ضد الاجتماعية ـ الديموقراطية » التي ظهر عملها بخاصة في انتخابات ١٩٠٧ ، ولا سيما « عصبة الجامعة الجرمانية » الشهيرة .

لقد أسس هذه العصبة الأخيرة ، في ١٨٩٣ ، مكتشف قديم لافريقية الغربية الألمانية وهو : كارل بيترز وكان من مديريها شخصيتان مختلفتان جداً ، لعبا دوراً عظيماً وهما : هاسّه وكلاس . ويجب أن نلاحظ أن العصبة الجرمانية لم تضم عدداً كبيراً من الأعضاء : ٩٠٠٠ عضو في البدء ، و ٣٥,٠٠٠ عضو في الحرب العالمية الأولى . ولكن كان لها عدد من الفروع التي تساعد على جعل هذه الأرقام خمسة أضعافها جملةً . وكانت هذه الرابطة تسوق أعضاءها من مختلف الأوساط . ونجد فيها بصورة أساسية رجال أعمال ، وجامعيين ، أي بصورة عامة شخصيات ذات نفوذ . ووجدت فيها اتجاهات مختلفة : فبعض عناصر العصبة ، مثلاً ، معادون للسامية ، وآخرون غير ذلك . وبرنامجها صعب التحديد للغاية . وقد تغير كثيراً ، أخذاً بعين الاعتبار القوى التي يحسن مداراتها . والتعبير التام لهذا البرنامج يوجد في مؤلفين : « السياسة العالمية » (١٩٠٥) ، وفي مؤلف لـ كلاس ، في ١٩١٢ ، وهو بعنوان : « لو كنت الإمبراطور » . تلح هذه الأوساط أولاً على اتحاد جميع البلاد الناطقة بالألمانية ، لأن اللغة أساس القومية ، وبخاصة على ضرورة امتداد ألمانيا نحو الشرق ، وفي البلاد البالطية التي يوجد فيها أقليات ألمانية هامة . ويضاف أن من الضروري ، لنجاح ألمانيا باعتبارها شعب ثقافة ، أن تجمع حولها الشعوب الأخرى الأقل تطوراً ، اقتصادياً وسياسياً ، مثل بلجيكا ، وهولاندا والدانيمارك ، والبلاد البلقانية . ومن جهة أخرى ، وهذه هي النقطة الثانية في البرنامج ، أن يلح على الضرورة الحيوية لتوسع ألمانيا ، تحت خلق مناطق نفوذ في مختلف أجزاء العالم .ويتكلم في هذا الاعتبار ، بخاصة ، عن آسيا ـ الصغرى ، كما في برنامج خط حديد بغداد ، وعن افريقية وامريكا الجنوبية . ومع ذلك يوجد انقسام في رأي أعضاء العصبة : فبعضهم يصر بخاصة

على مايسمونه : « السياسة العالمية » ، أي سياسة ألمانيا العالميـة ، ولـذا فهم أنصـار توسع القوة الألمانية نحو القارات الأخرى ؛ وآخرون يصرون بالعكس على ضرورة توسع ألمـانيـا انطلاقـاً من أوربـة الوسطى نحو البلقـان ونحو تركيـا . ويمثل هـذا الاتجاه الثاني بخاصة ، كاتب موهوب جداً ، وعراف كبير بالقضايا التركيـة ، وهو رورباخ .

ما هو تأثير هذه العصبة الجامعة الجرمانية ؟ لقـد كان تحت تصرفهـا وسـائل عمل عظيمـة ، بواسطـة **صحف جـامعـة ـ ألمـانيـة** ، وبواسطـة عـدد عظيم من الجرائد التي تراقبها أيضاً بواسطة نفوذها السري في داخل الرايخشتاغ ، بـالرغم من أن عدد نواب الجامعة الجرمانية لم يكن عالياً . وهل كان لهذه العصبـة الجرمـانيـة الجامعة نفوذ مباشر على قرارات الحكومة ؟ من الصعب جداً القول بذلك ، ولكن توجد نقطة يجب إيضـاحهـا : وهي أن سيـاسـة الحكومـة ، حتى ١٩١٤ ، لم تملهـا العصبة الجامعة الجرمانية أبداً . لقد ابتعدت الحكومة الألمانيـة ، في الغـالب ، عن مفاهيم هذه العصبة . ومن غير الممكن تطابق سياسة الحكومة الألمانية مع سيـاسـة العصبة الجرمـانيـة . ولكن الفكرة الجـامعـة ـ الجرمـانيـة ، بـالرغم من كل شيء ، خلقت عند الألمان عاطفةً مبهمةً في التفوق والقوة .

وإلى جـانب رجـال الجمعيـات القوميـة . تجب الإشـارة إلى أهميـة الصحـافـة القومية ، وإلى أي حد وجدت مرتبطة بـالمصـالح الاقتصـاديـة الكبرى التي كانت نفسها على صلة وثيقة بوزارات الحربية ورئـاسـة الوزراء . وفي الواقع كان يوجـد عدة هيئات اقتصاديـة كبرى ، الكونزرن كما يقول الألمـان ، التي أمسكت بيـدهـا قسماً من الصحافة الألمانية ووجهتهـا في اتجـاه مصـالحهـا . وأكثرهـا نفوذاً كونزرن مانسلفد . فقد كانت لها مصـالح ضخمـة في مضمار الصنـاعـة ، وفي المنـاجم ، وفي صناعة النحاس .

وكانت تدعمها بخاصة صناعـة سيليزيـا . وكان تحت تصرفهـا هيئـة صحـافـة

تـدعى « المراسلـة السـاكسونيـة » التي كانت تجهز عـدداً عظيمـاً جـداً من الجرائـد الجديدة ، بالمعلومات والأخبار ، ونذكر بخاصة صحافة برلين ، وليبزيغ ، والرور التي كانت في القسم الأعظم منها بين أيديها . وهنـاك كونزرن آخر ذو نفوذ عظيم وهو كـونـزرن شيرل الـذي كان على عـلاقـات وثيقـة مـع وزارة الخـارجيـة ومـع الأوساط المصرفية ، وتحت تصرفه عدة جرائـد دفعت كثيراً السيـاسـة الألمـانيـة في اتجاه قومي ، نذكر منها بخاصة « دليل برلين المحلي »

إن الصحف الهامة التي كانت مرتبطـة كثيراً أو قليلاً بـالهيئـات الاقتصـاديـة وتـدافع عن السيـاسـة الامبريـاليـة ، غـالبـاً ، في اتجـاهـات مختلفة كان أهمهـا : « البريد » ، التي كانت ترتبط بخاصة بصناعي (صاحب مصنع) السار ، شتوم ، وتوجه القومية الألمانية في اتجاه معاد للاشتراكية ومعاد للسامية بصورة أساسيـة ؟ و « الصحيفة الرينانية الوستفالية » التي يديرها تيؤدور ـ رايسمان ـ كرون الذي كان مرتبطـاً مع أربـاب العمل الصنـاعيين في منطقـة الرور التي تمثـل الصنـاعـة الألمانيـة الثقيلـة . ويجب أن نـذكر أيضـاً « جريـدة الصليب » التي كانت نفسهـا مرتبطة مع الرعوية البروتستانتيـة الأصليـة ؛ وأخيراً « صحيفـة اليوم » المرتبطـة بخاصة بالأوساط الزراعية .

تغلغل الأفكار القومية

والنقطة الثالثة التي تحتاج إلى إيضاح ، هي تغلغل الأفكار القومية في حزب الاجتماعيـة ـ الـديـمـوقراطيـة نفســه . وفي هـذه القضيـــة يجب الرجــوع إلى دراخكوفيتش في كتابه .

« الاشتراكيات الفرنسية والألمانيـة وقضيـة الحرب » الـذي صـدر في جونيف ١٩٥٣ . وفي الـواقـع ، إن النقطـة الضـاربـة هي ظهور اتجـاهـات قـوميـة في

الاجتماعية - الديموقراطية الألمانية ، وبخاصة في الأوساط المشككة التي تطالب بإعادة النظر ومراجعة المذهب والدستور ، أي في الأوساط الاشتراكية التي تجمعت حول برنشتاين ووجهت الاجتماعية الديموقراطية في اتجاه أخذ يبتعد شيئاً فشيئاً عن الماركسية وجعل مذهبه مذهب « التشكيكية » . هذا وتجدر الإشارة إلى أن التقاليد القومية في الاجتماعية - الديموقراطية قديمة : فقد كان أحد مؤسسي الحركة لاسّال معجباً ببسمارك ووطنياً ألمانياً . ومنذ ١٨٩١ ، اتخذ الاشتراكي فولمار موقفاً لصالح الحلف الثلاثي وانتقد الشوفينيين الفرنسيين والاستردادين الايطاليين . ولكن الظواهر الأولى الهامة لهذه الاتجاهات ظهرت بمناسبة المؤتمر الاجتماعي - الديموقراطي الذي ينعقد في كل سنة . وقد شهد مؤتمر الأممية في ١٩٠٧ ، في شتوتغارت ، وفداً ألمانياً يرفض دعم الاقتراح الفرنسي الذي قدمه عدد من الاشتراكيين الفرنسين ، ولا سيما جوريس ، وبموجبه يمكن عند اللزوم للبلد المهاجم أن يعتمد على مساعدة الطبقات العاملة في البلاد المجاورة . فاجاب على ذلك بيبيل ، الزعيم الاشتراكي الألماني : إن قبول هذا الاقتراح يسبب للاجتماعية - الديموقراطية صعوبات خطيرة جداً مع السلطة . وكذلك ، في ١٩١٠ ، أثناء انعقاد الأممية في كوبنهاغن ، عملت الاجتماعية - الديموقراطية الألمانية على إخفاق مشروع يتوقع ، في حالة حرب ، استخدام الاضراب العام .

وهذه المظاهرات تدل على وجود اتجاه قومي في داخل الاجتماعية - الديموقراطية . وإن نمو الامبريالية ، كما يقال ، يخدم قضية الطبقة الكادحة ؛ وعلى الشعب الألماني العامل أن يكافح الامبريالية الانكليزية أو الفرنسية وأن يأخذ مكانه تحت الشمس .

وكان يدافع عن هذه النظريات ، في الاجتماعية - الديموقراطية ، في مجلة تدعى « المجلة الاجتماعية الشهرية » ، وكان يراسلها شخصيات هامة في هذا

الحـزب ، نـذكر منهم هيلـدبرانـد ولانش . وبرنشتـاين نفسـه ، كان مسـالمـاً إلى الأعماق حتى يحذر من هذا الاتجاه .

ومن الطبيعي . أن يثير هذا الموقف لصالح القومية ردود فعل شديـدة جـداً في داخل الاجتماعية ـ الديموقراطية الألمانية ، بين أعضاء الوسـط واليسـار في هـذا الحزب . وكانت ردود الفعل هـذه من الشـدة بحيث أن هيلـدبرانـد ، أحـد زعمـاء الاتجاه القومي ، أثناء انعقـاد مؤتمر كيمنتز في ١٩١٢ ، اضطر لتقـديم استقـالتـه . ولكن ، في ١٩١٣ ، أي قبـل عـام من الحرب العـالميـة ، كان مـؤتمر اييـنـا مطبـوعـاًبنفـوذ القـوميين الـواضـح جـداً . ورفض اتخـاذ قرار يجبر الاجتماعيـة ـ الـديموقراطيـة على رفض الاعتمادات العسكريـة ، في حـالـة حرب ، واللجـوء إلى الإضراب العام . وليبرر الأعضاء القوميون في الاجتماعية ـ الديموقراطيـة موقفهم ، أوضحوا الخطر الروسي بقولهم : يجب علىٰ الشعب الألماني العامل أن ينـاضل ضـد الخطر الـذي تشكلـه القيصريـة ، ولكن مـا من شـك في أن بعض عنـاصر فكرة الجامعة الجرمانية كانوا متأثرين بالاشتراكية الألمـانيـة . فمن ذلـك أن أحـد هؤلاء القوميين ، كيسّل صرح في مؤتمر كنيتز ، في ١٩١٢ ، بقولـه : « إن البورجـوازيـة الانكليزيـة تقوم بمحـاولات عـاتيـة لتبقي ، بـالمبـادلـة الحرة ، الأمم الأخرى في مرحلـة الاقتصـاد الزراعي ، وتجعل سيطرة بريطـانيـا ـ العظمى مستـديمـة على الصعيد الصناعي . وتحاول عبثـاً أيضـاً أن تعـاقب ، بفكرة نزع السلاح ، الـدول الرأسمالية الأخرى ، وبخاصة الإمبراطورية الألمانية النـاشئـة الجريئـة والنشطـة ، وإبقائها في حالة صغـار على البحر ، وإنقـاذ الهيمنـة البريطـانيـة . ولكن الأمميـة الاشتراكيـة لم يكن لهـا أي رغبـة في استمرار سيـادة دولـة رأسماليـة على الـدول الأخرى » . واختتم كيسّل كلامه بقوله : « في أي مكان تحمي الحكومـة الألمـانيـة مساواة صناعتنـا وتجـارتنـا ، تقتضي الضرورة بـان نـدعمهـا ، وذلـك في مصلحـة الطبقـة الكادحـة » . وكتب اشتراكي آخر ، كالفير ، ينتسب إلى هـذا الاتجـاه في

« المجلة الاجتماعية الشهرية » : « باعتباري اشتراكيا ، أحيي توسع الرأسمالية الألمانية » . وأخيراً يوجد عدد من الاشتراكيين الذين يقيمون علاقات وثيقة للغاية مع الحركة القومية - الليبرالية ، حركة فريديريك نومان .

وقد أحرزت هذه الاتجاهات ، عشية حرب ١٩١٤ ، نفوذاً لدى سواد الناخبين الاجتماعيين - الديموقراطيين . ومع ذلك ، من العسير تكوين فكرة عن أهميتهم . إن ش آندلر الذي يميل ، على ما يبدو ، إلى الإفراط في تقديرهم ، يقدرهم بـ ٣٠ نائباً على ١٠٠ في الرايخشتاغ ، والمنتخبون من هذه الاتجاهات يمثلون نحو ٤٠٠,٠٠٠ ناخب[١] . أما نظرية المؤرخ الألماني - الشرقي ، كوزينسكي ، التي ترى أن الجماهير الألمانية كانت ، في ١٩١٤ ، مطبوعة بشدة بالقومية ، فقد كوفحت بنقد حديث العهد ، في جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، يميل بالعكس إلى إظهار أن مقاومة اليسار في الحزب للسيطرة القومية كانت قوية جداً ، وأن الأكثرية الواسعة في أوساط الاجتماعيين - الديموقراطيين الألمان ظلت أيضاً محبذة للسياسة السلمية والأممية .

---

(١) Ch . Andler , le socialisme impérialiste dans l' Allemagne contemparaine , 1918

الفصل الرابع

القومية الألمانية في الحرب

من ١٩١٤ إلى ١٩١٨

يحسن الرجوع في هذه القضية إلى هـ . غاتسك في مؤلفه :

« زحف ألمانيا نحو الغرب » ١٩٥٠[١] . ولكن النتائج التي قبلت حتى ذلك الحين في هذه القضية ، قلبت تماماً بمؤلف حديث العهد للأستاذ الألماني في جامعة هامبورغ ، فريتز فيشر ، وهو بعنوان : « جهد لبلوغ السلطة العالمية »[٢].

أما وقد عرفت القومية الألمانية بين ١٩١٤ و ١٩١٨ أهمية ونمواً واسعاً ، فذلك أمرٌ بديهي ، إذا أخذ بعين الاعتبار الانتصارات التي أحرزها الألمان على الصعيد العسكري ، وساعدتهم على احتلال بلجيكا والقسم الأعظم من شمال وشرق فرنسا ، وبولونيا الروسية ، وليتوانيا ، وأخيراً قسماً من صربيا ؛ وإن هذه الانتصارات أثارت حماسة قوية في ألمانيا ، فهذا يبدو بالبداهة طبيعياً .

أهداف الحرب

وهذا النمو للقومية الألمانية يرتبط بصورة وثيقة بما يسمى قضية أهداف الحرب التي تتابعها ألمانيا ضد أعدائها . فحتى كتاب فيشر كان يقبل على العموم أن الحكومة الألمانية ، ولا سيما المستشار بتمان - هولفيغ ، الذي يوجه سياسة ألمانيا

---

(١) H. GATSKE , GERMANY'S DRIVE TO WEST , 1950

(٢) FRITZ FISCHER, GRIFFNACH DER WELT MACHT, 1960

الخارجية ، لم يضع برنامجاً لضم الأراضي ، وأنها بالعكس كبحت الأحزاب التي تطالب لألمانيا بانضمامات عظيمة بالنسبة للانتصارات التي أحرزتها . أما كتاب فيشر الذي رجع إلى المحفوظات المحفوظة حالياً في بوتسدام ، فقد دل على العكس ، ان بتمان ـ هولفيغ وضع في ٩ أيلول ١٩١٤ ، برنامجاً للسلام ، وأن هذا البرنامج ، في الواقع ، كان برنامجاً عظيماً يناصر الضم عظيماً ، برنامجاً حرره عندما كان في **كوبلانتز** في الأركان العامة للجيوش الألمانية ، لموظفٍ باسم ديلوك ، كان يدير في ذلك الحين في برلين شؤون المستشارية . وهذا المشروع الذي تصوره بتمان ـ هولفيغ جرى النقاش حوله ، قبل أن يوضع ، مع شخصيتين كان لهما دور كبير في الحياة السياسية الألمانية ، أحدهما **صناعي** باسم **باتينو** ، وكان أحد زعماء صناعة الكهرباء في ألمانيا ، وسيمارس وظائف وزير التموين ؛ والآخر **فون غفينر** مدير بنك ألمانيا .

يتضمن هذا المشروع أربع نقاط هامة وهي :

١ ـ تشكيل اتحاد جمركي يضم ، عدا النمسا ـ هونغاريا وألمانيا ، بلجيكا ، وهولاندا ، والدانمارك ، وبولونيا ، وفرنسا ، ويمكنه فوق ذلك ، أن يمتد إلى عدة دول أخرى ، فهو إذن منظمة اقتصادية أوربية تحت الإدارة الألمانية .

٢ ـ برنامج ضم في فرنسا : ضم مناطق بربيه ولونغوي المنجمية المعدنية ؛ وضم بلفور ، وبصورة عامة إرجاع الحدود الفرنسية إلى ما وراء نهر الموز ؛ وفرض غرامة حربية تدفعها فرنسا خلال ١٨ إلى ٢٠ عاماً ؛ وتوقيع معاهدة تجارية تضع فرنسا تحت السيطرة الكاملة لألمانيا .

٣ ـ برنامج ضم في بلجيكا : ضم لييج وانفرس والشاطئ الفلاماندي ، وتحويل بلجيكا إلى دولة تابعة ، ولألمانيا فيها الحق في إقامة حاميات ؛ وأخيراً ضم اللوكسمبورغ ، ووضع هولاندا على علاقات اقتصادية وثيقة بألمانيا .

٤ ـ نحـو الشرق . وفي هـذه النقطـة يرى أن برنـامـج بتمان ـ هـولفيـغ أقـل وضوحاً . فقد كان يراد الإمساك بروسيا بعيداً عن الحدود الألمانية ، وإنشـاء دول حاجزة بين ألمانيا وروسيا ، مثل بولونيا ، وليتوانيا وأوكرانيا .

وبصورة عامة ، كان هذا البرنامج سرياً ، ولم يعرفه الرأي الألماني . بيـد أنـه وإن لم يكن معلوماً ، فهو يعكس الاتجاهات التي تبناهـا الرأي الألمـاني في قضيـة أهداف ألمانيا الحربية . ويجب أن نميز رأي الأوساط الاقتصـاديـة ورأي الأوسـاط الفكرية ، ورأي الأحزاب السياسية .

أولاً : على الصعيد الاقتصادي ، وبعـد إعلان ألمـانيـا الحرب مبـاشرة ، أعدت الجمعيات الكبرى القومية سلسلة مشاريع تحـدد لألمـانيـا أهـدافـاً حربيـة . وهكذا ، في ٢٨ آب ١٩١٤ ، وضعت عصبة الجامعة الجرمـانيـة التي يرأسهـا كلاس في ذلك الحين ، برنامجاً شبيهاً ببرنامج بتان ـ هولفيغ ، لو لم تضف إليـه ضم مينـاء طولون . ويرى أيضاً ظهـور خطـة هـامـة للغـايـة وضعها نـائب من الـوسـط الكاثوليكي ، ارزبرغر لأنه كان يمثل أوساط صناعة الرور الكبرى ، وكان مرتبطـاً بـ اوغست تيسّن الـذي كان يهتم قبـل حرب ١٩١٤ بمنـاجم الحـديـد الفرنسيـة في اللورين وأيضاً في نورمانديا ، وكان منذ زمن طويل يعرب لألمانيا ، عن ضرورة وضع اليد على الصناعة المعـدنيـة الفرنسيـة . وشكلت ، بعـد ذلـك بقليل ، لجنـة حربية للصناعة الثقيلة مخصصة للنضال ضد كل محاولة سلام تسويـة بعـد إخفـاق الهجوم على المارن . وكان ينتسب إلى هـذه اللجنـة غوستـاف شتريزمـان ، رجل الـدولـة في المستقبـل ، وعضـو الحـزب القـومي ـ الليبرالي ، الـذي كان في ذلــك الحين ، أحد زعماء الحركة القومية . وكان يرتبط باللجنة الحربية للصناعة الثقيلة جريدتان ذاتا نفوذ : « البريد » و« الجريـدة الرينـانيـة ـ الوستفـاليـة » . وقـد ولّدت هذه المشاريع المختلفة في ١٩١٥ ، ما سمي : « بيـان الجمعيـات الاقتصـاديـة

الكبرى الست » الذي دفعه أهم ممثلي نقابات أرباب العمل في الزراعة ، والصناعة . ويعلن هذا البيان بخاصة : « إن فقدان الموانئ المنفتحة مباشرة على المانش ، يمكن أن يربط بقوة ، كما في الماضي ، نشاطنا فيما وراء البحار . وستظل بلجيكا المستقلة رأس جسر لإنكلترا ، ونقطة استناد لها ضدنا . وإن خط الحصون الطبيعية لفرنسا الباقي في أيدي الفرنسيين سيؤلف تهديداً ثابتاً لحدودنا . أما روسيا ، إذا خرجت من الحرب دون خسارات أرضية ، فستحتقر قدرتنا وقوتنا . يجب على النمو الكبير للقدرة الصناعية المتوقع للغرب أن يجد في الشرق ما يعادله في كسب أرض زراعية معادلة » .

ويختتم البيان بالقول : « لا سلام قبل الأوان ، وأيضاً لا سلام مشكوك فيه ، ولا سلام ، في الاتجاهات التي أشرنا إليها ، لا يفيد كاملاً ، على الصعيد السياسي ، من النجاح النهائي الذي نؤمله على الصعيد العسكري » .

ثانياً : على الصعيد الفكري ، يرى بسرعة جداً ، في الجامعات الألمانية ، عدد من الأساتذة يدافعون عن النظرية القائلة بأن الحرب بالنسبة لألمانيا ليست حرباً دفاعية فحسب ، وإنما حرباً تعبر عن قدرة وتفوق الثقافة الألمانية . وفي بيان المفكرين الذي نشر في ١٩١٥ ، ووقعه أولاً ٩٣ أستاذاً ، ثم بشكل يختلف قليلاً عنه في ١٩١٥ ، من قبل ١٣٤١ ألمانياً ، منهم ٣٥٢ أستاذاً ، تتضح اتجاهات بعض الأوساط الفكرية الألمانية .. وينتهي بيان رجال الفكر على هذا النحو : « ومع ذلك ، إذا كان لنا أن نقول كلمة عن الفكر الألماني ، الذي هو على وجه التأكيد بالنسبة لنا القيمة بين جميع القيم القومية ، والرابطة بين جميع الروابط القومية ، ومعنى لوجود وبقاء وانتصار شعبنا في العالم . وسبب تفوقه بين الشعوب ، فإننا نؤكد قبل كل شيء بأنه يجب أن تكون ألمانيا مؤمنة على حياتها سياسياً واقتصادياً ، لتستطيع القيام بجهدها الفكري ... ويجب ألا نكون

المسيطرين الذين يستغلون العالم كالانكليز ، وإنما عمال الفرقة الأولى ، وملاحي أوربة » . وقد قبضت الرقابة الألمانية على هذه الوثيقة ، لأن الحكومة كانت ترى بأنها تفصح بشكل واضح كثيراً عن طموحات ألمانيا الأرضية . ولكن تشكلت لجنة مستقلة لسلام ألماني كان قد أعدها الأستاذ ديتريش شيفر وكان هدفها نشر طموحات سلام يرغب في ضم أراضي .

ثالثاً : موقف أحزاب الرايخشتاغ الألماني . لقد بدا الرايخشتاغ الألماني بسرعة جداً محبذاً لسياسة الضم . وفي هذا الصعيد لا مندوحة من تميز فروق في اللون . فمثلاً ، يرى عدد من المحافظين ، وعلى رأسهم بخاصة ، اوتو هوتزش ، وكان ، في ألمانيا ، اختصاصياً كبيراً في القضايا الروسية ، ومعادياً لكل نوع من أنواع الضم من جهة روسيا . وهذا الرأي يوضح موقف عدد من المحافظين الألمان الذين كانوا يتعاطفون مع النظام القيصري . ومن جهة أخرى ، كان عدد من الأحرار ، يحومون بصورة أساسية حول شخصيات مثل هانز دلبروك ، وكانوا مرتبطين بالحزب القومي ـ الليبرالي ، ولكنهم كانوا يناصرون برنامجاً للتوسع محدوداً للغاية . وبالفعل ، حرر دلبروك عريضة وقعها ٦٤١ شخصية ألمانية عظيمة ، ويرجع تاريخها إلى ١٩ تموز ١٩١٥ . وتصرح بأن ألمانيا لم تدخل الحرب بنية الفتح وإنما للحفاظ على وجودها المهدد ، وأنه يجب عليها أن تكتفي في آخر الحرب ، بأن ترى أمنها مؤمناً . وفي اتجاه معاكس تماماً ، نرى بعض العناصر المتطرفة ، بين الأوساط السياسية . التي ستتجمع في « جمعية ١٩١٤ الألمانية » التي أسست في ١٩١٥ ، للحفاظ على حالة رأي الاتحاد في بداية الحرب ، ويرى فيها عدد من زعماء الأحزاب الألمانية الكبرى ، وعدد من الصناعيين والجنرالات ، وكانت ، بالعكس ، تدفع نحو برنامج للضم أوسع أيضاً من البرنامج الذي وضعته المنظمات الأخرى .

وبصورة عامة ، إن الأحزاب البورجوازية ، أي كافة أحزاب الرايخشتاغ ، باستثناء الحزب الاجتماعي ـ الديموقراطي ، كانت تحبذ في السنوات الأولى للحرب ، برنامج الضم ، ووقعت في ٩ كانون الأول ١٩١٥ ، بياناً ينتهي على هذا النحو : « إن هذا السلام يجب أن يصون ، بشكل دائم ، مصالح ألمانيا العسكرية والاقتصادية والمالية والسياسية ، بكل مداها ، وبكل الوسائل بما فيها ضم الأراضي التي لا غنى عنها لذلك » .

أما الاشتراكيون ، الذين يؤلفون منذ ١٩١٢ أهم حزب ناطق عددياً في الرايخشتاغ ، فقد كانوا رسمياً ضد كل سياسة ضم . ولكن يوجد في داخلهم جماعة « المجلة الاشتراكية الشهرية » ، وكان فيهم صحفي باسم اوغست فينّيغ ويتمتع بنفوذ خاص ، وكانوا يحبذون سياسة الضم ، وبخاصة من جهة البلاد البالطية . وكتب النائب سوديكوم ، الذي كان على صلات وثيقة مع الحكومة ، في ١٩١٥ ، في جريدة اشتراكية في هامبورغ : « من المحتمل أن أكثرية شعبنا ، وعلى كل حال أكثرية الجماهير التي تدور في فلك فكرتنا ، ترفض استعباد الشعوب الأجنبية . ومع ذلك ، ونظراً إلى أن هذا التصريح المحض والسلبي الذي صنعه المعارضون ، يبدو بأنه يجدر إيجاد مكان لهذا التأكيد الذي لا يعترض عليه أحد اعتراضاً جاداً ، إذا وضعنا كشروط للسلام ، ضمانات الحدود الضرورية لبلدنا ، بل وروابط اقتصادية قوية جداً مع البلاد المجاورة » . واتضح هذا الاتجاه أيضاً في مؤلف الاشتراكي لانش واسمه : « الحرب العالمية والاجتماعية ـ الديموقراطية » .

ويجب أن نشير ، إلى جانب هذه الأهداف الحربية التي تلتحق بأهداف بتمان ـ هولفيغ ، إلى أنه يوجد عدد من المواقف الخاصة : أولاً ، إن عدداً من الشخصيات الألمانية يصرون على ضرورة نقل الثورة إلى البلاد المجاورة ، ونجد هذه الأفكار موسعة حول أمين الدولة للشؤون الخارجية ، آرتور تسيرمان .

الذي كان مرتبطاً جداً بغليوم الثاني . فقد أعطى دفعاً قوياً جداً إلى هذه الفكرة في تثوير البلاد المجاورة .

ولكن تثوير أي بلاد ؟ أولاً وبخاصة البلاد الإسلامية ، التي كانت كثيراً أو قليلاً على اتصال أو خاضعة لإنكلترا ، ولا سيا مصر ، وشبه الجزيرة العربية ، وحتى عبر هذه البلاد الإسلامية ، الهند . ووجد مختص بهذه القضايا الإسلامية التي مارست على الرأي سيطرة قوية جداً ، وتعرف بخاصة القضايا التركية وقضايا البلاد الإسلامية ، وهو روورباخ . ومن جهة أخرى ، تثوير روسيا بالاعتماد على الأقليات القومية البالطية والاوكرانية التي تتحمل بعناء النير الروسي ، أو على الاشتراكيين الثوريين . والاختصاصي في هذه الأمور خبير مالي لدى حكومة القسطنطينية ويسمى : بارفوس ـ هلفاند الذي يفضل دعاية هدامة في روسيا تحت شعار « حرية وسلام » . وكانت له ارتباطات وثيقة بالاجتماعية ـ الديموقراطية الألمانية . ولكن هذه الفكرة لم تتم فقط في أوساط اليسار . فقد كان سفير ألمانيا في كوبنهاغن ، فون بروكدورف ـ رانتزو مناصراً لهذه السياسة أيضاً .

وأخيراً ، يوجد آخرون منهم يعلقون بخاصة أهمية على فكرة تنظيم أوربة الوسطى ، وهي الفكرة التي أشار إليها بتمان ـ هولفيغ في مشروع السلام الذي أعده بنفسه . إن مشروع « أوربة الوسطى » قد درسه بخاصة فريدريك نومان في كتاب شهير في ١٩١٥ بعنوان : « أوربة الوسطى » وفي هذا الكتاب يطالب باتحاد ألمانيا والنمسا ـ هونغاريا ، وتأليف كتلة واحدة قادرة على مقاومة الحصار الذي تنظمه انكلترا ضد الدول الوسطى ، وأهل للبقاء بعد الحرب . وستكون أوربة الوسطى ثمرة الحرب : « لقد كنا جميعاً حبيسين في السجن الاقتصادي ، وكافحنا جميعاً ، ونريد أن نعيش منذ الآن معاً » . وهذا القول كان على علاقة

مع فكرة إنشاء إمبراطوريات كبرى ، وتشكيلات أرضية كبرى يمكن أن تنافس الإمبراطورية البريطانية أو الإمبراطورية الروسية أو الإمبراطورية الأميركية . ويصرح نومان : « علينا ألا نفكر بدول ، وإنما بأجزاء من العالم » ، وبالتالي يجب خلق دولة فوقية (فوق قومية) من ١٢٠ مليون نسمة قادرة على مقاومة منافسيها . وعلى رأس هذه الدولة ألمان ، ولكن نومان يلح على أن يتخلى الألمان عن كل سياسة جرمنة ، وأن يتخلوا عن فكرة التوسع العرقي ، ويحترموا القوميات السلافية أو المجرية التي ستأخذ مكانها في هذه الدولة الفوقية . ولم يكن لهذا الكتاب نجاح مباشر في ألمانيا ، ونوقش كثيراً جداً ، وصرح البروتستانتيون بخاصة أن « أوربة الوسطى » تؤدي إلى سحقهم بأقلية كاثوليكية . ومن جهة أخرى ، يؤخذ على نومان أنه يقوم بتنازلات هامة كثيراً للأقليات السلافية . ويؤخذ عليه بخاصة ، بأنه لا يأخذ بعين الاعتبار سياسة ألمانيا العالمية ، ولما كان يوجه الأنظار إلى أوربة الوسطى ، فقد اتهم بأنه يحول انتباه ألمانيا عن قضايا توسعها في الجهة الأخرى من البحار التي كانت من بعيد أهم من غيرها . ومع ذلك ، فعندما اشتد الحصار على ألمانيا في ١٩١٦ ، بدأ برنامج نومان يؤخذ بعين الاعتبار ، وتشكل عدد من فرق عمل مخصصة لتحقيق فكرة أوربة الوسطى .

قضية أهداف الحرب

ومن المهم أن نفحص كيف وضعت قضية أهداف الحرب بالنسبة لألمانيا ، وبالتالي ، التوسع الألماني بين ١٩١٧ ونهاية الحرب ، في تشرين الثاني ١٩١٨ .

وبنوع من التناقض ، وفيما كان الألمان يجرون نحو الهزيمة ، كانت تنمو أهداف الحرب الألمانية . إن العنصر الأساسي الذي غير ، في ١٩١٧ ، وضع الألمان ، كانت الثورة الروسية في نيسان ١٩١٧ التي جعلت ألمانيا تأمل بصلح منفرد مع روسيا . فقد أحدث هذا الحادث في ألمانيا آمالاً كبيرة جداً وكان في أصل

الت مريف بمشروع جديد في توسيع أهداف الحرب ، أثناء مؤتمر كروزناخ ، في ٢٥ نيسان ١٩١٧ ، ففي هذا المؤتمر وجد إلى جانب رجال الدولة النمساويين ، أهم ممثلي الأوساط السياسية والعسكرية الألمانية . وفرضت الأركان العامة الخطوط الكبرى لأهداف الحرب الألمانية وهي : سيطرة الألمان على البلاد البالطية ، والسيطرة على بولونيا الروسية ، باتفاق مع النمسا ، والسيطرة الألمانية على بلجيكا بالاحتلال الدائم لمدينة ليبج ، وانفرس لدواعي عسكرية ، وأخيراً ضم حوض برييه - لونغوي من فرنسا . وظهر ، في ذلك الحين ، بند جديد : وهو أن تضم ألمانيا حوض برييه - لونغوي ، مقابل التخلي لفرنسا بالمقابل ، عن بعض القرى في جنوب الألزاس التي احتلتها الجيوش الفرنسية منذ بداية الحرب . وهكذا ، نرى في ربيع ١٩١٧ ، أن موقف ألمانيا بالنسبة لأهداف الحرب قد اتضح وامتد .

ومع ذلك ، فقد ظهرت أيضاً قوى تناهض برنامج الضم في ألمانيا في سياق سنة ١٩١٧ ، وستثير هذه القوى المناهضة تغييراً مفاجئاً من جهة ، من جانب الاجتماعية - الديموقراطية ، ومن أخرى ، من حزب الوسط الكاثوليكي :

من جهة الاجتماعية - الديموقراطية ، من الواضح أن سقوط القيصرية في ١٩١٧ ، جر تطوراً في الحزب الاجتماعي - الديموقراطي . فقد ذهب هذا الحزب إلى الحرب بفكرة تدمير القيصرية ، وقد تدمرت . وهذا سبب من الأسباب التي لأجلها دعمت الاشتراكية الاتحاد المقدس الذي انهار .

ولا عجب بالتالي أن يرى أن أكثر النواب الاجتماعيين - الديموقراطيين نفوذاً في البرلمان وهو شايدمان ، يصرح بأنه يتوجب على ألمانيا متابعة سلام دون ضم ولا غرامة . وفي الوقت نفسه تشكل حزب اشتراكي مستقل وأخذ يعمل لصالح سلام مباشر .

وعدا ذلك ، بالنسبة للاجتماعية ـ الديموقراطية ، اختلطت قضية أهداف الحرب بأهداف الإصلاح الانتخابي في بروسيا . فمنذ ١٨٤٩ ، وفي الوقت الذي أقر فيه التصويت العام في ألمانيا لانتخابات الرايخشتاغ ، ظل نظام الطبقات الثلاث في بروسيا يعمل مستمراً ، وهذا النظام معقد ويخول وضعاً ممتازاً للثورة : لقد وجد التصويت العام ، ولكن أصوات الأغنياء كانت تحسب أكثر من أصوات الفقراء . ومن الواضح أن الاجتماعية ـ الديموقراطية لا يمكن أن تقبل بهذه الحالة . ولذلك ربطت قضية السلام ، دون غرامة ودون ضم ، بقضية الإصلاح الانتخابي في بروسيا .

والحادث الآخر كان أيضاً تغيير موقف الوسط الألماني . إن دخول الولايات المتحدة الحرب في ١٩١٧ ، ومن جهة أخرى ، الهجوم الروسي الذي قامت به في ١٩١٧ ، الحكومة المؤقتة ، قد برهنا على أن قوى الوفاق ما زالت قوية للغاية ، وجعلت الصلح المنفرد وهمياً مع الحكومة الروسية . وتسبب هذان الحادثان في خطاب ارزبرغر في الرايخشتاغ في ٥ تموز ١٩١٧ . فقد كان حتى ذلك الحين أحد ممثلي حركة الضم ، ومرتبطاً للغاية بالصناعي تيسّن ، ولكنه انطلاقاً من صيف ١٩١٧ ، كان مقتنعاً بانفصال قريب للملكية النمساوية ، وبالتالي ، يرى من الضروري أن توقع ألمانيا سلاماً بما أمكن من السرعة . وصرح بأن حرب الغواصات التي بوشر بها في بداية ١٩١٧ ، ولم تعط النتائج المتوخاة ، لا يمكن أن تجبر انكلترا على توقيع السلام . وأضاف : « إن توازن القوى ينتقل ضدنا ، يجب تصفية الحرب حالاً بسلام دون ضم » . وقد أثارت ظاهرة ارزبرغر ضجة كبرى جداً في السياسة الألمانية ، وأدت بناءً على طلب الأركان العامة للجيش ، إلى إسقاط بتمان ـ هولفيغ ، بعد أن اعتبر غير كفءٍ للحفاظ على الاتحاد المقدس . وانابته بالمستشار ميكيليس ولكن هذا لم يمنع ، عقب تدخل ارزبرغر في ١٩ تموز ، من أن يصوت الرايخشتاغ على الاقتراح التالي :

« إن الرايخشتاغ يرغب في سلام وفاقٍ ، ومصالحة دائمة بين الشعوب . وإن الفتوحات التي يحصل عليها بالقوة وإجراءات النظام السياسي والاقتصادي والمالي ، لا تتلاءم مع سلام من هذا النوع » . وهذا لا يعني بالطبع ، أن الرايخشتاغ يرفض كاملاً الفتوحات الأرضية التي يحصل عليها بالقوة . إنه يأخذ بعين الاعتبار الفتوحات الأرضية التي يحصل عليها برضى الشعوب الخاضعة لوجود الجيوش الألمانية . ولكن هذا لا يمنع من أن اقتراح الرايخشتاغ كان يؤلف عدم اعتراف بسياسة الضم القومية الذي أفصحت عنه المقامات الموجهة حتى ذلك الحين .

واتبعت ظاهرة ارزبرغر في تموز ١٩١٧ بتعزيز النشاط القومي . وللإجابة على ما أسمي انهزامية الاجتماعية ـ الديموقراطية والوسط ، تألف في ألمانيا ما سمي « حزب الوطن » ، وقد تأسس نوعاً ما ، جواباً على اقتراحات ارزبرغر ، وكان برنامجه الحفاظ على مبدأ الاتحاد المقدس وأهداف الحرب التي حددتها ألمانيا منذ بداية العداء . والشيء الذي له دلالة ، أن يكون إنشاء هذا الحزب مؤرخاً في يوم ٢ كانون الأول ١٩١٧ ، الذي كان يوم الذكرى السنوية لمعركة سودان . فقد أسس تحت تأثير المستشار تيربتز الذي يعرف دوره في سياسة ألمانيا البحرية ، ونظم على يد شخصية ، موظف كبير في وزارة الزراعة في برلين ، واسمه كاب وسنلقاه في عهد جمهورية فايمار زعيماً من زعماء القومية الألمانية .

وحزب الوطن هذا الذي كان يضم ، في الحد الأقصى ١,٢٥٠,٠٠٠ عضو ، مارس نفوذه بخاصة في الأوساط المحافظة في شمال ـ شرقي ألمانيا ، ويجب أن نلاحظ أن عمله كان أيضاً مرتبطاً ، كعمل الاجتماعية ـ الديموقراطية ، في الاتجاه المعاكس ، بالدفاع عن قانون الطبقات الثلاث الذي تخلت عنه الحكومة عملياً في ذلك الحين .

وقد أثار حزب الوطن ردود فعل شديدة في بعض الأوساط الليبرالية ، وبخاصة أستاذين عظيمين للغاية في جامعة برلين ، كانا يعتبران أهم رؤوس العلم الألماني في ذلك الحين ، وهما أستاذ التاريخ الحديث في جامعة برلين ، **ماينكه** واللاهوتي **ترولتش** . فقد احتجا بشدة على الأهداف التي يلاحقها حزب الوطن وَشكلا رابطة شعبية لحرية الوطن اتخذت موقفاً لصالح الإصلاحات الداخلية ، إصلاح قانون الثلاث طبقات، ولصالح سلام معتدل ، منكرةً بالتالي ، برنامج الضم لهذا الحزب ، حزب الوطن .

ولكن هذا الحزب كان يعتمد على دعم نشيط للغاية من الأوساط العسكرية . فقد دعمه بخاصة نوع من منظمة شبه عسكرية تسمى « التعليم الوطني » التي يدعمها الجيش للتعريف بأهداف الحرب . ومن جهة أخرى ، كان هذا الحزب مدعوماً من الجمعيات الاقتصادية الكبرى في العصر ، من صناعيين مثل تيسّن وشتينز ، اللذين قاما في ذلك الحين ، باتفاق مع الحركة ، بدعاية نشيطة جداً ليوضحا للألمان أهداف الحرب التي تلاحقها ألمانيا . ومن الملاحظ ، فيما يتعلق بغرب ألمانيا وبلجيكا وفرنسا ، أن برنامج الضم ستحافظ عليه الحكومة والجمعيات الوطنية الكبرى بكل شدته ، حتى عشية الكارثة . وفيما يخص فرنسا تقدم ، في ٢٩ آب ١٩١٧ ، زعماء الصناعة الثقيلة الألمانية ، لدى المستشار ميكيليس بمذكرة تصوروا فيها عند الحاجة حرب عشر سنوات للحصول على حوض فلذات الحديد في برييه - لونغوي . وفي ١٣ أيار ١٩١٨ أيضاً ، صرح أمين سر الدولة للشؤون الاقتصادية بأن التنازل عن حوض برييه - لونغوي قضية حيوية بالنسبة لألمانيا . وبالرغم من الصعوبات ، والإخفاقات ، ووصول الجيوش الأميركية الكثيف ، حافظ الألمان حتى النهاية على مطالبهم بحوض برييه - لونغوي .

والموقف نفسه إزاء **بلجيكا** . وفي الحقيقة ، إن الألمان لم يكونوا متفقين على الإطلاق فيما يحسن عمله ببلجيكا بعد الحرب . فبعضهم مثل الحاكم بيسّنغ ،

الإداري العظيم ، كانوا يناصرون الضم دون استثناء . والأوساط السياسية نفسها ، حول المستشارية ، كانت تفضل ما يسمى « السيطرة غير المباشرة » ، أي سيطرة بشخص وسيط . ولكن المؤكد أن الألمان كانوا متفقين على مساندة الحركة الفلامنكية مساندة عظيمة ، هذه الحركة التي تعني احتجاج الفلاماندديين ضد الهيمنة الفاللونية ، وأنشئت في ألمانيا ، وبخاصة في ١٩١٧ ، منظمات جرمانية - فلامندية . وهذه الجمعيات هي التي أسست في غاند الجامعة الفلاماندية التي يجب أن يكون التعليم فيها بالفلاماندية . وهذا ما أدى إلى توقيف مؤرخ بلجيكا الكبير هنري بيرين ، الذي رفض أن يلقي دروسه بالفلاماندية ؛ وأهم من ذلك من وجهة النظر السياسية ، إنشاء مجلس الفلاندر المؤلف من ٢٥٠ عضواً وله صفة استشارية . وأخيراً ، في آذار ، حصل الفلاماندديون على الانفصال الإداري عن الفاللون . وظهرت أهمية القضية البلجيكية في أنظار الألمان ، عندما عَرَّف البابا بنوا (بندكت) الخامس عشر ، بواسطة القاصد الرسولي باتشيللي ، أسس سلام عادل وشريف ، ووضع له شرطاً وهو استقلال بلجيكا . وهذا الاقتراح البابوي الذي عرفه الرأي الألماني ، هاجمته بعنف كل التجمعات القومية . وكان بعض رجال الدولة ، مثل أمين الدولة كولمان الذي كان يدير الشؤون الخارجية ، محبذين أخذ رأي البابا بعين الاعتبار ، ولكن هذا الرأي اصطدم بمعارضة العسكريين الحازمة ، ولم يعرف الإمبراطور غليوم الثاني كيف يحكم في هذا النزاع . وكلف كولمان بإجابة الحكومة الحبرية في موضوع اقتراحها في السلام ، ولكنه لم يقم بأي تصريح في موضوع بلجيكا . ولم تقبل الحكومة الألمانية بأي تنازل في هذا الصعيد .

وهذه السياسة في الحفاظ على أهداف الحرب الألمانية في الغرب حكمت عليها بشدة بعض الأوساط الليبرالية ، وبخاصة رجلان سياسيان كانا مع ذلك مرتبطين

جداً بالقوميين - الليبراليين وهما فريديريك نومان وجاك الذي كان اختصاصياً في شؤون الإمبراطورية العثمانية . فقد قدم نومان وجاك في بداية عام ١٩١٨ ، مذكرة كافحا فيها الحفاظ على برنامج الضم في الغرب . واتخذت مبادرات لصالح سلام تسوية نحو الغرب ، أي إزاء إنكلترا وفرنسا ، في ذلك الحين ، في محيط المستشار في المستقبل **ماكس دو باد** ، وحتى في بعض الأوساط العسكرية ، كما تؤيد ذلك مذكرات الكولونيل فون هفتن الذي كان مقرباً من لودندورف . ولكن لم يؤخذ أي من الملتمسين بعين الاعتبار لأن رئيس الأركان ، لودندورف لم يقبل بها .

ومع ذلك فإن الوزير **فون كولمان** أعلم الرايخشتاغ ، على أثر تدخل الأميركيين في الجبهة الغربية . بأن من الضروري إبرام سلام تسوية بطريق المفاوضات . وقال في خطابه ، في ٢٤ حزيران ١٩١٨ في الرايخشتاغ : « إذا لم نفاوض فسننطلق إلى حرب سبعة أعوام » ولمح إلى حرب النمسا وبروسيا في عهد فريديريك الثاني ، وقال : « وربما حتى حرب ثلاثين عاماً ، وإن ألمانيا لا يمكن في كل الأحوال ، أن تنهيها بانتصار أسلحتها » . وهذا الخطاب في ٢٤ حزيران ١٩١٨ ، من الوزير الألماني سبب انفجار الغضب في الأوساط المحافظة . وأجاب الكونت **فستارب** ، زعيم الحزب المحافظ في الرايخشتاغ على فون كولمان : « إن سيفنا الجيد هو الذي أتانا بالسلام على الجبهة الشرقية ، وهو الذي يمنحنا النصر على الجبهة الغربية » . وعدا ذلك ، اصطدم فون كولمان بمعارضة الأركان العامة الرسمية الصريحة ، التي زعمت أن الوزير أراد أن يزعزع معنويات الجيش ، وحصلت في محادثات **شبا** ، بعد بضعة أيام ، على استقالة الوزير . وفي محادثات شبا ، هذه ، في ٣ تموز ١٩١٨ ، ثبتت وأكدت من جديد الأهداف التقليدية لحرب ألمانيا في الغرب : بلجيكا تحت النفوذ الألماني ، فصل الفلاندر والفاللونيا ، ضم حوض برييه - لونغوي .

وهكذا فإن إرادة ألمانيا في الضم نحو الغرب بقيت حتى نهاية الحرب . ووجد ائتلاف الأوساط العسكرية والأوساط الاقتصادية التي تعتبر أن الوضع المسيطر للطبقات الموجهة الألمانية كان مرتبطاً بسلام منتصر وببرنامج ضم على الجبهة الغربية .

وإذا احتفظ بالوضع الألماني بالنسبة لأهداف الحرب في الغرب ، فقد توسع نحو الشرق بصورة عظيمة . ففي الشرق ، وخلال زمن طويل ، كانت القضية الهامة ، في أنظار القوميين الألمان ، هي قضية بولونيا الروسية . وبولونيا الروسية هذه ، بالإضافة إلى ليتوانيا ، كان النمساويون ـ الألمان يحتلونها بعد الهجوم الكبير في أيار ١٩١٥ ، ولإدارتها ، وجد حاكمان : أحدهما ألماني والآخر نمساوي . وما العمل ببولونيا الروسية هذه ؟ لقد كانت خطرة للغاية ، لأن بولونيا هذه إذا ما أعيد تشكيلها ، قد تخاطر بجذب الأراضي التابعة للنمسا ولبروسيا . ولكن ، من جهة أخرى ، وانطلاقاً من ١٩١٦ ، وضعت أمام الأركان قضية عدد الجنود : وذلك بإعادة توطيد بولونيا مستقلة ، يمكن الأمل بأن تحارب إلى جانب ألمانيا ، أي إلى جانب دول أوربة الوسطى .

وبسرعة جداً ، أشار إلى أهمية القضية البولونية رجال سياسيون ألمان ، مثل ماكس فيبير وفريدريك نومان اللذين كانا على صلة بمشروع « أوربا الوسطى » الشهير ، الذي تكلمنا عنه . وجرى تبادل مراسلة بين نومان وعدد من الرجال السياسيين البولونيين ، وبخاصة **فلدمان** الذي كان يدير ، في بعض الوقت ، جريدة تفضل إعادة بناء بولونيا مستقلة ، وتسمى « الأوراق البولونية » . وكانت النتيجة قيام مفاوضات بين النمسا وألمانيا أدت إلى فكرة إنشاء دولة بولونية في بولونيا الروسية تكون حليفة ألمانيا والنمسا ـ هونغاريا ، ومرتبطة مع هذين البلدين باتفاق عسكري . وهذا المشروع أدى إلى إعلان ٥ تشرين الثاني

١٩١٦ ، الذي أعلم بإنشاء هذه الدولة في نهاية الحرب ، وتوقع ، من هنا حتى نهاية الحرب ، تنظيم مجلس دولة مؤقت مؤلف من ٢٥ عضواً تعينهم سلطات الاحتلال . وهذا المشروع متواضع للغاية ، لأن زعماء هذه الدولة الجديدة كانوا ، جملة ، شخصيات مقبولة من حكومتي الاحتلال . وبدا هذا التنازل غير كافٍ : وفي الواقع ، إن الجنود البولونيين لم ينضووا تحت الاعلام الألمانية كما فكر بذلك . وهذا ما دفع الحكومتين إلى إصدار براءة في ١٢ أيلول ١٩١٧ ، بإنشاء مجلس دولة من ١٠٠ عضو منتخبين ، هذه المرة ، وغير معينين من قبل المجالس البلدية . وهكذا توصلت حكومتا الاحتلال إلى تنظيم دولة بولونية . ولكن هذه الدولة لم تعمل أبداً بصورة مرضية في الحرب العالمية الأولى . أولاً ، لقد اضطرت حكومتا ألمانيا والنمسا ـ هونغاريا إلى القيام بتنازلات للأوكرانيين ، وبهذا الواقع ، إلى إعطاء هؤلاء بعض الأراضي ، مثل مدينة شولم التي كان البولونيون يطمعون فيها . ومن جهة أخرى ، لم يتوصل النمساويون والألمان إلى اتفاق لمعرفة ما إذا كانت بولونيا هذه ستدور في فلك النمساويين أو في فلك الألمان . وأعدت عدة مشاريع في الأشهر الأخيرة من الحرب لهذه القضية ، ولم يؤد واحد منها إلى شيء . وهكذا لم تحل القضية البولونية .

وهذه القضية تم تجاوزها في نظر أنصار الضم الألمان ، عندما وقعت الحكومة السوفياتية السلام في بريست ـ ليتوفسك في آذار ١٩١٨ .

وقد هيئ سلام بريست ـ ليتوفسك هذا في ألمانيا بعدة مشاريع ظهر فيها بجلاء موقف الأوساط السياسية والعسكرية الألمانية إزاء ما يمكن أن يعمل بروسيا المغلوبة .

لقد كان في الرأي الألماني ثلاثة مواقف مسيطرة . في محيط الإمبراطور وفي **الأوساط السياسية** . وبخاصة ، في الأوساط المحافظة ، أصِرَّ على ضرورة

التحالف والحفاظ على علاقات ودية مع الحكومة السوفياتية . **والأوساط الصناعية** ، وبخاصة وزير المالية ، هيلفيريش ، كان يهتم بالقضايا الاقتصادية . فقد أصر على الضرورة بأن يكون لألمانيا ممر إلى المواد الأولية ، وبخاصة ، إلى المناجم المعدنية الروسية ، وعلى ضرورة توظيف رؤوس أموال ألمانية في روسيا : أي قيام تعاون اقتصادي لصالح ألمانيا تحت إدارة الجيوش الألمانية .وهذا ما تصورته الأوساط الاقتصادية . وأخيراً ، **الأركان العامة والأوساط العسكرية** ، أصرت بخاصة على القضايا التي يطرحها التوسع الألماني نحو الغرب ، وبخاصة على ضرورة وضع اليد على البلاد البالطية وعلى أوكرانيا . وفي هاتين القضيتين : قضية البلاد البالطية من جهة ، وقضية أوكرانيا من جهة أخرى ، سيظهر ، في الأوقات الأخيرة من الحرب موقف ألمانيا التوسعي .

لقد كان المنظرون الأساسيون في ألمانيا لتوسع الألمان نحو الشرق : المؤلف **رورباخ** والمؤرخ تؤدور **شيمان** . فهما يريان أن روسيا دولة اصطناعية شكلها بطرس الأكبر بطرق العنف ، ولا تعتمد على أي نوع من الوطنية المعنوية أو العرقية : إنها كتلة دول يمكن بسهولة تفتيتها وعلى أطلالها يمكن تشكيل دول جديدة . ومن جهة أخرى ، يروج هذان المؤلفان أن بإمكان ألمانيا أن تعتمد في البلاد البالطية على مساندة قسم من السكان من أصل ألماني ، وهم من يسمون مشاهير البارونات البالطيين ، وبالتالي ، من السهل تنظيم نوع من الاستعمار الألماني في هذه المناطق البالطية . وقد وسع أستاذ العلم الزراعي في جامعة برلين . ماكس سيرنغ ، في بداية ١٩١٨ خطة عظيمة للاستعمار الألماني في المناطق البالطية . وعرفت هذه المشاريع ، في البلاد البالطية ، بداية تنظيم . وفي شتاء ١٩١٨ ، ساعد تردد الحكومة السوفياتية في توقيع السلام مع ألمانيا ، الجيوش الألمانية على التقدم ، وتألف في البلاد البالطية دولتان ناشئتان : واعترف دياط

كورلاند ، في ربيع ١٩١٨ ، بإمبراطور ألمانيا دوقاً على كورلاند ، وأعلن المجلس القومي في ريغا باستقلال المدينة والمنطقة تحت السيطرة الألمانية .

أما بشأن **أوكرانيا** ، فقد وقع الألمان معها معاهدة سلام منفرد في شباط ١٩١٨ . وأتى المؤرخ فريتز فيشر عن هذه المعاهدة بمعلومات دقيقة للغاية . فقد برهن ، على عكس ما كان يفكر آنذاك ، على أن السلام مع أوكرانيا لم يكن في نظر الألمان ، سلاماً غذائياً بسيطاً . لأن الحكومة الألمانية التي وقعت السلام مع أوكرانيا ، كانت لها أهداف واسعة لا تنتهي . وفي الواقع ، لقد أعدت عدة مشاريع في محيط لودندورف ، من قبل الجنرال **بارتنفرفر** ، تدل على أن ألمانيا ، بعملها في أوكرانيا ، كانت لها مشاريع عظيمة جداً ، لأن الإمبريالية الألمانية لا تريد أن تضع ستاراً بين روسيا والمضايق (البوسفور والدردنيل) وتضايق التطور الروسي نحو البوسفور فحسب ، وإنما أيضاً ، أن تجعل من أوكرانيا نقطة انطلاق للوصول إلى البحر الأسود لإقامة مستعمرات في القرم والقوقاز لزعزعة القدرة الإنكليزية في الهند .

وهذه المشاريع التوسعية تسوقنا إلى إبداء بعض الملاحظات ويمكن ردها إلى ثلاث :

الأولى : إن النقطة التي يحسن الإشارة إليها ، هي أن هذه الإمبريالية الألمانية لم تظهر فقط في الوقت الذي سمحت آفاق النزاع بالاعتقاد بالنصر الألماني . وبالعكس ، إن القومية الألمانية استمرت وثبتت حتى النهاية على أهدافها في الضم ، في وقت لم يكن لأحد عنده مسكة من عقل ، أي أمل بالنجاح . حتى إن الإنسان ليجد نفسه أمام حادث ضارب ، وهو استمرار الأوهام . إذن كان يوجد من جانب الطبقات الألمانية الموجهة العسكرية والاقتصادية بل والسياسية ، عدم اعتراف كامل بالوقائع . وهذا العناد في أهداف

الحرب لا يمكن إيضاحه إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار هذا الحادث : وهو أن الطبقات الموجهة ربطت مصيرها بنصرٍ وجيه ومهيب يساعدها على رفض تحويل ألمانيا إلى ديموقراطية ، ورفض إلغاء قانون الثلاث طبقات . وعليه فإن أهداف الضم التي كانت تتابعها الطبقات الموجهة الألمانية كانت مرتبطة بالوضع الداخلي في الدولة .

الثانية : والنقطة الثانية التي يجب إيضاحها ، هي أن الطبقات الموجهة ، بتبني هذا الموقف ، خسرت شيئاً فشيئاً قطاعات عظيمة من الرأي الألماني . وفي الحقيقة ، إن وجهة النظر القومية لم تعاكس رسمياً من قبل الأوساط السياسية الألمانية : والبرهان على ذلك أن معاهدة بريست ـ ليتوفسك ، التي كانت بالنسبة لألمانيا ، تتضمن مشروع ضم نحو الشرق ، لم تثر أقل معارضة في الرايخشتاغ . ولكنها لم تمنع من أن الرأي الألماني قد تحول بالتدريج عن الأحزاب القومية ، وتقرب في القسم الأعظم منه ، من وجهة نظر سلام دون ضم ولا غرامة .

ومن الصعب معرفة كيف كانت بالضبط حالة الرأي العام في قضايا التوسع الامبريالي . إلا أنه يجب أن نشير ، أولاً ، في نيسان ١٩١٧ ، ومن بعد في كانون الثاني ١٩١٨ ، أن ألمانيا اهتزت بإضرابات واسعة لا تصدق ، وقد جرى آخرها ٥٠٠ , ٠٠٠ عامل يصرخون : « سلام دون ضم ولا غرامة » . وإذا قرئت الصحافة الاشتراكية ، بل وحتى قسم هام من الصحافة الديموقراطية ، في السنتين الأخيرتين من الحرب ، بالرغم من أن هذه الصحافة لم تؤكد صراحة على الإطلاق ـ وهي لا تستطيع ذلك بسبب الرقابة ـ ضرورة سلام تسوية ، بالرغم من كل شيء ، قد أظهرت النضوب المعنوي لدى الشعب الألماني ، وعدم رضاه عمن يتابعون ، بالرغم من كل شيء . سلام الضم . ولذا فإن القومية لا تظهر ، إلا كواقعٍ لعدد من التجمعات ، هي نفسها دوماً ، القوية للغاية في الحقيقة ، من

وجهة النظر المالية والمعنوية.، ولكن صداها أخذ يضعف قليلاً قليلاً في الرأي الألماني .

الثالثة : والنقطة الثالثة التي تجدر الإشارة إليها هي أنه لا يجب تعليق كبير أهمية على بيان أهداف الحرب . وفي الحقيقة ، إن هذا البيان له قيمة دبلوماسية . وهذا يظهر إذا قارناه ، ببيانات أهداف حرب الدول الأخرى غير ألمانيا . فنرى مثلاً ، أن روسيا وفرنسا ـ وهذا بالطبع ، في الوقت الذي أبدت فيه روسيا أمارات ضعف ـ في اتفاقها الموقع في سان بطرسبورغ ، تتوقعان لفرنسا ضم الألزاس ، وفصل الضفة اليسرى لنهر الراين ، إذن كان لفرنسا برنامج أمبريالي ، وأخطر من ذلك ، أن لروسيا الحق في أن تعين ، كما ترى ، عندما يأتي السلام ، حدودها الغربية ، وهذا يعني توسعاً لا محدوداً لهذه الأراضي نحو الغرب . ونفس الملاحظة نراها في أهداف الحرب التي حددتها إيطاليا ، والتي اقترحت عليها بميثاق لندن ، في ١٩١٥ ، وبموجبه دخلت إيطاليا الحرب ، وفي محادثات سان ـ جان ـ دوموريينّ في ١٩١٧ ، التي وعدت فيها إيطاليا بوعود إضافية تتوقع لها برنامجاً توسعياً على غاية من الضخامة في كل حوض البحر المتوسط . ومن المؤكد أن الحرب بجدلها نفسه ، وبضرورة دعم الآلام الناجمة عن النزاع بآمال واسعة ، أثارت شدة قصوى في القومية في كل الدول الأوربية ، وتبدو هذه الشدة اليوم مرعبة ، ولكن يجب وضعها ثانية في جو سنوات الحرب التي لا يفضل فيها العقل عند الناس .

الجزء الثاني

القومية الألمانية

من ١٩١٩ إلى ١٩٣٩

الفصل الأول

القومية في دور جمهورية فيمار

(١٩١٩ - ١٩٣٣)

الجيوش الحرة

نميز في جمهورية فيمار ثلاثة أدوار من ١٩١٩ إلى ١٩٣٣ :

١) دور عدم استقرار . وكانت الجمهورية فيه مهددة على يمينها وعلى يسارها معاً ، ويختصر تاريخها بتعاقب الانقلابات . واستمر دور عدم الاستقرار هذا حتى آخر التضخم المالي وإخفاق ثورة لودندورف - هتلر المسلحة في مونيخ .

٢) الدور الثاني من ١٩٢٣ إلى ١٩٢٩ دور تثبيت الجمهورية . وهذا الدور سيطرت عليه شخصية شتريسمان الذي يوجه الشؤون الخارجية ، وفي الوقت نفسه ، يمارس نفوذاً كبيراً على التطور السياسي الداخلي .

٣) الدور الثالث يبدأ في ١٩٢٩ بالأزمة العالمية لعام ١٩٢٩ . وفيه تزعزع النظام الجمهوري بعنف وانهار ، وانتهى باستلام هتلر السلطة في بداية سنة ١٩٣٣ .

وكان تاريخ القومية الألمانية في هذا الدور يتبع تقلبات النظام الخارجي .

وقد بلغت القومية ذروتها في سياق الدور الأول والثاني فيما كانت بين ١٩٢٣ و ١٩٢٩ في حالة تراجع واضح .

أما وقد عرضنا الخطوط العريضة للتطور ، فمن المهم أن نحدد أسباب نمو القومية في دور جمهورية فيمار . ويمكن إرجاع هذه الأسباب إلى ثلاثة مصادر أساسية .

١ ـ عن النقد الذي وجه لمعاهدة فرساي .

٢ ـ عن النقد الذي وجه للمؤسسات الجمهورية .

٣ ـ عن نمو الأزمات الاقتصادية .

١ً) ـ لقد تغذت القومية بعداء الألمان لمعاهدة فرساي التي كما يقولون ، لم يفاوض بها ، وإنما فرضت على البلاد ومست شرف الشعب الألماني . ونقطة الانطلاق لهذا النقد هي المادة ٢٣١ في المعاهدة التي تعرف مسؤولية الشعب الألماني الجماعية ، وتضع مبدأ التعويضات على هذه المسؤولية . وقد أوضح الألمان ، منذ البدء ، بأنه لا يمكن أن يقبلوا مبدأ مسؤولية الشعب الألماني وحده في إثارة الحرب العالمية ، وهذا ما يوضح بسرعة جداً العمل الذي قام به عدد من المؤرخين للبرهان على خطأ هذه النظرية . وقد كثفت هذه الأعمال في مجلة تدعى : « دفاتر برلين الشهرية » التي يوجهها أ . فون فيغيرر . وهدف هذه المجلة رفض نظرية مسؤولية الشعب الألماني وحده . ومن البديهي أن أحزاب اليمين ، في ألمانيا ، استولت بسهولة على هذه الاثباتات واستخدمت أعمال المؤرخين بغية البرهان على أن الشعب الألماني في هذه النقطة قد مس في شرفه وخدع . ولكن يجب أن يلاحظ أن هذه النظرية في عدم إجرام الشعب الألماني لم تستخدمها أحزاب اليمين فحسب ، وإنما أيضاً مجموع الرأي الألماني . ومن الواضح

أن يثير هذا الإثبات في البلاد اضطراباً قومياً خطراً مصحوباً بروح الثأر . أما الذين نزعوا إلى إظهار نصيب الألمان في المسؤولية في إثارة الحرب والأخطار التي ارتكبها الزعماء السياسيون الألمان ، فقد عوملوا بالحال كخونة للوطن . وعلى التعليم الجامعي ونفوذ الكنيسة وزر ثقيل من المسؤولية في هذا الموقف العام للشعب الألماني .

وقد تعلق بهذه الثورة على المادة ٢٣١ في المعاهدة ، الاحتجاج على الأراضي التي انتزعت من ألمانيا . وكانت الاحتجاجات شديدة للغاية . ولا سيا فيا يتعلق بـ دانتريغ ، وميميل ، والممر البولوني ، وسيليزيا ؛ وأخيراً الألزاس - لورين وشلزفيغ الدانماركية . وفي كل هذه المناطق التي فقدتها ألمانيا ، أعدت ثورة من قبل التجمعات القومية والجمعيات العديدة التي أنشئت لهذه الغاية وأهمها « رابطة الجرمانية » في الخارج . ومن جهة أخرى ، أظهر الألمان بسهولة أن النقاط الأربع عشرة التي وضعها الرئيس ولسون قد طبقت في كل مكان في أوربة على صعيد القوميات إلا في ألمانيا . وكان رفض الحلفاء لاتحاد النمسا بألمانيا أحد العناصر الذي سمم بصورة عميقة الجو السياسي الذي ستعيش به ألمانيا . وهكذا نمت في ألمانيا « حركة مراجعة » ، تشكيك . وعندما يضمن شتريسمان ، فيا بعد ، حدود الغرب ، يظهر بأنه يضحي بأغلى مصالح الألمان..

وأخيراً ، حمل احتجاج الألمان أيضاً على قضية التعويضات : فقد ظهر من غير المقبول أن تفرض مبالغ على ألمانيا ولم تحدد أبداً ، وتجعل من المستحيل نهوضها الاقتصادي . وكان من السهل على الألمان الاستيلاء على برهنة عدد من الاقتصاديين الأنغلو - ساكسون ضد التعويضات ، ويذكر بهذه المناسبة إثبات الاقتصادي كينز بخاصة . وكان رجال الدولة الألمان الذين يحبذون سياسة تنفيذ المعاهدات ، يعتبرون آلياً كأعداء ، وقضى القوميون الألمان على كثير منهم . وتتلخص نظرية القوميين في البرهان على أن الأزمات الاقتصادية التي تتألم منها

ألمانيا ، أزمة التضخم في ١٩٢٣ ، والأزمة الاقتصادية في ١٩٢٩ ، ناجمة ، في الجزء الأكبر منها ، عن العبء الذي تثقل به التعويضات على الاقتصاد . وأظهر القوميون مشروع دوز ثم مشروع يانغ كأدوات استعباد للشعب الألماني . ومن هذه المنازعات نتجت قناعة عند الألمان بأن ألمانيا يجب أن تعتبر منذ الآن كأمة « كادحة » وهذا النزاع بين الأمم « المكدَّحة » والأمم « المستغلة » ظهر واضحاً بخاصة في قصة شهيرة كان لها تأثير كبير في ألمانيا وهي : « الشعب دون مجال » للكاتب هانز غريم .

٢) ولم تكن معاهدة فرساي وحدها سبباً في نمو القومية في ألمانيا لأن النظام السياسي ما لبث أن أصبح موضع انتقادات خطيرة جداً . وفي الحقيقة ، لقد قبل الألمان بسرعة أن ثورة تشرين الثاني ١٩١٨ قد كسرت قوى مقاومة الشعب الألماني ، وأن ثورة تشرين الثاني هذه كانت نوعاً من « طعنة خنجر » في الظهر أجبرت الجيش على الاستسلام . وأن الشعب الألماني لم يغلب في ميادين القتال ، ولكن وجدت قوى تفتيت أتت من الخارج ولغمت قدرة مقاومته . ويستنتج من هذا أن على الألمان ألا يتخلوا عن الاعتقاد بتفوقهم ولا عن إرادة توسعهم . ولكن المهم ، وهذه هي حجة القوميين ، حذف السموم التي أدخلت في جسمه وسببت الهزيمة . وقد حمل هجومهم بصورة أساسية على الاجتماعيين - الديموقراطيين من جهة ، وعلى الوسط الكاثوليكي من جهة أخرى ، وهما الحزبان اللذان ألفا في ١٩١٩ ائتلاف فيمار ، الذي يتهمونه الآن بأنه حاول كسب الثورة لصالحه . ومن هنا خرج عنف القوميين الألمان المعادي للبرلمانية .

٣) وأعطت الظروف الاقتصادية أخيراً للقوميين غذاءً نامياً دون انقطاع . أولاً ، لأن التضخم ، الذي نما في ألمانيا عقب الهزيمة وبلغ نقطة الذروة في ١٩٢٣ ، كانت له نتائج شديدة الخطورة على صعيد القومية . وفي الحقيقة ، إن الطبقات الوسطى في ألمانيا تأثرت بشدة من التضخم وتكدحت مادياً . لأن

الموارد التي كانت تعيش عليها هذه الطبقات ، والتي شكلها التوفير ، زالت . ولكن هذه الطبقات الوسطى لا تريد أن تكون مختلطة مع الطبقة الكادحة . ولذا لا تصف تحت شعار أحزاب اليسار أو أقصى اليسار الاشتراكي أو الشيوعي . ولكنها ستتبنى إزاء الماركسية موقف العداء . ولإيضاح سقوطها ، لا تذكر تطور النظام الرأسمالي ، ولكنها تجعل اليهود ومعاهدة فرساي والماركسية الدولية مسؤولين عن هذا التطور . ويرى الكثير من الأفراد أن البؤس الاقتصادي لا يوجههم ، وإنما القلق من فقد مكانتهم و « شرفهم الاجتماعي » والخوف من الانحدار إلى مستوى الطبقة الكادحة الصناعية . والقومية هي رد الفعل الطبيعي لهذه الطبقات الاجتماعية الوسطى التي تسمى تهكماً « الطبقة الكادحة ذات القبة القاسية » ، رد فعل ضد الشعور بالانحطاط والصغار ، وبالتالي نوع من عاطفة تعويض لخسارة الثروة والنفوذ الاجتماعي . وقد نما الاتجاه المواتي للقومية أيضاً انطلاقاً من ١٩٢٩ ، بسبب الأزمة التي انقضت على البلاد وبسبب البطالة . ومن الملاحظ أن الأزمات الاقتصادية كانت في تاريخ جمهورية فيار مؤشراً لدفع القومية : ففي انتخابات أيار ١٩٢٤ ، حصل الحزب القومي على ٥ , ١٩ ٪ من الأصوات ، ليسقط من جديد ، في ١٩٢٨ ، على أثر التصلب الاقتصادي والسياسي خلال أربع سنوات إلى ٢ , ١٤ ٪ . ولوحظت أزمة ١٩٢٩ في انتخابات تشرين الأول ١٩٣٠ في صعود سهم الأحزاب القومية التي حصلت على ما يقارب ٢٥ ٪ من الأصوات . وفي انتخابات تشرين الأول ١٩٣٠ وجد ١٠٧ منتخب قومي - اشتراكي ضد ١٢ سابقاً . ومن الملاحظ جداً أن النسبة المئوية للعاطلين في ألمانيا في دور جمهورية فيار تزداد دوماً وبالضبط كالنسبة المئوية لأعضاء الحزب القومي الاشتراكي[1] .

---

(١) راجع Grouyet , Le Monde Contemporacis , dans l'Histoire générale des Civilisations .

الجيوش الحرة :

يتصل تاريخ الحركات القومية اتصالاً وثيقاً بنمو الجيوش الحرة في السنوات الأولى من جمهورية فيمار . ولهذه الجيوش الحرة أصلان أساسيان :

١ً) الجيوش التي تشكلت في ألمانيا غداة الحرب للنضال ضد البولشفية .

٢ً) الجيوش الألمانية التي عادت بعد الحرب من البلاد البالطية .

في كانون الأول ١٩١٨ ، لم يعد الجيش النظامي ، الذي لغمته الدعاية السبارتكية ، قادراً على استعادة برلين التي كانت في أيدي الثوريين . حتى إن جيوش الجنرال ليكيز نفسها أصابتها عدوى السبارتكية . وبدت الحكومة التي يرأسها ايبرت أسيرة هذه الجيوش . وفي هذه الحالة الدرامية للغاية ، ترى محاولة أتت من ضابط ألماني عال ، الجنرال مركر ليستعيد القبض بيده على الجيوش التي فقدت معنوياتها بسبب الهزيمة والثورة . وقامت هذه المحاولة على صلة بوزير الحربية ، نوسك الاشتراكي . وكان الجنرال مركر يفكر ، في آخر سنة ١٩١٨ في أن يجمع ثانية ، في بعض تشكيلات الجبهة ، جميع العناصر الوطنية والمرتبطة أيضاً بالنظام العسكري ، ويؤلف من هذه العناصر « السليمة » فرق متطوعين . وهذه الجيوش الحرة التي كانت نظرياً مستقلة عن إدارة الجيش ، ولكنها بالرغم من كل شيء نظمت على أساس عسكري ، كانت مرتبطة بزعمائها بروابط أخوية ، كما كانت العلاقات بين الضباط وتابعيهم موضوعة ومقررة من رجال موثوقين يعينهم الجيش . وربط مركر هذه المؤسسة الجديدة للجيوش الحرة بجيش لوتزوف الذي كان يعمل في ١٨١٣ أثناء حرب الخلاص ، واستلم زمام المبادهة في النضال ضد نابوليون عندما لم تكن حكومة بروسيا الملكية حرة بعد . وكان الهدف ، الذي حدده مركر لجيوشه الحرة ، النضال من جهة ضد أعداء الداخل ، ومن جهة أخرى ، تأمين حماية الحدود الألمانية . ولم يطلب مركر من أعضاء هذه الجيوش

الحرة أي عقيدة سياسية . ومع ذلك فإن هدفها إنقاذ حكومة ايبرت من « الحمر » ، وبالتالي كفاح العناصر السبارتكية . وهذه التجمعات الأولى للجيوش الحرة تاسست في مدينة زالزكوتن الصغيرة في وستفاليا ، ثم نقلها مركر إلى جوار برلين التي كان يريد استعادتها من السبارتكيين . وهذه الجيوش التي استخدمها إيبرت ونوسك ، أخضعت القوات الثورية واستردت بيدها برلين في الأيام من ١١ إلى ١٥ كانون الثاني ١٩١٩ .

وهذا العمل الذي قام به مركر في تأسيس هذه الجيوش الحرة أتبعه مباشرة ضباط ألمان آخرون ، وبخاصة الكولونيل ايرارد . فقد شكل فرقة من الجيوش الحرة حملت اسمه وكانت تتألف بخاصة من أعضاء الوحدة الرابعة للحرس الإمبراطوري . ووجدت أيضاً جيوش حرة بحرية نظمها الأميرال لوفنفلد . وفي بافاريا وجدت أيضاً عدة جيوش حرة . وفي النصف الأول من سنة ١٩١٩ يمكن أن تقدر بـ ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٤٠٠,٠٠٠ . وتحصل على فوائد مادية مرتفعة نسبياً ، ٣٠ إلى ٥٠ ماركاً في اليوم ، و ٢٣٠ غرام من اللحم ، و ٣٥ غرام من الزبدة ، ومثل هذا المقدار لا يستهان به مطلقاً في دور كانت المجاعة تعيث في البلاد . ولكن المهم بخاصة للدراسة ، هي العقلية التي نمت مباشرة عند هذه الجيوش الحرة ، عقلية أناس منتزعين من جذورهم ومحرومين ، ولا يرون حلاً لهم إلا في استمرار العداء واستمرار الحرب . وكان كثير من أعضاء هذه الجيوش الحرة ينتسب إلى حركة الشبيبة أو إلى جيوش الصدام . وكانوا مقتنعين بأن الجيش قد خوّن ، وأن ألمانيا بالتالي طعنت بطعنة خنجر في الظهر ، وأن الجيش ليس مسؤولاً عن الهزيمة ، وأن مسببي هذه الهزيمة هم الأحزاب الثورية . وكثير منهم لا يعرفون إلا الحرب ، ومن الطبيعي أن يشعروا بأنهم غير مرتاحين في عالم السلام . وهؤلاء الأعضاء في الجيوش الحرة ينتسبون في عدد قليل منهم إلى هيئة ضباط ممتهنين . وهم في الغالب ضباط احتياط . أو تطوعوا في الجيش مدة عام ، وكان بينهم أيضاً عدد

من الضباط الذين تخرجوا من صف الضباط . ومن الواضح أن العقلية التي نمت في هذه الجيوش الحرة تعلن عن العقلية القومية الاشتراكية . ونجد عندهم مثلاً ، الإعجاب المتعصب للزعيم ، وهذه حالة الكولونيل ارهاردت الذي وصفته الجيوش الحرة بأنه « زعيم » ومن طبيعة مهيبة . ونجد أيضاً في هذه الجيوش الحرة تذوق الكفاح للكفاح . ويجب أن نلاحظ ، إذا تكلمنا اجتماعياً ، أن الطبقات العاملة ، والعمال بخاصة ، لم تكن موجودة تقريباً تماماً في هذه الجيوش الحرة . فقد كان معظمهم ينتسب إلى وسط البورجوازية ، وهؤلاء هم أبناء الموظفين ، والطلاب ، وكثير من طلاب المدارس الثانوية ، وبينهم أخيراً عدد من الفلاحين . ولكن إذا كان أصلهم بورجوازياً في معظمهم ، فقد أتوا مع ذلك بروح الكره والثورة ضد المجتمع البورجوازي . وبصورة أدق ضد الشكل الغربي الذي أخذته البورجوازية في ألمانيا . وبالتالي يبدون كرهاً عظيماً ضد مؤسسات ڤيمار ، وكان من برامج عملهم أخيراً تدمير هذه الجمهورية . وهذه الجيوش الحرة هي التي ذهبت في ذلك الحين ، لقتال العناصر الألمانية السبارتكية في مختلف المدن حيث استطاع هؤلاء فرض سلطتهم . وهي التي دمرت أيضاً الحركات السبارتكية في ميونيخ . ودرسدن ، وليبزيغ ؛ في ربيع ١٩١٩ . وفي ليبزيغ ، استخلص مركر ، المنظم العام لهذه الجيوش الحرة ، درساً من هذه الحوادث في الخطاب الذي ألقاه في جامعة هذه المدينة حيث قال : « إن البورجوازية غير قادرة على الدفاع عن نفسها ضد الشيوعية ، وإن السلامة آتية لألمانيا من الجيوش الحرة وحدها » .

وإلى جانب الجيوش الحرة التي تشكلت في ألمانيا نفسها ، يجب أن نشير إلى تشكيلات تأسست في البلاد البالطية ، ويسميها الألمان « بالتيكوم » . فغداة هدنة تشرين الأول ١٩١٨ ، اضطرت الجيوش الألمانية إلى الجلاء عن بولونيا واوكرانيا . ولكن بالعكس ، سمح لها بل وشجعت على البقاء في البلاد البالطية .

لماذا ؟ لأن الحلفاء كانوا يرون في بقاء الجيوش الألمانية في هذه المناطق حصناً ضد البولشفية . وكان للألمان ، الذين يحتلون هذه المناطق ، سند في السكان المحليين لدى البارونات البالطيين الذين كانوا منحدرين بعيدين جداً من فرسان النظام التوتوني ، وكانوا يملكون قسماً عظيماً من الملكية العقارية في الدول البالطية . وفكر عدد من الضباط الألمان ، وبخاصة الجنرال فون در غولتز ، بإنشاء دول بالطية كبرى تخضع كثيراً أو قليلاً مباشرة لألمانيا وتعوض بالتالي نحو الشرق الخسائر الأرضية التي قبلت بها نحو الغرب . وأراد الجنرال فون در غولتز أن يقوم باستعمار ألماني واسع في هذه المناطق ووسع برنامجاً في ثلاث نقاط :

١ ـ وضع جنود ألمان مسرحين في البلاد البالطية .

٢ ـ إنشاء مستعمرات واسعة عسكرية وزراعية معاً .

٣ ـ أخيراً ، إعداد جيوش ، في هذه المناطق البالطية ، تزحف على بتروغراد (سان بطرسبورغ) وتقيم ملكية قيصرية في روسيا حليفة لألمانيا .

وقد قويت مشاريع فون در غولتز أيضاً بما توافد على البلاد البالطية من تجمعات كثيرة من الجنود المسرحين من الجيوش الحرة التي عززت أنشط عنصر في الجيش الألماني ، وبخاصة اللواء الحديدي الذي كان جيش نخبة يأتمر بأمر القائد بيشوف . وقد حققت هذه الجيوش ، في ١٩١٩ ، عدة انتصارات على البلاشفة ، ووسعت بذلك ساحة النفوذ الألماني . ولكن الشعوب البالطية التي كانت حتى آنذاك موالية للألمان ، ما إن تخلصت من الخطر البولشفي ، إلا وانقلبت عليهم وطلبت رحيلهم . وأخيراً ، وبناء على طلب الحكومة الليتونية التي يرأسها اولمانيس ، طالب الحلفاء ، أي فرنسا وإنكلترا ، برحيل الجيوش الألمانية في أيلول ١٩١٩ . ولكنهم اصطدموا من جانب العسكريين الألمان برفض كثير من الضباط والجنود خوفاً من العودة إلى ألمانيا المعدمة الفقيرة وعدم وجود عمل لهم . ولهذا

حاول الجنرال فون در غولتز أن يدخل نخبة جيوشه في نوع من الجيش الأبيض الذي كان يناضل ضد البولشفية ، ونظم في البلاد البالطية على يد مغامر بالجنسية الألمانية والروسية معاً ، وهو الأمير برمونت - آفالوف وتحت البزة العسكرية الروسية البيضاء ظل الجنرال فون در غولتز ، خلال خريف ١٩١٩ ، يناضل ضد خصومه .

وانتهت مقاومة الألمان بالانهيار : لأن الهجوم الذي حاوله برمونت - آفالوف ضد ريغا أخفق ، وأخيراً اضطرت الجيوش الحرة إلى التخلي عن مدينة ميتو التي كانت مركزهم الأساسي . وفي ١٩١٩ ، وجه الجنرال نيسّل الذي كان يقود البعثة الحليفة في برلين ، إنذاراً للحكومة الألمانية وطلب إليها في آخر كانون الأول ١٩١٩ أن تسحب كامل جيوشها الألمانية من البلاد البالطية .

ومن المفيد أن نرى عقلية جنود بالتيكوم التي كانت تحارب خلال عام في البلاد البالطية . ويجب أن نلاحظ بأنه لا يوجد ، في هذه الجيوش التي وجدت نفسها أمام البلاشفة ، عداء للبولشفية بصورة منظمة . وقد ذكر أحد أعضاء البالتيكوم ، وهو فون سالومون في مؤلفه « المرفوضون » أن الألمان أخذوا بالقوة التي أبدتها الثورة الروسية . وبالمقابل ، كانوا يشعرون إزاء الحكومة الألمانية بعاطفة عنيفة جداً ، ويقولون : إنهم آخر الجنود التي ألقت السلاح أمام العدو . لقد ناضلوا مستشرين لإنقاذ ٧٠٠ عام من التوسع الألماني ، وجاءت الحكومة الألمانية تطعنهم طعنة الخنجر في الظهر . لقد كان هؤلاء الناس يشعرون بنقمة شديدة حيال وطنهم الخاص وحيال جمهورية فيمار . وكتب فون در غولتز : « ما كنت لأتصور أنني أحمل سيفاً محطماً في يدي ، وأن أقبح عدوي يصبح شعبي وحكومتي » .

لقد نما إذن في هذه الجيوش نوع من عاطفة يأس لا تسمح للناس أن يتعلقوا

بشيء . وما كانوا ليتذوقوا شيئاً غير الحرب . ولا يتصورون مستقبلهم في عالم سلام . وهكذا وصف فون سالومون آخر المواقع الحربية ضد البالطيين بقوله : « كنا مسعورين ، نطارد الليتونيين كالأرانب عبر الحقول ، ونطرح أرضاً جميع أعمدة البرق ، ونلقي جميع الجثث في أعماق الآبار ، ولا شيء كان يثير فينا عواطف إنسانية . وفي كل مكان نمر فيه لا يبقى إلا الأنقاض والرماد ، وبقايا الأخشاب المحترقة كقرحة واسعة على حقول مجتاحة ، وعلم الدخان دليل طريقنا ، وكنا نشعل حطبة حيث لا يوجد أشياء جامدة فحسب ، وإنما أيضاً آمالنا ورجاءاتنا التي كانت تحترق فيها ككل قيم العالم المتمدن » . وختم كلامه معرفاً بروح رفقائه : « اعمل ، اعمل كيفما اتفق ، ورأسك منكوس . سر مبدئياً ، وابسط طاقاتك بكل الوسائل ، وبكل الجرآت . إن الدم لا يسيل عبثاً أبداً . واحتقر في كل مكان التكيف والطاعة » . هكذا كان المثل الأعلى لهؤلاء الرجال »[1] .

لقد أخذ عمل الجيوش الحرة في بادئ الأمر طابعاً ثورياً علنياً ، وابتداءً من ١٩٢٠ أخذ طابعاً سرياً .

أولاً : العمل الثوري : لقد كانت نقطة الذروة لعمل الجيوش الحرة ، في آذار ١٩٢٠ ، محاولة انقلاب عرف باسم ، إنقلاب كاب - لوتفيتز . فقد حاولت الحكومة الألمانية حل جيشين من أكثر الجيوش الحرة نشاطاً . الوية ارهاردت ولوفنفلد البحرية . غير أن الجنرال الألماني لوتفيتز الذي كان يوجه جيش القيادة رقم ١ ، أي منطقة برلين ،رفض الطاعة ووجه إنذاراً للرئيس ايبرت يبلغه فيه أن يستقيل بعد أن يجري انتخابات جديدة ، وأمام رفض ايبرت الامتثال لهذا التبليغ ، حاول اللواء ارهاردت الهجوم على برلين ، واحتل بالقوة رئاسة

---

(١) راجع : R. WAITE, VANGUARDS OF NAZISM, 1952
و BENOIST - MECHIN, HISTOIRE DE L'ARMÉE ALLEMANDE, 2 Vol. 1936.

الجمهورية والوزارات ، بينما اضطر ايبرت إلى الهرب إلى **درسدن** ومنها إلى شتوتغارت . وفي هذه الظروف ، وبمساعدة اللواء ارهاردت استلم السلطة في برلين شخصية كانت قد لعبت في السابق دوراً عظيماً في الحركة القومية الألمانية في داخل عصبة الجامعة الجرمانية . وهو ف . كاب الذي كان آنذاك موظفاً كبيراً في وزارة الزراعة ، وأعلن بمساعدة تجمع سياسي اطلق على نفسه « الاتحاد القومي » ، نوعاً من دكتاتورية عسكرية ترأستها جيوش الجنرال لوتفيتز .

وهذه المحاولة لاستلام السلطة من قبل عناصر اليمين أدت إلى إخفاق تام : لأن كاب ولوتفيتز لم تدعمها أحزاب اليمين ، ولأن الأركان العامة كان تنقصها الحماسة لدعم الجنرال لوتفيتز ، وبخاصة ، ولسبب هام ، لأن النقابات أعلنت الإضراب العام في برلين ، وشل هذا الإضراب الحكومة التي تألفت في هذه الظروف . ومضى اسبوع ، ولم تعمل حكومة كاب ـ لوتفيتز شيئاً ، واضطر اللواء ارهاردت إلى مغادرة برلين .

ومحاولة الانقلاب هذه التي قام بها كاب ـ لوتفيتز تصور مسبقاً من عدة جهات المغامرة الهتلرية . وفي الواقع ، نجدنا أمام حركة ذات طابع مزدوج : حركة ذات طابع محافظ وملكي ، حركة يمينية متطرفة : فقد انضم كاب إلى وسط اليونكرز (النبلاء مالكي الأطيان) ، ولوتفيتز نموذج لضباط النظام القديم المتعلقين بالملكية . وكان الاثنان على صلات مع لودندورف والضباط الملكيين . وبعد ذلك ، وجدت الجيوش الحرة التي أتت في هذه المحاولة بروح المغامرة أكثر بكثير من القناعات السياسية الأصلية . وقد كتب مؤرخ الجيوش الحرة ، **فون اورتزن** في حركة كاب ـ لوتفيتز : « كان هؤلاء الرجال يجهلون كل شيء عن السياسة المعقدة . لقد كانوا جنوداً ، ومكافحين ، ولا يريدون أن يكونوا غير ذلك » وكان من بينهم رفيق لأورتزن ذهب حتى القول : « لقد كنا أناساً

بدائيين » . ويعجب بارهاردت لـ « بدائيته » وبساطة موقفه ، لأنه لا يثقل نفسه بأي قناعة سياسية أو فلسفية . وهذه الجيوش الحرة التي تسهم بالمغامرة لم يكن لها أي تعاطف خاص مع الإمبراطور ، وتهتم قليلاً جداً بالأهداف السياسية التي يتابعها كاب . وجهلها بالقضايا السياسية جعلها تدفع كاب ولوتفيتز إلى العمل . غير أن هذين كانا بصيرين بالعواقب ويعتبران الحالة خاسرة . وباختصار إن كاب ولوتفيتز قد تجاوزتها الجيوش التي كانت تعمل دون معرفة بالقضايا . وكتب فون سالومون في كتابه « المرفوضون » : « لقد كافحت هذه الجيوش الحرة ، على الحدود ، ووراءها بلد يائس . ولكن عندما لاحظت بأن ليس لها ظهير ، ولا مركز ثقل ، اتجهت نحو برلين . وطلبت من برلين أن تجهزها بالإيضاحات عن هذا الموقف ، ولكن برلين لم تستطع أن تعطي عنه شيئاً . وانتظرت مكسوفة ومصممة والسلاح في قبضتها . وكان الضباط ينتظرون البّرد ، والبرد تقص عليهم مفاوضات بلهاء ومسكينة جرت بين لوتفيتز والحكومة وبدت القضية سيئة ، وكنا نخشى أن تنتهي بتسوية ، ولكننا كنا مصممين على الزحف مهما حدث دون لوتفيتز ودون كاب إذا كان ضرورياً ، حتى وربما ضدهما[١] » .

ومن البديهي أن تستخلص الجيوش الحرة من مغامرة كاب - لوتفيتز عداءً عميقاً إزاء العالم السياسي عموماً في الأوساط المحافظة والأوساط الجمهورية . وبدت لهم الطرق القانونية عقيمة لا معقولة ومتجاوزة . وقد قال أحدهم ، وهو الملازم ار . مان في كتاب له يسمى :

« مع ارهاردت عبر ألمانيا » قال فيه : « لقد كان من الأفضل لو أعدم

---

(١) ذكره . Benoist - Méchin , Histoire de l' Armée allemande T . II , P. 88

بالرصاص أكثر مما اعدم » . وبعده ألف **مانفرد فون كللينغر** كتاب مـذكرات عن الجيوش الحرة قال فيه : « لقد ترددت حكومة كاب ، بخيانة ، في إعدام نصف (دزينـة) من الجنرالات وأمنـاء الـدولـة والبرلمـانيين . وعوضـاً عن ذلـك شغلت الساعات بالنقاش عبثاً » . وأضاف : « الهدم اسمنت الثورات » .

ثـانيـاً ، العمل السري : لقـد حلت ، أخيراً ، الحكومـة الجمهـوريـة التي قويت بعـد اخفـاق مـؤامرة كاب ـ لـوتفيتز ، كل الجيـوش الحرة . واعتبر الجنرال فون زيكت ، الـذي كان يقود الجيش الألمـاني ، أن الجيوش الحرة لا تتـلاءم مـع تنظيم الجيش . وكان يحذر من الروح التي أتت بهـا . ومع ذلـك يجب أن نلاحـظ أن عدداً من الجيوش الحرة وجدت مكاناً في جيش المائة ألف رجل الـذي خول إلى ألمانيا في معاهـدة فرسـاي ، والـذي كان في حيز التنظيم تحت إدارة فون زيكت . وقد دخل عدد من متطوعي الجيوش الحرة ، وبخـاصـة جيوش ارهـاردت الحرة ، لواء فون هيب ، في هذا الجيش ، وهذا لم يمنع مع ذلك أعضاء هـذه الجيوش الحرة من أن تستمر في سَوْقِ المتطوعين لمنظماتها السرية القديمة . وهـذه حـال روم الـذي كان ضحيـة هتلر في ١٩٣٤ ، ولكن ، من المعلوم ، أن جميع الجيوش الحرة لا يمكن أن تـدخـل في الجيش ، وأن هـذه الرابطـات ، وإن حُلَّتْ ، عـاشت بصـورة غير قانونية تحت أشكال مختلفة ، وفي الغالب جداً تحت أشكال جمعيات ريـاضية ، وفي الأغلب تحت شكل جيوش ـ عمل ، نصف عسكرية ونصف أطيانية ، ويؤويها في الغـالب كبـار الملاك في الشرق الألمـاني . وهـذه مثلاً ، حـالـة اللواء روسبـاخ في بوميرانيا . ووقفت هذه الألوية مستعدة للكفاح الذي كرست نفسها له . وستنشأ في هذه التجمعات فكرة خدمة العمل الاجبارية . وسيتناول النظام الهتلري هذه الفكرة ويوضحها . ومن جهة أخرى ، ظل كثير من الأعضاء القـدامى ، في هـذه الجيوش الحرة ، على اتصال ببعضهم في داخل مـا يسمى « حرس السكان » . وهي

أنواع من التجمعات تتألف بشكل شرطة محلية ، شرطة عمارات أو أحياء . وقد نمت بخاصة كثيراً في بافاريا حيث تركتها الحكومة البافارية المحافظة تتشكل . وحافظ حرس السكان هذا على الطابع العسكري غالباً . وفي بافاريا تأسست منظمة قوية جداً تسمى الاورغيش . وهذه الكلمة تتألف من الأحرف الأولى لما يسمى في الأصل « المنظمة الايشيريشية » . وقد انتهى الحلفاء ، في لجنة نزع السلاح ، بالقلق من كل هذه التجمعات ، وأجبرت الحكومة الألمانية على حذفها . وتم ذلك في بروسيا في ١٩٢١ وفي بافاريا بعد ذلك بقليل . ولكن الاورغيش ظل في حوزتها سلاح سري عظيم .

والآن ما عمل هذه الجيوش الحرة التي ردت إلى السرية ؟ ظهر هذا العمل بثلاثة أشكال أساسية :

الاغتيال السياسي

الأول ، وهو الأعجب ، الاغتيال السياسي . فقد تأسست بسرعة جداً ، منظمة خرجت من اللواء ارهادرت وهي : منظمة كونسول (O . C) وكان على رأسها مدير شرطة مونيخ ، بونر . وستكون منظمة كونسول هذه نقطة انطلاق لسلسلة اغتيالات سياسية . وستؤلف ما يسمى « محكمة القديسة ـ فيم » ، بأخذها نظاماً كان موجوداً في العصر الوسيط . وستقرر هذه المحكمة وجوب زوال عدد من الشخصيات : فقد ارتكب ٣٣٨ جرماً في السنوات التالية بهذا النوع من العدالة الشعبية التي تضرب دون اعلام ، وأحياناً بعد إرسال رسائل تعلم الأشخاص المهددين بالموت . وعلى ما يبدو ، أن فكرة هذه المحكمة هي التالية :

إذا ضرب الزعماء الجمهوريون أثيرت الفوضى التي تجر تدخل البلاشفة ، وتساعد ألمانيا على استعادة بناء جيشها ، بمشاركة الدول الغربية ، للنضال ضد

البلاشفة . ولا يمكن تعداد كل الضحايا ، ولكن أول هذه الضحايا وأعجبها كان وزير المالية ، ماتياس ارزبرغر الذي أخذت عليه العناصر القومية ، بخاصة ، الموقف الذي تبناه اثناء الحرب وكان ملائماً لسلام تسوية ، وتمسك بموقفه لصالح سياسة تقضي بأن تقوم ألمانيا بالالتزامات التي فرضتها عليها معاهدة فرساي . ففي ٢٦ آب ، قتل ارزبرغر ونجح القاتل بالفرار إلى هونغاريا . ثم جاء بعده دور فالتر راتينو ، وزير الشؤون الخارجية الذي قتل في ٢٤ حزيران ١٩٢٢ ، في برلين على يد عضوين من منظمة كونسول ، كيرن وفيشر ، اللذين احتجزتها الشرطة وانتهيا بالانتحار . وقد شاد لهما الرايخ الثالث آبدة باسمها . ولكن الجرائم لم ترتكب فقط ضد الشخصيات المرموقة ، بل ارتكبت أيضاً ضد أناس يعلم بأنهم كانوا غير محبذين للحركة القومية ، رجال يساريون ، وبخاصة شيوعيون أو اشتراكيون ؛ وحتى ضد أناس ، كانوا يفشون عن مستودعات الأسلحة التي كان يستخدمها أعضاء الجيوش الحرة . وعندما يؤخذ المحكومون كانوا فخورين بأفعالهم ، ويزعمون أنهم يستعملون هذه الأسلحة ضد خصوم الوطن . وكان احدهم ، ف . هاينز ، مسؤولاً عن عدد عظيم من الجرائم ، وقد نشر فيما بعد كتاباً يسمى « الأمة تتدخل » وصرح فيه : « الأسلحة شرط لا غنى عنه للشرف القومي . والشعوب الاستعمارية عزلاء من السلاح ، ولذا لا شرف لها » . غير أن المحاكم أبدت قليلاً من الشدة لهؤلاء لمجرمين على الحق العام ، وحكم أكثرهم بعقوبات قلما كانت جادة للغاية . فمن ذلك أن قاضياً صرح أمام قاتل بقوله : « إن المحكمة ترى فيه وجه جندي شريف وكريم ، وأنه ضحى بشخصه لكل ما يراه عادلاً ومفيداً للوطن . ألا يوجد ، في ألمانيا ، تفهم للرجال المستقيمين ؟ » ثم اصدرت حكومة الرايخ عفواً عاماً لكل الذين حكموا في ١٩٢١ . وسينهال المديح في ١٩٣٣ بكتلته على جميع القتلة الذين انتسبوا لمنظمة كونسول ، من زعيم الشبيبة الألمانية النازية ، بولدور فون شيراخ .

التدخل العسكري

والشكل الثاني للعمل هو التدخل العسكري في القضايا التي تمس الرايخ نفسه . وبخاصة ، تدخلت الجيوش الحرة في عدة خلافات وضعت الألمان في معارضة مع الشعوب المجاورة . وكانت سيليزيا العليا بخاصة مسرحاً لمغامراتهم . وسيليزيا العليا أرضٌ يسكنها الألمان جزئياً ، وجزئياً البولونيون . وقد خضعت بموجب معاهدة فرساي إلى استفتاء جرى في آذار ١٩٢١ ، وكانت بالإجمال مفضلة للألمان . ولكن البولونيين أفادوا من أن الألمان كانوا غير قادرين على ادخال جيشهم ، بالرغم من الاستفتاء ، وبمساندة الحكومة الفرنسية ، احتلوا جزءاً من البلاد . ورأت الحكومة الألمانية نفسها مدعومة من انكلترا التي كانت تعاكس في هذه القضية الموقف الفرنسي ، فاحتجت بقوة ضد موقف البولونيين . وهكذا ، انطلاقاً من أيار ١٩٢١ ، وصل تدريجياً وسراً إلى سيليزيا عدد كبير من أعضاء الجيوش الحرة ، وبخاصة ، من أعضاء الجيوش الحرة التي كانت قد ألفت أنواعاً من مستعمرات نصف عسكرية ونصف أطيانية في بوميرانيا . وأهم هذه الجيوش الحرة الجيش الذي تشكل على هذا النحو كان جيش اوبرلاند الذي انبثق انطلاقاً من أعضاء حرس السكان البافاريين . وتجمعت هذه الجيوش الحرة وتفاهمت فيما بينها ووضعت نفسها تحت إدارة جنرال كان له بعض الشهرة في الحرب العالمية الأولى ، وهو الجنرال هوفر ، وبدأت هذه الجيوش الحرة تهاجم الجنود والسكان البولونيين ، في الأراضي المتنازعة بين البلدين ، واحرزت نصراً كان له في ألمانيا ، في ذلك الحين ، انعكاس كبير جداً ، وهو النصر التي أحرزته على ربوة الأنّابرع المقدسة . ولكن الحكومة الفرنسية قامت برد فعل عنيف ، ورأى الرئيس ايبرت نفسه مضطراً لإعلان مرسوم يمنع بصورة مطلقة كل سوق لسيليزيا ، ويعاقب كل من يستمرون في الكفاح في المنطقة بأثقل العقوبات . وفوق ذلك ، كما كانت

الحالة بالبالطيك ، وجدت الجيوش الحرة الحكومة الألمانية نفسها تعاكسها في عملها ، وكانت المرارة بين رجالها عميقة للغاية . وأكثر من ذلك أيضاً أن فون سالومون كوّن عنها صدى : « لقد احتفظ بثلثي الإقليم لألمانيا بخدمات الحماية الذاتية . وإذا كانت هذه لم تحافظ لها على الثلث الأخير ، فذلك لأن مرسوماً ألمانياً قصم ظهرها . وإلى الذين كانوا يهددون البولونيين بالاستياء العام ، وايانا بالسجن ، قدمنا النصر ككوب ثمين على أيدينا المستعدة للتضحية . ولكنهم تركوه يسقط أرضاً ، وتحطم على اقدامهم » . وكتب هاينز : « في قلب مكافحي الجيوش الحرة والغالبين في أنّابرغ ، أصبحت العاطفة واضحة بأن كل حرب تحرير ألمانية تفترض مسبقاً الإبقاء على تدمير البرلمانية الغربية وكل النظام الليبرالي الماركسي » . ومع ذلك بقي كثير من أعضاء الجيوش الحرة بصورة سرية واستقروا في سيليزيا ـ العليا .

ونجد أيضاً أعضاء الجيوش الحرة في المنظمات التي كافحت ، في نفس العصر ، الحركة الانفصالية الرينانية التي كان هدفها أن تفصل الضفة اليسرى لنهر الراين عن الرايخ الألماني ، وأن تجعل منها إما دولة محايدة ، وإما تصور ضم إلى فرنسا ، أو أيضاً حاولت إحباط احتلال الرور في ١٩٢٣ ، الذي قررته الحكومة الفرنسية ليسد تقصير الألمان على صعيد التعويضات . ودون الدخول هنا في تفصيل دور الجيوش الحرة التي ناضلت ضد الانفصالية الرينانية أو ضد الفرنسيين في الرور ، يجب أن نشير مع ذلك إلى شخصية كانت هدفاً لاحترام حقيقي . وهي شلاغيتر . فقد كان ، بالاختصار ، بطل هذه المقاومة في الرور ضد الفرنسيين وكان له ماض عسكري كبير ، وأسهم في ثورة كاب وفي حرب سيليزيا ، وقص بنفسه ذكرياته التي جمعت في كتاب يسمى « ريغا وأنّابرغ » . وفي آذار ١٩٢٣ أوحى شلاغيتر بنسف جسر خط حديدي هام للغاية في الرور بالقرب من مدينة كالكوم ، فشل بذلك حركة التجارة التي نظمها الاحتلال الفرنسي . وعلى أثر

هـذا الفعل ، أعـدمـه الفرنسيون بـالرصـاص . وفي الـواقـع ، على مـا يبـدو ، أن شلاغيتر لم يكن بطلاً نقياً كما أراد الألمان أن يمثلوه لأنفسهم ، لأنه بين الدور الذي أوقف فيـه والـدور الـذي أعـدم فيـه ، كشف للفرنسيين كافـة التنظيم السري للجيـوش الحرة الألمـانيـة في الرور . بيـد أنـه سيشتهر على الأقـل كبطـل قـومي بالهتلرية ، وستقام أوابـد شلاغيتر في كل ألمـانيـا بعـد وصول هتلر إلى السلطـة في ١٩٣٣ .

جيش الرايخ الأسود

وأخيراً ، تـألف النشـاط السري لهـذه الجيوش الحرة بمـا يسمى جيش الرايـخ الأسـود الشهير الـذي قيـل فيـه شيء عظيم ، وعلى المـؤرخ أن يرده إلى نسبـه الصحيحة . في ١٩٢٢ ، اقترح ضابط في الجيش الألمـاني ، القـائـد **بوخروكر** على الجنرال قائد الجيش الألماني أن يكدس الأسلحة السرية على يد عـدد من تجمعـات العمل التي تشكلت في عدة مناطق في ألمانيا الشرقية . وعلى هـذه الجيوش المكلفـة بمراقبة هذه الأسلحة السرية ، أن تنظم عسكرياً وأن تجتمع على مسافات منتظمـة تحت إدارة ضبـاط جيش الرايـخ . وهكـذا وجـد ، إلى جـانب الجيش النظـامي المؤلف من مائة ألف رجل ، عدد كبير من الاحتيـاطيين المتعلمين . وكان لمشروع بوخروكر غاية مزدوجة : من جهة إبقـاء أكـداس الأسلحـة تحت تصرف الجيش ، ومن جهـة أخرى ، قليل من روح المقـاومـة التي نظمت ضـد نـابليون في ١٩١٣ ، وتربية قوات عسكرية في جيوش احتياطية هامة

وهذا المشروع في تنظيم الجيش الأسود أمسكت به الأركان الألمانيـة في ذلـك العصر ، وبخاصة ، الكولونيل شلايخر الـذي أصبح فيا بعـد جنرالاً وآخر مستشـار للريـخ الألمـاني قبـل هتلر ، وبـاتفـاق مـع عـدد كبير من الأوسـاط العسكريـة والصنـاعيـة أعطى مسـانـدتـه لمشروع **بوخروكر** . ومع ذلـك ، أثنـاء احتـلال الـرور ، في ١٩٢٣ ، قلقت الحكومة الألمانية لدى اكتشاف هذا الاحتيـاطي الأسود

الـذي ارتفع في ذلـك الحين من ٥٠ إلى ٠٠٠ ,٨٠ رجـل . وأمرت بـالكف عن التمارين التي فرضت على الاحتيـاطيين . ولكن بـوخروكر رفض الامتثـال لأوامر الحكومة الألمانية ، وحاول عنـدئـذ إجبـار الحكومـة ، بمساعـدة الجيوش التي كان يعتقد أنه يمسكها بيده ، والتي كان قد دربها شخصيـاً وأتى بها سراً في أيلول ١٩١٣ إلى جوار برلين ، وطلب منهـا احتلال حصـون شبـانـداو وكـوسترين . فهـددتـه الحكومة الألمانية بتوقيفه . ولكنه انـدفع بجيوشـه التي تـألفت من الجيوش الحرة ، وتحصن في حـاميـة كوسترين ، وحـاول تشكيل حكـومـة نـاشئـة ضـد حكـومـة الرايخ . إلا أن القضية سويت بسرعة بتدخل جيش الرايخ النظامي ، وحكم على بـوخروكر بـالاعتقـال عشرة أعوام . وسيعفى عنـه في حينـه . وسجلت هـذه القضية ، قضية جيش الرايخ الأسود ، نهاية نشاط الجيوش الحرة . وكان على هذه منـذ الآن ، أن توزع نشـاطهـا ، وتبحث عن منظمات أخرى ، وابتـداءً من هـذا التاريخ اتجه كثير من أعضاء الجيوش الحرة نحو الهتلرية . وفي أقسام الهجوم وجـد عدد عظيم جداً من أعضاء هذه الجيوش الحرة .

وبعد فما أهمية وطابع حركة هذه الجيوش الحرة ؟ لا شك في أن هذه الحركة هيأت الهتلرية . فقد توطدت رابطة بين الجيوش الحرة والهتلرية . وهذه الرابطة كانت : « عصبة الدفاع والهجوم » . وقـد تـألفت هـذه العصبـة في بـافـاريـا ، في ١٩١٩ ، وكانت عنصرية ومعادية للسامية بشـدة شـديـدة جـداً . وكانت تستعمل « السفـاستيكا » أي « الصليب المعكوف » الـذي وضعتـه على رأس صحيفتهـا التي تسمى « الصحيفة الشعبية الألمانية » .

ومـع ذلـك يجب الاعتراف بـأن القـوميـة ـ الاشتراكيـة إذا كانت حركـة سيـاسيـة ، فـإن الجيـوش الحرة نفسهـا ، وإن كان أعضـاؤهـا في الغـالـب ممثلين كـ « جنود سياسيين » ، كانت تتميز خاصـة بفراغ الفكر السيـاسي كاملاً تقريبـاً .

وهم ، كما رأينا ، رجال يتذوقون العمل ، والتدمير ، والحرب حسب فكرة الفن للفن ، وكانوا مسيرين بنوع من العدمية . وفي الحقيقة ، كانوا يبدون رد فعل شديد ضد كل أشكال الحضارة الغربية ، الحضارة البورجوازية ، ولكن من المستحيل أن نكتشف عند الجيوش الحرة مذهباً متجانساً على الصعيد السياسي ، حتى إنه لا يوجد عندها عداء أساسي إزاء البولشفية ، بل ، وفي معنى ما ، تعجب بها . ولكنها تكافحها في كل مكان . ولا يوجد عندها روح محافظة إنشائية ، ولا قومية واضحة . وهؤلاء الرجال لا يعلمون مطلقاً ما يريدون . وقد كتب عضو من الجيوش الحرة كان يأمر في ألوية هاينز : « السياسة لا تهمنا ، كنا جنوداً وكنا نسخر من الباقي . نحن أبطال شباب دون مثل عليا سياسية . وإذا كان زعيمي مستعداً لإعطاء دعمه لهتلر فهذا يكفينا للحاق به » . وحل محل المثل الأعلى السياسي ، التفاني الكلي الأعمى للقائد ، للزعيم ، للفوهرر ، التعبير المجسد للفضائل التي يعجب بها المتطوع في الجيوش الحرة ، والذي يبذل له الروح كاملاً . ويوجد دليل على هذه الحالة الروحية ، هذا الفقدان للحس السياسي وهذا الإعجاب بالقائد ، في قصة أخرى لفون سالومون تسمى « **المدينة** » . إن بطل هذه القصة القومية الذي كافح في كل مكان في سبيل ألمانيا ، والأمة الألمانية ، يموت في كفاح شوارع إلى جانب العمال الشبان الشيوعيين . وهذا يدل على احتقار سالومون للأفكار والبرامج . وهذه : جملة من إيفرسون وهو يحتضر ، لها معناها : « قلما يهم ما يفكر به ، ولكن الذي يؤخذ بعين الاعتبار هو شكل التفكير ، وشكل التفكير هو التفكير بشجاعة والتضحية الكاملة بالحياة » .

الفصل الثاني

بوادر القومية الألمانية
في جمهورية فيمار

من المستحسن أن ندرس هنا ثلاثة شخصيات كان لها بعد الحرب العالمية الآولى مباشرة تأثير كبير على الأجيال القومية في السنوات ٢٠ و ٣٠ . وليسوا مع ذلك في أي درجة قوميين ، وكانوا بعيدين للغاية عن هذا المذهب ، وهم : فالترراتينو ، كيسرلنغ ، والقصاص توماس مان[١] .

كان لهذه الشخصيات الثلاث منذ نهاية الحرب ، غداة الهدنة تأثير عظيم على الأجيال الصاعدة . فقد لاحظ هؤلاء الشخصيات الثلاثة الطليعية تدهور القيم التي عاشت عليها ألمانيا حتى ذلك الحين ، وتأثروا بنيتشه ، وأكدوا ثلاثتهم ضرورة إنسانية جديدة يحسن بنا هنا أن نصف خطوطها الكبرى .

فالترراتينو

أول هؤلاء الثلاثة ، **فالترراتينو** . وهو من أصل إسرائيلي ، وابن صناعي ، وهو نفسه صناعي كبير ، مدير لأكبر شركة توزيع الكهرباء في ألمانيا ، A. E. G. ومنظم اقتصاد الحرب الألماني في ١٩١٤ ، وكان وزيراً مرات كثيرة في بدايات جمهورية ڤيمار . وهو الذي وقع مع روسيا ، في ١٩٢٢ ، ميثاق راباللو ، واغتالته العناصر القومية في ١٩٢٢ .

---

(١) راجع عن هذه الشخصيات مؤلف E. Vermeil, les doctrinaires de la Revolution allemande

وهذا الصناعي ، رجل الدولـة ، كان في الوقت نفسـه مفكراً ومثقفـاً ثقـافـة عظيمة ، وقارئاً للفلاسفة . وبخاصة نيتشه وبرغسون . وهو مدين بـالقسم الأعظم من أفكاره الاقتصاديـة والسيـاسيـة إلى أحـد أصـدقـائـه وهـو فيشـارد فـون موللندورف ، ابن قنصل ألماني سابق في هونغ ـ كونغ ، وكان مساعـده في شركـة A. E. G. وكان موللندورف نفسه مؤلفـاً لكتـاب يسمى « الاشتراكيـة المحافظـة » صدر في ١٩٣٢ ، ويضعه في فريق المحافظين الناشئين .

كان راتينو الصناعي يبدي خوفاً حقيقياً من الحضارة الميكانيكية التي يعيش فيها ، ومن البلوتوقراطية (حكم رجال المال والأعمال) التي تنجم عنهـا ، وأصيب بالمرض الذي أحدثه التصنيع الجنوني في ألمـانيـا منـذ خمسين سنـة ، ورثى لظروف الحياة الميكانيكية كلياً . ويرى : « أن العمل المهني ينزع إلى تحويل نفسه إلى آليـة منظمة » . كما يرى شلل الوجود ووحـدة المصير في هـذه الآليـة الواسعـة التي هي المجتمع الحالي : « إن الفرد المختص لا ينفـذ أكثر من عمل قطعـة على صعيـد الصنع المتسلسـل ، وإن الجمـاهير تبلـغ بعنـاء الرفـاه النسبي لتسقـط من بعـد ، بسبب الأزمات ، في البطـالـة والبؤس » . وعلى هـذا يفضل راتينو الثورة على الظروف الحاليـة ، وليس الثورة على هـذه أو هـذه الطبقـة الاجتماعيـة ، وعلى هـذا الشكل للسلطة السياسية ، وإنما على طابع المجتمع الصناعي الذي يعيش فيـه . ففي هـذه الميكانيكيـة يكمن الـذنب المقترف على العقل . « إن مجتمعنـا يجب أن يـزول أمـام جماعة منظمـة حسب إنسـانيـة جـديـدة ، ومجتمع تبعـد عنـه الرأسماليـة والطبقـة الكادحة سواء بسواء » .

ويقول : إذا أريد شخصيات قوية وسليمة لا كائنات ترد إلى حالـة وصوليين ميكنين ، فيجب خلق التخلي عن الربح الفردي ، والتخلي عن الملكية الأنـانيـة . وأن تقتصر الملكية على الأشياء التي تدخل في نطاق النشاط الاجتماعي لكل فرد .

ويصرح راتينو : من المهم إلغاء الإرث الذي يكرس حصر المال والثقافة . والمجتمع الجديد ، الذي يتصوره راتينو حسب تصوره للأمور ، فيه شيء من السان - سيمونية ، مجتمع دون طبقات ، يكون فيه جميع الألمان عمالاً سواسية في الحقوق والواجبات ومصنفين على طبقات مسلكية . وهذا هو مفهوم **الشتندات** التي أراد راتينو بعثه في معنى جديد ، أي في جماعات مهنية . وعليه يصنف الألمان على طبقات مهنية وفي إطار هذه الشتندات Stände يستعيد الشعب وعيه لعزته ، وتذوقه للعمل ونظامه . ولهذه الأصناف ، المشكلة على هذا النحو ، صفة مزدوجة : وهي أنها نقابات وأيضاً شركات مساهمة . وهذه الدولة الصنفية ، التي تعارض الدولة البرلمانية الغربية العاجزة والعقيمة ، تستطيع وحدها ، حسب راتينو، دمج الطبقة الكادحة في الأمة ، وهي التي تعطي العمال ، مهما كانوا وضيعين ، صناعاتهم ، ومكانهم واحترامهم التي يستحقونها .

كيسرلنغ

الثاني ، الكونت كيسرلنغ ، وهو أرستقراطي ألماني من أصل بالطي وثقافة كونية عالمية ، ورحالة كبير ، وخبير عظيم بالحضارة الهندية بخاصة، ويملك ثروة واسعة . نظم بعد الحرب العالمية الأولى « مدرسة الحكمة » في مدينة دارمشتات الألمانية . وألف عدداً عظيماً جداً من المؤلفات التي أعطى عنها م . بوشيه الذي لبث مدة طويلة أستاذاً للغة الألمانية في السوربون ، دراسة عميقة في كتاب له يسمى « فلسفة كيسرلنغ » وأشهر مؤلفاته : « مستقبل أوربة » وقد صدر في ١٩١٨ .

ينطلق فكر كيسرلنغ من التعارض بين الغرب والشرق ، ونراه يقول : الشرقي عظيم بجهده لإدراك الحياة الكونية وبتجربته المباشرة واليومية . ويمكنه بلوغ ما وراء التمييزات الظاهرية ، وما وراء التحويلات المستمرة للأشياء ، والواقع الأزلي ، ولكنه ، بالمقابل يهمل الواقع الخام ، الحادث الذي يحدث أولا

يحدث ، ويشعوذ الواقع . وعلى العكس ، الغربي الذي يحترس من التصريح بأن العالم الخارجي غير واقعي ، ويجلي في العلوم وفي التقنية ، ويعلم كيف يفرض على الطبيعة إنشاءاته الخاصة ، ويكتب كيسرلنغ ، وذكاؤه ، يصنع في الواقع ، الوسائل التي لا غنى عنها لفتحه وانتصاره . ولكن الغربي ، بالمقابل ، لا يرى في الطبيعة إلا قدرةً للكسب والاستغلال ، ويبذل نفسه بكامله لغايات خارجية ، ومستغرقاً بمساعيه العلمية ، « يمكننك » الوجود الفردي والوجود الاجتماعي . ويخلق حضارة السهولة المادية المعرضة لأخطار الأميركانية .

ويكتب كيسرلنغ ؛ إن الشرق والغرب ، المعرفين على هذا النحو ، في الواقع متكاملان ، يتمم أحدهما الآخر ، وانطلاقاً من هذه الثنائية شرق - غرب ، يجب خلق بشرية متكاملة ، الشرق يأتي بنفاذ الروحانية اللانفعية ، والغرب يأتي بنفاذ الوقائع المحسوسة والتي يمكن حدوثها . « فكروا كما يفعل الشرقي ، واعملوا كما يفعل الغربي ، هذه هي الحكمة العليا » . وبتعريف هذه الثنائية على هذا النحو ، يظهر تفكير كيسرلنغ ، كتفكير راتينو ، بأنه جهد لحذف الميكنة الحديث والوصول إلى البناء الروحي . وهذا الإصلاح الروحي هو ما كان يدور في خلد كيسرلنغ عندما أسس ، في ١٩٢٠ ، مدرسة الحكمة في دارمشتات التي يلتقي فيها العلماء الشرقيون والغربيون وينقلون أفكارهم إلى تلاميذهم ، في جوٍّ ديري . وكانت دارمشتات نوعاً من طائفة جامعية ودينية شبيهة بالطائفة التي أسسها تاغور في الهند ودرس فيها كيسرلنغ .

لأي أهداف سياسية يعمل كيسرلنغ ؟ يقول : إنه يريد أن يحل الدولة الاقتصادية الجديدة محل الدولة السياسية القديمة . ويؤكد - وهذه فكرة نجدها في لحظة أيضاً عند توماس مان - إن الشعب الألماني شعب غير سياسي . وإن ألمانيا لا يمكن أن تنتظم إلا اقتصادياً ، ولكن لا سياسياً . ويقول : إن الألمان لا يحبون ولا يحققون إلا العمل جماعةً . وهنا قوتهم ، وهنا تكمن عظمتهم ،

وبهذه الصفة ، على ألمانيا ، الشعب السلس القياد والمطيع ، أن تحقق الاشتراكية الحقيقية التي هي ، حسب رأي كيسرلنغ ، تضامن العمال ، والتي تعتمد على تعاون الطبقات فيما بينها . وهذه الاشتراكية التي يجعل كيسرلنغ من نفسه ناطقاً باسمها ، تعتمد على ثلاث صفات سائدة عند الألماني :

١ً ـ أرستقراطيته التي ليست شيئاً آخر غير احترام الخبرة والمعرفة ، والقبول عند الغير ، بالتفوق الفكري والروحي في جميع أشكاله ، أرستقراطية القيم الحقيقية للموهبة والكفاءة ، وهذا ما يسميه أرستقراطية المعرفة المحضة .

٢ً ـ حقيقية الألماني ، أي تعلق الألماني بالحقيقة ، ويقول : العقل الألماني أكثر ما يكون موضوعية وعمقاً ، أي استعداداً للحكمة .

٣ً ـ وفاؤه للتقاليد ، ومحافظته العميقة ، هذه هي صفات العبقرية الألمانية التي تظهر له بأنها مستعدة ومهيأة لخلق هذا الشكل من الاشتراكية التي تقابل بها العالم الغربي .

ويرى كيسرلنغ أن حل قضية ما بعد الحرب يكمن في خلق تجمعات اقتصادية كبرى ، تكون فيها القيادة لزعماء صناعيين ، زعماء الصناعة ، زعماء اقتصاد يحلون محل رجال الدولة . وهنا أيضاً نجد تأثير السان ـ سيمونية . ويرى كيسرلنغ أن يتلقى هؤلاء الزعماء الاقتصاديون التربية الأخلاقية وليس التربية العلمية فقط ، ليتخذوا موقفاً مناسباً إزاء الكون ، وحيال رسالتهم الخاصة ، ومسؤولياتهم . وبصورة أدق ، إن مدرسة دارمشتات فتحت من أجل هؤلاء الزعماء الصناعيين . وإن ألمانيا ، بتدمير الدولة ، لتحرير الطاقات الاقتصادية ، تصنع الثورة الحقيقية وتهيئ التنظيم الدولي للبشرية الذي يعتمد على التضامن الاقتصادي .

وقد انتهت رؤية كيسرلنغ برؤية مصالحة أوربية على أساس المصالح المادية .

توماس مان

الثالث : توماس مان ، وهو معروف برواياته (قصصه) . وقد حاول ، على وجه الدقة ، عبر رواياته ، أن يعطي معنى لدور تاريخ العالم الذي يعيش فيه . ويجب أن تقرأ ، بالتالي ، روايات توماس مان كنقد لمجتمع العالم السياسي المعاصر ، وكجهد لتعريف شكل جديد للإنسانية . وأكثرية ذلك أن توماس مان اهتم مباشرة بالقضايا السياسية . وغداة الحرب العالمية الأولى ، منذ ١٩١٨ ، كتب كتاباً يطبع محافظته العميقة وتعلقه ببعض القيم المعنوية الألمانية التي عارض بها الروح الغربية . وهذا الكتاب بعنوان : « نظرات رجل غير سياسي » . ثم بدل توماس مان موقفه السياسي واتجه بالتدريج باتجاه جمهوري ، وشايع جمهورية فيار وأصبح معادياً مصمماً للنازية ، وهذا ما ساقه إلى المنفى متطوعاً عند وصول هتلر إلى السلطة في ١٩٣٣ . وكان مان في الخارج ، في الولايات المتحدة ، واحداً من أولئك الذين دعوا منذ ١٩٣٣ ، إلى مقاومة هتلر .

وكان هو أيضاً ، مهتماً بتأسيس بشرية جديدة تعارض الحضارة الميكنة التي يعيش فيها بلده . ويميز ككثير من الألمان بين الثقافة التي هي الروحانية الحقيقية والحضارة التي تعني في نظره ميكانيكية صناعية ، ويقيم ، من الحضارة ، نقداً متأثراً بقوة بنيتشه . ويرى في الحضارة عقلاً محضاً ، ونشاطاً للفهم مجرداً ، وفلسفة الأنوار ، والشكية الأساسية ، والتفتيت ، وبالتالي ، قيماً معنوية بإفراط من النقد ، مقابل الأهواء والنشاطات العبقرية أو البعيدة عن المنفعة . وإن الثقافة الحقيقية التي يفضلها مان تقع بين البربرية المجردة من القيود الفوضوية ، والحضارة الجافة والآفلة المنحطة . ومن هنا معارضته لعقلانية الغربي . وتأثير الحضارة العقلية والمنحطة ، كما يقول ، درسه في أشهر قصصه ، والمعروفة أكثر من غيرها وهي « آل بودنبروك » حيث درسه في حالة أسرة كبيرة من بورجوازية مدينة لوبيك . وقد أحدث أفراد هذه الأسرة رابطة « الهانس » ، ولكن شوهد

انحطاطهم لأنهم كانوا ضحايا العقلانية الصافية لفلسفة الأنوار (فلسفة العقل) في القرن الثامن عشر ، وضحايا مفاهيم الأتقياء التي فسرت نوعاً من دين معقد للغاية ومعذب ، وأخيراً ، ضحايا هذه العصبية (النرفزة) الحديثة التي ترجع ، من جهة إلى تأثير تشاؤمية شوبنهاور ، ومن جهة أخرى ، إلى التأثير المفسد لموسيقى فاغنر .

ويرى عند توماس مان الاحتجاج نفسه على ميكنة العقل والأخلاق والتوكيد نفسه على ضرورة تجديد يكون في المستقبل ثورة حقيقية . وقد وسعت أفكاره في الحرب العالمية الأولى في داخل جمعية ألمانية كانت نوعاً من لفيف من المفكرين شارك فيه بخاصة عدة أساتذة من جامعة برلين ، مرتبطين بتوماس مان ، وعدة رجال سياسيين حاولوا تعريف ما يسمون « أفكار ١٩١٤ » وهي شكل من الثقافة الألمانية تعارض ليبرالية العالم الغربي . وفي كراسه الصغير « فريديريك والتألب الكبير » الذي صدر في ١٩١٥ بمناسبة النضال الذي قام به فريديريك الثاني ضد خصومه الأوربيين ، هاجم بشدة الحضارة باعتبارها تجسد فرنسا وإنكلترا ، وقابلها ، بصورة اصطناعية ، بفريديريك الثاني الفنان والجندي معاً الذي كانت رسالته تدمير النظام الباطل الذي أحدثته فلسفة الغرب الآفلة .

وفي قصته « الجبل المسحور » التي كتبها ، في ١٩٢٥ ، ظل توماس مان يعتبر نشاط الغرب « عامياً و ميكانيكياً » . والشخصية الهامة ، في هذه القصة ـ التي تمر أحداثها في مصح للمسلولين ، وتتناقش فيه شخصيات تمثيلية تصورها توماس مان ـ : ستامبريني ويمثل نموذج الديموقراطي التافه في الغرب ، والعامل ـ الحر (الماسوني) الباقي على فلسفة متفائلة ، فلسفة القرن الثامن عشر ، و « يعبر ، كما يقول مان ، عن هذر خصيب وباطل » . وهكذا يظهر عند توماس مان ، النفي الجذري الذي يلخص كل الخط السياسي لألمانيا المعاصرة حيال الغرب الأوربي ،

ويعتبر السياسة الديموقراطية والتقدمية شيئاً غير ألماني . وبالعكس ، يشير إلى الروابط الوثيقة التي تربط روسيا وألمانيا . فلقد تأثر توماس مان بصورة واضحة بدوستوويسكي وبالنقد الذي وجهه هذا للأوساط المحبة للسلافية ، في القرن التاسع عشر ، للحضارة الغربية . وعَبّر دوستوويسكي يشجب الغرب على وجه الدقة . ومع ذلك لا يظهر على الإطلاق عطفاً على ما يسمي « التنبؤية الشيوعية الاجتماعية الكونية » المتجسدة في شخص نافتا في رواية « الجبل المسحور » .

وأخيراً ، يظهر توماس مان عداءه لما يسميه « الروح الأممية » المقبولة كمفاهيم اجتماعية وسياسية ، مقبولة لجميع الشعوب دون تمييز ، هذه المفاهيم المأخوذة عن الكاثوليكية اليسوعية ، وعن الماسونية أو عن الشيوعية الماركسية . ويوجد عند توماس مان نقد للأمميات يعبر عن موقفه السياسي والاجتماعي .

إن عداء توماس مان ، في آخر الحرب العالمية الأولى أو في بداية السنوات ٢٠ ، ذهب بالتالي ، إلى الرايخ الثاني ، رايخ بسمارك . فهو يأخذ على بسمارك تحريره وتسييسه لألمانيا كثيراً . لأن الديموقراطية والبرلمانية والسلمية أوجدت في ألمانيا مرضاً مخيفاً . ويكرر توماس مان قوله بأن الألماني بصورة طبيعية غير سياسي ، وهنا ، في رأيه ، تكمن مزيته . فهو غير فصيح ومتعصب ، وأجوف ، ويراد على وجه الدقة حمايته لئلا يصبح كذلك في المستقبل . إن كاستوب ، الذي يمثل في « الجبل المسحور » ، لنقطة ما ، المثل الأعلى عند توماس مان ، يريد أن يقوم الألماني على حضارة آفلة باسم قوة الرجولة التي توقظ الحياة وترعاها . وأن مثله الأعلى هو ما يسميه « ديموقراطية من نموذج ألماني » ، ديموقراطية تجنب امتياز الثروة ، وتعتمد على انتقاء طبيعي ، و تؤدي إلى اتحاد عضوي للطاقات الشخصية والحية .

ولكن ، إذا كان بهذا ، وبكثير من مفاهيمه ، في بداية السنوات ٢٠ يبدو أنه فتح الطريق إلى « عقائدية » تذكر بالقومية الاشتراكية ، فقد تحول بكره عن فكرة الهتلرية ، ولم يقبل أبداً بالاستعمال الذي فعلته النازية بإيحاءاته الخاصة . وفي خطابه في البيتهوفنشوال ، في ١٩٣٠ ، شهر بعنف بالنازية التي لا تعني ، في رأيه ، شيئاً آخر غير الاستسلام للغرائز . ولكن صوت الإنذار جاء متأخراً ، وأمكن القول بالضبط إن توماس مان كان صورة الصانع الساحر .

إن راتينو ، وكيسرلنغ وتوماس مان ، بالرغم من الفوارق اللونية الأكيدة في أفكارهم ، يتفقون على مطالبة ألمانيا بتجديد روحي أهلٍ لتحريرها ، من جهة ، من العقلية الجافة ، ومن جهة أخرى ، من الميكنة الصناعية اللتين تعتبران مميتتين لنموها في المستقبل . ولكن النفوذ الذي مارسه هؤلاء الشخصيات الثلاثة كان فكرياً بصورة محضة . فقد تكلموا بلغة غير مقبولة في الغالب ، وفي جميع الأحوال ، في غير متناول الجماهير ، ولم يكن لهم من تأثير إلا في أوساط ضيقة للغاية .

شبنغلر

وفي هذا العصر الذي صدرت فيه آثار هؤلاء الكتاب ، نشر شبنغلر ، في ١٩٢٠ ، كتابه « أفول الغرب » الذي يدخل في نطاق عدة مؤلفات ظهرت في نهاية الحرب العالمية الأولى ، وتظهر ، حول ١٩٢٠ ، انحطاط أوربة في داخل عالم خرج من الحرب .

وعند شبنغلر ، كما عند توماس مان وكيسرلنغ نجد التمييز بين فكرة **الثقافة** ، أي عضوية (هيئة) حية تنمو حسب قوانينها الخاصة ، **والحضارة** التي هي نوعا ما تثبيت وفناء للثقافة . إن كل ثقافة تنتهي بحضارتها الخاصة . ويقول شبنغلر : « الحضارة مصير محتوم لكل ثقافة » . وبالتالي ، إن هذا التمييز

بين الثقافة والحضارة يكون لصالح فكرة الثقافة ، والحضارة هي نوعاً ما فساد الثقافة .

ويحلل شبنغلر ثلاثة نماذج للثقافة في التاريخ ، مع العلم بأنه يوجد كثير من الثقافات الأخرى ، ولكن ثلاثة أشكال للثقافة ترجع إليها كل الثقافات الأخرى ، الثقافة الابولينية ، والثقافة الصوفية والثقافة الفاوستية .

الثقافة الابولينية هي ثقافة القديم الكلاسيكي . ماذا تعني ؟ إن الناس الذين شاركوا في هذه الثقافة صنعوا لأنفسهم مثلاً أعلى جامداً للأشياء ، دون أي فكرة تطور داخلي ونمو تاريخي . وهذه هي الثقافة الابولينية التي سادت في إغريقية القديمة .

والشكل الثاني للثقافة ، **الثقافة الصوفية** التي سادت مع المسيحية ، ولكنها بلغت ذروتها في الحضارة الإسلامية ، عند العرب . ماذا تعني هذه الحضارة ؟ إن المؤمن جزء من جماعة معينة ، بموجب عمل سري مقدس ، كأن يكون مثلاً ، الختان اليهودي ، والتعميد المسيحي ، والصلاة عند المسلمين . والعضو في هذه الطائفة يلتحم فيها تحت شكل مذهب أو كنيسة . وفي خارج هذه الطائفة لا يوجد إلا كافرون أو وثنيون يجب تجاهلهم أو تدميرهم .

والشكل الثالث للثقافة ، هو الثقافة الفاوستية . ما معنى هذا التعبير ؟ هذا التعبير يعني أن الناس الذين يشاركون في هذه الثقافة عندهم عن الأشياء تصورات لا حد لها ، وعندهم الشعور بالقلق وبالعظمة ، والشعور بتطور غير محدود . والفاوستي إنسان يتطلع إلى صيرورة لا تنقطع ، ويشعر بحاجة إلى تجاوز نفسه باستمرار .

وبعد تعريف هذه الأشكال الثلاثة للثقافة ، درس شبنغلر الأسباب التي جعلت هذه الثقافة تزول ، وتسقط في الانحطاط وتعيش في حضارة . إن السبب

الأسـاسي في الانحطـاط يكمن في مـا يسميـه (الأشكال المنتحلـة) أو الأشكال المستعارة ، أو اخلاط الثقافات . والثقافة تؤول إلى الزوال عندمـا تفسـد بـالتماس مـع ثقـافـة أخرى . فمثـلاً ، إن خليـط الابـولينيـة والسحر أي الشكلين الأوليين للثقـافـة اللـذين رأينـاهمـا ، قـد سببـا ، حسب رأيـه ، سقـوط الإمبراطـوريـة الرومانية . والدول الغربية ، حسب رأي شبنغلر ، دول فاوستية والمثل النموذجي عنده ، هو.اسبانيا . وهذه الدول سرت فيها عدوى الروح السحرية ، هذه الروح السحريـة التي سـادت في الكاثوليكيـة الملكيـة التي فرضت على أوربـة ، في القرن السابع عشر والتي ، نزحت ، في رأيه ، الطاقات الفاوستية . وهكذا يوجـد عنـد شبنغلر عدة تحاليل للأشكال ـ المستعارة التي تؤدي إلى انحطاط الحضارات .

ولهذا ندرس هنا فكر شبنغلر . إن ألمانيا ، في رأي شبنغلر ، بقيت أقرب من الدول الأخرى إلى الروح الفـاوستيـة البـدائيـة ، لأنهـا مـدينـة إلى المفهوم الـديني المطبوع بقوة بمعنى اللانهائي الذي يصنع من الـدين مفهومـاً داخليـاً ، ويجعل من كل مؤمن كاهنه الخاص ، ويتجنب ، بهذا ، من السقوط في « الامتثاليـة » . وإذا بقيت ألمانيا أقرب إلى المفهوم الفاوستي فذلك لأنها مدينـة إلى اللوثريـة التي عمقت الطابع الـداخلي للـدين عنـد الألمـان . ولكن هـذا التعلق بـالقيم الفـاوستيـة ، كما يصرح شبنغلر ، لا يمكن لألمـانيـا الحفـاظ عليـه إلا إذا خضعت لعـدد من الأوامر الأخلاقية التي تبعدهـا بوضوح ، وتصونهـا من الاتصـال بـالعـالم الغربي المنحـط . وستحافظ على تقاليدها الفـاوستيـة إذا خضعت طوعـاً إلى النظـام القـاسي للأمـة البروسيـة . وهنـا ، عرض شبنغلر وجهـات نظره في مـؤلف صغير ، يعتبر تكملـة لـ « أفـول الغرب » ، وقـد صـدر في ١٩٢٠ أيضـاً ويسمى « البروسيـانيـة والاشتراكية » .

وفي تعريف الاشتراكية البروسية يرى شبنغلر سلامـة القيم الفـاوستيـة . فما

هي هـذه الاشتراكيـة البروسيـة ، التي يقـابـل بهـا في جميـع النقـاط الاشتراكيـة المـاركسيـة من النمـوذج الغربي ، ويستنبـط منهـا أصـول فكر فيختـه في كتـابـه « خطب إلى الأمة الألمانيـة » ، ويرى فيهـا الملامح الأولى لهـذا الفكر الاشتراكي ؛ ما هي هذه الاشتراكية البروسية ؟ إنها بكل بساطـة مـدح العمل المنجز جمـاعـةً ، والشعور بخدمة الـدولـة ، والإطـاعـة لأمر المكانـة ، والتطبيق الزاهـد للواجب ، وعمل وأخلاق لا يعملان إلا واحـداً . وهكـذا يـؤول الأمر إلى هـذه التضـامنيـة الاشتراكية التي جسـدتها بروسيـا عبر التـاريخ ، حيث لا يتصور العمل ، في أي لحظة ، تحت زاوية أجرة ، أو مكافأة ، أو كسب ، وإنما يعتبر كخدمة عامة تعتمد على الحرية والطاعة المقبولة .

ومن الواضح بالنسبة لشبنغلر ، كما لكيسرلنغ ، وتوماس مـان أو راتينو ، أن العناصر التي تهدد ألمانيا ، عناصر الانحطاط ، هي الأشكال الغربيـة الـديموقراطيـة السواسية التي تبدو لها تحت الزاوية المفسدة لليبرالية أو الماركسية . وهكذا يقـابل شبنغلر الليبرالية الماركسية بما يسميه « تقاليد الاشتراكية البروسية » .

الفصل الثالث

التجمعات المحافظة الثورية

تَقول هذه التجمعات عن نفسها بأنها ثورية ومحافظة معاً . وتـذكر ضرورة ثورة ألمـانيـة ، أو أيضـاً ثـورة محـافظـة ، معـارضـة لأفكار ١٧٨٩ ، أفكار الثـورة الفرنسيـة . وعن هـذه التجمعـات يحسن الرجوع إلى أ . مولر في كتـابـه « الثورة المحـافظـة في ألمـانيـا ١٩٥٠ » وهـو يميـل إلى تميز هـذه الحركات عن القـوميـة - الاشتراكية ، وإلى كتابٍ لجرماني - أميركي وهو : ك . كلمبرر .

وهو بعنوان : « المحـافظـة الجـديـدة في ألمـانيـا » ١٩٥٧ ويميل إلى البرهنـة ، بعكس الأول ، إلى أن هذه الحركات أفادت قضية القوميـة - الاشتراكيـة ، وذابت أخيراً في النازية .

لقد وجـدت خمس فرق أسـاسيـة ، ولم يكن بينهـا حواجز ضعيفـة ولكن في الغالب ، بالعكس ، روابط هامة .

١ - الفرقة الأولى من هذه التجمعات هي ما يسمى « الفرق العنصرية » وفي الألمانية « فولكيش » ويستشهد أنصار هذه النظريات بـالـدم والعرق ، ويختتمون بحلول جرمانية وشمالية . وترتبـط هـذه الفرق العنصريـة بصورة وثيقـة بـالحركـة العنصرية في آخر الحرب ، وبخـاصـة بفكر هوستون ستيوارت تشـامبرلن ، الـذي عاش أيضاً حتى ذلك العصر .

إن المنظر الأساسي لهذه التجمعات هو هانس غونتر . فقد تأثر بشدة بعرقيي

الجُيل السابق ، وبخاصة فولتمان . وألف عدداً عظيماً جداً من الكتب متسلسلة بين ١٩٢٠ و ١٩٣٧ وأهمها « صيرورة الرايخ » وقد صدر في ١٩٣١ . وقد أصبح فكر غونتر فيما بعد ، بعد ظفر هتلر ، العقيدة العرقية للنازية .

يقبل غونتر بأنه يوجد في أوربة ستة أعراق أساسية ممثلة كلها في ألمانيا . وأهم هذه الأعراق **العرق الشمالي** ، الذي يتميز في رأيه ، ببعض الصفات الجسدية : الطول ، رشاقة القامة ، لمعان الشعر والعيون ، ويتصف بانطباع « حرية تحتقر ونبل طبيعي » . وينقل غونتر على الصعيد الروحي ما يقوله عن الصفات الجسدية : « الشمالي ذكاؤه دقيق ولكن دون حرارة عاطفية ، ولا يحاول أن يعجب الآخرين ، وإنما فقط ، وهذه هي صفته المسيطرة ، أن يبرر نفسه ، بالتالي أن يجيب أمام وعيه لأعماله . الواجب بالنسبة له حقيقة مقدسة . وهؤلاء الشماليون يشكلون عرق الزعماء المعادين لكل حيوية مفرطة ، والمعادين للتجاوزات الجنسية : هذا العرق يضع كل هواه في العمل الذي يقوم به ويحافظ على جميع الصفات التي تميز النبل . والشمالي منظم ممتاز للغاية يستعمل معاً العبقرية المندفعة والتقنية الأكيدة » . والشماليون يحتلون أرفع الوظائف في كل مكان ، ويشكلون بالتالي ، عالم الزعماء « فورير » . والعرق الآري كان مرتبطاً بالأصل ، بتاريخه ، بالهندية ـ الجرمانية ، والشماليون إذن في الأصل آريون ، وصعيدهم الميداني أوراسيا . والعرق الشمالي تغلغل في أوربة وفي ألمانيا بواسطة السهل الروسي . وهكذا أجريت التجربة البشرية لهذا العرق في السهل والمجالات الواسعة . وهنا في هذا السهل اللانهائي ، استنبط الشمالي الأساسي من فكره . وتقرب هؤلاء الشماليون من الشعوب المتوسطية ، شعوب البحر المتوسط ، أو الغربية ، كما يقول غونتر ، واخضعوها . وهؤلاء الشماليون هم إذن في أصل الحضارة القديمة . ويصرح غونتر ، إن هذه الحضارة نفسها هي التي أنشأت

القصور الصربية - الجرمانية ، وشادت عمائر « ميسين وتيرانت[1] » . وفي ألمانيا الحالية يؤلف العنصر الشمالي ٥٠ ٪ من السكان : ٦٠ ٪ في الشمال ، و٤٠ ٪ في الجنوب .

وإلى جانب هؤلاء الشماليين يتشكل العرق الأساسي من « الديناريين » أو « الألبيين » ، وهم حسب رأي غونتر ، أهم عرق بعد الشماليين . وهم أناس بقامة مرتفعة ، ومظهر بطلي ، وفم مرسوم بقوة ، وأنف نسر ، ولهم صفات حربية وعسكرية قوية . ولكنهم أقل جرأةً وأكثر عاطفة من الشمالي ، وأكثر اهتماماً منه بالكلام العظيم والحفلات الفخمة ويعجبون ويسرون بالفن الباروك .

والعروق الأربعة الأخرى تؤلف برأيه ، عناصر منحطة . وهم الشرقيون ، والبالطيون - الشرقيون الذين يرتبطون بالفرع السلافي ، ثم الغربيون أو المتوسطيون الذين فتحهم الشماليون ، في رأيه . وأخيراً **الفاليك** ، وهم عرق أكثر بدائية ، ويوجد في إقليم الهسّ ويتشكل من رجال ضخام ، ثقال ، غلاظ ، متحفظين .

وفي الحقيقة ينتهي هنا تعليم غونتر ، وهو أن تفاوت الأعراق لا يتضمن بالطبيعة الاصطفاء ، بل بالعكس يثيره بسبب المنافسة . والخطر في رأيه ليس تعايش عدة أعراق ، وإنما اختلاطها . وفي اختلاط الأعراق ، كانت المسيحية في رأي غونتر ، مسؤولة بشكل واسع ، لأنها أزالت الحدود بين الأعراق ، وأضعفت بالتدريج الجرمانية الشمالية . وجرى هذا الاختلاط بخاصة بين الأعراق في المدن الكبرى التي كانت السبب في تراجع الشمالي ، لأن الأغراب يسيطرون بعددهم على النخبة ، ولأن الدهماء الخاملة الجامدة تخنق الارستقراطية ، وتجعل هيئة الضباط محتقرة . وانتهى إلى أن نيتشه رأى هذه الكارثة التي أعلن عنها ، ولكنه أخذ

---

(١) ميسين وتيرانت مدينتا حضارة في اغريقية القديمة .

عليه أنه ، عوضاً عن أن يبشر بمذهب التجديد العرقي ، فضل فردية البورجوازي العظيم التي كانت فرديته نوعاً من الجمالية العدمية التي لم تأت لقضية الأعراق بأي حل .

وفي عصر جمهورية فيار ، أثرت أفكار غونتر هذه تأثيراً عظيماً في بعض الأوساط . والواقع ، أن بعض الكتاب يعلقون أهمية كبيرة على إعادة تنظيم كنيسة ألمانية ، ألمانية صرفاً ، منفصلة عن المسيحية . وقد نمت هذه الحركة ، في اتجاه كنيسة ألمانية مبنية على عقائد عرفية وجرمانية ، في محيط الماريشال لودندورف وزوجته ماتيلد ، وأحد أصدقائها ولهلم هاور ، على ضرورة كنيسة ألمانية منفصلة تماماً عن المسيحية .

وفي هذه الأوساط ، حول لودندورف ، خرجت وثائق هامة للغاية في تاريخ العرقية الألمانية المناوئة للسامية ، وهي المشهورة تحت اسم « بروتوكولات حكماء صهيون » التي نشرت في ١٩١٧ ، قبل نهاية الحرب في مجلة أوحى بها لودندورف وتسمى « الحرس الأمامي » . وكانت « بروتوكولات حكماء صهيون » تزويراً ، وتشويهاً لكراس كتب في عهد نابوليون الثالث ضد اليهود . وهي تؤكد ، في المؤتمر الصهيوني للحلف الإسرائيلي الذي عقد في ١٨٩٧ ، أن اليهود الذين شاركوا في هذا الاجتماع ، قرروا إثارة الحرب العالمية بغية وضع سيطرتهم على العالم عبر هذه الحرب . ووسعت هذه الأفكار نفسها في المجلة التي يوجهها لودندورف وتسمى « اليهودية والفران ـ ماسونية » والتي كان يتعاون معها جماعة من محيط هتلر . وكان الحل الذي يفضله لودندورف للقضية اليهودية تأسيس ملجأ « غيتّو » لكافة يهود أوربة ، في روسيا الجنوبية ، على أن تصادر الثروات اليهودية وتستخدم لدفع خسائر الحرب . وكان لهذه المجلة « اليهودية والفران ـ ماسونية » اتجاه مناوئ للرأسمالية ، ومناوئ للماركسية معاً ومتشدد للغاية .

وأخيراً ، وجـد عـدد من الرعـاة الـذين اهتمـوا ، في داخـل الكنيسـة البروتستانتية ، بفصل العنصر اليهودي الـذي أفسـد المسيحيـة في رأيهم . وفي هـذا الاعتبـار تنبغي الإشـارة إلى أنـه تـأسست قبـل وصـول هتلر إلى السلطـة بكثير « كنيسة ألمانية » تفضل حذف جميع العناصر اليهودية في الإيمـان المسيحي . وكان المثـل الرئيسي لهـذه النزعـة الراعي ارنست هـوك . ونمت هـذه الأفكار بصـورة عظيمة في عالم المعلمين وأساتذة المدارس الثانوية في ألمانيـا . وأهم المجلات التي كانت من هذه النزعـة : « المصـادر المقـدسـة للقوة الألمـانيـة » التي ينشرهـا لودنـدورف بخاصة . و « الشمس » التي ينشرهـا ارنست كريـك الـذي أصبح فيما بعـد من أهم ممثلي المخابرات النازية . وكان يعلم ، في عهد جمهورية فيمار ، في مدرسة التربية في فرانكفورت . وأخيراً ، يجب أن نشير إلى أهم هـذه المجلات وهي المجلـة التي تسمى « دوتش فولكشتوم » ، والتي نشرهـا كاتب عظيم الموهبـة وهـو **ولهلم شتـابـل** ، وكانت تفيد كعامل انتقال بين الأوساط العرقية والأوساط المحافظة . وكان شتابل معجباً بحركـة شتوكر المسيحيـة الاجتماعيـة ، وكان بروتستـانتيـاً قـاسيـاً . وتعتبر مجلته من أعظم المجلات المميزة للنخبة الفكرية في ألمانيا في جمهورية فيمار . وامتـد تأثير هـذه المجلـة في أوسـاط البورجوازيـة الصغيرة الألمـانيـة ، عبر هيئـة اهتم بهـا شتابل وتدعى : « رابطة العمال الألمـان القوميين » وتعرف بحسب الأحرف الأولى في ألمانيا بـ « D. H. V » . وهي نوع من تجمع نقابات معادية للماركسيـة يضم في ألمانيا عدداً عظيماً جداً من مستخدمي التجارة .

٢ ـ والتجمـع الثـاني وهـو الأهم من وجهـة النظر الفكريـة ، هـو الفريـق « الشبان المحافظون » . وقد شكله المفكرون الـذين استلهموا من أفكار مولر فـان دربروك . وأصل هذا من إقليم ساكس ـ الـدنيـا ، وينتمي إلى أسرة ملاكي أطيـان لوثريين ، ويتمتع بثروة شخصية ضخمـة ، وقـد سـاح كثيراً في أوربـة قبل حرب

١٩١٤ ، وأصدر كتب فن في الرسم (التصوير) الإيطالي ، وكان على الصعيد الفكري ، متأثراً جداً بقراءته لنيتشه ، ولدوستويفسكي ، وكان من أوائل المترجمين له بالألمانية . ووجد في دوستويفسكي عناصر هجوم ضد العقلانية الغربية . وأصدر كتاب « الأسلوب البروسي » . وفي ١٩٢٢ ، نشر رائعته وصانع شهرته الكتاب الذي كان لعنوانه مستقبل كبير وهو « الرايخ الثالث » . وانتهى يائساً بتطور السياسة في ألمانيا ، وانتحر في ١٩٢٥ .

ما هي أفكار مولر فان دربروك ؟ لقد انطلق من الرومانثية (الإبداعية) . وهو يعتبر أن كل شعب يملك روحاً حية ، ودون أن تتغير هذه الروح في معناها العميق ، تتجسد دوماً بأشكال جديدة . وهذه الروح الشعبية ، يجب تخليصها من الواردات الأجنبية ، لإرجاعها إلى ذاتها . ولذا يجب إرجاع الروح الألمانية بتحريرها من العقلانية التي تضنيها ، هذه العقلانية التي أخذت شكلين خطرين على ألمانيا على حد سواء وهما : الديموقراطية والماركسية . ونراه يصرح ، وهنا نجد بعض أفكار توماس مان أو راتينو : « يجب على ألمانيا أن تثور على العقل » . وهذا التصريح هو أحد أقواله المفضلة . وستقوم الثورة الألمانية باسم الجرمانية ضد القيم العامة التي تجسد الغرب . والروح الشعبية لا تشعر بنفسها إلا إذا استحوذت عليها عاصفة ، هذه العاصفة التي يجب أن تنسف الإطار الفيماري الذي تمسك الديموقراطية والماركسية به الألماني من حلقه . وعلى الشعب الألماني أن يستسلم لوثبته الحيوية وأهوائه وغرائزه التي تحركه وتثيره . وبتعبير آخر ، ستكون الثورة ، ثورة القوى الغريزية على الظلم العقيم واللامعقول للعقل . ولا يمكن أن تنجح إلا بطاعة الجميع للنداءات العميقة للغريزة الألمانية . وستكون ، بحسب الشكل الفاغنري ، اللاشعور الذي يخدم شعوراً جديداً . وما الذي يجعل ، في رأي مولر فان در بروك ، هذه الثورة الألمانية ممكنة على العقل ؟ . هنا يدخل الاعتبارات الديموغرافية ويقول : إن فرط السكان الذي

يعيش فيه الرايخ ، يجب أن يكون عنصر الثورة وشرارتها . وقد استوحى من أعمال راتزل ، أحد مجددي الجغرافيا الألمانية قبل الحرب ، وبنى أسطورة الشعب دون مجال . إن ألمانيا أمة متزايدة السكان تعيش في مجال ضيق كثيراً . وليس الكادحون الحقيقيون في ألمانيا العمال والحرفيين ، وإنما هم من يزيدون عن عشرين مليوناً » . وعليه يقبل مولر بزيادة سكان الأمة الألمانية ، إلا أنه يشجب على الأقل إطلاق كل نوع من المالتوسية . ويرى أن الديموغرافية الألمانية لها بالضبط صفة ثورية لأنها تنطلق من حادث طبيعي ، وهو أن زيادة الولادة حادث حركي يحسن الخضوع أمامه . وإن ألمانيا التي تبشر بالاحتياطات وتحديد النسل تكون غير مخلصة لعبقرية العرق . ولذا فإن قضية زيادة السكان تستدعي ، في رأيه ، حلاً كاملاً يوجد في عبقرية الألماني الذي تكمن عظمته في تذوق المخاطرة ، والفتح والمشروع . وليست زيادة السكان ، بالتالي ، حسب مولر ، إلا مظهراً من هذه الحركية الحيوية ، والتراكم العظيم لطاقة دون استخدام . وهذه الزيادة في السكان تبرر دفع ألمانيا من الداخل نحو الخارج . وله هذا القول الفائق للعادة : « نحن الألمانيين معدون لئلا نترك الآخرين في راحة أبداً » .

وفي هذا الزحف نحو الفتح يجب تدخل بروسيا . ونجد في كتاباته إعجاباً ثابتاً بالملامح الكبرى للتاريخ البروسي ، وبعمل النظام التوتوني في سبيل ملكية آل هوهنتسو لرن . وإن دور بروسيا في هذه الحركة التي تميز ألمانيا ، يكون في تنظيم الجماهير وتوجيهها . إن ألمانيا الفائضة السكان تكون ، بدون بروسيا ، جماهير جامدة لا حراك فيها ، وبفضل بروسيا يتجسد الحلم الألماني . وبفضل بروسيا تصبح ألمانيا ، حسب قول سيتكرر غالباً على لسان المعجبين بها ، أثينة وسبارطة معاً . وستكون الدولة الداعمة التي تنظم طموحات الجرمانية المتقدة . وهي كمركز تأثير ، تمنع الرايخ من الإشعاع في الفراغ ومن التعرض لمغامرة امبريالية دون غد . إن الروح البروسية تكشف في الواقع ، برأيه ، عن قدرة

فائقة في البنـاء المعماري ، ضمان البنـاء السيـاسي القوي . وبروسيـا هـذه هي التي تعين وتقرر بنية الرايخ الثالث ، وستكون هذه البنية اشتراكية قومية . وستـدمر الاشتراكية الجديدة فكرة « الكادح » التي شكلتهـا العقـائـديـة المـاركسيـة ، وإن الجماهير ، التي تعدل عن كونها « مكدحـة » ، ستعطي للحوادث الحـاليـة اتجـاهـاً جديداً ، وستنضم بالتدريج إلى الأمة ، ولن يكون ، في هذه الدولة الاشتراكيـة ، نزاع طبقات ، وإنما تضامن رب العمل والمأجور في نطاق اقتصاد قومي .

وفي هذا المعنى ، يعجب مولر فان در بروك ، حتى نقطة ما ، بالعمل الـذي تحقق في روسيا السوفياتية ، ويهنئها على تأسيسهـا اشتراكيـة ذات صفـة قوميـة . ويقول : « الاشتراكية هي الواقع الذي تشعر فيه أمة بكاملها بأنها تعيش معاً » .

وستلتحق النتائج التي استخلصها مولر فان در بروك في الاشتراكية القوميـة من النـوع البروسي ، بـالمفـاهيم التي وسعهـا شبنغلر في كتـابـه : « البروسيـانيـة والاشتراكية » التي لا يتمثل فيها العمل بأنه مأجور ، وإنما كخدمـة عـامـة ، وإن الطـاعـة تكون في التضحيـة للجماعـة . وإن بروسيـا ، في نظر هـذين المـؤلفين ، تجسد هذه القيم .

هــذه هي مجمـوعــة الأفكار التي تشكل مــذهب مـولر فــان در بروك والتي ستشكل عقائدية تجمعات « الشبان المحافظون » . وقد تغلغلت هذه العقائديـة في أوسـاط المحـافظين الألمـان ، بفضل أحـد أصـدقـائـه : فون غلايشن منشئ حلقـة برلينيـة تسمى « نـادي حزيران » الـذي أسس غـداة الحرب العـاليـة الأولى ، في ١٩١٨ ، وفرضت فيـه أفكار مـولر فـان در بروك بسرعـة . وكان نـادي حـزيران نقطة الأصل لعدد عظيم جداً من الهيئـات والتجمعـات التي تجـدد فيهـا المـذهب المحافظ الألماني . وبين هذه التجمعات تجـدر الإشـارة إلى أن نـادي حزيران أنشـأ

كلية سياسية ، وباتصالها مع مدرسة العلوم السياسية الحرة في باريس ، كانت تعطي تعليماً سياسياً وجدت فيه أفكار مولر فان در بروك طريقها . وكان نادي حزيران يضم شخصيات تنتمي إلى أوساط مختلفة . وبين أعضاء هذا النادي يجب أن نشير بخاصة إلى العالم بعلم الاجتماع أوتمار شبان الذي علم علم الاجتماع زمناً طويلاً في جامعة ڤيِنّا ، ولعب دوراً عظيماً جداً ، بعد الحرب العالمية الأولى ، في الأوساط المحافظة الألمانية . وألف كتاباً يسمى « الدولة الحق » صدر في ١٩٢١ ، وفيه حاول أن يعطي من جديد حياة لنظريات الرومانتية (الإبداعية) السياسية التي وسعت في بداية القرن التاسع عشر . وهو المنظر لتمثيل الأمة بطبقة ، وبالتالي ، بتسلسل للمجتمع قوي للغاية . وإلى جانب المفكرين ، نجد في هذا النادي عدداً كبيراً جداً من العسكريين ، وبخاصة الجنرال **فون سيكت** الذي سيكون منظماً للرايخوير ، والأميرال فون تروتا . ونجد فيه أيضاً عدداً عظيماً من الدبلوماسيين ، ومن بينهم الشخصية التي وقعت معاهدة فرساي باسم ألمانيا ، الكونت **بروكدورف - رانتزو** الذي يصبح بعد قليل سفيراً في موسكو . وأخيراً ، نجد أيضاً عدداً من الرجال السياسيين من الوسط حتى اليمين ، وبين رجال اليمين ، الكونت فستارب ، والمصرفي الشهير **هوغنبرغ** الذي كان دوره عظيماً في وصول هتلر إلى السلطة .

ثم تحول نادي حزيران ليصبح « نادي السادة » ، وكان سوق الأعضاء فيه محدوداً أكثر مما في نادي حزيران ، وأكثر محافظة أيضاً .

وكانت المجلات التي نشرها أعضاء هذه التجمعات الفتية المحافظة عديدة للغاية ، ويجب أن نشير بخاصة إلى اثنتين منها : « الوعي » وكان يشارك فيها مولر فان دربروك الذي ظهر غداة الحرب ، ومن بعد « الحلقة » التي كانت لسان حال نادي السادة . ولكن الشبان المحافظين مارسوا أيضاً نفوذهم على عدد عظيم

جداً من المجلات الألمانية التي لم تكن مرتبطة بهم ، ولكنها تأثرت بنفوذهم بخاصة . وأشهر هذه المجلات مجلة « المنظر الألماني الشامل » .

تسود في مجموعة هذه الأوساط ، حالة رأى ملكية ، ولكن الشبان المحافظين يعلمون أيضاً أن العودة إلى الملكية مستحيلة تماماً ، وبالتالي ، لم يقفوا طويلاً على أسفهم . وهم يفضلون نظرية دولة سلطوية صنفية ومسيحية . وأخيراً ، يجب أن نشير إلى أن هذه الأوساط الشابة المحافظة ترجح في أدب ألمانيا السياسي ، فكرة الرايخ التي جعلها على الموضة مولر فان دربروك ، مؤلف « الرايخ الثالث » ، والرايخ ، في رأيهم ، دولة فوقمية (فوق قومية) تتجاوز بصورة واسعة في المستقبل حدود الإمبراطورية البسماركية ، وتسيطر بطابعها الجرماني ، على مجموع شعوب أوربة الوسطى . ومن المهم في هذا الاعتبار قراءة كتاب يلفت النظر للغاية لأحد أعضاء هذا الفريق ، وهو إدغار يونغ وسيكون مصيره فظيعاً ، ويصبح خصماً للقومية - الاشتراكية ويقتله النازيون في ١٩٣٤ . وكان في ذلك الحين أمين سر **فون بابن** . ففي ١٩٣٣ ، وقبل وصول النازية إلى الحكم ، نشر إدغار يونغ كتاباً يسمى « تفسير الثورة الألمانية » كافح فيه بعنف مبدأ القوميات باعتباره إحدى نتائج الديموقراطية ، وعرف بمعارضة مبدأ القوميات ، رايخاً ألمانياً « فوقمياً » باعتباره الوحيد القادر على تأمين عيش شعوب مختلفة ، ويرى ، في هذا الرايخ الذي سيغطي أوربة الوسطى ، أن ألمانيا ستكون فيه المبدأ الموجه ، وأن هذا المفهوم للرايخ هو المفهوم المسيحي الوحيد بحق . والدولة القومية كما هي في نظره ، دولة وثنية . وستصبح الثورة الألمانية ، بالتالي ، مناقضة للثورة القومية ، ومناقضة لمفهوم القوميات ، كما عرفتها مبادىء ١٧٨٩ ، مبادىء الثورة الفرنسية .

٣ - والفريق الثالث هو الفريق القومي الثوري . وقد خرج في القسم الأعظم منه من تقاليد الجيوش الحرة . ومن بعد فلا عجب في هذه التجمعات

القومية - الثورية ، أو القومية - البولشفية - التعبيران كانا مستعملين - من أن تقرأ مؤلفات الممثلين الرئيسيين لهذه الجيوش الحرة ، كمؤلفات سالومون ، وأن تحظى بنجاح كبير جداً . ولكن الكتاب المحظي عند القوميين - البولشفيين سيكون مؤلف **يونغر** الذي عرف في مجموع كتاباته ما أسماه « الأمة الجندية » ، وطبع الجيل الألماني بعد الحرب بشدة .

كان يونغر الممثل الانموذجي لهذا الجيل الذي حارب للحرب ، لأن الحرب شكل للوجود ، ولم ينسب إليه أي سبب للوجود ، وأي غائية في ذاتها . ولم يقاتل يونغر لا في سبيل الإمبراطور ولا في سبيل النصر ، لقد قاتل ليحارب . ولا يعتقد - وهو أحد المؤلفين الألمان في ذلك العصر - بأسطورة طعنة الخنجر في الظهر . وكانت الهزيمة بالنسبة له ضرورية إطلاقاً لتستطيع ألمانيا النهوض فيما بعد . وتبدو الحرب ليونغر بأنها تسير الإنسانية بصورة ضرورية كالغريزة الجنسية . ولهذا السبب رأيه قاطع . وستظل الحروب زمناً طويلاً ما بقي الناس . إنها بلاء ضروري ، وقوة شافية ، ويرى يونغر فيها يقظة العواطف العميقة ، وحاجة أساسية للتعبير عن الأهواء الراسخة المتأصلة ، وإن بريق الثقافة قد أضعفها ولكنه لم يدمرها . ويقول : « لا تقبل عالمكم الوديع والصافي ، نريد العالم بكامل مجموع إمكانياته . ففي هذه الحرب اخترعت ألمانيا مصيرها ، واخترع المحك المشترك الروح المشتركة . حقاً لقد غلبت ألمانيا ، ولكن هذه الهزيمة كانت شافية لأنها أسهمت في إزالة ألمانيا القديمة ، وكان من اللازم أن تزول ألمانيا العجوز لتستيقظ أمة جديدة ، ولتعي نفسها . كان ينبغي أن تخسر الحرب لتكسب الأمة » .

هذه هي أفكار يونغر عن الحرب التي أتمها ، في ١٩٣٢ ، بمؤلف يسمى « العامل » وكان له أيضاً تأثير كبير على جيل ما بعد الحرب . وفي هذا الكتاب

يقف يونغر ضد المفهوم الغربي للحرية ويؤكد على أن الحرية الحقيقية لا توجد إلا في الطاعة ، والتجنيد الكامل للإنسان لعمل مشترك . وكان يدل في مؤلفاته على أن طريق القرن العشرين هو طريق التضحية ، والخدمة . وينكر على الإطلاق الاحترام الواجب للشخص الفردي . « على العالم أن يزول ويترك المجال إلى عالم العامل » وانطلاقاً من هذا العالم ، عالم العمال ، تخلق قيم جديدة . وبالإجمال ، إن يونغر يجعل من عالم العمال الثورة النيتشية الكبرى مبدعة القيم الجديدة . ومن بين هذه القيم ، تأخذ واحدة مكاناً متفوقاً ، وهي التقنية . وهذا يعني أن فكر يونغر يوفق في عالم العمال بين فكرة التضحية في سبيل الجماعة وتحسين التقنية الصناعية . ويرى أن روسيا البولشفية ، بدفع ستالين ، حققت هذا الأفضل ، هذا النموذج الجديد للبشرية .

وبين هؤلاء القوميين ـ الثوريين أو القوميين ـ البولشفيين ، يميز في سياق دور جمهورية فيار عدة فرق ، وأشهرها « الجبهة السوداء » التي كان يوجهها أوتو شتراسر . وكان من أقدم أصدقاء هتلر . وانفصل عن الحزب النازي في ١٩٣٠ ، لينشئ هذه الجبهة السوداء ، بينما ظل أخوه ، جورج شتراسر ، الذي كانت له نفس أفكاره على الصعيد الاجتماعي ، يناضل في الحزب النازي حتى كانون الأول ١٩٣٢ . وقد شبه في الغالب أوتو شتراسر ، في إطار الأحزاب الألمانية ، بتروتسكي . وفي الواقع ، إن فكره لم يكن ثورياً كما قيل : فقد كان يحلم بتضامنية تقيم الانسجام بين رأس المال والعمل .

وأجذر ، في الواقع ، من أوتو شتراسر ، كانت شخصية نيكيش الذي شارك ، بعد الحرب ، في مجالس العمال في مونيخ . فقد أسس مجلة تسمى « المقاومة » ، وكان عمله عظيماً في بروسيا وفي ساكس . وفي هذه المجلة تقرأ جملٌ كهذه الجملة : « إن نهضة ألمانيا تتطلب لزوم نسف النظام الغربي . وعلى ألمانيا أن

تتحالف مع كل من يهدد النظام الأوربي ، وعليها حل الثورة العالمية ، وأن تجعل من نفسها لغماً ضد أوربة » . وفي الحقيقة ، إن نظرية نيكيش معادية لأوربة بصورة فائقة . وعلى ألمانيا أن تعتمد على روسيا لتدمير النظام الأوربي . وقيل أن نيكيش كان مؤسساً لمحور سبارطة ـ بوتسدام ـ موسكو . وكان يلح على ضرورة تحالف ألمانيا القومية مع الثورة البولشفية . وتناول العقائدية الماركسية ، ولكنه حولها في نفس الاتجاه الذي حولها فيه قبل الحرب الإيطالي كوراديني ، ونقل الفكرة الماركسية في نزاع الطبقات ووضعها على الصعيد القومي : وهي أن النزاع الحقيقي هو النزاع بين الأمم . وهنا يظهر له دور روسيا المنقذ .

ولكن نيكيش لم يشايع الهتلرية أبداً . ففي ١٩٣١ ، نشر كتاباً يسمى « هتلر ، قدر ألماني » ، وفيه يمثل الهتلرية كظاهرة أو تشخيص للمثل الأعلى البورجوازي الذي يكرهه . ثم كتب فيما بعد ، بعد أن اضطر لمغادرة الرايخ الهتلري ، مؤلفات عنيفة ضد النازية .

والفريق الثالث هو الفريق الذي كان يوجهه كارل بيتيل ، في نفس الاتجاه دوماً كما في السابق . أسس جريدة تسمى « الأمة الاشتراكية » التي تناولت في الواقع مجموعة نظريات الحزب الشيوعي الألماني ، ولا سيا تشريك (تأميم) وسائل الإنتاج ، غير أنه يمتاز فقط عن الحزب الشيوعي في أنه لا يقبل بتأثير موسكو المباشر على السياسة الشيوعية الألمانية .

وكل هذه التجمعات تتصف بصفة مشتركة ، وهي أنها تلح ، على صعيد السياسة الخارجية ، على تحالف وثيق مع روسيا البولشفية . وأن التحالف الجرماني ـ الروسي ضد الدول الغربية يجب أن يؤدي إلى بلبلة أوربة ويساعد ألمانيا على استعادة مكانتها كدولة كبرى . وهذه الفكرة السياسية التي هي فكرة التجمعات القومية ـ البولشفية كان يشترك فيها شخصيات هامة من العالم

الدبلوماسي الألماني ، مثل الكونت بروكدورف - رانتزو الذي كان سفيراً في موسكو ، أو حتى عدد من العسكريين الألمان . وليست بعيدة عن أفكار الجنرال فون سيكت .

وأخيراً ، يجب أن نشير إلى أنه كلما تقدم العهد في سياق جمهورية ڤيار ، يلاحظ وجود مواقف مشتركة للقوميين - الثوريين والشيوعيين الألمان . وهكذا نرى في عصر احتلال الرور أن شلاغيتر الذي ارتكب أعمال إحباط ضد السلطات الفرنسية ، ظهر بطلاً للشيوعية والقومية . وأخيراً ، بعد ١٩٣٠ ، يجب أن نشير إلى أن ضابطاً شاباً قومياً - اشتراكياً قد لوحق بسبب دعاية قومية - اشتراكية في الجيش وأن ويلهلم شيرينغر في ١٩٣١ ، انتقل إلى الحزب الشيوعي ، وأن التوافق كان موجوداً بين التجمعات القومية والتجمعات الشيوعية .

أمام هذه الحالة ، ما موقف السلطات السوفياتية ؟ من المؤكد خلال مدة طويلة ، أن تقارب القومية والشيوعية كان يدعمه أنشط أعضاء الأممية الثالثة ، راديك ، الذي لعب دوراً في الحركات الثورية الألمانية بعد ١٩١٨ ، وحبس في سجن في برلين بين ١٩٢٠ و ١٩٢٢ ، ثم أطلق سراحه ، وأقام علاقات وثيقة مع عدد كبير من الشخصيات المنتمية إلى الأوساط القومية . ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن هذه النزعة إذا دعمت في روسيا من قبل بوخارين ، أي بالإجمال ، ما يسمى بولشفية اليمين ، فإن لينين وستالين لم يكونا مشجعين لها . فقد كان دعم لينين وستالين للحزب الشيوعي الألماني ، ولم يكن للأحزاب القومية الألمانية التي كانت تغازل البولشفية .

وأخيراً ، لإنهاء هذه الدراسة للحركات القومية - الثورية ، يجب أن نشير إلى دور مجلة « العمل » ، التي كانت باختصار ، همزة وصل بين القومية الثورية والمحافظة الفتية . وكان يوجه مجلة « العمل » في السابق أوجين ديتريتش ، ثم انتقلت بعد ١٩٣٠ ، إلى يدي صحفي آخر ، هانتز زيرر . وضمت هذه المجلة عدداً

كبيراً من الكتاب والصحفيين من ذوي القيمة . وكان عملها عظيماً في ألمانيا فيار ، فقد كان لها حتى ٠٠٠ , ٢٠ قارئ . وعندما استلم الجنرال شلايخر السلطة في ١٩٣٢ ، كان آخر مستشار في جمهورية فيار . وأصبحت « العمل » (Tat) جريدة رسمية . وكانت العلاقات وثيقة للغاية بين هذه المجلة والجنرال شلايخر .

وعلى الصعيد الدستوري ، كان المحرر الأساسي الحقوقي كارل شميت . فقدألف كتاباً يدعى : « حارس الدستور » صدر في ١٩٣١ ، وانتقد انتقاداً لاذعاًدستور فيار . وبين أن هذا الدستور يعتمد ، كالرايخ الثاني ، إمبراطورية بسمارك الألمانية ، على تسوية ، حل وسط ، بين مختلف أحزاب الشعب الألماني . وعليه فدستور فيار دستور واقعي لأنه يعبر عن تعدد الأحزاب التي أصبحت كتلاً كثيفة وبوروقراطية في ديموقراطية كديموقراطية فيار ، وكتب : « إن المجموعات الضيقة - أي الأحزاب - تدمر المجموعة القومية » . ويرى شميت أن حارس الدولة في شخص رئيس الرايخ الذي يستطيع وحده ، أن ينقذ الدولة أمام تعددية الأحزاب . ويرجو ما يسميه ديموقراطية رئاسية ، وأن تكون سلطات الرئيس من طبيعة يرد فيها عمل الأحزاب إلى العجز .

والصحافي الآخر الذي تجب دراسة أفكاره هو **فردينانـد فريد** ، مؤلف كتاب يسمى « نهاية الرأسمالية » ، صدر في ١٩٣١ ، وهو المنظر على الصعيد الاقتصادي ، والمجال الحيوي ، والاكتفائية الاقتصادية . فأمام عالم رأسمالي تحدد معالمه ميادين نيويورك ، ولندن ، وباريس ، يقف ، كما يقول ، عالم الاكتفائية الذي يمثل القيم القومية والاجتماعية . وإن ألمانيا ، بالتالي ، ليست معدة لأن تقبل القواعد التي يُريد المال الدولي أن يفرضها عليها ، إنها تريد دولة تكفي نفسها بنفسها ، وتعتمد على ما يسميه فريد « التضامنية القومية » ، أي دولة اكتفائية بنفسها . وتوضح أفكار فريد في الجزء الأكبر منها أفكار أستاذه

زومبارت الاقتصادي . فقد كتب هذا الأستاذ كتاباً يسمى « الاشتراكية الألمانية » ، وبين في اتجاه فريد نفسه ، أن الاشتراكية يجب ألا تكون واقع طبقة اجتماعية ، الطبقة الكادحة أو البورجوازية الصغيرة ، وإنما يجب أن تكون واقع الأمة بكاملها ، منهجية اجتماعية ، أي شكلاً لتنظيم الحياة بكاملها . وهذه الاشتراكية ، في رأي زومبارت ، يجب أن تتحرر بكاملها من معطيات الليبرالية والماركسية وبشكل لا يربح فيه أي من الأطراف . وبموجب هذه الأفكار . اتخذ فريد موقفاً في مجلة « العمل » لوصول هتلر إلى السلطة ، ولكن شريطة أن يقطع هذا علاقاته بالعناصر الرأسمالية ويقيم تضامنية اجتماعية لا تختلط بالشيوعية . وكما هو معلوم لقد رأى فريد أوهامه مخدوعة بهتلر .

وكان الصحافي الآخر هانز زيرر مدير مجلة « العمل » يهتم بخاصة بقضية توجيه الدولة . ويقول : « للحيلولة دون تمييع الجماهير يجب خلق نخبة جديدة ، طبقة أو لوج أعلى ، دركتوار (حكم إدارة) جديد قادر على توجيه ألمانيا » . ويرى عناصر هذه النخبة الجديدة في حركات الشبيبة التي شارك فيها قبل الحرب ، وفي حركات المحاربين القدماء وفي الحركة الهتلرية نفسها . ويجب أن تخرج هذه النخبة من الجماهير حسب اصطفاء طبيعي ، وتحكم باتفاق مع الشعب . وفي هذا ما يساعد ، في رأي زيرر ، ألمانيا على التخلص من البولشفية والفاشية معاً .

وأخيراً ، كان **ليؤبولد دينغريف** يهتم بخاصة ، في مجلة « العمل » بالقضايا الدينية . وفي رأيه ، يجب الرجوع إلى تقاليد الدولة اللوثرية ، أي إلى دولة زعيمها غير مسؤول عن تسيير الشؤون العامة إلا أمام الله وأمام وجدانه . ويرى أن المسؤولية من النوع الديني أقوى بكثير من الرقابة الدستورية أو البرلمانية وأن البرلماني الألماني المعاصر خان ، في رأيه ، قضية المبادىء اللوثرية .

وباختصـار ، إن دنغريف يرى حل القضيـة الألمـانيـة في تحـديث البروتستـانتيـة السياسية .

وأخيراً تجب الإشـارة ، وربمـا كانت هـذه النقطـة أهم النقــاط ، إلى أن « العمـل » اهتمت بكثرة بقضـايـا السيـاسـة الخـارجيـة . وفي هـذا المجـال كان الاختصاصي الرئيسي ڤرسنغ . فقد بين أن مستقبل ألمـانيـا يكمن في جنوب ـ شرقي أوربـة . وكان ، هو أيضـاً ، منـاصراً للاكتفـائيـة ، و « المجـال القـومي المغلـق » ويقول : « وهـذه ستكون منـذ الآن فصاعـداً الفكرة المـوجهـة لسيـاسـة ألمـانيـا الخـارجيـة : أي تشكيل مجـال قومي مغلق ، ولهـذا يجب وضع كابـح للتصنيـع ، وتوسيع قواعد أراضي ألمانيا الزراعيـة ، وإقـامـة العـاطلين عن العمل في الريـف . ومع ذلـك ، فـإن الاكتفـائيـة المطلقـة ، ولو بطرق دراكـونيـة لا يمكن الحصـول عليها . ولما كانت ألمانيا لا تستطيع ، لتموينهـا بـالأغـذيـة ، تطبيق الاكتفـائيـة المطلقــة ، فيجب عليهــا أن تعلم بــأن جنــوب شرقي أوربــة ، ولا سيما البــلاد البلقانية ، يمكن أن تغطي على الأقل ربع وارداتها بالحبوب . وأن أوربة الوسطى والشرقيـة تكـون ، بـالتـالي ، دومين ألمـانيـا ومصيرهـا . وعلى ألمـانيـا ، في هـذه المناطق ، أن تقوم بمبادلة السلع « منتجاتها الصناعية ، مقابل المنتجـات الزراعيـة لهذه البلاد » . وهذه النتيجة لا يمكن الحصول عليهـا ، برأي محرر « العمل » إلا بالقطيعة الاقتصادية مع الغرب . وبالمقابل ، إذا كان على ألمانيا أن تقطع علاقاتها اقتصادياً مع الغرب ، فهناك كما تشير مجلـة « العمل » إمكان تبـادل اقتصـادي مع روسيا . وكان يشعر بإعجاب شديد بستالين وبسياسة الخطط الخمسيـة . وفي رأي فرسنغ ، أن ستالين تخلى عن الماركسية الدولية ، وتحول عن الثورة العامـة لإنشـاء روسيا جـديـدة ، على أسـاس قومي واشتراكي ، روسيـا التي تشتغل بروح النظـام والتضحية . ويقول : « لقد وطـدت روسيـا مزج الـدولـة والمجتمع ، الـذي أهملتـه

أوربـة الغربيـة تمـاماً » . وحسب أفكاره عن روسيـا ، يشير فرسنـغ إلى ضرورة اقتصاد مخطـط روسي - ألمـاني ، وهـذا الشكل الاقتصـادي ، في رأيـه ، أكبر واقع للمستقبـل القريب . يجب هـدم الحـذر وعـدم الثقـة وسوء الظن التي تفصـل الـدولتين ، وإدخـال ألمـانيـا في إطـار تنظيم جـديـد لأوربـة الوسطى والشرقيـة بالقطيعة مع الغرب .

وقـد ركب هـذه النظرات المختلفـة معـاون آخر لمجلـة « العمـل » ، وهـو **روزنستـوك** ، مـؤلف كتـاب أحـدث كثيراً من الصخب في عصره ، وصـدر في ١٩٣١ ، ويسمى : « الثورات الأوربيـة » حـاول فيـه أن يعرف التقليـد الثـوري الألمـاني . وفي رأيـه ، يوجـد نموذجـان للثورات التي ظهرت حتى الآن : الثورات الغربيـة ، الثـورة الإنكليزيـة . والاستقـلال الأميركي ، والثـورة الفرنسيـة . التي ولدت **العالم البورجوازي الليبرالي** (الحر) ونمو الرأسمالية الخاصة . ومن جهة أخرى ، الثورة الروسية التي دمرت هـذه البورجوازية نفسهـا ، وأنشـأت **دولـة كادحة** . وبين هذين النموذجين من الثورات ، يجب أن تكون دولة ألمانيا . وهذا النموذج سيختلف عن السابقين ، لأنه لن يكون ثورة اجتماعيـة ، وإنما ثورة ذات طابع روحي . وقد بدأ لوثير هذه الثورة باحتجاجه على الفكرة الرومـانيـة بـاسم روحـانيـة المسيح إذا أخـذ بصورة منعـزلـة . وعلى ألمـانيـا المستلهمـة من التقليـد اللوثري ، أن تقوم بثورتها بـالقطيعـة مع النظـام الـدولي بغيـة غلفنـة داخليـة ، وبغية إنشاء نظام قومي لا يدين بشيء إلى العالم الخارجي .

وبعد فهذا عـدد من الأفكار ، المتنـاقضـة أحيـانـاً ، التي أوحي بهـا في مجلـة « العمـل » : ففي الداخل ، تحبذ هذه المجلـة دولـة سلطويـة واقتصـاداً موجهـاً في إطار الاكتفائية القومية ، على مثال الروح البروتستانتيـة والتقليـد اللوثري . وفي الخارج ، تعلن ضرورة القطيعة مع ليبرالية الغرب الاقتصادية ، وروابط جديـدة مع روسيا السوفياتية ، وزحف توسعي في أوربـة الوسطى والشرقيـة . ويجب أن

نلاحظ أن فريق مجلة « العمل » لم يشايع أبداً الحلول الهتلرية . وعندما بعثرت حوادث ١٩٣٣ مجلة « العمل » فضل معظم معاونيها زوالهم من المسرح السياسي على مشايعتهم الهتلرية . والأكيد من ذلك على الأقل ، بالرغم من كل شيء ، ان الأفكار التي أذاعتها مجلة « العمل » بإصرارها على القطيعة مع الغرب ، ونقدها اللاذع لجمهورية فيار ، قد مهدت بصورة عريضة ، الطريق للقومية - الاشتراكية .

٤ - فرق الشباب ، حركات الشبيبة ، الفريق الذي يسمى بالألمانية « بونديش » ويرتبط عموماً ، بفرق ماقبل الحرب المعروفة تحت اسم « العصافير الدورية » . فقد استمرت هذه الفرق في نموها في جمهورية فيار . وفي آخر السنوات ١٩٢٠ كانت نحو ٥٠ إلى ٦٠,٠٠٠ عضو . ويتضح فكرها بصورة أساسية في آثار القصصي فليكس الذي توفي في آخرِ الحرب العالمية الأولى ، وكان مؤلفاً لكتاب يسمى « بين عالمين » . وستيفان جورج . وهو برنامج ينزع إلى فرض نوع جديد للحياة يعتمد على الصداقة ، والتضحيات ، ومعاداة العالم البورجوازي ، وجمهورية فيار التي تعبر عنه . وكان الكتاب الذين يفضلون هذا الموقف يدافعون عن مبدأ العائلة ، ولكنهم يصرحون بأن التشكيل الحقيقي للفرد لا يمكن أن يكون إلا في تجمعات رجولة . وهكذا كان المنظر الأساسي لحركات الشبيبة هانز بولر ، مؤلف كتاب يسمى « دور الحب الجنسي في جمعيات الرجولة » .

بين هذه الجمعيات في حركات الشبيبة يوجد : « نظام الشبان الألمان » ، الذي أسسه ارتور ماراون عقب الحرب العالمية الأولى ، بين المحاربين ، على أساس قومي وشعبي . ولكن هذا النظام يتميز بصورة عظيمة عن سائر الحركات بهذا الواقع وهو أنه كان دوماً محبذاً لفرنسا ، وبموقفه الجمهوري أيضاً . وفي ١٩٣٠ ، أنشأ ماراون حزباً جديداً يسمى « حزب الدولة الألمانية » وذلك للدفاع عن

الجمهورية ضد خصومها من اليمينيين ـ المتطرفين ومن اليساريين ـ المتطرفين . ووضع ماراون ، في ١٩٣٢ ، خطة هدفها معالجة البطالة بخدمة العمل الإجبارية ، واستعمار بعض الأراضي في الشرق . وكان معادياً جداً للنازيين ، وأوقف عند وصول هتلر إلى السلطة .

٥ ـ وأخيراً وجد فريق خامس يسمى « حركة شعب الأرياف » وقد نما بخاصة بعد ١٩٢٩ ، بسبب نمو الأزمة العالمية ، وكان مركزه إقليم شلزفيغ ـ هولشتاين ، في شمال ألمانيا . وهو نوع من ثورة الطبقة الريفية على المدن . وقد عبر عن رأيه برفضه تقديم الأغذية للمدن وباعتداءات رمزية على عدد من العمائر والأوابد . وكان هذا الاعتداء على المدن موجهاً ، بالبداهة ، ضد العالم الرأسمالي ، ولاسيما ضد اليهود الذين يتهمهم الفلاحون باستغلالهم . وكان الممثل الرئيسي لهذه الحركة شخص يدعى كلاوس هايم ، وكان قد تورط في دعوى في التونا ، في ١٩٣٠ ، وعفي عنه أخيراً في ١٩٣٢ .

هؤلاء هم الممثلون الأساسيون لهذه الحركات القومية المحافظة . ماذا نستنتج من هذه الحركات ؟ من المؤكد أننا نجد فيها فكرةً أكثر أصالة وأكثر تعقيداً للغاية من الفكرة التي سندرسها في القومية ـ الاشتراكية ، وستظل هذه الفكرة غير واضحة بصورة فريدة . وكان من المستحيل على هذه التجمعات أن تضع برنامجاً اشتراكياً حقيقياً ، لأن الاشتراكية الّتي تصورتها كانت روحية بصورة فائقة ، وليس لها تطبيقات في هذا العالم ، ولا نفوذ . وأخيراً ، لقد اغرقت القومية ـ الاشتراكية هذه الحركات جميعاً ، في ١٩٣٣ ، ولم تعش واحدة منها . ماذا فعل ممثلوها ؟ لقد دخل الكثير في الحزب ، وحاول آخرون المقاومة ، وهذه حال نيكيش بصورة خاصة ، ولكنهم اضطروا عندئذ إلى مغادرة الوطن ، وفي الواقع ، انطلاقاً من ١٩٣٣ ، يجب أن نعترف أن هذه الحركات المحافظة القومية ليس لها تأثير في ألمانيا .

الفصل الرابع

الأحزاب السياسية القومية

في جمهورية فيمار

لقد وجد عدد من الأحزاب السياسية التي ساندت الأفكار القومية . وفي الحقيقة ، إن هذه الأفكار القومية نمت في كافة الأحزاب السياسية ، وتبنت هذه الأحزاب مواقف ملائمة لعدد من المطالب القومية . فقد احتجت كلها على معاهدة فرساي ، وعلى ثقل التعويضات ، وعلى مختلف الخطط ، مثل مشروعي دوز ويانغ ، التي تصورت لتسوية قضية التعويضات الألمانية .

ومن جهة أخرى ، يجب أن نشير إلى أن شتريسمان مارس نفوذه بشكل قوي للغاية على موقف الأحزاب الألمانية . وفي الواقع ، إن حزباً كالحزب الشعبي الألماني ، الذي كان وارثاً للقوميين الليبراليين ، وكان بالتالي حزباً قومياً ليبرالياً ، كان قد تبنى موقفاً قومياً ملحوظاً للغاية ، ومع ذلك ، وتحت تأثير غوستاف شتريسمان الذي أصبح مستشاراً في ١٩٢٤ ، ووجه عملياً سياسة ألمانيا الخارجية بين ١٩٢٤ و ١٩٢٩ ، كشف هذا الحزب عن نواياه في صالح سياسة تعاون مع الغرب ، وتبنى مواقف شتريسمان التي أفصح عنها في سياسة مؤتمري لوكارنو وتواري .

ومامن شك ، بعد هذه التحفظات ، في أن القومية الألمانية أوضحت عن نفسها في تجمعين سياسيين أساسيين وهما : الحزب الشعبي القومي الألماني ، والحزب القومي - الاشتراكي .

لقد تشكل الحزب الشعبي القومي الألماني غداة الهزيمة وأعرب بصورة أساسية عن أسفه على الفكرة الملكية . ولكن كلما مضت السنون . نسي هذا الحزب الفكرة الملكية ، وشدد بصورة أساسية على الفكرة القومية . وهذا في الغالب صحيح بعد إخفاقه الانتخابي في ١٩٢٨ . وقد تشكل بصورة أساسية من المدافعين عن النظام القائم من كبار ملاك الأطيان ، والصناعيين ، ومن كثير من قدامى الضباط في الجيش ، ومن عدد عظيم جداً من الرعاة . وكانت الشخصية المتنفذة أكثر من غيرها فى هذا الحزب ، الشخصية التي منحته صفته القومية ، هوغنبرغ ، الصناعي الذي كان تحت تصرفه وسائل نفوذ عظيم في الصحافة . فقد أعطى هوغنبرغ ، انطلاقاً من ١٩٢٨ لهذا الحزب صفته القومية . وفضل دوماً وفاقاً مع القوميين ـ الاشتراكيين . وهكذا تشكلت في تشرين الأول ١٩٣١ ، بين هوغنبرغ وهتلر ، جبهة هارتزبورغ الشهيرة التي وجهت ضد قوى اليسار . ويجب أن يشار أخيراً إلى أن هذا الحزب القومي كان مدعوماً باستمرار من منظمة المحاربين القدماء النشيطة التي تسمى منظمة « الخوذة الفولاذية » وكان يوجهها أولاً **زلدته** ثم **دوستربرغ** . وهذا التشكيل يؤلف همزة وصل بين الأجيال الجديدة وألمانيا قبل الحرب التي اتحدت تحت شعار المطالب القومية والعداء لجمهورية فيار وسياسة التعويضات . إلا أن هذا الحزب ، الذي كان يتصرف بوسائل مالية عظيمة وبصحافة جيدة الموقف ، كان يتناقص باستمرار ، حتى إن معظم رجاله ، الذين كانوا كثراً بعد الحرب العالمية الأولى ، انتقلوا إلى الحزب القومي ـ الاشتراكي . وهذا صحيح في الغالب انطلاقاً من ١٩٢٨ .

وفي الحقيقة ، أن هوغنبرغ كان يعتقد ، بسبب الوسائل المالية والمادية التي يتصرف بها ، بأنه يستطيع أن يسيطر على القومية ـ الاشتراكية ويقود هتلر حيث يريد . وفي هذه النقطة خدع نفسه بصورة جذرية ، لأن الحزب

القومي ـ الاشتراكي أخذ يعبر بالتدريج وشيئاً فشيئاً عن المطالب القومية للأمة الألمانية .

صعود الهتلرية (١٩١٩ ـ ١٩٣٣)(١)

قبل تناول وصول هتلر إلى السلطة ، يحسن فحص التفسيرات التي أعطيت حديثاً ، وبخاصة من قبل المؤرخين الألمان ، عن القومية ـ الاشتراكية . إن معظم المؤرخين الماركسيين ، وحتى عدد من المؤرخين الذين ليسوا كذلك ، مثل نومان ، مؤلف كتاب يسمى « بيهموت » ونيكيش الثوري اليساري مؤلف كتاب يدعى « إمبراطورية الشياطين المنحطين » ، يعتبرون بالجملة أن القومية ـ الاشتراكية آخر شكل للامبريالية . وبشكل أصح ، صورة أخرى عن الفاشية التي افرزتها الرأسمالية ، على هذا النحو ، في آخر شكل لتطورها وهو الامبريالية . والنازية ، في رأي هؤلاء المؤرخين هي باختصار ، اللجوء الأعلى للطبقة الرأسمالية إلى حالة اليأس . وإن الأشكال الثورية أو الاشتراكية التي تستشهد بها ليست هنا إلا لإخفاء تفوق هذه الطبقات المسيطرة . أما العمال فقد أصبحوا عبيداً في هذا التنظيم الاجتماعي الجديد ، وأكثر من ذلك . ان مصيرهم تفاقم .

ومع ذلك فإن هذه النظرة في النازية لم يقبلها عدد من المؤرخين الذين عجبوا ، بالعكس ، لهذا التشابه بين النازية وبعض أشكال الشيوعية . وهذه حال الألمانية **أنّا آرندت** التي ألفت كتاباً ثاقباً عن النازية . وآخرون مثل **هايك** مؤلف كتاب يسمى « الزحف نحو العبودية » يشيرون إلى العناصر الاشتراكية في المذهب الهتلري .

---

(١) راجع : W. Shirer, LE Troisième Reich, 2 Vol. (1961)

و G. BADIA, Histoire de l' Allemagne Contemporaine 2 Vol. (1962).

ولكن عـدداً من مـؤرخي ألمـانيـا الغربيـة ، ولاسيا جيرارد ريتّر ، مـؤلف كتاب « أوربة والقضيـة الألمـانيـة » حـاولوا تمييز الطبقـات الموجهـة الألمـانيـة في النازية ، وإظهار هـذه الطبقـات الموجهـة غير مسؤولـة في النـازيـة . وبينوا أن النازية لا صلة لها على الاطلاق بالتقاليـد الأسـاسيـة للحيـاة الروحيـة أو الحيـاة السياسية الألمانية . ولا صلة لها بالتقاليد اللوثرية الألمانية وليس لها صلة أيضاً بمـا يحسن أن يسمى الروح العسكرية البروسيـة . وبـالعكس ، النـازيـة نـداء لأهواء الجماهير ، تحاول تدمير التسلسل الاجتماعي والقوى الإجتماعية المقابلة . ويدل ريتر على أن هتلر ليس لـه أي علاقـة ، في سيـاستـه ، مـع فريـديريـك الثـاني أو مـع بسمارك ، وبالعكس ، حاول أن يدلل على أن هذه الطبقات القديمة الموجهـة هي التي نظمت المقاومة ضـد الهتلريـة عنـدمـا وصل هتلر إلى السلطـة . ويخرج على النظرية التي وسعها المؤرخ الأميركي ويلر ـ بينيت ، مؤلف تـاريخ معروف جـداً عن الجيش الألماني ، وفيه يوجد نوع من ميثاق بين هتلر والجيش .

وفي الحقيقـة ، أمـام هـذه التفسيرات المختلفـة ، تجب الملاحظـة أنـه يـوجـد صعوبـات كبيرة للحكم على النـازيـة ، لأنـه لا يوجـد فيهـا أي نوع من الحقيقـة العقائدية . وقد برهن على ذلك المؤرخ الأميركي **بلوك** فقـد قـام بـدراسـة جميلـة جـداً تسمى : « دراسـة الظلم » وفيهـا يرى أن هتلر يستعمل فقـط شعـارات قـد تساعد في وقت ما على نجاحـه . ففي بعض الأيـام يؤكـد على أنـه مسيحي ، وفي أيام أخرى يهاجم الدين بعنف ، ويتهم المضاربين والرأسماليين ، وفي الغداة يـدافع عن أصحاب المصـارف والملكيـة الخـاصـة ، ويتردد في التحـالف مع السوفيتيين أو اليابانيين . وبالتـالي لا يمكن أن نجد أي نوع من العقائديـة المتينـة في النـازيـة . وهناك فكرة واحدة تجري عبر مجموعة خطبه وكتابـاتـه ، وهي العرقيـة المعـاديـة للسامية . ولكنها الفكرة الوحيدة التي تـابعهـا عبر عملـه كلـه . وفي الحقيقـة ، إن أفكاره ، إذا أريد الكلام عن الأفكار ، كانت في خدمة اهتمام ثابت ، مدح القوة ،

مدح قدرة ألمانيا . وهذه الفكرة في القوة والقدرة يؤسسها على نوع من داروينية البقاء وسيطرة الأصلح .

المهم أساساً بالنسبة لهتلر هو خلق صوفية السلطة ، والقيادة ، التي تساعد الزعيم ، القائد ، على ممارسة سيطرته الكاملة على الجماهير ، وبذل لا حد له يخلق فيه إيماناً بالحكمة الإلهية ويساعده على قيادة الأمة الخاضعة لأهداف حددها شخصياً بنفسه .

وبالتالي ، إن القضية التي تطرحها الهتلرية على المؤرخ ، ليست على الاطلاق دراسة العقائدية الهتلرية التي ليس لها إلا قليل من الأهمية ، وإنما دراسته نفسية الجماهير التي عرف هتلر كيف يخلقها ويستعملها لصالحه . وكما لاحظ جيداً جداً المؤرخ الألماني ماينكه ، في دراسة تسمى « النكبة الألمانية » وقد ظهرت غداة الحرب العالمية الثانية ، أن العقائدية الهتلرية لا يمكن أن تفهم إلا في عالم تسيطر عليه عقائدية الجماهير التي ينعدم فيها وجود الفرد كفرد ، ولا يشعر بوجوده إلا في داخل هذه الجماعة . وعليه فإن النازية مرتبطة بحضارة الجماهير التي هي إحدى صفات النصف الأول من القرن العشرين وتتضمن عنصرين : **أولاً** بعض التحسين في التقنية الصناعية التي تضع في متناول الحزب أو الزعيم عناصر الدعاية ووسائل التأثير العظيمة من صحافة ، وراديو ، الخ .. . **وثانياً** نمو عام للقومية ينفي كل نوع من اعتبار عقلاني للوقائع ، وينيب ، مناب القيم الروحية ، قيماً انفعالية ، قيماً عاطفية .

لقد نمت ثقافة هتلر السياسية غداة الحرب العالمية الأولى ، في وسط سياسي بافاري أو على الأصح مونيخي . ولكن قبل أن يعيش في مونيخ حيث أقام في ١٩١٣ ، عاش هتلر بعض الوقت في ڤيينّا تلميذاً في أكاديمية الرسم (التصوير) ، تلميذاً دون موارد . وقضى في ڤيينا سنين صعبة حيث استخدم عاملاً غير

متخصص . وكان في ملاجئ الليل التي كان مضطراً إلى اللجوء إليها ، على صلة بطبقة كادحة لا صنف لها خارجة عن طبقتها الاجتماعية . وليست طبقة معامل كادحة ، وإنما ما يسميه الألمان « الطبقة الكادحة المنحطة » . ولا يعلم من العالم الرأسمالي إلا عنصراً واحداً ، المرابين اليهود . وهذه الاتصالات والمعارف التي حصل عليها في شبابه دمغته بقوة . فهو ينفر كلياً ، وهو في فينا ، من العالم الرأسمالي . وفي الوقت نفسه من الماركسية التي يرى فيها ظاهرة إسرائيلية . ولكنه ، بالمقابل ، مفتون بعدد من الشخصيات والرجال السياسيين الذين سيذكرهم دوماً في حياته : أولاً الزعيم الألماني شونورر الذي وجه في النمسا حركة ألمانية قومية ، ومفتون أيضاً بالعمدة لويغر الذي حقق في فينا ، عندما كان عمدة هذه المدينة ، عملاً عظيماً ، ووجه حزباً مسيحياً - اجتماعياً موصوفاً بعدائه للسامية . ومن الممكن ، بل ومن المحتمل ، أنه عرف في فينا حزب العامل الآلماني ، الذي أسسته بعض عناصر السكان الألمان من بوهيميا . وكان هذا الحزب ينمي في داخله أفكاراً قريبة جداً من القومية - الاشتراكية .

وكان هتلر في فينا على اتصال بالأوساط الاجتماعية والسياسية التي أثرت فيه تأثيراً لا نقاش فيه . ولكنه في ثقافته السياسية مدين إلى الوسط المونيخي الذي عاش فيه في نهاية الحرب العالمية الأولى ، بعد تشرين الثاني ١٩١٨ . وفي الواقع ، وفي غداة الحرب العالمية ، يرى في مونيخ تعدد التجمعات من طابع قومي ومحافظ ، ومعاد للثورة ، ومعاد للسامية . وفي الوقت الذي كانت في القوى الجمهورية الموجودة في ألمانيا تتجمع بصورة أساسية في برلين وفي المدن الكبرى الصناعية في ألمانيا الشمالية ، كانت مونيخ ملجأ لجميع العناصر المعادية لجمهورية فيمار التي كانت في حالة إنشاء .

وهذه الفرق معقدة للغاية ، وللتبسيط نميز أربعة أساسية : يوجد أولاً **فريق دركسلر** ، وهو عامل ميكانيكي أسس في كانون الثاني ١٩١٩ ، بعد ثلاثة

أشهر من نهاية الحرب ، الحزب العامل الألماني . وإذا أخذت الأحرف الأولى من هذه الكلمات بالألمانية فإن حزب .D. A. P سيوجه النضال ضد سيطرة الرأسمال اليهودي ، وضد ما يسميه عبودية الفائدة ، ولكنه لم يأت بأي أساس إنشائي بغية النضال ضد العالم الرأسمالي .

والفريق الثاني ، فريق فيدر وكان مهندساً مختصاً بالخرسانة المسلحة . أسس في مونيخ فرعاً للحزب الاجتماعي الألماني . وقد أسس هذا الحزب في نورامبرغ أديب معاد للسامية باسم شترايخر .

والفريق الثالث ، فريق ايكارت ، وهو صحافي وناقد وموسيقي . كتب بخاصة لبعض الصحف نقد فصول في بيروت أي الفصول الكبرى لاوبرا ڤاغنر . ووجه في مونيخ جريدة تسمى « الألماني الصالح » ، وكانت موجهة بخاصة ضد مجرمي تشرين الثاني ، أي أنه يوسع نظرية طعنة الخنجر في الظهر التي تسببت في إخفاق ألمانيا .

وأخيراً ، **الفريق الرابع** ، وهو أكثر تعقيداً ، ويسمى في مونيخ جمعية توله ، وكان يختلف إليها عدد عظيم من شخصيات الارستقراطية البافارية من عالم الآداب في مونيخ ، وكذلك العديد من المهاجرين الروس الموجودين في هذه المدينة . وكانت مونيخ ، منذ بداية القرن التاسع عشر ، مركزاً هاماً للهجرة الروسية ، وبخاصة هجرة محبي السلافية . وكان يرتاد هذا الوسط شاب ملازم في الطيران مهيأ لمستقبل كبير ، وهو **رودولف هسٌ** .

هذه هي بعض الفرق التي عرضناها باختصار ونجدها في مونيخ غداة الحرب العالمية الأولى . وقد لعبت كل هذه الفرق السياسية دوراً عظيماً قليلاً أو كثيراً في تحرير مونيخ من مجالس العمال والجنود التي تألفت غداة الهزيمة والتي طردتها

الجيوش الحرة ، وبخاصة جيوش الجنرال فون ايب التي استعادت السلطة بيدها في بافاريا ومارست في مونيخ ظلماً حقيقياً ودكتاتورية حقيقية .

وفي هذه الجيوش الحرة ، نجد شخصية هامة وهو روم الذي نشر ورفقاؤه إرهاباً حقيقياً في المدينة . وهذه الأوساط السياسية المرتبطة بالجيوش الحرة سيخالطها هتلر كضابط دعاية . وهو لم يسرح في الحقيقة غداة الهزيمة ، بل استخدمه الجيش ضابط دعاية في السرية المقيمة في مونيخ . ولم يسرح إلا في ١٩٢٠ ، وفي إقامته في مونيخ اشترك بحزب دركسلر ، حزب العامل الألماني وتحمس لبرنامج فيدر ، وهو البرنامج الذي قرأه في الاجتماع الذي أريد فيه رؤية أصل القومية - الاشتراكية ، في حانة جعة في مونيخ ، في ٢٥ شباط ١٩٢٠ .

وهذا البرنامج الذي قرأه هتلر يتألف من ٢٥ نقطة ذات طابع يناصر الاشتراكية . وهو ، نوعاً ما ، أول ظاهرة للقومية - الاشتراكية ، ولن يرفضه هتلر أو ينساه تماماً أبداً . وفي هذا البرنامج يتنبأ هتلر بالانقسام بين مواطني الرايخ وبين الذين لا يسمح لهم في الرايخ إلا بصفة ضيوف ، وهم الأجانب ، المهاجرون واليهود . ويعتبر هتلر اليهود غير مواطنين ألمانيين . ويمتدح خلق عمل قومي ، وحذف كل مورد لا يخرج من هذا العمل ، ودولنة المشاريع الكبرى وقومنة المخازن الكبرى التي كانت جميعها تقريباً يهودية ، وتأجيرها إلى صغار الحرفيين . ويفضل أخيراً إصلاحاً زراعياً يحرر الشعب الريفي من الربا الذي يثقل به اليهود عليه أيضاً . وتوقعت عقوبات شديدة للغاية ضد المضاربين والمرابين . وعرض برنامج السياسة الخارجية بشكل غامض للغاية ، برنامج فيدر الذي هو برنامج ألمانيا كبرى تدخل فيها البلاد الناطقة بالألمانية . وبالتالي ، يقرر ضم النمسا ، بالطبع ، ويطالب بإلغاء معاهدة فرساي ، ومساواة ألمانيا التامة مع الأمم الأخرى ، وإرجاع المستعمرات .

وكان الحادث الأساسي في حياة هتلر السياسية ، دمج عدد عظيم من التجمعات القومية عقب اجتماع عقد في سالزبورغ ، في آب ١٩٢٠ ، وهذا الدمج كان أصل : N. S. D. A. P. (الحزب الألماني للعمال الاشتراكيين) . وهذا الحزب الذي تشكل من دمج عدد من التجمعات الأخرى ، اتخذ مباشرة كصحيفة له « الرقيب الشعبي » . وقد تأكدت مواهب هتلر الخطابية في عدد من الاجتماعات ، وانتخب رئيساً لهذا الحزب ، في بداية سنة ١٩٢١ ، وكسف دركسلر وفيدر اللذين كانا معروفين في مونيخ أكثر منه . وفي السنة نفسها ، شكل هتلر فرق الهجوم (S. A) ، وعهد بإدارتها بعد ذلك إلى أحد اصدقائه الذي التقى به في أوساط مونيخ أيضاً ، وهو هرمان غورينغ . وكان زوجته سويدية ، وهي البارونة الجميلة كارين دو فوك ، التي عرفت كيف تستولي على هتلر . ويجب أن يلاحظ ، في ذلك العصر ، الصعود العجيب لهيبته الشخصية التي ساعدته على كسب عدد عظيم من الصداقات وبذل الذات في الأوساط المختلفة . وفي ذلك العصر ، ارتبط به الأخوان شتراسر ، وكانت لهما ميول اشتراكية ملحوظة للغاية ؛ وتعرف بروزانبرغ الذي أصبح منظراً للقومية - الاشتراكية ، وكان على عكس الأخوين شتراسر ، محافظاً ومن نزعة معادية للاتحاد السوفياتي . غير أن ماتجب الإشارة إليه بخاصة ، هو الصداقات ، والعلاقات التي عرف كيف يكسبها في المجتمع المونيخي . وفي مونيخ اتصل بالغني الأميركي ارنست هانستنغل ، وتعرف بالمحرر بروكان الذي نشر في مونيخ مجلة كان لها نفوذ كبير للغاية وهي : « الدفاتر الشهرية لألمانيا الجنوبية » . وأخيراً ، وبخاصة . تعرف بعائلة بشتاين . وجعلت السيدة بشتاين هتلر على صلة ، لا في مونيخ فحسب ، وإنما أيضاً في برلين ، بالشخصيات الهامة في عالم الصناعة ، وبخاصة مع صاحب معمل للصناعة المعدنية ، ارنست فون بورسيغ . وأخيراً ، وبواسطة بشتاين ، دخل هتلر في الوسط الفاغنيري الذي أثر فيه تأثيراً كبيراً .وبواسطة هذه العائلة ، عرف

هوستون ستيوارت تشامبرلن . وزارَ سيغفريد بن ريشارد فاغنر في البيت الذي مات فيه فاغنر في بيروت . وقد احتفظ هتلر عن هذه الزيارة التي تمت في ١٩٢٣ ، بذكرى لا تمحى .

لقد ظهرت قدرة هتلر السياسية عندما تشكل في نورامبرغ في بداية ايلول ١٩٢٣ ، ما يسمى « رابطة المحاربين الألمان » ، وقد أفادت هذه الرابطة في اتحاد التجمعات الهتلرية والتجمعات الشبه عسكرية العديدة جداً في مونيخ ، في استعراض نظمه روم على الصعيد المادي وحضره الماريشال لودندورف . وكان هذا الأخير يعيش في مونيخ منذ محاولة الانقلاب التي قام بها كاب في ١٩٢١ ، ووضع سلطته لخدمة الحركات القومية . وفي مونيخ أيضاً ، وفي هذه الأوساط الشبه العسكرية لرابطة المحاربين الألمان ، تعرف هتلر على لودندورف . وفي ٢٥ ايلول ١٩٢٣ سمي هتلر رئيساً لهذا التجمع .

إلا أنه كان يوجد في هذه الأوساط القومية المونيخية ، اختلافات عميقة . وهذه هي نقطة ضعفها . فهي كلها متحدة ضد الحكومة الجمهورية في برلين ـ ضد جمهورية فيار . وكانت الانقسامات تتناول قضية الإقليمية البافارية . وفي الحقيقة ، كان عدد من العناصر القومية المونيخية يناصرون الاستقلال ، وعلى الأقل الحكم الذاتي الكامل لبافاريا في نطاق الرايخ الجديد ، ويفكرون بتوطيد الملكية في بافاريا للدلالة على هذا الحكم الذاتي . وهذا الاتجاه الإقليمي والملكي ، الذي كان أيضاً اتجاهاً محافظاً على الصعيد السياسي ، كان ممثلاً بصورة أساسية في مونيخ ، بشخصية **فون كار** الذي مارس وظائف الوزير البافاري الأول بعد إخفاق الدكتاتورية البولشفية في مونيخ ، ثم سمي ، ابتداءً من أيلول ١٩٢٣ ، مفوضاً عاماً لبافاريا ، ولعب . بهذه الصفة دوراً متفوقاً في الحياة السياسية لهذا البلد . وكان فون كار يعتمد على العناصر الكاثوليكية والشرعية ، وكان على صلات وثيقة بـ روبرخت بافاريا ، المدعي بالعرش ، وكان يفكر بإنشاء دولة

نمساوية - بافارية أي نوع من دولة كبرى في ألمانيا الجنوبية ، مبنية على أسس كاثوليكية . وقوة فون كار ترجع إلى أنه كان مدعوماً ، في مونيخ ، من رئيس الفرقة السابعة في الجيش ، التي كان مقرها في مونيخ ، وهو الجنرال فون لوسّوڤ . وقد رفض هذا الجنرال الطاعة لأوامر برلين ، الطاعة لزعيمه التسلسلي ، وهو الجنرال فون سيكت ، ودعم العناصر القومية البافارية . وعندما تلقى الأمر من حكومة برلين لاتخاذ التدابير الضرورية لحذف « الرقيب الشعبي » ، ورفض ، نحته السلطات العسكرية البرلينية عن وظيفته . وعندئذ وضع نفسه وجيشه تحت إدارة السلطات البافارية .

ولكن هذا الاتجاه الملكي والمحافظ لم يكن اتجاه أوساط « رابطة المحاربين لألمان » التي كانت تسيطر فيها الشخصيتان الهامتان : لودندورف وهتلر اللذان لا يفكران أبداً بإعادة توطيد الملكية البافارية . إن ما كان يريدانه هو قلب حكومة برلين لإقامة سلطتها الخاصة فيها ، وتنظيم وحدة ألمانية ، بالعكس ، أقوى وأقدر ، وكان برنامجها مركزياً وجمعياً . إن ما يريدانه هو إعادة تنظيم ألمانيا على أسس عسكرية تمكنها من أن تستأنف النضال ضد فرنسا ، ضد الدول الغربية .

وهذه الفرق ، على وجه الدقة ، هي التي ستسبب إخفاق محاولة انقلاب ٨ تشرين الثاني ١٩٢٣ ، التي انتهت بإخفاق كامل لهتلر والإقليميين البافاريين وإعادة توطيد السلطة الجمهورية في بافاريا .

وبعد إخفاق محاولة الإنقلاب ، تابع هتلر النضال وحده ، وبعد ١٩٣٠ ، أي بعد سبعة أعوام استؤنفت العلاقات بينه وبين العناصر المحافظة . ولكنه في أوقات الفراغ التي تتركها له عقوبة السجن التي كان مضطراً لتحملها ، عقب قضية مونيخ ، فكر هتلر بالقضايا السياسية ، وكتب مؤلفه الأساسي الذي عبر

فيه عن الأساسي في تفكيره . وهو كتاب « كفاحي » ويحسن أن نشير إلى أغراضه الأساسية :

بادئ بدء ، يجب ملاحظة شيء وهو : أن هتلر في نشره لكتاب « كفاحي » لم يحاول الإقلاق ، بل بالعكس ، حاول تطمين الألمان عن نواياه . ومن المؤكد أن هذا الكتاب لا يمثل إلا تعبيراً مصغراً لفكر هتلر ، حتى في ذلك الحين . ويعتمد هذا الكتاب على عقائدية مقتضبة للغاية ، ومن السهل أن نميز فيها النقاط الأساسية : أولاً ، وفي أساس كل شيء توجد فكرة العرق . ويصرح أن العرق الآري موجود . ووجوده غير مبرهن عليه . ولكن الذي يبقى على الأقل هو أنه أمين مؤتمن على عبء الحضارة الإنسانية . ولماذا هذا التفوق من الآريين على الأعراق الأخرى ؟ لأنهم يشعرون بالواجب ، لأنهم يقبلون بتضحية مصالحهم الشخصية لقضية تسيطر عليهم وتجبرهم . والسبب في انحطاط الأعراق المنحطة ، إنما هو الاختلاط ، اختلاط الأعراق . والعرق النقي ، في رأي هتلر ، هو شرط التجانس القومي ، والاختلاط هو الذنب الأعلى . وقضية العرق هي مفتاح تاريخ العالم . وفي رأي هتلر ، أن الكنائس خدعت بصورة ثقيلة بإظهارها القضية اليهودية كقضية دينية وليست كقضية عرقية . ويؤكد هتلر على أن الدولة العرقية لها عدد من الحقوق ، وبخاصة حق منع المرضى وعدد من المواطنين الخطرين من التوالد . وتستطيع استعمال التعقيم لهذا الغرض . ومن هذه العرقية ينجم عدد من النتائج : فمن الضروري تدمير كل ما يمكن أن يضعف التجانس ، التلاحم الداخلي ، وبالتالي ، تدمير القوى الدولية التي تقاوم تحقيق الدولة العرقية . وهذه القوى ، هي بصورة أساسية الكاثوليكية ، والاشتراكية الماركسية ، وأكثر ما يخشى أيضاً ، الليبرالية التي لاحقها هتلر بحقده ، على الصعيد السياسي ، بشجب البرلمانية ؛ وعلى الصعيد الاقتصادي ؛ بشجب دكتاتورية الفائدة . وعلى الصعيد الاقتصادي ، يرى أن برنامج « كفاحي »

مقتضب للغاية ، ومتردد ، ويبدو شديداً على قوى المال . ولكنه لا يدل على أي وسيلة لمنعها من العمل . وماقيل فقط : « توضع الحياة الاقتصادية تحت رقابة الحكومة التي تمنع الواردات غير الأساسية . وتفرض على الجميع فريضة العمل » .

والنتائج التي نستخلصها من فكرة الدولة : هي أن هذه الدولة ستكون معادية للحرية ، ومعادية للبرلمانية ، ومبنية ، كما يقول ، على السلطة ، صوفية الزعيم . والمحرك بين الدولة والأمة هو الحزب الوحيد . ويجب أن نلاحظ أنه لا يوجد ، في هذا البرنامج ، عبادة للدولة كما عند الفاشيين ، ويميل هتلر إلى إبداء بعض التحفظ حيال الحركة الموسولينية . ويقول : « الدولة ليست غاية في نفسها ، الدولة هي ميكانيكية في خدمة الشعب ، أي ميكانيكية في خدمة الوحدة العرقية التي تعتمد على وحدة الدم . وواجب الدولة هو الإبقاء على هذه الوحدة ، ولا تكون هذه الوحدة إلا إذا نجحت الدولة في إيقاظ تربية الأمة في هذا المضمار ، التربية التي تتناول التشكيل الجسدي والبطولي للفرد ، وتشكيل الطبع ، وأيضاً تشكيل القدرات الفكرية ، التي تأتي ، في نظر هتلر ، بالدرجة الثانية فقط . ويريد أن يخص صفة المواطن بكل من تلقوا هذه التربية التي يجب أن تتوج بخدمة العمل وبالخدمة العسكرية .

وأخيراً يعبر هتلر عن عدد من وجهات نظر في السياسة الخارجية . وإن التنظيم الداخلي للدولة ليس له أهمية في نظره ، إذا لم تكن هذه الدولة غير مخصصة لتعيد لألمانيا قدرتها . والخطة التي يجب اتباعها لبلوغ هذا الهدف الذي رسمه في « كفاحي » لم يكن إلا بشكل عام للغاية ، ودون دقة . ويصرح : ستحصل ألمانيا على استقلالها بتحررها من العوائق التي تثقل عليها بإعادة تسليح واحتلال الضفة اليسرى لنهر الراين ، وبعد أن تحصل على استقلالها السياسي تقوم بعدة انضمامات هدفها ضم كافة البلاد الناطقة بالألمانية إلى ألمانيا ، أي إعطاء

العرق الألماني وسائل وجوده . ولم يكن قصد هتلر إرجاع حدود ١٩١٤ ، التي لم يكن لها أي معنى في نظره ، ويعتبرها حدوداً تعسفية . إن ما يجب هو إعطاء ألمانيا حدوداً قادرة على أن تخلق للرايخ مجالاً حيوياً ، أو أيضاً ، كما يقول ، « التراب الضروري » .

ولتحقيق هذا البرنامج . بدت له نقطة أساسية ضرورية ، وهي تدمير روسيا : « على ألمانيا أن تتزعم النضال ضد البلشفة العالمية اليهودية » . ودور الدبلوماسية ، في هذه الظروف ، تطمين الدول الأخرى عن نوايا ألمانيا . وبأي الوسائط يكون ذلك ؟ يجب الحصول على تحالف إيطاليا وبدونه لا تستطيع ألمانيا أن تعمل شيئاً ، وستحصل ، فيما تحصل عليه ، بالتخلي عن التيرول للايطاليين . وإذن يقبل هتلر ، في هذا المضمار بما يتناقض مع أفكاره في أنه يجب على ألمانيا أن تضم جميع البلاد الناطقة بالألمانية : وهو أن يضحي بعد التفكير بالتيرول للايطاليين . كما تكلم أيضاً عن المفاوضة باتفاق حياد أو حتى تحالف مع بريطانيا ـ العظمى ، ولهذا ، يقول : على ألمانيا أن تتخلى عن مطالبها الاستعمارية . وستتخلى ألمانيا عن كونها دولة بحرية لئلا تقلق انكلترا . وبالمقابل ، يقول : الحرب لا غنى عنها مع فرنسا العدوة اللدودة للشعب الألماني ، هذه العدوة التي تزنجت (أصبحت زنجية) وتهودت ، وأصبح من السهل للغاية إزالتها من خارطة أوربة . ويقول ، يجب البدء بتسوية الحسابات مع فرنسا قبل الهجوم على الشرق . وعليه فإن الحرب الوقائية ضد فرنسا تظهر لهتلر ، في ذلك الحين . كضرورة قبل شن الحرب ضد روسيا .

ويجب أن نلاحظ أيضاً بأنه لا يوجد عند هتلر أي فكرة عن الحق وأن فلسفته السياسية مستوحاة من نوع من الداروينية البدائية التي ترى أن الشعب القوي يدمر بالضرورة الشعب الضعيف . وهذا هو القانون الوحيد الذي يوجد ، في رأيه ، في علاقات السياسة الخارجية .

الفصل الخامس

استلام هتلر السلطة

في ١٩٣٣

يلاحظ أولاً أن هتلر تسلم السلطة بطرق قانونية . وفي الواقع ، إن النتائج السياسية التي جناها من إخفاقه في عام ١٩٢٣ ، جعلت من المستحيل عليه أن يكون سيد الدولة الألمانية بطرق غير قانونية ، أي استحالة تسلم السلطة بانقلاب . وقد أكد هتلر مراراً على تسميته مستشاراً بطرق قانونية . وتمت تسميته مستشاراً بموجب تعيينه مستشاراً في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ .

ويبقى الآن أن نشرح كيف كانت هذه التسمية ممكنة .

لقد شرح العديد من المؤرخين سقوط جمهورية فيمار بظروف غير ملائمة لها ، وملائمة لهتلر ، وحاول آخرون شرحه كنتيجة بسيطة لتهديم الدولة الجمهورية ، وتفتيت السلطة . وفي الحقيقة ، إن هذه الإيضاحات غير كافية ، وإن وصول هتلر إلى السلطة لايفهم دون عمل الطبقات الموجهة الألمانية ، وبخاصة الرضى عن النظام من جهة الصناعة الكبرى الألمانية ، ومن الجيش ، من جهة أخرى . وهذان العنصران : عالم الاقتصاد والجيش هما اللذان أوصلا هتلر إلى السلطة .

أولاً : الأوساط الاقتصادية

الشيء الضارب هو تخلي هتلر تدريجياً عن العناصر الاشتراكية في برنامجه ، كما عرف بخاصة في نقاط فيدر الخمس والعشرين : فعلى صعيد الزراعة ، في

١٩٢٨ ، تخلى هتلر عن فكرة نزع الملكية للدومينات الكبرى ، ماعدا الدومينات الإسرائيلية . وفي خطاب له ، في ٦ آذار ١٩٣٠ ، صرح على الإطلاق بأن إبقاء الملكية الكبرى له ما يبرره . وبالتالي أعطى ضمانات للأوساط الزراعية ، وكبار ملاكي الأطيان ، في الشرق ، بخاصة . وعلى الصعيد الصناعي ، في ١٩٢٧ ، لم يتصور الحزب النازي ، على صعيد التأميات ، إلا تأميم مصارف الإصدار وبعض الشركات المغفلة . حتى إن فيدر نفسه ، في التاريخ نفسه ، أعرب عن تقديره للصناعة الكبرى الألمانية ، وتخلى عن فكرة مشاركة العمال بالأرباح ، وصرح بأنها غير معقولة « لأنه لايمكن ، كما يقول ، تصور مشاركة العمال في الخسائر » . وفي ١٩٣٠ ، قدم الفريق البرلماني النازي مشروع قانون يرمي إلى نزع الملكية دون تعويض لثروة ماغنات البورصة والمصرف ، وتدخل هتلر شخصياً لدى الفريق النازي ليسحب مشروع القانون الذي قدمه . وفي تموز ١٩٣٠ طرد اوتو شتراسر من الحزب . وهذا التطور المعادي للاشتراكية من هتلر انتهى بالقطيعة بين هتلر وغريغور شتراسر أخي اوتو ، في آخر سنة ١٩٣٢ .

ويقول فيرمي : « إن الاشتراكية المزعومة للقوميين ـ الاشتراكيين لم تكن إلا ظاهراً خداعاً أعد لوضع العمل الألماني في خدمة أرباب العمل الصناعيين » . ويظهر هذا بشكل أوضح أيضاً إذا فحصت علاقات هتلر بهذا الوسط الصناعي .

إن أعظم نموذج للصناعي القومي ، في عصر صعود هتلر ، كان الفرد هوغنبرغ . فقد كان هذا موظفاً ، في سنة ١٩٠٧ ، في وزارة الزراعة البروسية . وبسرعة سريعة جداً أصبح مديراً في معامل كروب ، ثم مديراً للنقابة الوطنية للمناجم .

وبدأ يلعب دوراً سياسياً عظيماً جداً في الحرب ، حيث قام ، عن طريق الصحافة بدعاية ضد صلح التسوية ، ثم ضد هذا السلام الموقع ، وضد مجرمي

تشرين الأول . وكان دوره الأساسي خلق رابطة بين الصحافة الألمانية التي تملك في حوزتها دار **شيرل** للنشر وبعض فروع الصناعة الكبرى . ودفع نفسه لرئاسة الحزب القومي الألماني ، وأصبح له رئيساً في ١٩٢٨ . وكان دوره عظيماً في الحملة على مشروع يانغ وفي تشكيل جبهة هارتزبورغ في ١٩٣١ ، وشجع باستمرار وصول هتلر إلى السلطة . وهو الذي ترأس ، في كانون الثاني ١٩٣٣ ، المصالحة بين فون بابن وهتلر ، فاستحق على ذلك شغل وظيفة وزير الاقتصاد في أول وزارة لهتلر .

ولكن من غير الصحيح أن تقتصر على هوغنبرغ مساندة الأوساط المالية للنازيين . وفي الحقيقة . إن هذا الدعم لم يكن عاماً . فقد وجد عدد من الصناعيين الألمان الذين ظلوا حتى ١٩٣٣ ، يحذرون من هتلر . وهذه بخاصة ، حال **كروب فون بولن** الذي انضم إليه بعد استلام السلطة ، ولكنه كان يحذر دوماً أوساط الصناعة إزاء هتلر ، وهذه حال صناعيين آخرين مثل زعماء الـ (A . E . G) ، أكبر شركة ألمانية للكهرباء . ولكن هذا لم يمنع بسرعة ، من أن عدداً من الصناعيين ، مثل كيردرف ، قد ظهروا بسرعة جداً محبذين لصعود الهتلرية . وظهر هذا الفعل في كتاب تيسّين : وهو بعنوان : « دفعت ثمن هتلر » . وفي الواقع ، إن تيسّينً سلف هتلر مبالغ عظيمة ، مليون مارك دون شك قبل ١٩٣٣ ، وهو الذي ساعده على بناء « البيت الأسمر » في مونيخ ، أي مقر الحزب الذي أقيم ببذخ . وإن تيسّين وكيردورف بخاصة وضعا هتلر على اتصال مع مدير بنك الرايخ ؛ شاخت ، وهما اللذان جذباه ، في كانون الثاني ١٩٣٢ إلى « نادي الصناعة » في دوسّلدورف حيث ألقى خطاباً وأعطى فيه ضمانات عظيمة للأوساط الصناعية مصرحاً : « اتكفل بالسياسة وعليكم الاقتصاد » . وهذه الأوساط الصناعية كانت موضع ضغط من قبل أحد أصدقاء وأنشط خدم هتلر ، وهو : اوتو ديتريش الذي كان أبوه مالكاً للصحيفة الرينانية ـ الوستفالية التي كانت ، في ايسّن ، لسان حال الصناعة الثقيلة . ومن جهة أخرى ، انطلاقاً من

سنة ١٩٣٢ ، أعطى هتلر ثقته ، على الصعيد الاقتصادي ، إلى فالتر فونك الذي لعب فيما بعد دوراً عظيماً في تنظيم الاقتصاد الهتلري ، وكان محرراً للصحيفة الاقتصادية في جريدة « صحيفة البورصة البرلينية » احدى الجرائد التي كانت أكثر من غيرها على اتصال بأوساط الصناعة والأوساط الدعائية .

إن شرح هذا التفاهم يوجد ، في القسم الأعظم منه ، في الموقف الذي وقفته ، إزاء جمهورية فيمار وهتلر ، رابطة الرايخ للصناعة الألمانية وهي أعظم منظمة ألمانية لأرباب الصناعة في ذلك العصر[١] . وحتى ١٩٢٩ ، بدت « رابطة الصناعة الألمانية » ، التي يرأسها الصناعي الكبير الدكتور دويسبرغ ، محبذة بالإجمال ، لجمهورية فيمار . ولكن حدد في ذلك العصر برنامج اقتصادي جديد ، وعلى صلة بالأزمة الاقتصادية ، يلح على ضرورة العودة إلى الفوائد المقبولة للطبقة العاملة ، وعلى زيادة الضرائب غير المباشرة . وبالمقابل ، الاقلال من الضرائب على المورد ، كما يلح على هذه الفكرة وهي أن البرلمان غير قادر على تحقيق هذه الإصلاحات ، وأنه يجب عاجلاً أو آجلاً الوصول ، إلى نظام الدكتاتورية . وفي هذا التقرير تقرأ العبارة التالية : « لنتخل عن الاعتقاد بأن الدولة ، والديموقراطية والاشتراكية يمكن أن تساعدنا في مضمار الاقتصاد . ولنكن واعين ماهي القوة » . وأيضاً في هذا التقرير : « ولتحقيق ماطُلب اليوم ، يجب حكومة مستقرة ودائمة تقرر بجد الطريقة التي يجب اتباعها . وإن قوية ودائمة ليستا ، في الحقيقة ، صفتي الدولة الفيمارية التي تخلط الديموقراطية مع سلطة الأحزاب » . ونفس قرع الجلجل في الجريدة (الجريدة العامة الألمانية) وهي الصحيفة الأكثر أخباراً للصناعة الثقيلة . وإذا نظرنا إلى الموقف الذي تبنته هذه الجريدة ، نلاحظ جهداً عظيماً في عالم الصناعة للتأثير على

---

(١) في هذه القضية راجع مقال F. Klein في عمل جماعي يسمى : « أصول الفاشية » صدر في « البحوث الدولية » في ١٩٥٧

الشؤون العامة ، ولفرض حكومة تتفق والمصالح الاقتصادية على الرئيس هندنبورغ . وهكذا وبعد أن شجعت الصناعة الكبرى حكومة بروتنغ ، تسببت في سقوطها . وكذلك أيضاً ، نرى كونو ، أحد ممثلي شركات الملاحة الرينانية ، يتدخل ، في تشرين الأول ١٩٣١ ، لدى الرئيس لتبني برنامج اقتصادي يزيل **الضمانَ** الاجتماعي **والاتفاقات الجماعية** ويطالب بإنشاء مجلس اقتصادي يتألف من المسؤولين عن المشاريع الكبرى . وإذا نظرنا إلى القائمة التي قدمها كونو إلى هندنبورغ في ذلك الحين لتأسيس هذا المجلس الاقتصادي ، نلاحظ أنه يضم بالضبط نفس الاشخاص الذين سيشاركون في مجلس الاقتصاد العام ، الذي أنشأه هتلر في تموز ١٩٣٣ . وبين هذه الشخصيات نجد رجالاً مثل سيمنس ، وتيسّين ، وبوش . وقد لعب سيمنس بخاصة دوراً عظيماً لدى الأوساط الصناعية الأجنبية ليحاول إفهامها بأن النظام القومي نظام لايضع المصالح الرأسمالية موضع رهان ، ولايؤلف خطراً . وفي خطاب ألقاه في ناد للصناعة في نيويورك ، صرح قبل وصول هتلر إلى السلطة ببضعة أشهر : « الحزب الهتلري حصن عقائدي ضد الاتجاهات المادية » . وهذه الأوساط نفسها طالبت ، في آخر تشرين الثاني ١٩٣٢ ، بناء على رجاء شوخت وكثير من كبار الصناعيين ، في رسالة إلى هندنبورغ بتسليم مسؤولية السلطة إلى « أهم زعيم قومي » ، وكان هذا الزعيم ، كما هو معلوم ، هتلر . وأخيراً ، في فيلا المصرفي الكولوني ، فون شرودر ، المصرفي العظيم النفوذ الذي كان على صلة بأوساط الصناعة الرينانية الضخمة ، جرى اللقاء بين فون بابن وهتلر ، في ٤ كانون الثاني ١٩٣٣ وفيه أعدت الصيغة التي تساعد هتلر على الوصول الى مستشارية الرايخ .

وبعد استلام السلطة ، أمنت رابطة الصناعة هتلر بكل دعمها . وفي ٢٠ نيسان ١٩٣٣ كتب كروب الذي أصبح رئيسها وانضم لهتلر ، مايلي : إن تطور

الحالـة السيـاسيـة يلتقي بـالتمنيـات التي تصورنـاهـا أنـا بنفسي واللجنـة الموجهـة « لرابطة الصناعة الألمانية منذ زمن طويل » .

ويبقى أن نوضـح الأسبـاب التي جعلت هـذه الأوسـاط الاقتصـاديـة تخـول السلطـة لهتلر ، وللنـازيـة . يمكن ، بتنظيم الأمـور ، إرجـاع هـذه البـواعث إلى ثلاثـة : **أولاً** كان يراد من إيصـال هتلر إلى السلطـة الحصول على وسيلـة لممارسـة نفوذ متزايد على العمال الذين وجـدوا أنفسهم محرومين ، بـالتشريع الجـديـد ، من عـدد عظيم من حقـوقهم النقـابيـة . **ثـانيـاً** : الحصـول على ضمان حكم مستقر . **ثالثا** ، وبخاصـة دون شـك ، إمكانيـة التوصل إلى إعـادة تسلح كثيف ، وتزايـد القدرة الألمانية ، وسياسة خارجية تساعـد الصنـاعـة الألمـانيـة على إيجـاد منـافـذ جديدة ، إما بسياسة التسلح ، أو بالفتوحات التي يمكن أن تجرها هذه السياسة .

ثانياً : موقف الجيش

والقطـاع الثـاني للطبقـات المـوجهـة ، الـذي تحسن دراستـه ، هـو **مـوقف الجيش** . ومـوقف الجيش إزاء سيـاسـة فيمار يتطلب أن يكـون مختلف الألـوان بدقة . وفي القسم الأعظم ، إن مواقف الأوساط العسكريـة إزاء فيمار قـد حـددهـا الجنرال فـون سيكت الـذي كان منظماً وزعيماً للرايخـو ير المـؤلف من ١٠٠,٠٠٠ رجل ، والذي خولته لألمانيا معاهدة فرسـاي . ويرى سيكت أن الجيش يجب ألا يهتم بالقضايا السياسيـة. ويريـد صيـانـة استقلال الجيش بشـدة وحرارة ، وضمان الوضع الخاص للجيش الذي يتصوره كدولة في دولة . ويريـد أن يحفـظ للجيش بدقة ، باسم مبدأ الكفاءة. وضعاً ممتازاً على الاطلاق في هـذه الـدولـة . ولـذا كان سيكت معادياً لتدخل الجيش في الحياة السياسية . ولـذا فـان سيكت مـادام على رأس الرايخو ير كان يرفض أن يدعم محـاولات الثورة التي جرت ، والتي تبرأ منهـا مراراً ، ولم يعاضدها . ولكن هذا الموقف لايعني مطلقاً من جـانب سيكت ، ولا

من جانب الرايخوير تشيعاً للجمهورية . إن معظم الجنرالات ، كجنرالات الجيش الإمبراطوري السابق ينتمون إلى أوساط محافظة ومتعلقة للغاية بالتقاليد ، وتبدي عداء أساسياً ، ونوعاً ما غريزياً إزاء مُثُل الأوساط الجمهورية ، مثل الديموقراطية والسلام . ويزعم الرايخوير بأنه يتبنى موقفاً فوق الأحزاب ، كما يدعي بأنه يخدم الدولة الألمانية لا الجمهورية . وليس أمامه إلا المصلحة القومية . ويحرص بكل الوسائل على أنه يجب على ألمانيا أن تسترد قدرتها . وأن يغسل خزي فرساي ، وأن حرب الثأر محتومة ، ويلمح إلى أن جمهورية فيمار ليست بالنظام القادر على النهوض بالبلاد .

ويمكن أن يقال أن الرايخوير هو أقوى تعبير للقومية المحافظة في عهد جمهورية فيمار . وقد وجدت ولاشك محاولات لجمهرة الجيش ، وحمله على قبول الأفكار الجمهورية ، وهذه المحاولات قام بها فيما بعد ، بعد زوال سيكت ، في ١٩٢٧ ، وزير الحربية **غرونر** . ويشار أيضاً ، في هذا الصعيد ، إلى خلف زعيم الأركان ، الجنرال فون هامرشتاين الذي يعتبر في الأوساط العسكرية « الجنرال الأحمر » ، ويتعاطف مع الأفكار التقدمية .

وبعد فما يكون موقف الجيش إزاء الهتلرية ؟ كان عند الكثير من الضباط القدماء حذر أكيد إزاء هتلر ونوابه ، وعداء إزاء عسكرة الجماهير الديموقراطية ، ويتهكم ، في الأوساط العسكرية على ولع الجندي السياسي ، هتلر . ووجدت في الرايخوير عاطفة قلق إزاء التنافس الذي تقوم به جنود الحزب النازي ، الـ S.A و S.S وبدت الحركة الهتلرية لعدد من الضباط بأنها سطحية وعامية . ولذا فان الجيش تبنى على العموم موقفاً متحفظاً إزاء الهتلرية . ولم يكن من هندنبورغ إلا الحذر وسوء الظن ممن يسميه « عريف بوهيميا » وفي الحقيقة وجد ، منذ وقت مبكر ، بعض الضباط الكبار من اتجاه نازي ، ولكن الكولونيل **فون رايخنو**

الذي يبدي تعاطفاً مع الهتلرية ، كان على ما يبدو وصولياً ، ويعتبر استثناءً في عهد جمهورية فيمار .

ومع ذلك ، يجب الاعتراف بأن الهتلرية جذبت بشكل أكيد بعض كبار الضباط ، ويعترف للهتلرية بأنها تابعت إعادة تأسيس ألمانيا كدولة كبرى ، وطالبت بإعادة تسلحها ، وأرادت أن تعيد الهيبة إلى الجيش ، ويقال بين يوم وآخر بأن الكتائب المنظمة للشبيبة الهتلرية يمكنها أن تدخل في الجيش بسهولة . ويفكر ، من جهة أخرى ، في هذه الأوساط ، بأن هتلر سيكون رجلاً يمكن استخدامه بسهولة . وهذا هو رأي رجل مثل **غرونر** الذي لايناقش في عواطفه الجمهورية ، ولكنه يبدي ، إزاء هتلر ، بعض التساهل . وبعد أن التقى به ، في ١٩٣١ ، كتب : « إنه نموذج العامل المعلم نفسه والمصمم على اقتلاع الأفكار الثورية . الأهداف طيبة . ولكن الوسائل المستخدمة سيئة في الغالب » . وقد ظهرت أوهام الأوساط العسكرية إزاء هتلر ، بخاصة ، في حالة فون سيكت ، عندما كان متقاعداً ، وكشف عن نواياه ، في ١٩٣٠ ، بمشاركة الهتلرية بالسلطة ، وعندما قبل ، في ١٩٣١ ، المشاركة في جبهة هارتسبورغ ، وفي نفس السنة ، عندما نصح اخته أن تصوت لهتلر ضد هندنبورغ لرئاسة الجمهورية .

وأخيراً ، يجب أن نشير ، وربما كان ذلك أخطر حادث ، إلى أنه إذا أبدى قادة الجيش بعض التردد إزاء الهتلرية ، فإن الضباط الشبان ، كانوا ، بالعكس ، منذ ١٩٣٠ ، وفي السنوات التالية ، مأخوذين بسرعة بهيبة هتلر . ففي ١٩٣٠ ، قرر الجنرال غرونر ، وزير الحربية ، الدفاع عن الجمهورية ، ومنع تشكيل الفرق القومية - الاشتراكية في الجيش . حتى إنه استدعى ثلاثة ضباط شبان من حامية أُلْمْ للمثول أمام محكمة ليبزيغ العليا بتهمة الخيانة العظمى . ولكن أكثرية الضباط العسكريين من الشباب ، اذا لم يمكنهم الإنتماء علناً للحزب النازي ، فقد كانوا يشعرون بتعاطف دون منازع مع هتلر وأفكاره .

وقد ظهرت علاقات الهتلرية والجيش في الأزمة القصوى ، أزمة خريف ١٩٣٢ ، التي سبقت وصول هتلر إلى السلطة . ففي ذلك الحين ، عهد بمنصب المستشار إلى الجنرال فون شلايخر الذي يعتبر ، منذ زوال سيكت ، وكان جزئياً مسؤولاً عنه ، أعظم شخصية في الجيش الألماني . وكان أمين دولة مساعداً في الحرب ووزيراً للرايخوير، قبل أن يصبح مستشاراً. وكان يتمتع بنفوذ عظيم لدى هندنبورغ : وقد توطدت العلاقات بين الرجلين باعتبارهما خدما في السابق في قطعة الحرس ، وكان لشلايخر نفوذه منذ زمن طويل على التسميات الوزارية ، أي مهنة الضباط ، وفي كثير من الحالات لعب دور المتآمر اللامرئي . وقيل فيه : « أصبح الجندي سياسياً »، ومع ذلك ، بقي السياسي جندياً » ، وهذا يقتضي ، بالبداهة ، رهاناً خطراً ودقيقاً للغاية . لقد حاول شلايخر أن يمنع هتلر من الوصول إلى السلطة ، وبينما كان سلفه فون بابن يحاول جذب هتلر وإدخاله في وزارة المحافظين ، كان شلايخر يحاول تفريق الحزب النازي ، وبالتالي إدخال الحزب النازي في الحكومة ، ولكن دون هتلر . وقد تابع هذه السياسة ، في كانون الأول ١٩٣٢ ، هذه السياسة التي تقتضي تفتيت الحزب الهتلري بالاعتماد على الجناح الأيسر للحزب ، وبخاصة على غريغور شتراسر الذي كان على علاقات معه عبر أوساط مجلة العمل (TAT) ، حتى إنه اقترح على غريغور شتراسر حقيبة وزارية ، بغية عزل هتلر . وقد اخفقت هذه المحاولة لأن هتلر عرف كيف يبقي على وحدة الحزب بطرد شتراسر . وعندئذ لجأ شلايخر إلى محاولة أخرى ، وهي إدخال الحزب الهتلري والحزب الشيوعي معاً ، بإقامة نظام دكتاتورية عسكرية معتمدة على بعض عناصر نقابية مأخوذة من الجناح الأيسر للحزب الهتلري لـ (N.S.D.A.P) ، وحتى بعض عناصر نقابية اجتماعية - ديموقراطية أو وسطية . ولكن هذه السياسة اصطدمت بمقاومة مزدوجة من اليسار المتطرف ومن الحزب الهتلري واعتبرتها الأوساط العسكرية خطرة جداً . وفي اللحظة الحرجة ،

تخلى الجيش عن فون شلايخر ، وقـد نصح عـدد من الجنرالات ، وبخـاصـة الجنرال فون بلومبرغ ، هنـدنبورغ بعزل شـلايخر . وفي هـذه الظروف قـدم لهتلر ، في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ ، منصب المستشار في وزارة كان فيهـا النـازيون أقليـة ، وكان فيها المحافظون الألمان ، بالعكس ، أكثرية .

وللختـام يبـدو أن الجيش كان بـالاجمـال قليـل الاستعـداد للترحيب بمجيء هتلر إلى السلطـة ، إذا مـا أراد هـذا الأخير الاستيلاء عليهـا بـالقوة . ولو جرت هـذه المحـاولـة ، فمن المحتمل أن الجيش ، كما كان مؤلفـاً في ١٩٣٣ ، أن يعـارضهـا . ولكن في الوقت ، الـذي استلم هتلر السلطـة بـالصيغ القـانونيـة ، لم يقم الجيش ، بالإجمال ، بأي فعلٍ أو حركة لمنعه .

ولكن وصول هتلر إلى السلطـة لم يكن وحـده نتيجـة فعل القـوى الخفيـة . فجذوره يجب أن يبحث عنها في طبع الشخص وفي قلق الجماهير التي جعلها تتطلع إلى مسيـح . وبـالتـالي ، لإيضـاح وصـول هتلر إلى السلطـة ، لاغنى من ذكر العمل ، ودور الجماهير . وبالتالي ، وصف الدعاية التي تأثرت بها هـذه الجمـاهير . ويجب مع ذلك ـ وهذه الملاحظة التمهيدية أساسية ـ ألا يبالغ في الأهمية العدديـة لهذه الجمـاهير ؛ وان نلاحـظ أن هتلر ، في الوقت الـذي استلم فيـه السلطـة ، كان أبعـد من أن تكـون وراءه أكثريـة الشعب الألمـاني . إن الاحـزاب التقليـديـة ، أحزاب اليسـار ، قـاومت سيطرة الهتلريـة المتعـاظمـة . ففي انتخـابـات تشرين الثاني ١٩٣٢ ، آخر انتخابات قبل وصول هتلر إلى السلطة ، احتفظ الشيوعيون بـ ١٦,٩٪ من الأصوات ، والاجتماعيون ـ الـديموقراطيون ٢٠,٤٪ . وكان الشيوعيـون في تقدم خفيف ، والاجتماعيون ـ الديموقراطيون في تراجع خفيف . ولكن هـذين الحزبين يجمعان ٣٧٪ من الأصوات . والوسط الكاثوليكي ، كان هو أيضـاً ثـابتـاً : فقد كان له ٩٧ مندوباً في ١٩٢٤ ، واحتفـظ بـ ٩٦ منهـا في ١٩٣٢ . ونمت القوميـة

بنسب عظيمة ، ولكن على حساب احزاب اليمين واحزاب الوسط اليميني . ومافتئ القوميون الألمان في تناقص . ولا يمثلون ، في ١٩٣٢ ، إلا ٨,٨٪ من الأصوات مقابل ٣٣,٨ للهتلريين : وحزبا اليمين القوميان متحدان لا يؤلفان إلا ٤٣٪ من الأصوات . وفي الحقيقة لم يكن للنازيين سند جاد في عالم العامل الألماني . والدليل على أن الطبقة العاملة لم تساند النازيين تأتينا به ، في ١٩٣١ ، انتخابات مجالس المعامل التي لم يحصل فيها المرشحون القوميون ـ الاشتراكيون إلا على ٠,٥٪ من الأصوات . وفي الدراسات الانتخابية العديدة جداً ، التي أجريت ، تدل على أن عالم العمال بقي متعلقاً ، في ١٩٣٣ ، بأحزاب اليسار . ففي ضاحية فيدينغ الصناعية في مجمع برلين ، جمع حزبا اليسار ، في انتخابات تشرين الثاني ١٩٣٢ ، ٧٠,٥٪ من الأصوات ، على حين أن النازيين لم يحصلوا إلا على ١٨٪ . وفي المدن الكاثوليكية الصناعية ، انقسمت الأصوات بين الوسط ، الحزب التقليدي للكاثوليكية ، والأحزاب الماركسية . ولم تقفز النازية ، من وجهة النظر الاجتماعية ، قفزة عظيمة ، إلا في مدن البورجوازية الصغيرة . وهنا تؤلف كثرة الناخبين النازيين واقعاً : ففي فيار ، مثلاً ، حيث تسيطر البورجوازية الوسطى والصغرى ، حصل النازيون على ٣٩٪ من الأصوات ، على حين أن ١٣٪ من الأصوات ذهبت للقوميين الألمان . إذن ٥٢٪ هنا للأحزاب القومية . على حين أنه لا يوجد إلا ٣٣٪ للحزبين الماركسيين ، وهذا يسمح بأن نستنتج أن القومية ـ الاشتراكية تعتمد على الطبقات الوسطى ، المكدحة ، صغار البورجوازيين ، المستخدمين ، الموظفين ، والعديد من المفكرين ، وبخاصة المعلمين ، والضباط ، والصناعيين ، وأوساط التجار ، كل مايسمى ، في ذلك العصر ، الطبقة الكادحة ذات القبة القاسية ، التي تثور ضد الوضع الذي أوجده لها انخفاض قيمة المارك والأزمة الاقتصادية ، الناس الذين يحتجون على الانحطاط الاجتماعي الذي يرون بأنه غير محق ويرفضون التكديح الذي يتربص لهم . ولا يريدون أن يخلطوا

بالعامل . وتضاف إلى هذا ، بالبداهة ، العناصر الفتية التي ترى نفسها ضحية الأزمة ، وترى المنافذ مغلقة . ومامن مورد لها إلا البطالة . وهذا الاستياء ، وهذا القلق من الطبقات الوسطى والبورجوازية الصغرى والوسطى ، استياء الشبان ، هو الذي سيجر الألمان بأعداد كثيرة إلى إعطاء مساندتها للأحزاب المتطرفة وحلول اليأس .

بم تعد الهتلرية ؟ لقد دعت إلى مايسمى حنين الألمان المعادي للرأسمالية . ولكن هذا العداء للرأسمالية فقد طابعه الأممي والكادحي ليصبح عداءً بسيطاً للسامية . فقد عارضت الاقتصاد الحر ، الذي تهاجمه باستمرار ، بالاكتفائية : اقتصاد الحلقة المفرغة ، الاقتصاد على الصعيد القومي . وحضت دوماً على الروح القومية . والشعار : « استيقظي ياألمانيا » يتكرر باستمرار في خطبها . وتقترح على من يصغون اليها مستقبل العظمة والخصب والازدهار ، والعمل للجميع ، رايخ الفي ، وتستعمل ، لكل هذا ، الأفكار الجارية على لسان انصار الجامعة الجرمانية . وتشهر في معاهدة فرساي وفي مشروع يونغ ، بالأسباب الأساسية للأزمة الاقتصادية التي تجتازها البلاد : وبالبداهة ، تهاجم سياسة تنفيذ المعاهدات . إنها مجموعة من الأفكار بسيطة للغاية أخذت عن كتاب مثل شبنغلر ، مولر ، فان در بروك ، كارل شيلدت ، هانز غريم ، ولكنها تستعملها بهوس ، بشكل يخاطب القلق ، والأحقاد ، وشهوة الجماهير الألمانية للثأر ، وهذه الاتهامات والشعارات كانت تكرر بتخم لافي خطب هتلر ونوابه فحسب ، وإنما في صحافة تستطيع وحدها التعبير عن نفسها : « الهجوم » ، « الرقيب » ، « الشعبي » ، وفي مؤلف روزانبرغ « اسطورة القرن العشرين » الذي يعتبر انجيل الحزب القومي - الاشتراكي . وهذا الكتاب لايأتي بشيء جديد على الإطلاق . وإنما هو تكثيف لأفكار درست من قبل عند هوستون ستيوارت تشامبرلن وعند غونتر ، وتعتمد على فكرة النزاع عبر التاريخ بين السامي والآري .

وأهم هذه الشعارات دراسة الدعاية ، أي الطرق التي استعملها هتلر ليدخل أفكاره في الأدمغة الجرمانية . ونجد لهذه الدعاية دراسة في كتاب يلفت النظر للغاية لمؤلفه سرج شاخوتين ، وهو بعنوان : « اغتصاب الجماهير »[1] وقد صدر في ١٩٥٢ ، والصفات الأساسية لهذه الدعاية هي : الاعتماد على القدرات اللاعقلانية ، والغَريزية ، وتوطيد سلطة هتلر القوي ذي الجاه العظيم ، الزعيم المعصوم ، العالم بكل شيء ؛ وتمجيد الحزب الذي يؤطر الأمة ويحرك وينظم الجماهير ، ولولاه لظلت جامدة لاحراك فيها ؛ وتحريض أحاسيس الجماهير وبهيمتها ، وأخيراً بعث الخوف الذي يشد الأفراد .

---

(١) SERGE CHAKHOTINE, LEVIOL DES FOULES, 1952.

الفصل السادس

الاتجاهات القومية في ألمانيا الهتلرية

ماهي العناصر الأساسية للقومية الألمانية في السنوات الست الأول للدكتاتورية الهتلرية ؟ يمكن إرجاعها إلى ثلاثة عناصر : العرقية ، الاكتفائية الاقتصادية ، والتوجيهات المعطاة للسياسة الخارجية .

١ ـ العرقية

أخذت العرقية في ألمانيا ، في ذلك العصر ، مظهرين مختلفين : أولاً العمل السلبي : أي على الدولة أن ترد بكل قواها ضد عدوى العرق الألماني من الأعراق المنحطة ، وبخاصة العرق السامي . ثانياً : العمل الإيجابي : وهو تحسين العرق من وجهة النظر الكمية ، ومن وجهة النظر الكيفية ، للحصول على اصطفاء يساعد على وضع أفضل الموهوبين عرقياً في مراكز القيادة .

أولاً ، المظهر السلبي وهو العداء للسامية . لقد ظهر العداء للسامية في داخل الحزب الألماني قبل وصول هتلر إلى السلطة بكثير . فقد كان الهتلريون في السنوات من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٣ يتهمون اليهود باستمرار ، بأنهم يسيؤون معاملتهم فردياً . وهكذا انطلاقاً من ١٩٣٢ ، لم يجرأ أي يهودي على المثول أو الظهور على الكورفور شناندام في برلين . وقد أعلم هتلر ، مع ذلك . حتى استلامه السلطة ، أن الدين اليهودي لن يضطهد . وكان هذا التصريح منه واسطة لتطمين الأوساط اليهودية في انكلترا والولايات المتحدة المتنفذة للغاية . وعند وصول هتلر إلى

السلطة غادر نحو ٤٥,٠٠٠ يهودي ألمانيا . وبقي منهم في ذلك الحين ٤٧٠,٠٠٠ . ثم أخذت إجراءات الاضطهاد ضد اليهود في ١٩٣٣ و ١٩٣٩ ثلاثة مظاهر مختلفة على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى . ـ عند وصول هتلر إلى السلطة : مقاطعة المخازن اليهودية . وقد أعلن على واجهات المخازن : « مخازن يهودية » . « لا تشتروا شيئاً من هنا أيها الألمان » . واختفى التاجر اليهودي في دكانه وأجبر على الإصغاء بصبر للشتائم والسخرية التي يسومه بها المناضلون النازيون . وهناك تدبير أخطر ، وهو أن التاجر اليهودي كان مجبراً على إبلاغ كتبه وحساباته ، ودون أن يجبر بعد على ترك مشروعه التجاري كان مجبراً على التخلي عن امتيازاته إلى آري يستلم إدارة البيت الذي يديره حتى ذلك الحين . ثم لما بدا للحكومة أن يدها مكفوفة أمام الرأي العام . اتخذت عدة إجراءات تهدف إلى دحر اليهود عن المواقع التي نجحوا فيها . وهكذا فإن قانون ٧ نيسان ١٩٣٣ يخرج اليهود من الوظائف العامة ، ولم يعتبر الإسرائيليين وحدهم يهوداً ، وإنما كل مسيحي جده يهودي أو جدته يهودية . ومن الضروري إذن ، انطلاقاً من هذا الحين تقديم الدليل الموثق الذي يثبت نقاوة الدم ، باستثناء المحاربين وأبناء المحاربين الذين قتلهم العدو . ومن جهة أخرى ، إن قانون ٣٠ حزيران ١٩٣٣ يحرم على كل موظف أن يتزوج يهودية ، ويخرج من وظائف الدولة المرشحون المتزوجون يهوديات . وتزعم الحكومة لتبرير هذه القوانين بأنها تمنع بذلك الغضب الشعبي من الإفصاح عن نفسه ، وتجنب أعمال الإبادة وسفك الدم . وفي مؤتمر نورامبرغ ، في أيلول ١٩٣٣ أكد روزنبرغ أن الحزب لا يريد مطلقاً التبشير بحقد الاعراق ، وكل ما يريده فقط هو تجنب عدوى الأعراق ؛ ورفض تمثل اليهود ، ولكنه صرح بأن الدولة تتسامح معهم ، باعتبارهم ضيوفاً أجانب ، وعليهم أن يعيشوا جانباً بعيدين عن باقي الأمة .

المرحلة الثانية . ـ كانت في **قوانين نورامبرغ** التي صوت عليها الرايخشتاغ في ١٩٣٥ . فقد اتخذ هتلر في هذا المؤتمر موقفاً واضحاً جداً ضد اليهود . وفي ١٥ أيلول ١٩٣٥ ، سحب الرايخشتاغ من اليهود حقوق المواطنين الألمان ، واعتبر اليهود خارجين عن الجماعة القومية . وحاولت هذه القوانين أن تحدد ، بدقة شديدة ، مفهوم اليهود . واعتبر اليهودي الكامل من كان له ثلاثة أو أربعة جدود يهود . واعتبر المتحدر من جدين يهوديين خلاسياً . وقبل الخلاسيون في الجماعة الألمانية على أن يظلوا خاضعين باستمرار لرقابة تمنعهم عملياً من ممارسة مهنتهم ، وبالبداهة ، من الدخول في خدمة الدولة . وأخيراً ، عدة قوانين ، في نطاق قوانين نورامبرغ دوماً ، تزعم حماية فضيلة النساء الآريات : وهي أن اليهودي لا يمكن بالتالي أن يتخذ لخدمته خادمة آرية إذا كان عمرها أقل من ٤٥ عاماً .

المرحلة الثالثة . ـ هي مرحلة **الاضطهاد العام** الذي أثير بمحاولة إسرائيلي باسم غرينسبان قتل سفير ألمانيا في باريس . وهذه المحاولة لم تؤد إلى قتل السفير وإنما قتل مستشار السفارة فون رات ، في تشرين الثاني ١٩٣٨ . وكان هذا القتل في أصل إجراءات عنيفة للغاية اتخذت ضد اليهود في ألمانيا ، من إبادة جماعية ، وحرائق معابد يهودية وفرض ضريبة من مليار مارك على الجماعة اليهودية . وانطلاقاً من ذلك الحين ، أبعد اليهود عملياً عن الحياة الاقتصادية ، من آخر القطاعات التي كان لهم فيها عمل بعد ، وحرم عليهم منذ الآن الدخول في المدارس ، وفي أماكن البهجة والسرور ، وحتى في الحدائق . وكان ذلك أيضاً في الوقت الذي كان فيه وزير الدولة ، شاخت ، يتصور خطة عامة للسماح لليهود برحيل جميع اليهود عن ألمانيا ، ويتصور مصادرة أموالهم ، وبفضل ذلك ، يؤسس صندوق للهجرة . ولكن تنحية شاخت من وظيفته رئيساً لبنك الرايخ حالت

دون تحقيق هذه الخطـة . ومـا من شـك في أن الحكومـة الهتلريـة تصورت إبـادة اليهود ، ابتداءً من ذلـك الحين ، في تشرين الثـاني ١٩٣٨ . فقـد تكلمت « الفرقـة السوداء » الناطقة بلسـان الـ S.S بتـدمير اليهود ، وتصور هتلر هـذه الفرضيـة في خطـاب لـه في الرايخشتـاغ ، في ٣٠ كانون الثـاني ١٩٣٩ ، وعنـدمـا نشبت الحرب العالمية الثانية كانت خطط الإبادة الكلية للطائفة اليهودية موضع تصور .

ثانياً : المظهر الإيجابي : والمظهر الثـاني للعرقيـة في عصر هتلر من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩ ، وهو المظهر الإيجابي ، أفصح عنه أولاً بسياسة الولادة وثانيـاً بسيـاسـة التعقيم .

١) **سياسة الولادة** ـ ودون أن ندخل هنا في التفـاصيل ، تجـدر الإشـارة إلى أنـه لوحـظ في جمهوريـة فيار ، تراجع في الولادة ، وبـالتـالي ، تقـدم في سن الأمة يعود إلى نـدرة الزيجـات وكثرة الطلاق ، والتحـديـد الإرادي للنسل ، ونمو التعامل بموانع الحبل الذي أخذ في عهد جمهورية فيار ، صفة رسمية . فقـد حسب أن حركة عدم الولادة ، إذا استمرت ، فإن ألمانيا في آخر القرن العشرين لا يكون سكانها أكثر من ٤٥ مليون . وتجاه هذه الحـالـة ردت الحكومـة الهتلريـة بشـدة ، وصرح هتلر مراراً مختلفة بأن الطفل أثمن نعمة للأمة ، وأشـار إلى صحـة العـائلـة وعدم المساس بها . وهكذا ستقوم سياسة الولادة بـالتشجيع بصورة أسـاسيـة تنظيم قرض الزواج الذي يرمي إلى الإكثـار من الزواج ، وأيضـاً بـالإطفـاء التـدريجي للقرض بولادة كل طفل . وعزز هـذا التشريـع أيضـاً بصـورة غير مبـاشرة بفرض ضريبـة على العزاب ، تشكل جزءاً من المـوارد المستعملـة في قرض الـزواج . وقـد لوحـظ ارتفـاع سريع في عـدد الزواج ، وأيضـاً ارتفـاع سريع جـداً في الولادة في الدور ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩ . وأحدثت جمعية ، جمعيـة الأم والطفل ، للسهر على تطبيق سياسة الولادة هذه .

٢) سياسة التعقيم - من الأفكار الأساسية للنظام الهتلري حماية العرق ضد العاهات الوراثية . وهكذا صوت على قانون ١٤ تموز ١٩٣٣ الذي يقبل بأن المرضى المصابين بأمراض وراثية خطيرة ، أو من نموذج غير طبيعي ، يجب أن يوضعوا في حالة عدم إمكان للإنجاب . وأن جميع الأفراد من الجنسين المصابين بأمراض قابلة للانتقال ، ويمكن أن يشخصهم طبيب نطاسي يجب أن يجعلوا غير صالحين للإنجاب ، بعملية جراحية لا خطر فيها من الناحية الطبية ، ويمكن أن يطلب المريض التعقيم أو الوصي على المريض ، أو طبيب محلف . وفي هذه الحالة تقرر محكمة خاصة ، محكمة الصحة الوراثية للعرق بهذا التعقيم في جلسة سرية وامتد القانون بسرعة جداً إلى المجرمين الساديين . وأخيراً صدر في تشرين الأول ١٩٣٥ ، قانون لحماية الصحة الوراثية للشعب الألماني ، يجعل الزواج مستحيلاً في بعض الحالات المرضية .

والحجج التي قدمها النازيون لحماية هذا التشريع نوعان : أولاً البرهنة السياسية : وهذا نص من روزانبرغ : « ولماذا لا تطبق على الجنس البشري القواعد التي ساعدت على تحسين جنس الكلاب . إن الإحسان الذي يساء فهمه هو تخليد الانحطاط والضعف » . وثانياً ، البرهنة الاقتصادية . فقد كان المجنون يكلف المجتمع حتى ٣٠٠٠ مارك في العام . والأصم - الأبكم حتى ١٥٠٠ مارك . وخرج من هذا التشريع تنظيم شهادة الصحة الوراثية لإبرام الزواج . وأنشئت عدة مكاتب صحية كلفت بإسداء النصائح الصحية لتأمين الزواج في أفضل الظروف العرقية .

٢ - سياسة « الاكتفائية » الاقتصادية

هذه السياسة التي وسعتها الجرائد الهتلرية ، في الغالب ، قبل ١٩٣٣ ، وأيضاً بعض التجمعات التي لم تكن هتلرية ، ولكنها قريبة منها ، مثل جريدة

« العمـل » ، والتي كان يـوجهها بجرأة للغايـة بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ رئيس بنـك الرايخ ، الدكتور شاخت ، وتوبعت بعد أن غادر رئاسة هذا البنك .

أخذت هذه السياسـة الاكتفـائيـة مظهرين مختلفين : من جهـة ، كان يراد منع انتقـال رؤوس الأمـوال الأجنبيـة الكثيرة التي وظفت في ألمـانيـا خـلال دور الازدهـار من ١٩٢٥ إلى ١٩٢٩ . وظلت هـذه الأمـوال الأجنبيـة مجمـدة تحت اسم « حجز المارك »[1] ومع ذلك يمكن استعمالها في ألمانيا نفسها لشراء بضائع ألمانيـة . ويراد بذلك طريقة تصدير إجبارية ، لأن الأجـانب كانوا مضطرين للشراء من ألمانيا لئلا يخسروا رؤوس أموالهم .

ومن جهـة أخرى ، كان المظهر الآخر ، لهـذه السيـاسـة الاقتصـاديـة الاكتفائيـة ، البحث عن توازن الميزان التجـاري بـإيقـاف الواردات إيقـافـاً كليـاً تقريباً . فقد صرح هتلر : على ألمانيا أن تكفي نفسها بنفسهـا . ويجب أن تعيش في حدود الإمكان في اقتصاد مغلق . ولهـذا يجب ، جهـد المستطـاع ، خلق طرق تعويض خاصة لتعويض المنتجات التي كانت مستعملة حتى ذلك الحين . ويريـد هتلر بـذلـك استعمال عـدد من منتجـات التعـويض مثـل الكاوتشـوك التركيبي ، والبنزين التركيبي ، والاستعاضة عن بعض المنتجات النسيجية بأخرى مستخرجـة بخاصة من الخشب . وأخيراً ، وللمشتريات التي لا غنى عنها ، لأنه لا يمكن إنتـاج كل شيء في ألمانيا ، يستعمل مع الخارج نظـام التقـاص : أي أن كل وارد لألمـانيـا يجب أن يقـابلـه تصـدير بقيمـة مسـاويـة في البـلاد المعنيـة ، بـواسطـة صنـدوق التعويض . وبهذا النظام لن تخرج الماركات من ألمانيا . وتخرج ألمانيا بموجب هـذه السياسة الاكتفائية ، من المبادلات الدولية الطبيعية . وكان شاخت يعي النتائج المترتبة على هذه السياسـة الاكتفـائيـة ، ويعلم بـأنهـا تتضمن على المـدى القصير أو

---

(١) SPERRMARK

الطويل ، تهديداً بالحرب . وقد قال : إنها واسطة كفاح . وخلقت الاكتفائية لألمانيا حالة عزلة وضعفٍ اقتصادي . وستصبح مستعدة للتسلح لتوسع بالقوة نحو البلاد الغنية ، حدود الدولة التجارية المغلقة .

وستفصح سياسة الاكتفائية عن نتائج هامة للغاية : أولاً على الصعيد الزراعي ، ومن بعد على الصعيد الداخلي .

أما ما يتعلق بالسياسة الزراعية ، فإن أفكار الحكومة عرضها ، مراراً مختلفة ، وزير الزراعة ، فالتر داريه وهو مؤلف كتاب بعنوان : « الريفية كمصدر للعرق الشمالي » صدر في العام ١٩٢٨ . ويعلم فالتر داريه أن العرق الشمالي هو عرق ريفي وحربي معاً . والفلاحون الجرمان يعرفون كيف يمسكون بالسيف . والمعمر كان في الوقت ذاته جندياً . ويضيف : القوي الوحيد هو العرق الراسخ على التراب بصلابة : لأنه يعيش من الأرض ومن الدم . وإن موت الفلاح هو موت شعبنا . ولا يمكن إعادة بناء ألمانيا ، ونخبة ، وطبقة نبيلة ، إذا لم ننطلق من الريفية ، من ريفية متعلقة بالتراب بصورة وراثية . ويقول : يجب إعادة بناء أسر ريفية . ويبدي داريه إعجاباً شديداً جداً بالنبيل الريفي الإنكليزي المتعلق بصلابة بأرض ميلاده . ولربط الفلاح بالتراب يجب مكافحة الحق الروماني من الأصل الغربي الذي يتوقع التقسيم الدخيل الأجنبي على ألمانيا ، والعودة إلى العرق الجرماني الذي يخلق بفضل ابن من الأبناء الملكية الوراثية للأرض . وهكذا يؤول داريه إلى نظرية « الوقف الوراثي » أي الحقل الوراثي الذي لا يقبل القسمة ولا البيع أو الإعطاء . ولا تزرع هذه الأرض حسب مبدأ الكسب الفردي الذي هو فكرة يهودية لا يقبلها الألماني ، وإنما لخدمة الجماعة ولتجديد العرق .

وهذه النظريات التي وسعها فالتر داريه عبر عنها في التشريع ، في العصر الهتلري ، بقانونين أساسيين :

القـانون الأول - وهو أن إنشـاء الوقف الوراثي يجب أن يتم بموجب قـانون الإمبراطورية المؤرخ في ٢٩ أيلول ١٩٣٣ الذي يقضي بأن تكون الملكيـة الزراعيـة في ألمانيا مجمعة وغير مقسمة إلى قطع . ولم يمس هتلر مطلقاً ، بموجب هذا القانون ، الملكيات الكبرى الموجودة من قبل ، ولكنه أحدث نموذجاً جـديـداً للملكيـة وهو « الحقـلَ الـوراثي » وتبلـغ مسـاحتـه العظمى ١٢٥ هكتـاراً ، ويتـألف من عـدة حصص غير قـابلـة للقسمـة ، ولا تمس ، وتنتقل بـالوراثـة إلى أحـد أولاد المـالـك باختياره . ويجب أن يزرع المالك نفسه هذه الحصص ويساعده في ذلـك أقربـاؤه أو خدمـه ، وإبعـاد كل عـامل يومي . والألمـاني الطيب العرق وحـده يمكنـه أن يأخذ هذا « الحقل الوراثي » . ويفضل أن يعطى إلى محارب قديم أو إلى منـاضل حزبي . وبواعث هذا القانون محددة بوضوح لأن المراد هو ربط الفلاح بالأرض . وتحسين العرق ، والتشجيـع على خلـق مـؤسسـة جنـود مرتبطين بـالأرض . ومن البديهي أن تظهر المصلحة العسكرية بوضوح جداً في هذا القانون .

والقانون الثاني - هو إنشاء ما يسميه الألمان « منظمة تغـذيـة الرايخ » ، وتضم هـذه المنظمـة المنتجين في عـدد من « الريفيـات » ، ويكـون إطـار هــذه الريفيات إما **الحلقة** وإمـا **الإقليم** ، وحـددت ١٩ منطقـة زراعيـة . وعلى رأس هذه المنظمة وجـدت ثلاث إدارات : الأولى تهتم بـالحقل أي بـالقضـايـا التقنيـة ؛ والثانية ، تهتم بالسوق ، أي بالأسعار ؛ والثالثة ، تهتم بالجهاز أي مجموع الأشخـاص العاملين . وعلى وجه الدقة ، إن هذا القطاع ، الذي هو قطاع الإنسان ، ومهمته النضال ضد الرحيل إلى المدن ؛ وتنظيم « سنـة الريـف » التي تلزم آلنسـاء من عمر أقل من ٢٥ عاماً بالخدمة مدة عام على الأقل في حقل .

وعلى الصعيد الصناعي ، كان الحـادث الأسـاسي خطـة الأربعـة أعوام ، التي أعدت في ١٩٣٦ ، لتأمين الاكتفائية الصناعية لألمانيا ، وسمى غورينغ مديراً لها .

وقد صرح هتلر ، عندما أعلن تنظيم خطة نورامبرغ ، بجعل ألمانيا مستقلة اقتصادياً عن الخارج . وأضاف ، بأن المراد جعل الاقتصاد الألماني قادراً على مجابهة الحرب على وجه الإحتمال . وبموجب هذه الخطة ، تحدث الدولة ما يسمى « جمعيات المصلحة العامة » ، عندما تكون ألمانيا أمام دخولية غير مؤكدة ، عندما لا يتأكد جني فوائد من هذا المنجم أو ذاك ، أو من تحويل هذه المنتجات أو تلك . وهكذا ، حدث ما يسمى « أعمال هرمان غورينغ » في ١٩٣٧ ، التي خصصت بصورة خاصة لاستغلال المناجم الفقيرة ، مثل مناجم الحديد التي توجد في سالزغيتر في وسط ألمانيا

وهذه السياسة الاكتفائية ليست على الإطلاق سياسة مدوَّلة بصورة كاملة . وفي الحقيقة ، أن تخطيط الاقتصاد الألماني دفع دفعاً حثيثاً ، وأحدثت هيئة تسمى ، « غرفة الرايخ الاقتصادية » ، مع ١٨ غرفة اقتصادية إقليمية . مهمتها تخطيط هذه الصناعة ، والعمل ، في كل مكان ، في جميع قطاعات الاقتصاد الألماني ، على ظفر ما يسمى « مبدأ الزعيم » . ولكن هذا الاقتصاد المخطط ترك مجالاً عظيماً للمبادهة الخاصة . فهو لم يمس الاستقلال الذاتي للبنوك الكبرى التي أعادت إليها الدولة اختصاصاتها منذ ١٩٣٣ . ولم يمس التنظيم الصناعة الألمانية في كارتلات أو في تروستات : بل بالعكس عجل في تركيز رؤوس الأموال . وبالتالي ، فإن المشاريع الهامة أكثر من غيرها ظلت تزيل المشاريع الضعيفة ، وتتابع نمو أرباح الشركات الكبرى بسرعة في النظام الهتلري ، وتضاعفت الأرباح بين ١٩٣٣ و ١٩٣٨ . والاقتصاد القومي الألماني ، تحت شعار الاكتفائية ، لم يكن على الإطلاق اقتصاداً اشتراكياً ، ويلاحظ ذلك في ألمانيا في ذلك العصر بصعود ضعيف للغاية للأجور . تبع من بعيد جداً صعود الإنتاج الصناعي . وكانت نتيجة ذلك ضعف قوة الشراء لدى الجماهير وضيق السوق الداخلي .

وهذا التطور لا يمكن ولا يفهم إلا بحل جميع المنظمات العمالية الذي تحقق في ١٩٣٣ . فقد وجدت هيئتان أساسيتان على الصعيد الاجتماعي ، في ذلك العصر في ألمانيا . **الأولى :** مجموع النقابات من كل نوع التي اتحدت فيما سمي « جبهة العمل ، أيار ١٩٣٣ ، وتضم أرباب العمل والمأجورين وتجعل رب العمل ، في مشروعه ، الرئيس الحقيقي لهذا المشروع . وهذه الجبهة ، جبهة العمل ، التي نظمها الدكتور لي تعتمد على فكرة شرف العمل ، ولذا تزيل فكرة نزاع الطبقات ، وتحل محل هذه الفكرة تعاون الجميع في سبيل غاية عامة . و تسوى الخلافات في داخل جبهة العمل على يد رجال ثقة ، وهم بصورة إجبارية مناضلون نازيون . **والثانية :** هي خدمة العمل التي كانت اختيارية أولاً ، وإجبارية بعد ١٩٣٥ ، وتدوم عاماً واحداً ، وتجبر الأفراد من الجنسين على المشاركة في عمل لصالح الجماعة ، وتهيئ الشبيبة للنظام العسكري . وما من عنصر كان قادراً ، كخدمة العمل ، على نشر فكرة الأمة المسلحة ، فكرة الجندية .

٣ - سياسة الهتلرية الخارجية

يحسن أن نفحص هذه السياسة تحت زاوية قومية ، ومن الضروري أن نبين في هذه القضية الفرق بين الدور الذي يسبق ١٩٣٦ والدور الذي يليه .

حتى ١٩٣٦ ، لم يقطع هتلر الصلة مع مبادئ السياسة الخارجية للحكومات السابقة . فقد كان يخفي في هذا الدور الأهداف التي تابعها فيما بعد ، والتي ، مع ذلك ، كان يسر بها ، في حياته الخاصة ، إلى بعض الأشخاص ، مثل راوشنينغ الذي يذكر في « هتلر قال لي » بعض نجاوى هتلر : منها أن هتلر كان يتصور ألمانيا بـ ١٠٠ مليون نسمة ، وضم النمسا ، وتشيكوسلوفاكيا . ولكن هتلر يؤكد رسمياً ، حتى ١٩٣٦ إرادته الصريحة بالسلام . ويدعم نظرية حقوق ألمانيا في المساواة في التسلح ، وضرورة إنهاء قضية التعويضات . ولكنه يقول إن أهداف

هذه السياسة سيحصل عليها سلمياً . ويضاعف تصريحاته المطمنة إزاء الخارج .

ويرى ، وقد قال ذلك مراراً مختلفة ، ان من الضروري تعديل خصوم ألمانيا ، ومنع تشكيل تألب ضدها . وكان يشعر إزاءها بنفس المخاوف التي شعر بها بسمارك من قبل ، ويؤكد عواطفه في السلام بتوقيع مواثيق عدم عدوان واتفاقات ثنائية مع من يقبل ، كالاتفاق الذي وقعه مع بولونيا في ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٤ .

ولكن هذه السياسة عرفت بعض الإخفاق ولم تنجح أحياناً . وأشهر فشل لها كان مقتل دولفوس في تموز ١٩٣٤ ، الذي لم يساعد هتلر على السيطرة على النمسا على أثر ردود الفعل العنيفة من إيطاليا والدول الغربية . ولكن هتلر ، في هذا الدور ، حقق بعض النجاحات لصالحه : ضم السار لألمانيا باستفتاء ١٣ كانون الثاني ١٩٣٥ ، وفرض الخدمة العسكرية الإجبارية ، في آذار ١٩٣٥ ، وأخيراً أعاد تسليح (عسكرة) رينانيا في آذار ١٩٣٦ .

ويبدو ، في سياق ١٩٣٦ ، أنه قرر أن يعطي لسياسته الخارجية أهدافاً أوسع مما في السابق . وتعتبر سنة ١٩٣٦ ، بالنسبة للنازية ، سنة الفصل . وبالفعل كانت السنة التي أدخل هتلر فيها وبكثافة الجيوش الألمانية إلى جانب الجنرال فرانكو . وهي أيضاً سنة إنشاء محور برلين ـ روما ، وتوقيع الميثاق المعادي للشيوعية الدولية مع اليابان ، وفي ذلك إشارة لسياسة خارجية نشيطة بصورة لا متناهية . ومع ذلك ، فإن مشاريع هتلر في السياسة الخارجية لم تتضح وتحدد تماماً إلا في خريف ١٩٣٧ ، في مؤتمر له مع عدد من الدبلوماسيين والعسكريين الألمان . وقد شكل هذا المؤتمر ضبط هوسباخ . وفي محكمة نورامبرغ بعد الحرب ، عرض هوسباخ هذه المحادثة ، ولم ترفض أبداً صلاحية هذه الشهادة . ويدل ضبط هوسباخ على أن هتلر قرر في ذلك الحين توسيع المجال الحيوي لألمانيا ، لا إلى المستعمرات التي مرّ عليها بسرعة ، وحدها فحسب ، وإنما إلى حدود الرايخ ، في

أوربة . ولهذا قرر القتال ، وفي الحقيقة كان يتمنى أن تكون الحرب محدودة ، وكما قال ، أراد أن يقاتل بأقل كلفة . ولكنه كان عازماً على تسوية قضية المجال الحيوي الألماني ، في الآجل ، في سياقِ السنوات ١٩٤٣ إلى ١٩٤٥ ، وإذا كان هذا ممكناً ، في ١٩٣٨ .

وكانت النتيجة حرمان من يعارضون مشاريعه من مجالس الحكومة ، وبخاصة أعظم الزعماء العسكريين ، مثل الجنرال فون بلومبرغ والجنرال فون فريتش ، وعزل وزير الشؤون الخارجية ، فون نويرات ، وإنابتهم برجال مخلصين كلياً لفكر وقضية هتلر .

وأكد منذ الآن ، وبشكل رسمي صريح حق تقرير المصير لستة ملايين ونصف ألماني في النمسا . وباسم هذا الحق ضمت النمسا إلى الرايخ في أيار ١٩٣٨ . وبينما كان يكثر الكلام المطمن ، كان يهيئ تدمير تشيكوسلوفاكيا . مستنداً على مطالب حزب السوديت أي العناصر الألمانية في بوهيميا التي كانت تطالب بالاستقلال الذاتي من حكومة براغ ، وعندما خول لهم هذا الاستقلال ، في أيار ١٩٣٨ ، طالبوا بالتحاقهم بالرايخ . وهكذا ، عقب اتفاق مونيخ الذي استسلمت بموجبه الدول الكبرى ، جزأت تشيكوسلوفاكيا في أيلول ١٩٣٨ . وفقدت عندئذ الأراضي التي تسكنها الأقليات القومية الألمانية أو الهونغارية . ثم استعمل هتلر أخيراً المطالبين بالحكم الذاتي من السلوفاكيين ، ودمر تشيكوسلوفاكيا في آذار ١٩٣٩ .

وهذا الموقف الذي اتخذه هتلر في قضايا السياسة يثير ملاحظتين ، الأولى ، أن هتلر غير مبال تماماً بالقضية القومية ، فقد ضحى كاملاً بالتيروليين ، ألمان التيرول لسياسة الصداقة أولاً وللتحالف من بعد مع إيطاليا . وفي قضية السوديت لم يعر أي أهمية لهذا الشعب الألماني . وكل ما أراده منها هو تدمير

تشيكوسلوفاكيا . ولم يكن حزب هنلاين ، زعيم السوديت إلا آلة . ولم يكن لديه نية في دولة قومية ألمانية ، ولكن إرادة قوة شيطانية .

والنقطة الأخرى التي تحتاج أيضاً إلى إيضاح هي : هل يمكن الثقة بتصريحات هتلر السلمية ؟ حتى ١٩٣٦ ، هل كان يعتقد بما كان يقول برغبته في السلام ، أو هل كان ذلك منه ماكيافيللية محضة ؟ إن قضية حقيقة هتلر الأول ، هتلر حتى ١٩٣٦ ، قضية تناولها عدد عظيم جداً من المؤرخين ، وأجابوا عنها إما بصورة إيجابية وإما بصورة سلبية .

والأكيد من تصريحات هتلر حتى ولو كانت حقيقية ، ولو كان يعتقد بأنه يستطيع أن يحقق سياسته بوسائل سلمية ، أنه ثبت بسرعة ، وهذا الأمر لا نقاش فيه ، في سياسة الفتح الفظ ، أمام ضعف وجبن رجال الدولة في الديموقراطيات الغربية . ومن المؤكد أن الاستسلامات المتتابعة لرجال الدولة الفرنسيين والإنكليز في ذلك العصر ، قد أكدت هتلر في اقتناعه بأنه يستطيع محاولة كل شيء دون أي خطر لإثارة ردود فعل جادة .

ويبقى أخيراً أن نفحص كيف تم توحيد الأمة الألمانية وعناصر المقاومة لهذا التجنيد العام وللضغط القومي .

وفي تجنيد الشعب الألماني ، نلاحظ ، بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ ، فقط ، تحسيناً في نظام الدعاية الذي وضح في الدور السابق ، ومن المؤكد أنه يستحيل على الألماني أن يعيش بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ دون أن يخضع لهذا التجنيد . ويكفي لهذا أن نشير إلى الدور العظيم الذي كان لمنظمة مثل « القوة بالفرح » التي ضمت كافة العمال الألمان . لقد جرى اختلاط الجماهير بالأعياد الكبرى مثل الاحتفال بالألعاب الأولمبية في ١٩٣٦ التي كانت مناسبة لهذه التظاهرات الدعائية . وتجمعات الشبيبة كانت أيضاً عنصراً من عناصر التجنيد . وهكذا فإن عبادة الزعيم ،

الاعتقاد بعصمته ، ما فتئت تنمو . والشعب لا يكون قوياً إلا إذا أطاع قادته . والأمة العسكرية التي تنفذ الأوامر دون أن تفهمها مصدر قوة للبلد . وقد نما في الشعب الألماني روح عامة للخضوع بحماسة للسلطة . والموضوع هو إنسان عنده وجدان طيب ، ويشعر بهذا الوجدان الطيب ، بإحساسه بأنه ينتمي إلى عرق السادة ، إزاء الأجنبي .

ومن المستحيل إطلاقاً ، في ألمانيا القومية - الاشتراكية هذه ، التعبير بصوت مخالف . حتى أن الكتاب القوميين أكثر من غيرهم ، مثل ارنست يونغر ، بخاصة ، قد سكتوا . فقد نفي أكثرهم ، وهذه حال توماس مان ، وستيفان زوايغ الذي انتحر في المنفى . ومن الصحافة القديمة الألمانية لم يبق ، والحق يقال ، إلا جريدة واحدة ، وهي « صحيفة فرانكفورت » التي تخلصت من مساعديها الإسرائيليين ، ولكنها نجحت مع ذلك ، بالرغم من الضغط الرسمي في الحفاظ على شيء من التماسك السياسي ، إن لم يكن بعض الاستقلال ، وظلت تمثل الفكر الدبلوماسي لوزارة الشؤون الخارجية .

ونعيدها مرة أيضاً ، أن ما من دليل على استقلال فكري سمح به . ويمكن تكوين فكرة عما كان عليه القهر في الرايخ الثالث ، إذا قرأنا قطعة برخت ، المسرحية الشهيرة : « عظمة وبؤس الرايخ الثالث » وكذلك قصص أنّا سيغرس ، التي نجد فيها بورجوازيين صغاراً ، وحرفيين ، وعمالاً ، ومفكرين قد صوروا هنا ، وقد أثقل عليهم قلق واحد ، وبؤس متشابه ؛ وجيراناً يجهل بعضهم بعضاً ، ويتجنبون الحديث فيما بينهم . وكان هؤلاء المؤلفون ، وهم في المنفى يوجهون الاتهامات التي لا ترحم ضد الفاشية الهتلرية .

كان الخوف عاطفة مسيطرة . فقد وضعت الضابطة منذ ١٩٣٦ تحت إدارة هيملر . وكان هايدريك الذي يوجه الغستابو (شرطة الدولة السرية) الذي بدأ

يقوم بالعديد من التوقيفات ، وحشد الشخصيات الموقوفة في معسكرات الاعتقال التي لم تكن نامية كلياً إلا إنطلاقاً من ١٩٣٩ ، ولكنها كانت موجودة من قبل . فقد وجد مليون شخصية معتقلة قبل بداية الحرب العالمية الثانية ، ووجد ٣٠٠,٠٠٠ سجين في معسكرات الاعتقال في ١٩٣٩ . ولا عجب وحالة الأمور على مثل هذا النحو أن يقضى على المعارضة إطلاقاً في الأوساط الفكرية . إن عدد أساتذة الجامعات الذين رفضوا النظام النازي كان ضعيفاً للغاية . ومن بين بعضهم ، يذكر اسم الفيلسوف ياسبرس ، ولكن المدهش ، بالعكس ، الاعتراف بعدد شخصيات عالم الجامعة والفكر الذين أعطوا مساندتهم وموافقتهم على النظام . ويكفي أن نشير ، بين الكبار ، اسم الفيلسوف هيديغر الذي كان أحد خدم النظام النازي ، واسم الطبيب الجراح زاوربروخ ، واسم عدد من الموسيقيين المشهورين مثل ريشارد شتراوس رئيس اوركسترا فورتفنغلر ، والعازف على البيانو غيزيكنغ الذين قبلوا بمشايعة النظام .

وفي هذه الظروف ، ما أشكال معارضة النازية ؟

يجب أن ندرس أشكال المعارضة في نطاق تجمعين : أولاً الجيش ، ثم الكنائس . ففي هذين التجمعين يوجد بعض التردد في متابعة هتلر في سياسته ، وجهد لتسجيل معارضة للسياسة القومية التي عَرّفتها النازية .

مقاومة الجيش

ما من شك في أن هتلر ، عندما وصل إلى السلطة ، قَدَّر أن لا مندوحة عن تأمين مساندة الجيش . وهذا القلق أثار ما سمي يوم ٣٠ تموز ١٩٣٤ . ففي فصائل الهجوم الألمانية ، في الـ .S. A كما يقال ، نمت حالة رأي معارضة إزاء بعض مظاهر السياسة الهتلرية . وفي الحقيقة ، إن أوساط الـ .S. A حافظت في الغالب على العقائدية الاشتراكية للهتلرية في أوقاتها الأولى ، وتمنت ورأت أن لا غنى عن

متابعة ما كانوا يسمونه ثورة ثانية تقيم في ألمانيا نظاماً من طابع اشتراكي . وهذه الحالة الفكرية في أوساط الـ .S. A قد أفصح عنها بخاصة زعيمهم روم الذي كانت تربطه بهتلر روابط قديمة جداً . ومن جهة أخرى كان روم زعيم الـ .S. A يريد أن يجعل من هذه الفصائل نوعاً من مليشا وطنية تكلف بتربية الأمة الألمانية تربيةً عسكرية تقلد بنية الجيش ونظامه ، دون أن تكون جزءاً منه .

ولهذه الأوصاف كانت فصائل الـ S. A كريهة للغاية إلى الرايخوير . ومنذ زمن طويل حذر الجنرال بلومبرغ ، وزير الحربية ، هتلر من الـ S. A . وضغط عليه لاتخاذ تدابير لوضع شخصية روم في الظل . ولكن هتلر تردد طويلاً جداً ، لأنه كان متعلقاً شخصياً بروم ، ولكنه أدرك بسرعة بأنه بحاجة للجيش لخلافة هندنبورغ في رئاسة الرايخ ، وبالتالي ، كان عليه ، ليؤمن لنفسه مساندة الجيش ، أن يخضع لمشيئته . وهذا ما جعله يقرر ويأمر بمقاتل ليلة ٣٠ حزيران ١٩٣٤ التي قضى فيها على روم وأهم أصدقائه السياسيين . وبرر القتل أمام الرأي بتعاطي الجنس بين روم وعدد من رفاقه . وعرض القضية بصورة خاصة زعيم الدعاية غوبلز بأنها عملية صحية عامة . ولكن كان من الواضح أن هتلر أمر بقتل روم ليحصل على مساندة الجيش . واستعمل هتلر نهار ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ليتخلص من كل أشكال المعارضة التي يمكن أن يلاقيها ، وقبل أيام ، في ١٤ حزيران ١٩٣٤ ، تكلم فون بابن ممثل الأوساط المحافظة ، أمام طلاب جامعة ماربورغ ، محتجاً على الطرق التعسفية التي تنمو في ألمانيا في عهد هتلر ، وطالب بنظام اجتماعي متين مؤسس على عدالة حيادية . وإذا لم يصب فون بابن بأذى من قبل القتلة النازيين ، في ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ، فإن أمين سره الذي حرر الخطاب ، وكان محافظاً ثورياً ، وهو ادغارد يونغ الذي تكلمنا عنه سابقاً ، قتل مع عدد من الموجهين الكاثوليك . وأخيراً ، في هذا اليوم ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ، قتل

أيضاً عدة شخصيات كان من سوء حظها ، أنها عارضت هتلر في الماضي ، ونذكر منهم فون كار رجل ١٩٣٣ ، والجنرال شلايخر ، وغريغور شتراسر . وبلغ عدد القتلى ١٠٧٦ شخصاً . وكان من هذه الحوادث النتيجة التي تمناها هتلر . فقد حصل منذ الآن على حظوة الجيش ، بشخص وزير الحربية ، الجنرال فون بلومبرغ الذي شكر باسم الجيش رسمياً ، في ٣ تموز ، الفوهرر على إزالته أعداء ألمانيا . وفي الحقيقة ، إن مقتل الجنرال فون شلايخر ، الذي كان أحد كبار شخصيات الجيش الألماني ، أثار بعض الصخب . وشكلت لجنة تحقيق ، ولكن الأمور هدئت بسرعة جداً .

وبالرغم من يوم ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ، فقد ظل بعض القلق يساور الجيش مع روح معارضة ضد بعض مظاهر السياسة الهتلرية . وتغذت روح المعارضة هذه بعدة قضايا عظيمة لم تكن على وجه الدقة قضايا سياسية ، ولكن كان لها نتائج سياسية بالرغم من كل شيء . فمن ذلك أن الجنرال فون بلومبرغ أزيح عن وزارة الحربية ، في كانون الثاني ١٩٣٨ ، إثر زواج متأخر عقده هذا الجنرال مع امرأة فتية تماماً ، ارنا غرون ، لا يشرفها ماضيها ، ولها جذاذات في الشرطة تعتبرها بغياً ، ولقد كان هتلر وغورينغ شاهدي زواج بلومبرغ ويعلمان من هي ارنا غرون . ولكنهما قدرا ، في حين ما ، أن الأخلاق قد جرحت وأهينت ، وأبعد الجنرال فون بلومبرغ عن وزارة الحربية .

وفي آذار ١٩٣٨ ، يرى أن الجنرال فون فريتش الذي كان القائد الأعلى للفرماخت قد اتهم زوراً في قضية جنسية غريبة ، وعزل من وظائفه ، ومثل أمام مجلس حربي ، وأظهر هذا المجلس أن الاتهام باطل وأعاد لفون فريتش اعتباره ، ولكن هتلر لم يعده إلى رئاسة الجيش وسلم القيادة إلى الجنرال فون براوشيتش .

وهاتان القضيتان تدلان على توتر حقيقي بين النازية وكبار زعماء

الجيش . وتركزت المقاومة العسكرية رويداً رويداً في شخص الجنرال فون بيك رئيس الأركان العامة للجيش الذي كان في الماضي مشجعاً ومحبذاً لمجيء هتلر إلى السلطة . كان رجل فكر واضح ومنظم ، ومثقفاً ثقافة عامة وواسعة ، وضابطاً فقيهاً واسع الاطلاع ، فهو بهذا رجل مكتب أكثر منه مقاتلاً في الجبهة . وكان بيك يضمر عداءً مصمماً إزاء مشاريع هتلر في السياسة الخارجية . ويرى أن هتلر بتهديده تشيكوسلوفاكيا قد ألقى بنفسه في مشروع تتحد ضده أوربة وصرح بأن الجيش الألماني لا يمكن أن يقاوم تألباً أوربياً ، وتصور بالتالي ، منذ ١٩٣٨ ، سقوط هتلر . ولهذا الغرض اتصل بعدد من الشخصيات المعادية للنظام ، مثل غوردولر الذي كان في السابق عمدة مدينة ليبزيغ ، وتخلى عن وظائفه عندما سحب النازيون من المدينة تمثال الموسيقي مندلسون لأنه كان يهودياً ، وظل مع ذلك في خدمة النظام وكان مفوضاً للجوائز في ١٩٣٣ و ١٩٣٦ ، ولكن غوردولر كان خصماً للنازية وكانت له علاقات عديدة مع الخارج[1] . ومن جهة أخرى ، حاول بيك إثارة حركة مقاومة في الجيش الألماني نفسه . وكتب في هذا الموضوع إلى الجنرال فوان براوشيتش ، بغية جذبه نحو أفكاره . حتى إنه أخبر الحكومة الإنكليزية ، بواسطة شخص بمشاريع هتلر ، ودعا حكومة تشامبرلن أن تظهر حازمة وتقاوم هتلر . ولم يكن لأي من هذه المشاريع نتيجة . وشعر بيك بعجزه وقدم استقالته من رئاسة الأركان العامة في صيف ١٩٣٨ .

ولكن اختفاء بيك عن المسرح لم يكن آخر المقاومة العسكرية . فقد اتصل خلفه الجنرال هالدر بعدد من الضباط ، وبخاصة مع عدد من ضباط مصالح الاستخبارات الألمانية ضد التجسس ، مثل الكولونيل اوستر ، وأيضاً مع عدد من

---

(١) راجع عنه : G. Ritter, C. Gördeler und Die deutsche Wiederstandsbewegung
أي عوردولر وحركة المقاومة .

شخصيات الشرطة ، بغية تنظيم حركة ثورة تنهي النظام الهتلري ، على أن يقتل هتلر أثناء الهجوم على تشيكوسلوفاكيا ، وأن يستر موته بحادث ، وعلى خونته عسكرية أن تستولي على السلطة في برلين . وحدد المتآمرون تاريخ ٢٩ أيلول ١٩٣٨ موعداً للتنفيذ . ولكن كل ذلك انهار باتفاق مونيخ الذي وقعه رجال الدولة الإنكليز والفرنسيون ، وأبعد خطر الحرب . ويجب أن نعلم أن الإنكليز كانوا على علم بكل مشاريع الأركان الألمانية بواسطة الضابط فون كلايست ولكنهم لم يعيروها أي اعتبار ، ورأوا من الأفضل التفاهم مباشرة مع هتلر .

ما هي قيمة هذه المعارضة العسكرية ؟ ما من شك في أن رجلاً مثل بيك كان عنده شعور سام بواجباته كجندي وبمسؤوليته العسكرية والسياسية أيضاً . وقد كتب : « إن التاريخ ليعتبر الزعماء العسكريين الذين لا يعملون حسب معارفهم التقنية والسياسية وحسب وجدانهم ، مجرمين . إن حد إطاعة الجندي يوجد هنا : حيث معارفهم ووجدانهم والشعور بمسؤوليتهم تمنعهم من تنفيذ الأمر . إن الجندي ، الموضوع في موقع مرتفع ، الذي يرى في الظروف الحالية عمله في النطاق الضيق للأوامر التي يتلقاها فقط ، دون الشعور بمسؤوليته العليا أمام مجموع الشعب ، يقصر عن واجبه » . وهكذا يضع بيك بوضوح جداً قضية الإطاعة العسكرية ، والعسكري الواعي يجب أن يعصي بعض الأوامر التي يراها لا تتلاءم مع إحساسه بالعدل . ومع ذلك ، ومهما يكن نبيلاً موقف رجل مثل بيك ، فيجب أن نلاحظ نقطتين : **الأولى** ، أن الجنرالات الذين سجلوا معارضتهم لا يمثلون إلا عناصر متفرقة في الجيش ، ومن غير الممكن أن ينسب إلى الجيش بكامله موقف بعض الأفراد . والنقطة **الثانية** ، هي أن الجيش لا يفهم المقاومة كثورة على النظام القائم ، ومن الصعب جداً على الضباط الألمان ، بموجب تشكيلهم ، تصور إمكان عصيان بشكل ثوري . وقد صرح بيك نفسه في

١٩٣٨ : « التمرد والثورة تعبيران لا يوجدان في قاموس الجندي الألماني » . وإن الأكثرية الواسعة لقادة الجيش كانت تشعر ، بالرغم من كل شيء ، بأنها ملزمة بيمين الولاء للفوهرر التي أقسموها عند وفاة هندنبورغ ، في صيف ١٩٣٤ . ومع ذلك ، يجب الاعتِراف ، بأن الأكثرية الواسعة للعسكريين الألمان كانت تعترف لهتلر بالهيبة التي لا تصدق التي خولها لمهنة الضابط ، لا سيا وأنه اهتم ، على الأقل حتى ١٩٣٨ ، باحترام امتيازات الجيش على صعيد التسميات والتعيينات ، وترك بالتالي ، السوق العسكري خارجاً عن التدخل السياسي ، حتى ١٩٣٨ .

مقاومة الكنيسة

والشكل الثاني للمعارضة هو **مقاومة الكنائس** . وهنا يجب تمييز المعارضة عند البروتستانت وعند الكاثوليك .

لا شك أن النزعات العرقية تغلغلت منذ زمن طويل في الأوساط البروتستانتية ، بتأثير شخصيات مثل هاور الذي كان مرتبطاً للغاية بلودندورف .

وقد استندت الهتلرية ، في ألمانيا ، على الفريق الذي يسمى « المسيحيون - الألمان » وعلى مرشدهم الديني ، الراعي مولر ، الذي أصبح فيا بعد ، في عهد هتلر ، أسقف الرايخ . بيد أن الكنيسة المذهبية التي كانت ضد هذه النزعات النازية ، تألفت من أنصار لاهوت شديد ، ولا تقبل بأي مخاطرة مع الأفكار النازية . وظهر الصدام بين هذين الاتجاهين بخاصة عندما سمي مولر « أسقفاً للرايخ » ويجب أن نلاحظ أن مولر لم ينجح أبداً في فرض سلطته على كل الكنائس . وظهرت المقاومة بخاصة أثناء انعقاد مجمع دالم وهو حي في برلين ، حيث كان يوجه المعارضة الراعي **نيمولر** الذي كان محارباً مجيداً في الحرب العالمية ، وكان محبذاً لوصول الهتلرية إلى السلطة ، ولكنه انقلب بشدة على

النزعات العرقية . واتهم نيمولر ، ثم طرح في معسكر اعتقال . ويجب أن نشير إلى أنه وجدت ، بصورة متفرقة مظاهر أخرى للمعارضة ضد النازية . فقد احتج أسقف شتوتغارت فورم ، مرات مختلفة على التشريع اليهودي وعلى القضاء على المعتوهين الذين لا يرجى شفاؤهم . وهناك شخص آخر من العالم البروتستانتي كان في المعارضة ، وهو الراعي **بونوفر** الذي كان مرتبطاً مع بيك وغوردولر ، وأنشأ علاقات مع الأسقفية الانغليكانية ، وعرف بالكثير من الحوادث التي كانت تحاك في ألمانيا في ذلك الحين ، إلى زملائه الإنكليز ، وشارك في مؤامرة ضد هتلر في ١٩٣٩ . ثم أوقف بعد ذلك ، في ١٩٤٣ ، وشنق في ١٩٤٥ . ولكن إذا وجدت كنيسة مذهبية معترفة وقفت ضد الهتلرية ، فيجب أن نعترف بأن موقفها كان موقف أقلية . حتى إن الأسقف ماراكرانس الذي كان ينتمي إلى كنيسة هانوفر ، قد تصالح ، في ١٩٣٧ ، مع الهتلرية ، ودعا الرعاة إلى حلف يمين الولاء الشخصي لهتلر . ووجد في داخل اللوثرية عناصر كانت تناضل لصالح الانصياع للنظام ، وبخاصة لعداء لوثير للسامية ، وهذا هو الموقف الذي كان عليه اللوثريون الذين يعتبرون أن كل سلطة من عند الله .

والشكل الثاني للمقاومة في داخل الكنيسة هي **المعارضة الكاثوليكية** التي اقتصرت هي أيضاً ، على عدد صغير من الأفراد . والوسط الكاثوليكي حله هتلر كما حل بقية الأحزاب . فقد نجح هتلر في توقيع معاهدة (كونكورداتو) ، في تموز ١٩٣٣ ، مع الكرسي - الأقدس ، تخول الكنيسة عدداً من الفوائد المادية . ومع ذلك ، فإن رسائل أسقفية عديدة جداً ، كانت تحذر الكاثوليك من مبالغة سلطة الدولة ، ومن مذهب الدم والعرق ، ومن الطرق التي تستعمل في النضال ضد اليهود . فقد وجد عدد من النشرات الدينية ، وبخاصة نشرات ابرشية كولونيا ، وقفت ضد « أسطورة القرن العشرين » لمؤلفه روزانبرغ ، وحاولت أن تحرر عدة ردود عليه لدحضه ، ويجب أن نشير ، في هذه المعارضة ، إلى الدور العظيم

بحق لعدد من الكهان الذين ينتمون لمؤسسة كهان كولونيا . فقد حملت معارضة هؤلاء الكاثوليك أولاً على طرق التعقيم التي تتنافى مع الأفكار المسيحية ، وعلى الاعتداءات على الحريات الكاثوليكية ، وأخيراً على قضية سحب الماركات إلى الخارج . فقد كان الكاثوليك يرغبون بصورة واضحة ، في بعض الأحوال ، في أن يتمكنوا من سحب ماركات إلى روما ، ولكن التشريع الهتلري يعارض ذلك . وقام عدد من الصحف النازية بهجومات عنيفة للغاية ضد أخلاق الرهبان واتهمتهم بمزاولة الجنس . ولكن النضال العلني لم يظهر إلا عندما أمر البابا ، بعد كثير من التردد ، بتحرير المرسوم الحبري (البابوي) المؤرخ في آذار ١٩٣٧ « مع احتراق الحزن » وبموجبه اتخذ البابا موقفه ضد عدد كبير جداً من نقاط التشريع الهتلري . وجعل عدد من الأساقفة الكاثوليك صدى شجاعاً للغاية في الغالب لهذا المرسوم البابوي ، ونذكر منهم بخاصة أساقفة برلين ، ومونيخ ، وفريبورغ ولا سيما أسقف مونستر ، في وستفاليا ، حيث كان الحبر العظيم فون غاليت يشغل الكرسي الأسقفي ، وما فتئ يعارض النظام . ونعيد ونكرر مرة ثانية ، إن هذه المعارضة اقتصرت على عدد صغير من الأفراد ولا تشمل مجموع الأمة .

وما من شك في أن مجموع الأمة الألمانية قد لبى ، بنسب من المستحيل تقديرها ، وبحماسة ، نداء هتلر ، وأن المناداة بالقومية كانت عنصراً من العناصر الأساسية في نجاحه .

القسم الثاني

القومية ـ الاشتراكية

الفصل الأول

ثورة هتلر في مونيخ عام ١٩٢٣

لقد نسج هتلر نوعاً من أسطورة حول ثورة مونيخ . وحتى أثناء محاكمته ، جعل من الثورة حادثاً من أعظم حوادث القضية القومية . وبنى حوله أسطورة حقيقية . وأخذ على نفسه مسؤولية كل ما جرى في مونيخ ، وترك لكل الذين لم يشاءوا السير معه ، أي رؤساء حكومة بافاريا ، في ذلك الحين ، العار لأنهم خانوا القضية القومية ، واستطاع حتى نقطة ما أن يقنع المحكمة التي كلفت بمحاكمته ، لأن هذه المحكمة برأت لودندورف ، شريك هتلر ، ولم تحكم على هتلر بالسجن إلا بخمسة أعوام ، هذا مع العلم بأنه خرج منه بسرعة .

ولندع الآن جانباً هذه الأسطورة الموضوعة حول ثورة هتلر ، ونبحث عن أهميتها الحقيقية . ولذا من الضروري أولا أن نتعرف بوسط مونيخ الذي قام فيه هتلر بدعايته بين ١٩١٩ و ١٩٢٣ .[1]

هنالك شيء معروف جيداً وهو أن مدينة مونيخ في ذلك العصر كانت تعج بالجماعات المناوئة للثورة ، ومن الصعب اجراء احصائية عنها . وقد قرر أنه يوجد تسعة وأربعون حزباً ، جماعات ، أو رابطات يمينية في مونيخ ، في ١٩١٩ .

---

(١) راجع الأعمال الحديثة :

W . maser , la naissance du Parti nationaliste - socialiste allemand , (1967)

G Bonnin , le putsch de Hitler A munich (1966)

وبالإجمال ، كانت مونيخ في السنوات التي تلت الهزيمة ، نقطة تجمع وتشجيع لجميع أعداء الجمهورية . وبالإجمال يوجد معارضة أساسية بين مونيخ وبرلين . وتعتبر برلين عاصمة بافاريا كدولة عصيان دائم ضد الحكومة الجمهورية . وفي الواقع ، كانت توجد في القصور وفي الدور الغابية ، وفي الأديرة بخاصة ، كميات عتاد عسكري مخبأة بمشاركة الجيش ، ويمكن أن تفيد ، بين يوم وآخر ، لقلب الجمهورية .

ومن غير الممكن وضع لوحة كاملة لكل هذه المنظمات التي تكثر في مونيخ . ولفهم الوسط الذي عمل فيه هتلر ، يجب أن نحاول تمييز بعض هذه الحركات .

أكثر هذه الحركات نفوذاً **جمعية توليه**[١] التي تشكلت غداة الهدنة . وقد خرجت من تجمع أقدم منها يسمى « نظام الجرمن »[٢] الذي تشكل أثناء الحرب . وقد أسس جمعية توليه هذه رودولف فون سيبوتاندروف[٣] ، البافاري المولد ، في داخل أوساط الجامعة الجرمانية البافارية . وهي جمعية سرية عرقية ومعادية للسامية بعنف ، ومتعلقة بالأساطير الجرمانية القديمة ، بالميثولوجيا الشمالية ، وترتبط بتجمع آخر متمم لها نوعا ما هو ، **جمعية اوستارا**[٤] ، التي كان المحرك فيها ناشر فينوازي الأصل اسمه **ادولف لانز** الذي عرف هتلر في ڤينّا على مذاهب العداء للسامية ، بالرغم من أن هذه الروابط بين لانز وهتلر لم يبرهن عليها أبداً .

وإلى جانب جمعية توليه ، من المهم أن يشار أيضاً ، في هذا المجتمع

(١) جمعية توليه THULE GESELSCHAFT

(٢) نظام الجرمن GERMANEN ORDEN

(٣) ردولف فون سيبوتاندروف RODOLF VON SEBOTTENDORF

(٤) جمعية اوستارا Ostara Bund

الـمونيخي ، إلى جمع من الأفراد يـدور في فلـك شخصيـة **ديتريش اكارد** الـذي استقر منذ زمن طويل في هـدا الوسـط المونيخي . وهو صحـافي ، ومؤلف درامي عظيم القيمة ، ومعتبر للغاية ، وبافاري قـديم نموذجي ، يلبس سروالاً من الجلـد ، غاوية للجعة ، والخطب المعادية للسـامية ، مـدمن للمورفين ، ملاحق للنسـاء ، رجل اجتماعي ، يحب الحيـاة الاجتماعيـة ، ويتقن التعـامل معهـا ، ومـوسر . نشر مجلـة تسمى « الألمـاني الطيب » وصـدرت منـذ كانـون الأول ١٩١٨ . وفي محيـط ديتريش اكارد تعرف هتلر بعـدد من الشخصيـات التي سيكون لها نفوذ عظيم في تاريخ الحزب ، وبصورة أساسية روزانبرغ وهو بـالطي الأصل ، درس الهنـدسـة المعمارية في روڤال ، في استونيا ، ومن بعـد في جـامعـة موسكو ، وكان على صلـة وثيقة بالأوساط الروسية « البيضاء » ،وخصماً للنظـام البولشفي ، وانتسب أيضـاً إلى **حزب العامل الألماني** . وبين هذه الشخصيات الروسيـة التي التقى بها هتلر في محيط روزانبرغ ـ وهذه الأوسـاط الروسيـة البيضـاء هـامـة جـداً لفهم العقليـة المونيخيـة ، في ذلـك العصر ـ يجب أن نشير إلى حـاكم اوكرانيـا السـابق في الحرب العـاليـة الأولى لحسـاب ألمـانيـا . وهـو الجنرال **سبـوروبـوتسكي** . ومن هــذه الأوسـاط خـرج حزبـان سيـاسيـان : **الأول** حـزب العـامـل الألمـاني ويرمـز لـه بالأحرف الأولى .D . A . P وقد أسسه غداة الهـدنـة ، في عز دور الثورة ؛ **انطون دركسلر** وهو قَفَّال حداد مونيخي ، أسس أثنـاء الحرب « اللجنـة العـاملـة الحرة من أجل سلام طيب » . ويفهم من « سلام طيب » سلام الضم . والحزب العـامل الألماني هو حزب يقول عن نفسه بأنـه « شعبي وقومي » . ولـه برنـامج اجتماعي ، ويرمي إلى رفـع ظروف العـامـل ، **العـامـل** الـذي لا يجب خلطـه بـالطبقــة الكادحـة ، ولكن يجب ربطـه بـالطبقـة الوسطى . وكتب دركسلر ، في ١٩١٩ ، كتاباً يسمى « يقظتي السياسية » أبان فيـه المصـالحـة ، بين الطبقـات ، نوعـاً من الاشتراكية المسيحية ، ولكنه هاجم بشـدة جـداً النقـابيـة الثوريـة المشجعـة لنزاع

الطبقات ، وبالبداهة اليهود المسؤولين عن الحالة التي وجدت فيها ألمانيا . ودخل هتلر في هذا الحزب ، برقم ٧ ، في أيلول ١٩١٩ .وسيلقي خطابه السياسي الأول ، في حانة للجعة (البيرا) في مونيخ ، في تشرين الأول ١٩١٩ . وقد جذبه حزب دركسلر ، ولكن يجب الاعتراف بأنه كان يشعر دوماً إزاء دركسلر بازدراء عميق .

الثاني ، ونما الحزب الثاني في بعض الأجواء السياسية نفسها وهو« الحزب الاشتراكي الألماني » الذي يعرف بحروفه الأولى (D. S. P.) ، ولم يكن حزباً مونيخياً بصورة خاصة . بل إنه امتد على كل بافاريا . وهو في الواقع ، فرع لجمعية توليه . وبين المؤسسين لهذا الحزب تجب الإشارة إلى شخصيتين هامتين : شخصية الحقوقي **ادولف برونر** الذي كان يناصر احلال الحق الجرماني محل الحق الروماني ، وشخصية **يوليوس شترايخر** الذي كان المؤسس لهذا الحزب في نورامبرغ ، والمنظم لعداء السامية ، والمحرر المستقبلي لـ « العواصف » أكبر جريدة ألمانية مناوئة للسامية ، والذي كان في ذلك العصر ، حسب رأي معاصر له ، يذهب دون ملل أو نصب من مدينة لأخرى وحقيبته ملأى بالأدب المعادي للسامية ، ليوضح لسكان فرانكونيا ، في ألوف الاجتماعيات « الخطر اليهودي » . وقد اتحد هذا الحزب الاشتراكي الألماني بحزب العامل الألماني ، في ١٩٢٢ .

ويجب أن نشير ، لإتمام هذه اللوحة ، إلى كثرة الجيوش الحرة ، في هذا المجتمع المونيخي ، وبهذا الاعتبار ، إلى الدور الأساسي لشخصية روم ، نموذج الـ « الجندي الدائم » ، و« العسكري المرتزق » ، الذي كان في ذلك الحين رئيس أركان الحاكم العسكري في مونيخ . وكان روم مكلفاً ، في مونيخ ، بتشكيل المليشات البورجوازية . وهو الذي أدخل التنظيمات الأساسية للجيوش الحرة في داخل الرايخوير البافاري .

وكان ، مثل هتلر ، عضواً في حزب العامل الألماني . وهو الذي جهز هتلر

بسوق عظيم من المناضلين ، ولم يخف أياً من وسائل عمله في كتابه : « تاريخ خائن أعلى » ، وكان محباً للذائذ ، ومحباً للجنس المذكر مشهوراً ، ورجلاً دون أي قناعة شخصية وليس عنده ولو أثر لعداء السامية أو العرقية . ولكنه كان رجل فعل بصورة أساسية ، وضربة لازبة ، تمارس إرهاباً حقيقياً على سكان مونيخ .

ومن البديهي ، أن كل هذا الجو كان صالحاً لدعاية هتلر . وباعتبار هتلر عضواً في حزب العامل الألماني ، شارك بسرعة في عدة اجتماعات ، وأكثر فيها من عدد المنتمين للحزب ، وأسهم في تحرير البرنامج الأولي لحزب العامل الألماني ، بالتعاون مع أحد أعضاء الحزب ، غوتفريد فيدير . وقد خرج من قلم هذا الأخير بصورة أساسية برنامج بخمس وعشرين نقطة ظل حتى ١٩٣٣ البرنامج الرسمي لحزب العامل الألماني . وكان فيدير ناشراً مؤلفاً ، كتب عدداً عظيماً من المؤلفات ميز فيها بين الرأسمال « المنتج » وكان محبذاً له ، والرأسمال « المضارب » الذي كان ، في رأيه ، بين أيدي اليهود ، ومسؤولاً عن الشرور التي كانت تشكو منها ألمانيا . وفي الحرب أنشأ فيدير « عصبة الكفاح ضد العبودية الرأسمالية » . وترك في عام ١٩٢٣ . مؤلفاً يسمى « الدولة الألمانية على أساس قومي واجتماعي » ، وأراد به منع انسياق الشعوب نحو الدول الرأسمالية التي تضطهدها ، وأيضاً تحرير هذه الشعوب من الفوائد التي تدفعها ، في رأيه ، إلى « اليهودية العالمية » . وبالتالي ، كان فيدير المؤلف الأساسي لبرنامج الـ ٢٥ نقطة الذي تبناه حزب العامل الألماني ، في شباط ١٩٢٠ . ولهذا البرنامج طابع اشتراكي ملحوظ . فقد كان يتصور ، مثلاً ، حذف الإيرادات التي لم تكن ثمرة العمل ، ويتنبأ بتأميم الكارتيلات ، وتقسيم الدولة للأرباح التي تحققها الصناعة الكبرى ، وحذف الملكيات الريفية الكبرى .

وعلى أثر التعريف بهذا البرنامج تحول حزب العامل الألماني (D.A.P) في

بحر السنـة ١٩٢٠ إلى (N.S.D.A.P) أي : حزب العـامـل القـومي الاشتراكي الألماني .

وتحت هذا العنوان عاش الحزب حتى ١٩٤٥ .

وفي الواقع ، إن القضايا المذهبية لاتهم هتلر بالدرجـة الأولى . إن مـايهمـه ، في هذا الدور ، هو التأثير الذي يمكن أن يمارسه على الجمـاهير ـ هـذه الجمـاهير التي فعل فيها عدد من الشعارات ، ومنها اثنان أساسيان يترددان على لسـانـه في مجموع الخطب التي ألقاها في ذلك العصر وهما : معـاداة السـاميـة من جهـة ، و « طعنـة الخنجر في الظهر » من جهة أخرى . وكان أعظم اهتمامـه أن يشكل جيوش صـدام تساعده على إحباط أعمال أحزاب اليسار ، وأن يؤمن لنفسه سيطرة حقيقيـة على الساحة العامة ، على الشارع . ولهذا الغرض شكل ما يسمى « الفصيلـة الجمنـازيـة والرياضية » للحزب ، هذه الفصيلة التي كانت نقطة الأصل لـ « فصائل الهجوم » (S.A) ، التي وضعت ، انطلاقاً من ١٩٢١ ، تحت إدارة هرمـان غورينغ الـذي تعرف به هتلر في مونيخ بواسطة زوجته السويدية الجميلـة والغنيـة جـداً ، كارين فون فوك وفي الوقت نفسه ، وعلى صعيد الدعاية أنشأ جريدة « الرقيب الشعبي » التي حلت محل جريـدة سـابقـة تسمى « الرقيب المـونيخي » ثم أصبحت جريـدة « الرقيب الشعبي » يوميـة ، انطلاقـاً من ١٩٢٣ ، وكان رئيس تحريرهـا **هرمـان ايسّر** ، وكان دعائياً عظيمـاً ، وموهوبـاً بخـاصـة لتصور قصص خطرة على اليهود تملأ الجريدة . وبالرغم من الهجمات التي تعرض لها هتلر في محيط دركسلر بخاصة . فقد فرض نفسه بقدرته الخطابية وشدة عـارضتـه ، وبـالنجـاح الـذي أحرزه على الجماهير ، وسمي ، في تموز ١٩٢١ ، رئيساً للحزب .

وفي ذلـك العصر ، في تموز ١٩٢١ ، كان هتلر يتمتع بوضع عظيم في مـونيـخ . ويجب أن نعلم ، وبخاصة من محيط **اكارد** ، أن هتلر بلغ أوساطاً عالية للغايـة في

مجتمع مونيخ . فقد ارتبط بـ : **ارنست هانفشتنغل** الثري الاميركي الكبير ، الذي كان يعيش في مونيخ وأسهم عن سعة في إمداد حركة هتلر بالمساعدات . وارتبط بالمحرر **هوغو بروكان** الذي نشر في مونيخ مجلة كانت على صلة بجمعية توليه وتسمى « الدفاتر الشهرية لألمانية الجنوبية » ، واتصل أيضاً ، على صعيد الثقافة ، بأسرة آل بشتاين ، كبار صانعي البيانو الذين جعلوه على صلات بالصناعيين مثل بورسيغ الصناعي الكبير في برلين ، وعلى صعيد الثقافة بأسرة ريشارد فاغنر . ففي الفاتح من تشرين الأول ١٩٢٣ ، ذهب هتلر إلى بيرويت Bayreuthمدينة سيغفريد فاغنر بن ريشارد الذي أصبحت زوجته فينيفرد فاغنر من أشد المعجبات به . وفي هذه الفيلا تعرف بالعجوز اوستن ستيورات تشامبرلن مؤلف كتاب كان أحد أناجيل القومية ـ الاشتراكية ، وهو بعنوان : « أسس القرن التاسع عشر »

ويجب أن نعلم أن تأثير هتلر ، في ذلك العصر ، كان في اتجاه الرأي الذي ساد في مونيخ ، لا ضده ، ولا يوجد في توسيع الحركة الهتلرية معارضة جادة ، وبالتالي لا شيء يشبه ما يجري ، في الوقت نفسه ، في إيطاليا .

أصول الثورة

إن هذه الأصول لا تفهم إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار الحالة السياسية في باڤاريا في ذلك العصر .

في آذار ١٩٢٠ ، انسحب الاجتماعي ـ الديموقراطي هوفمان ، وترك المكان لحكومة يرأسها غوستاف فون كار ، حكومة تعتمد على يمين اللاندتاغ البافاري ، أي على « الحزب الشعبي البافاري » وهو حزب كاثوليكي يقع إلى اليمين أكثر منه إلى الوسط الذي انفصل عنه في هذه الفترة ـ وأيضاً على أحزاب اليمين البورجوازية : القوميون الألمان ، وحتى ، في البدء ، الديموقراطيون . وكان فون

كار موظفاً بافاريا كبيراً ومرتبطاً بأسرة آل فيتّلباخ ، وبالأمير روبرخت ، المرشح لوراثة السلالة . وبالرغم من ان فون كار قد نظم ـ وهذه هي الأداة الأساسية لقدرته ـ ما يسمى في مونيخ « الحرس المدني » ومن اجله كان يعتمد على مساندة عضو نشيط من الجيوش الحرة ، اشيريش . ومن جهة أخرى ، كان فون كار يتمتع بمساندة القاصد الرسولي في مونيخ ، المونسنيور **باتشيللي** ـ وهو الذي أصبح في المستقبل بابا باسم بيوس الثاني عشر ـ الذي عاش في مونيخ الأيام الدرامية لثورة المجالس ، وحفظ عنها عداءً أساسياً إزاء أحزاب اليسار البافاري .

وكانت الحالة في سياق هذه السنوات متوترة جداً بين الحكومة البافارية وحكومة الرايخ . وكان بين برلين ومونيخ عدة أزمات خطيرة أظهرت الفصل الذي أجري بين برلين التي سيطرت فيها ، بالرغم من كل شيء ، الأحزاب التي نشأت عن ائتلاف فيار ، وبين مونيخ التي كانت تعتمد فيها الحكومة على أكثرية يمينية .

وهذه الأزمات يمكن إرجاعها إلى ثلاث أساسية :

١ ـ **الأزمة الأولى** ، على أثر مقتل ارزبرغر ، في آب ١٩٢١ ، قررت حكومة برلين حل « الحرس المدني » وكذلك المنظمات الأخرى ذات الطابع العسكري . وإذا طلبت ذلك حكومة برلين ، فذلك جزئياً تحت الضغط الحليف . ورفض فون كار حل الحرس المدني . ولكنه أمام ضغط حكومة برلين اضطر للاستسلام والاستقالة وترك المكان لحكومة مصالحة يرأسها الكونت لرشنفلد ، الذي اضطر ، هو ، للاستسلام لتعنيف برلين وحل عدد من المنظمات العسكرية .

٢ ـ **الأزمة الثانية** ، بعد موت راتينو ، في حزيران ١٩٢٢ ، نشرت حكومة برلين قانوناً ، في أمن الجمهورية . وكان لرشنفلد يرأس حكومة بافاريا ،

وحـاول أن يقـاوم ، أي ألا يطبـق القـانـون ، ثم أخيراً ألا يطبـق القرار في أمن الجمهورية ، ولكنـه أمـام ضغـط اليمين البـافـاري اضطر إلى الاستقـالـة بـدوره ، لصالح وزير أول جديد ، وهو اوغن فون كنيللنغ الذي كانت مواقفه أكثر مقاومة من مواقفه إزاء حكومة برلين ، لا سيا وأن وزير العدل في وزارتـه **غورتنر** كان مرتبطاً جداً برابطات اليمين وبخاصة الحركة الهتلرية .

٣ ـ **الأزمـة الثـالثـة** حصلت في أيلـول ١٩٢٣ . وفي هـذا التـاريـخ قرر المستشار شتريزمان أن ينهي المقاومة السلبيـة . وبهـذه المنـاسبـة ابـدت الحكومـة البافارية عداءها إزاء قرار برلين . وأعلنت حالة الطوارئ في بافاريـا ، ووضعت السلطات بين يدي فون كار بصفته مفوض الدولة .

وفون كار ، بصفته مفوض الدولة في بافاريا ، يمكن أن يعتمـد على مسـانـدة قـائـد الرايخوير في بـافـاريـا ، الجنرال **فون لوسوف** قـائـد القوات العسكريـة المرابطة في بافاريا . ومع قائد شرطـة مونيخ زايسر ، يستطيع فون كار أن يؤلف نوعـاً من ثـالوث « ثـالوث فون كار ـ لوسوف ـ زايسر » يمـارس في الواقـع كامـل السلطة في بافاريا . وكان هتلر مـدركاً للمعـارضـة التي قـامت بين حكومـة برلين وحكومـة مونيخ . وقليـلاً قليـلاً ، في سيـاق هـذا الـدور ، قـام حلف بين الفرق الهتلريـة وحكومـة مونيخ . وكان فون كار يعتبر أن جيوش هتلر يجب أن تـؤمن له مسانـدة ضـد معـارضـة الحزب الاجتماعي ـ الـديموقراطي ، اليسـاريـة ، ومن الممكن ، على وجه الاحتمال أن تستخدم في الزحف على برلين . وهذه الروابط بين حكومة فون كار والمنظمات الهتلرية عقدها عدد من كبار موظفي شرطة مونيخ ، وبخاصة **بونر** الذي كان وزير الشرطة والدكتور **فريك** المشهور والـذي سيصبح في الأجل أحد زعماء الهتلرية . ومن هنا يخرج عدم العقوبة القصوى الذي تصرف به هتلر ، بفضل الحمـايـات التي كان يتمتع بهـا في الشرطـة ، والـذي ظهر بـأعمـال

العنف التي مارسها ضد أحزاب اليسار ، وبخاصة الاجتماعيين - الديموقراطيين . من ذلك ، مثلاً ، أن المظاهرة الشهيرة التي نظمها هتلر في كوبورغ ، في تشرين الأول ١٩٢٢ ، واجتاز خلالها المدينة بالرغم من ممانعة الشرطة المحلية ، أثارت معركة منظمة وجهاً لوجه مع النقابات والاجتماعيين - الديموقراطيين . ورغم كل هذه المظاهرات وأعمال العنف ، تمتع هتلر وجيوشه بكامل الحرية ولم يلقوا أي عقوبة .

ومع ذلك يجب ألا يتصور أنه كان ، بين الحكومة البافارية ، من جهة ، والرابطات الهتلرية من جهة أخرى ، تفاهم تام . لأن الحكومة البافارية ، وبخاصة فون كار ، كانت تتابع بصورة أساسية سياسة فيدرالية (اتحادية) ، وترمي ، بالتالي ، إلى إعطاء بافاريا ، في إطار الرايخ ، حكماً ذاتياً واسعاً . وتتابع أيضاً سياسة ملكية ملائمة لتوطيد حكم سلالة آل **فيتلباخ** ، في شخص روبرخت بافاريا . وعلى العكس ، هتلر ، الذي لا يعلق على القضية الملكية إلا أهمية محدودة ويفضل تنظيماً مركزياً في ألمانيا . فقد كان يريد - وهنا اهتمامه الوحيد - أن يطرد حكومة برلين ، الحكومة التي كانت في أيدي الاجتماعيين - الديموقراطيين ، وأن يفرض عليها « ثورته القومية » . ويجب أن نشير ، من جهة أخرى ، إلى أنه كان يوجد ، في الأوساط التقليدية المونيخية ، حذر وسوء ظن حيال بعض الأفكار المعادية للدين في الأوساط الهتلرية . وبخاصة إزاء محيط اكارد .

وكانت مشاريع هذين التجمعين مختلفة . فحكومة مونيخ ترغب في الحفاظ على نوع من السيطرة على الحزب القومي - الاشتراكي ، بينما هتلر ، بالعكس ، يتابع طموحاته الشخصية ولا يريد أن يخضع الـ .S.A ، أي جيوش الصدام - لرقابة الحكومة البافارية ، بحيث يرى في بحر ١٩٢٣ خلاف متعاظم بين الحكومة

البافارية من جهة ، وهتلر من جهة أخرى . وهكذا ، في مظاهرات أول أيار ١٩٢٣ ، عندما حاول هتلر أن يعارض بالقوة مظاهرة النقابات في مدينة مونيخ ، اضطرته حكومة مونيخ إلى تسليم السلاح الذي كان في حوزة جيوشه آنذاك . وكلما تقدمنا في سنة ١٩٢٣ ، إزداد التوتر بين هتلر وفون كار . وصرح هتلر في ٩ تشرين الأول : « إن الشعب البافاري سيكون معي إذا دخلت في خلاف مع السيد فون كار . لست ملكياً ، وسأكافح كل دعائم الروح الملكية » .

قومة هتلر

كانت مناسبة قومة هتلر منع حكومة برلين الصحيفة الهتلرية ، « الرقيب الشعبي » ، اثر عدد من التهجمات التي نشرت في هذه الصحيفة ضد وزير الرايخوير **غسلر** ، وضد **سيكت** قائد الرايخوير ، وضد **شتريزمان** وقد رفض فون كار تطبيق هذا الإجراء . وأمام هذا الرفض ، عهد ايبرت ، رئيس الرايخ ، بكامل السلطات في بافاريا إلى وزير الحربية ، وفي الواقع ، إلى الجنرال فون سيكت . فهل سنرى بالتالي مجابهة عسكرية بين برلين ومونيخ ؟

في لحظة اقبح توتر ، تردد فون كار بقطع الجسور مع برلين واستخدم رسالة من فون سيكت ، في ٥ تشرين الثاني ، تذكر بفكرة حل سلمي للأزمة ، لتأخير كل عمل ضد حكومة برلين . وأمام ترددات الثالوث فون كار ـ لوسوف ـ زايسر ، رأى هتلر بأنه يجب وضع حكومة مونيخ أمام الأمر الواقع وقرر القيام بالثورة .

ولإيضاح هذا القرار من هتلر ، يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أنه ثبّت في هذا الدور ، تشرين الثاني ١٩٢٣ ، بصورة عظيمة ، وضعه السياسي ، من جهة بحليف سياسي مع الجنرال فون لودندورف الذي كان له تأثير كبير لا لدى الأوساط العسكرية فحسب ، وإنما أيضاً على الرأي ؛ والذي انتمى إلى « حزب

العامل القومي - الاشتراكي الألماني » N.S.D.A.P. ومن جهة أخرى ، لأنه ، أثناء مظاهرة في نورامبرغ ، في أيلول ١٩٢٣ ، نجح في تشكيل « منظمة كفاح » ، وأدخل فيها عدداً من الجيوش الحرة ، وبخاصة « المنظمة اوبرلاند » . وعليه كان هتلر يتصرف بوسائل عمل عظيمة عندما قرر القيام بثورته .

إن قومة مونيخ ، التي تقع في ٨ وفي ٩ تشرين الثاني ١٩٢٣ معروفة عالمياً . وكل واحد يعلم كيف ان هتلر في جلسة « حانة جعة المواطن » عرف كيف يضم كار ولوسوف إلى وجهات نظره في الثورة ، وكيف تخلص هذان الاثنان من وعودهما ، وكيف قمعت الشرطة البافارية في الغداة مظاهرة هتلر ، وكيف جرح واوقف . ولكن كيف نفسر هذه الحوادث ؟

تستند النظرية التقليدية على نشر الأعمال الصادرة عن المحفوظات البافارية ، والذي قام به المؤرخ **دويرلن** : إن إخفاق القومية في مونيخ يرجع إلى انقسام قوى التألب ضد نظام فيار . وأن المعارضة بين هتلر ، الذي يتابع هدفاً سياسياً محدداً - وأفكار فون كار الملكية والاتحادية هي التي كانت سبباً للاخفاق .

أما بونين فقد حاول ، في كتاب يعتمد على المحاكمة السرية لهتلر ، أن يأتي بتفسير مخالف . فهو يرى أن القومة يجب أن تكون على صلة بالسياسة الدولية ، وأن تفحص من وجهة نظر برلين أكثر من وجهة نظر مونيخ . ويبدو أن حكومة برلين ، في صيف وفي خريف ١٩٢٣ ، تصورت تحويل المقاومة السلبية في الرور إلى مقاومة نشيطة ، وأنها فكرت بالعودة إلى السلاح ضد فرنسا . وكانت الحكومة البافارية تعتمد في ١٩٢٣ على مساندة انكلترا التي وعدتها بالأسلحة ، وحتى ، على وجه الاحتمال ، بالجنود . وبالتالي كان يوجد بالنسبة لفرنسا ، خطر عسكري أكثر وضوحاً وأكثر مباشرة مما يتصور عادةً . وكان الرئيس بوانكاريه على وجه

الدقة واعياً لهذا الخطر تماماً وهو أن القومة يجب بالتالي أن تكون على صلة بالعودة إلى تسلح ألمانيا السري في تلك الآونة . ومن هنا تأتي أهمية كل الحوادث التي لم توضح حتى الآن بصورة كافية : الواقع ، أن الـ S . A وكذلك التجمعات الأخرى الوطنية والعسكرية كانت تخضع لتدريب مستمر ، في ثكنات الريخ . ويريد الرايخوير من ذلك أن يكون تحت يده جنود هامة ومتعلمة جيداً ، ويمكن عند الأوان ، أن تستخدم فجأة ضد فرنسا . وهذا يوضح ، في رأي بونين ، الصلات الوثيقة للغاية بين فون لوسوف قائد القوات العسكرية في بافاريا ، وهتلر . وكان بين فون لوسوف وهتلر لقاءات منظمة ، بل وحتى مقابلة بين الجنرال فون سيكت وهتلر ، في بداية صيف ١٩٢٣ ، وبالتالي فإن عمل هتلر في مونيخ كان في خط النشاطات التي تواصلها حكومتا برلين ومونيخ .

نظرية بونين الثانية : إن موقف لوسوف لا يمكن تحديده مطلقاً بنعرة بافارية ما . وبالإجمال ، كان متفقاً على الاطلاق مع الجنرال فون سيكت . فقد كانا يريان إقامة حكومة في برلين على أن توضع بين أيدي الجيش ، وبالتالي أن يبعد تأثير الاشتراكيين وأحزاب فيار عن الحكومة الألمانية . وقد أعدت أوساط اليمين السياسية ، في الأيام الأولى من تشرين الثاني ، تنظيم حكومة إدارة (ديركتوار) على أن يرأسها الجنرال فون سيكت ، وإلى جانبه يجلس ممثل عن الزراعة وآخر عن الصناعة . وعشية محاولة قومة هتلر وجد اتفاق تام تقريباً بين أوساط مونيخ وأوساط برلين على مستقبل الرايخ : وهذا المستقبل يجب أن يعهد به إلى ديركتوار يصفي الجمهورية . وفي الأيام ، بين نهاية تشرين الأول وبداية تشرين الثاني ، كان الموجهان البافاريان فون كار ولوسوف يعقدان اجتماعات مستمرة مع « منظمة الكفاح » ومع هتلر بغية زحف جيوش هتلر على برلين لدعم تنظيم هذا الديركتوار . وقد أشار هتلر في محاكمته ، إلى التلاحمات الوثيقة جداً

التي كانت موجودة بين الرايخوير وفصائل الهجوم . ودعم بأن كل عمله كان ، في الواقع ، قانونياً وحسب وجهات نظر الأوساط الموجهة . إذن ، كيف نشرح حوادث ٨ و ٩ تشرين الثاني ؟

لقد بدا ، انطلاقاً من ٥ تشرين الثاني ، أن تشكيل الديركتوار المتوقع في برلين كان صعباً . ويبدو بخاصة أن ممثل الصناعة الكبرى في الديركتوار . الصناعي شتينز ، الذي تصور أن يكون رجل هذا الغرض ، بدا متردداً لأسباب ترجع إلى ظروف اقتصادية . وفي هذه الظروف تردد سيكت وفون لوسوف في أخذ مسؤولية السلطة على عاتقهما . وفي هذه الظروف حاول هتلر فقط ، بقيامه في ٨ تشرين الثاني ، اكراه الموجهين البافاريين ، ووضعهم نوعا ما أمام الأمر الواقع ، وأن يظهر لهم بأن ليس عليهم إلا أن يشاركوا في مشروع نفذ ونجح . ولم يكن هتلر ليقصد انقلاباً ، وإنما نوعاً من ضغط ودي يمارس على الأوساط السياسية البافارية . وكان يجب اقناعهم - وهذه هي العبارة التي استعملها هتلر في فترة ما - بأن ما عليهم إلا أن يشاركوا في قضية مطروحة من قبل .

إن نظرية بونين ترمي إلى البرهنة دوماً على أن هتلر قد فعل فعله في وجهة نظر أعطته إياها حكومة مونيخ ، وأن حكومة مونيخ نفسها ، كانت في الواقع ، على اتفاق مع حكومة برلين - وكل هذا في سبيل إعادة تسلح ألمانيا تسلحاً كثيفاً ، وحرب محتملة ضد فرنسا ، وإقامة حكومة في عاصمة الرايخ قومية ومعادية للجمهورية .

الفصل الثاني

يسار الحزب القومي - الاشتراكي

بين ١٩٢٥ و ١٩٣٣[١]

لقد أعيد تشكيل الحزب القومي - الاشتراكي في بداية سنة ١٩٢٥ عندما خرج هتلر من سجن لاندنسبرغ . وفي الحقيقة ، وجد هتلر في ذلك الحين ، الحزب القومي - الاشتراكي مفتتاً بصورة عميقة ، ومنقسماً إلى تجمعات متعادية . ويجب أن نشير إلى اثنين هامين منها :

١ - الأسرة الشعبية الألمانية الكبرى

التي كان يوجهها روزنبرغ وايسّر وكانا مساعدين لهتلر قبل ١٩٢٣ ،

٢ - حركة الحرية القومية - الاشتراكية ، التي ينتسب إليها شخصيات مختلفة ، وبخاصة لودندورف ، وغرفه وغريغور - شتراسر . وفي شباط ١٩٢٥ ، نجح هتلر في تنظيم الحزب من جديد ، متابعاً هدفين واضحين للغاية : أولاً : أن يؤمن لنفسه سيطرة غير قابلة للنقاش على الحزب ، بطرد من لا يقبلون سلطته ؛ ومن جهة أخرى ، أن يجعل من الحزب قوة للسياسة الألمانية في نطاق

(١) راجع في هذا الموضوع : R kuehnz , Die Nationalsozialismus alistische linke , Marburg , 1966

E . Broszat , der Nationalsozialismus , Hanovre , 1960

الدستور ، وبالتالي متابعة الاستيلاء على السلطة بطرق قانونية . وإن الزيارات التي قام بها هتلر في ذلك الحين لرئيس مجلس الوزراء البافاري هيلد تدل على أن هتلر كان ينوي الاستيلاء على السلطة بوسائل شرعية . وقد امتدت إعادة تنظيم الحزب ، في شباط ١٩٢٥ ، ولم يخل الأمر بالطبع من بعض الخسائر في العناصر . وبخاصة أن لودندورف في ذلك الحين قطع صلته بهتلر .

ولكننا سنلاحظ بسرعة ، في داخل هذا الحزب القومي ـ الاشتراكي ظهور معارضة يسارية معارضة للتوجيهات التي تأتيها من مونيخ . وبالفعل ، في آذار ١٩٢٥ ، عهد بتوجيه الحزب القومي ـ الاشتراكي في ألمانيا الشمالية إلى غريغورشتراسر . وكان تغلغل الحزب القومي ـ الاشتراكي في ألمانيا الشمالية ، وبخاصة في بروسيا ، حتى ذلك الحين ضعيفاً للغاية . وكان غريغورشتراسر بافاري المولد ، وقد نال في الحرب العالمية الأولى الصليب الحديدي من الدرجة الأولى ، وبعد الحرب ، مكث صيدلياً في **لاندشوت** بالقرب من مونيخ . وهنا شارك في الحزب الهتلري الأول . وسمي زعيماً إقليمياً « غولايتر » بافاريا الدنيا ومع ذلك ، وإن كان في ذلك الحين معاوناً لهتلر ، فقد دل على أنه لم يكن تلميذه ، وكان يظهر باستمرار استقلالاً فكرياً كبيراً إزاءه . واثناء أسر هتلر في لاندسبرغ ، حدث سوء تفاهم قوي بين غريغورشتراسر والممثلين الهامين للحركة الهتلرية في بافاريا ، وبخاصة **روزنبرغ ، وايسر ، وشترايخر** . وكان غريغورشتراسر ، مع أخيه اوتو الحقوقي الثقافة[1] يريد أن يعطي بالحال للتجمع النازي الذي شكله في ألمانيا الشمالية استقلالاً ذاتياً ملحوظاً جداً إزاء مركزية مونيخ . وفي ألمانيا الشمالية ، وبخاصة في برلين ، وفي المدن الصناعية الكبرى في رينانيا والرور ، كان على البرنامج العرقي ، إذا أراد أن ينفذ في الجماهير ، أن

---

(١) راجع O - Strasser, Hitler ET Mai, 1948.

يرفق ببرنامج اشتراكي . ولذا شدد ، بالحال على المظاهر الاجتماعية ـ لبرنامج هتلر ـ وهو برنامج من خمس وعشرين نقطة ، حدد في ١٩٢٠ ، وظل دوماً ، من حيث المبدأ ، البرنامج الرسمي للحزب . ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ، في ألمانيا الشمالية ، وقد أدرك ذلك شتراسر ، الحذر الشديد جداً الذي كان يوجد حيال هتلر الألماني ـ الجنوبي ، ومن صلاته بالأوساط الكاثوليكية والارستقراطية والفاشية البافارية التي تعاون معها كثيراً أو قليلاً قبل ١٩٢٣ .

وهكذا ، في أيلول ١٩٢٥ ، شكل الأخوان شتراسر « أسرة عمل » من أجل ألمانيا الشمالية : وكان الموجه لها غريغورشتراسر ، وكان أمين سره شاب ريناني معروف قليلاً ، جوزيف غوبلز . وقد اتخذ هذا التجمع موقفاً مستقلاً إزاء مونيخ . ونشر لنفسه مجلة ناطقة باسمه هي : « الرسائل القومية ـ الاشتراكية » . وتتبنى في كل النقاط موقفاً معادياً على الإطلاق ومعاكساً لموقف « الرقيب الشعبي » التي كانت في مونيخ الناطق الرسمي باسم الحزب . وفي تشرين الثاني ١٩٢٥ ، ظهرت المعارضة بين مونيخ وألمانيا الشمالية ، في مؤتمر هانوفر ، الذي ضم عدداً من غولايترات ألمانيا الشمالية . وأفصح بشكل شديد للغاية عن عداء شديد جداً حيال توجيهات مونيخ . وقد صرح غوبلز ، إلى فيدر ممثل هتلر في هذا المؤتمر : (في هذه الحالة ، إذا تغلبت أفكاركم ، فاطلب أن يطرد هذا) البورجوازي الصغير ، ادولف هتلر « من الحزب القومي ـ الاشتراكي » . وصرح روشت أحد زعماء ألمانيا الشمالية : « القوميون ـ الاشتراكيون رجال أحرار ، ديموقراطيون ، وما من بابا عندهم يمكن أن يزعم بأنه معصوم » . وتبلورت المعارضة في هذا المؤتمر بمناسبة قضية معلقة حتى ذلك الحين ، وهي نزع ملكية أموال الأسر الأميرية التي حكمت في ألمانيا . وبينما كان هتلر معادياً لنزع الملكية . اتخذ مؤتمر هانوفر بالعكس ، موقفاً ملائماً .

ومع ذلك ، من المهم أن نوضح طبيعة هذا التنافس بين الأخوين شتراسر وهتلر . لقد أعطى المؤرخون زمناً طويلاً لحركة شتراسر صفة مميزة وهي أنها مناصرة للعامل ومناصرة سوفياتية ، وبالاختصار ، لقد تبنى شتراسر عقائدية اشتراكية ، وعلى العموم ، ملائمة لتعاون وثيق مع العالم السوفياتي . غير إن الاكتشاف الحديث ، الذي قام به المؤرخ الألماني كونل ، في الولايات المتحدة ، لأوراق اوتو شتراسر - أوراق وجد فيها برنامج حرر بيد اوتو شتراسر نفسه ، في بداية سنة ١٩٢٦ ، لا يسمح بالذهاب إلى بعيد ، ولا بإعطاء معنى دقيق لحيدة شتراسر . إن برنامج شتراسر لا يتجاوز برنامج فيدر الذي حرره في ١٩٢٠ ، واستأنف فيه تعابيره الأساسية . أي إن برنامج شتراسر كان موجهاً بصورة أساسية بغية الدفاع عن البورجوازية الصغرى التي يريد صونها من خطر التكديح (أي جعلها كادحة) . إن عبارات شتراسر مضادة للرأسمالية ، ولكن الحلول التي يرتأيها ليست على الإطلاق حلولاً اشتراكية . وبالعكس ، إنها تمتدح العودة إلى الحالة **الصنفية والحرفية** ، وليس لها أي رؤية ثورية للمستقبل . ومن جهة أخرى ، أي على صعيد السياسة الخارجية ، لايلمح شتراسر مطلقاً إلى تعاون مع الاتحاد السوفياتي . ولم تطرح في برنامجه قضية سياسة مناصرة للشرق ، وإنما فقط إعادة بناء القدرة الألمانية ، بعودة المستعمرات القديمة إلى ألمانيا . وأخيراً ، على صعيد السياسة الداخلية ، يمتدح نوعاً من لا مركزية السلطة السياسية ، على الصعيد الفيدرالي ، وتنظيم برلمان على أساس « مجلس الأصناف » الذي لن يمثل فيه المواطنون وإنما الهيئات الاقتصادية والاجتماعية الكبرى أي ما يسمى بالألمانية نظام « الطبقات » ، وذلك حسب نموذج امتدحه موسوليني وساد في إيطاليا الفاشية .

ولم يكن بإمكان شتراسر أن يفرض وجهة نظره على القوميين - الاشتراكيين . وفي الحقيقة عقد هتلر مؤتمراً في **بامبرغ** في ألمانيا الجنوبية ، في

شباط ١٩٢٦ . واستطاع فيه أن يعتمد على أكثرية زعماء المناطق الذين كانوا مخلصين له . وشجب المؤتمر عدداً من أفكار شتراسر ، وأكثر من ذلك أن هتلر استطاع أن يفصل ، عن شتراسر ، جوزيف غوبلز ، الذي كان ، حتى ذلك الحين ، أحد دعاماته الكبرى ، ويربطه بسياسته . وأصبح غوبلز منذ ذلك الحين رجل هتلر ، وعلى صعيد السياسة النازية عدواً لدوداً للأخوين شتراسر .

ومع ذلك ، فإن مؤتمر بامبرغ لا يعني أبداً نهاية الحركة الشتراسرية . لأن الأخوين شتراسر لم يعتبرا نفسيهما مغلوبين . وفي ١٩٢٦ ، أسس الأخوان في برلين « دار الكفاح للنشر » ووظفا فيها ثروتها . ونشرت هذه الدار جريدتين : « القومي - الاشتراكي » و « جريدة عمال برلين » ، ومن جهة أخرى ، وضع الأخوين شتراسر يدهما على عدد من الصحف الإقليمية ، مثل « رقيب ساكس » وبسرعة كسبت « دار الكفاح للنشر » دعم شخصيات هامة تنتسب إلى الأوساط الهتلرية : أولاً عدداً من زعماء الأقاليم مثل حاكم إقليم هامبورغ ، الدكتور كربز الذي ترك مؤلفاً في مذكرات في الخلافات داخل الهتلرية يسمى « اتجاهات وصور حزب العمل القومي - الاشتراكي الألماني » ، وصدر في ١٩٥٩ ، ويفخر بأنه قال يوماً لهتلر : « لستَ زعيماً ، بالمعنى الجرماني للكلمة ، وإنما مستبد شرقي » ، وثم حاكم آخر ، وهو حاكم سيليزيا ارنست بوزيكات الذي كان في جماعة شتراسر منظراً لقضايا الأراضي الزراعية . ومن جهة أخرى ، التف عدد من الشخصيات السياسية حول شتراسر في ذلك الحين ، مثل الكونت ريفنتلوف الذي كان منتسباً للحزب المحافظ ثم انتقل إلى الهتلرية . ومثل الصحافي هربرت بلانك ، وأيضاً مثل عدد من الشخصيات التي كانت تنتمي إلى الجيوش الحرة ، مثل أخ ارنست فون سالومون وهو برونو فون سالومون ، أو أيضاً مثل بعض الاشتراكيين ، مثل اوجين موساكوفسكي .

كانت الانتقادات في صحافة شتراسر ، إزاء هتلر ، تتناول ثلاث نقاط أساسية :

١ - **على صعيد السياسة الاقتصادية** ، يؤكد الأخوان شتراسر ومحيطهما على ضرورة سياسة معادية للرأسمالية ، وبخاصة ، على المصلحة المتضامنة للعمال والبورجوازية الصغرى . وإن للعمال والبورجوازية الصغرى ، الطبقات الوسطى ، مصلحة مشتركة ، موجهة ضد الرأسمال الكبير . وبالتالي ، فإن الشتراسريين مدعوون لاستعمال فكرة نزاع الطبقات ، التي لم تكن ، برأيهم ، كما يزعم هتلر ، اختراعاً ماركسياً بسيطاً ويهودياً . وتتخذ صحافة شتراسر مراراً مختلفة موقفاً لصالح الاضرابات ، حتى عندما تكون هذه الاضرابات مدبرة من قبل نقابات حرة أي اشتراكية أوحتى شيوعية . وعلى صعيد الأراضي أعرب الشتراسريين عن رأيهم في تقسيم الملكيات الكبرى . ومن هذه الانتقادات ينتج بأنه لا يمكن أن يكون هنالك حلف بين القوميين - الاشتراكيين وأحزاب اليمين ، لأن أحزاب اليمين كانت مرتبطة إما بالرأسمال الكبير وإما بالملكية الزراعية الكبرى .

٢ - **على صعيد السياسة الخارجية** ، يوضع موضع اتهام كل تقارب مع الدول الغربية . لأنها رأسمالية وامبريالية ، وصحف شتراسر مطبوعة بهجومات عنيفة ، بخاصة ، ضد السياسة الانكليزية في الهند . ويجب أن يرى ، في ذلك الحين ، أن هتلر كان يلح - وهذا غرض وسع في « كفاحي » - على ضرورة حلف بين ألمانيا وانكلترا . وبالمقابل ، كان يلح شيئاً فشيئاً في صحافة شتراسر ، على ضرورة تقارب مع الاتحاد السوفياتي الذي يشجب ، من جهة أخرى ، نظامه الداخلي . ويكافح شتراسر على الإطلاق فكرة استعلاء الشعوب الجرمانية على الشعوب السلافية . وكتب : « الثورة الألمانية تحرم استعباد الشعوب والأمم

الأجنبية ونهبها » . والنص ، الذي نجده غالباً في « الرقيب الشعبي » في تفوق الجرمن على السلاف ، كافحته صحافة شتراسر . وبالمقابل ، نراها ، كما في مونيخ ، تحبذ تقارباً مع ايطاليا الفاشية . ولكن شتراسر لا يريد أن يضحى لهذا الحلف مع ايطاليا الفاشية بالتيرول الجنوبي الذي يجب أن يبقى إقليماً جرمانياً . وهنا أيضاً نجد هجوماً على سياسة هتلر .

٣ ـ على صعيد السياسة الداخلية ، لقد كانت تسري فكرة معادية للسياق القانوني والبرلماني الذي يعطيه هتلر لسياسته ، ولكل تحالف مع الأحزاب البورجوازية . ويرى ، من جانب شتراسر ، أنه لا يوجد تنازلات ممكنة لنظام فيار ، وبالعكس يلح على المظهر الثوري للحركة . وهذا المظهر الثوري « اليساري » للحركة بدا بخاصة على الصعيد الديني . وكان الأخوان شتراسر معادين للغاية للكنيسة الكاثوليكية . وأعربا عن فصل جذري للكنيسة والدولة . ويؤخذ على هتلر مهادنته مع الأوساط الكاثوليكية البافارية . وبالمقابل ، كان اصدقاء شتراسر يتصورون إمكان تقارب مع الأحزاب اليسارية ، هذا التقارب الذي ، على ما يبدو ، أن أحزاب اليسار بين ١٩٢٥ و ١٩٣٠ لم تكن مستعدة له .

ما هي أهمية هذا اليسار القومي ـ الاشتراكي ؟ يبدو أنه كان متنفذاً بكفاية ، وبصورة أساسية في المدن الصناعية الكبرى في حوض الرور والراين وأيضاً في برلين ، حيث كافحه غوبلز الذي سمي حاكم برلين ونشر فيها جريدة « الهجوم » وفيها هاجم بشدة الأخوين شتراسر . وقد تأكدت أهمية الحركة ومغزاها بهذه الرسالة التي تلفت النظر التي أرسلها عضو في الشبيبة الهتلرية إلى هتلر في ٢٢ أيار ١٩٢٥ : « لقد أسسنا في كولونيا ـ مولهايم فريقاً من شبيبة حزب العمل القومي ـ الاشتراكي الألماني ، وهو من أنشط فرق البلاد الرينانية وأرى لزاماً علي أن أعلم إدارة الحزب ، في مونيخ ، بأن اصواتاً عديدة ارتفعت بين

الرجال العقلاء في هذا الفريق تحبذ التحول إلى الحزب الشيوعي . وعندنا البرهان أمام الأعين الذي يدل لأي نقطة ابتعد رؤساء المشروع عن متطلبات زمانهم ويذلون العمال ويعاملونهم كالحيوانات ... وإنه لخطأ فادح التمييز بين الرأسمال اليهودي والرأسمال غير ـ اليهودي ... علينا أن نصير ثانية حزباً حقيقياً للعمال ، وإلا فسحقاً للحركة . ألا يعلم حزب العمل القومي ـ الاشتراكي الألماني أن الرأسمال لا يمكن أن يكافح إلا على الصعيد الدولي ؟ وأن تدمير عبودية المال لم يمكن أن تشدّ إلا بشكل دولي ؟ فإذن أين تختلف أهدافنا عن أهداف الشيوعيين ؟

ولم ير هتلر زمناً طويلاً من الممكن العمل ضد يسار الحزب . ومع ذلك ، فإن الحالة تحولت في هذا الاعتبار ، في ١٩٢٩ . ففي ذلك العصر ، في ١٩٢٩ ، كانت نجاحات النازيين الانتخابية سريعة أكثر فأكثر : ففي انتخابات كانون الأول ١٩٣٠ ادخل القوميون ـ الاشتراكيون إلى الرايخشتاغ ١٠٨ منتخبين . وبدا منذ الآن أن هتلر بإمكانه أن يثق بالوصول إلى السلطة بالطريق القانوني . وهذا ما أكده في إعلان محاكمته في ليبزيغ ، في ٢٥ أيلول ١٩٣٠ . ففي ١٩٣٠ ، كما سترى ، تم التقارب بين هتلر وقوى المال الكبرى ، مع أوساط الأعمال .

أما المناسبة التي جرت إلى القطيعة مع الأخوين شتراسر فكانت في اضراب عمال الصناعة المعدنية الساكسونيين . فقد أضرب هؤلاء في نيسان ١٩٣٠ ، بدعوة من النقابات الحرة (أي النقابات الاجتماعية ـ الديموقراطية) . وأعطى شتراسر دعمه الكلي لهذا الاضراب ، في جريدته «الرقيب الساكسوني » . وعندئذ أعلم الكثير من الصناعيين هتلر بأنهم قرروا « قطع مصادر مساعداتهم » ، إذا لم تغير جريدة « الرقيب الساكسوني » موقفها . ووجد هتلر نفسه أمام إنذار من بعض الصناعيين . وعندئذ ، وبوساطة حاكم ساكس ،موتشمان ، منع اوتو شتراسر من

متابعة دعايته لصالح حركة الاضراب . ثم استدعى اوتوشتراسر إلى برلين . وكان في ٢١ و٢٢ أيار ١٩٣٠ ، بين الرجلين ، مناقشة عاصفة للغاية ، وفي خلالها أخذ هتلر على شتراسر تبنيه مواقف ماركسية وأنكر على الإطلاق إمكانية كل ثورة اقتصادية واجتماعية . وهذا هو الكلام الذي تلفظ به هتلر بناء على شاهد اوتوشتراسر . فقد صرح إليه هتلر : « إنني اشتراكي ، ولكن ليس من نفس نوع صديقك الاشتراكي روفنتلوف . لقد كنت عاملاً فيما مضى ، ولن أسمح لسائق سيارتي أن يأكل أقل مما آكل بنفسي . وأنتم ، في الاشتراكية ، لا تفهمون إلا الماركسية . والآن ، اصغ : إن جماهير العمال الكبرى تريد خبزاً ولعباً . والمثل الأعلى ، لا يهم أي مثل أعلى ، يدعها اطلاقاً باردة . ولن نأمل أبداً بأن يأتي العمال إلينا بدعوة ، بنداء ، إلى المثل الأعلى . نريد أن نقوم بثورة لصالح الطبقة المسيطرة الجديدة ، التي لا تتبع مثلكم أخلاق الرحمة ، ولكنها تعلم ، في أعمق أعماق نفسها بأن لها الحق بالسيطرة على الطبقات الأخرى ، لأنها تمثل عرقاً أفضل . وهذه الطبقة تحافظ على سلطتها بالعنف ، وتؤمن سيطرتها على الجماهير » ويستمر هتلر بقوله : « لا توجد ثورة إلا الثورات العرقية . ولا يمكن أن يكون هناك ثورة سياسية ، اقتصادية أو اجتماعية . لا يوجد أبداً إلا كفاح بين الطبقة الدنيا أو العرق الأدنى والعرق الأعلى والمسيطر . وإذا نسي هذا العرق الأعلى قانون وجوده ، خسر المعركة عندئذٍ » وحاول هتلر آنذاك أن يشتري دار الكفاح للنشر من شتراسر بسعر مربح . ولما رفض هذا الأخير ، هدده هتلر بالطرد من الحزب . وفي الاجتماع الثاني شارك غوبلز في الحديث ، وبالطبع ألقى بالزيت على النار .

ولم تتغير الحال خلال بضعة أيام . وفي آخر حزيران ١٩٣٠ ، كتب هتلر إلى غوبلز يأمره بطرد اوتوشتراسر من الحزب . وعندئذ نشر شتراسر نص المحادثة مع

هتلر . ونشر أيضاً كراساً مبرراً وهو : « الاشتراكيون يهجرون حزب العمل القومي ـ الاشتراكي الألماني » ، وشكل مع بعض مساعديه : « **اتحاد كفاح القوميين ـ الاشتراكيين الثوريين** »

وفي الواقع ، إن فصل شتراسر لم يزعزع بجد الحزب القومي ـ الاشتراكي . لأن شتراسر ، في انشقاقه ، لم يجر معه إلا خمسة وعشرين شخصية ، وبخاصة المحررين الأساسيين في دار النشر ، مثل **هربرت بلانك** ، و **موساكوفسكي** (المختص بالقضايا الاجتماعية) ، والميجر **بوخروكر** الذي كان منتمياً إلى الرايخوير الأسود وكان مختصاً بالشؤون العسكرية . ولقى اوتو شتراسر معاضدة عدد من تجمعات الشبيبة الهتلرية ، لكن يجب القول بأن القسم الأعظم من اليسار الهتلري ، وبخاصة اخوه الخاص ، غريغور شتراسر ، ظل وفياً لهتلر .

وبقي الآن أن نفحص بسرعة ما كان فعل هذا اليسار الهتلري بعد قطيعة اوتوشتراسر أي بين ١٩٣٠ و ١٩٣٣ .

يجب أولاً أن نفحص ما كان فعل اوتو شتراسر بعد الحيدة ، ومن بعد ما كانت وسائل عمل اليسار الذي ظل وفياً لهتلر في الـ : .N . S . D . A . P أي الحزب القومي ـ الاشتراكي الألماني

١ ـ لقد أخذت حركة اوتو شتراسر بسرعة اسم « الجبهة السوداء » وضمت هذه الحركة في الأصل نحو ٥,٠٠٠ عضو ، ولكنها لم تنجح ، في السنوات التالية ، بالحفاظ على هذا المستوى : فبعض أعضائها عادوا ودخلوا الحظيرة من جديد ، أي عادوا إلى الحزب الأبوي ، وآخرون انتسبوا إلى الحزب الشيوعي . وفي الواقع ، كانت الجبهة السوداء ، في ١٩٣٣ ، تضم نحو ٢٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ عضو .

وحرر اوتو شتراسر برنامجاً من ١٤ نقطة على مسافة متساوية من القومية ـ الاشتراكية والشيوعية أي وسطاً بينهما . وأعلن فيه ضرورة « ثورة قومية

واجتماعيـة وذات طـابـع شعبي ألمـاني » . وفي الـواقـع ، كان يختفي ، وراء هـذه التظاهرات ، في الجبهـة السوداء ، اختلافـات عميقـة للغـايـة . وكان اوتو شتراسر شخصياً على صلات وثيقة بالأوساط المحافظـة ـ الحـديثـة ، وبخـاصـة مع جمـاعـة « العمل » وظل اوتو شتراسر شخصياً معادياً للغـايـة للشيوعيـة ، بسبب موقفهـا الـدولي ، وخضوعهـا لأوامر موسكو ، ولم يقبل بتعـاون مـع الـ K.P.D أي **مـع الحزب الشيـوعي الألماني** ، إلا بصفة استثنائية وتكتيكية . وبالمقابل يوجد في داخل الجبهة السوداء عدد من الحركات أكثر تقدماً ، وبخاصة جماعات هالليـه التي نظمت اجتماعات وفاق مع الشيوعيين ، ورأت أن تسير الاضرابـات بـالمشـاركـة . بيد أن العناصر المحبـذة كثيراً للشيوعيـة وبخـاصـة ، مثل ولهلم كورن أبعـدوا ، في سنة ١٩٣٠ ، سنة القطيعة ، بصورة نظامية عن الحركة .

وكلمـا تقـدم الزمن ، كان الجـدل ، في داخل الجبهـة السوداء ، يجري عنيفـاً أكثر فأكثر بين شتراسر الذي يصفه اليسار بأنه « فـاشي » ، واليسـار الـذي يمجـد فعل النائب **شيرينغر** ، النازي القديم ، المنتمي حديثاً إلى الشيوعيـة . وفي ١٩٣١ تشكل « اتحاد كفاح الثوريين الألمان » الذي عرف تحت اسمـه بـالأحرف الأولى : K.G.D R وأخـذ يشـدد في داخل الجبهـة السوداء على فعل غير قـانوني ، وحتى ارهابي ، ويمتدح تحالفاً وثيقاً للغاية مع روسيا السوفيـاتيـة ، وعمل تضـامن دولي معاد للرأسمالية . وبين هذا اليسار للجبهـة السوداء ، والحركات المعروفـة تحت اسم « الحركات القومية ـ البولشفية » الهامة جداً في ألمانيا قبل هتلر ، وجـدت صلات وثيقة جداً . وهذا يدل على أن الحـدود بين اقصى ـ اليمين واقصى اليسـار ، عـائمـة جداً آنذاك في ألمانيا . ألمانيا سنتي ١٩٣١ و ١٩٣٢

٢ ـ ماذا كان فعل **حزب** اليسار الذي تـألف في داخل N.S.D.A.P. ؟
لقد ظهر فعل هذا اليسار بصورة أساسية في داخل فصـائل الهجوم « S.A , » التي ترى في الغالب جداً ، وبخـاصـة في برلين ، أن هتلر خـان الثورة ، بتصـالحـه مع

أحزاب اليمين ، **جبهة هارتزبورغ** ، ونجدنا أمـام ثورتين لفصـائل الهجوم ضـد سلطة الحزب .

وفي أيلول ١٩٣٠ ، ثـارت فصـائل الهجوم في برلين وحـاصرت مقر الحـزب . متظلمة بعدم دفع عطاء الجند ، ولكن الحركة كشفت عن معارضـة إدارة الحزب . وكان على غـوبلـز أن يطلب ، في برلين ، نجـدة هتلر . فجـاء شخصيـاً وأفـاد من الحالة لينحي عدداً من « الرفاق القـدامى » ويعلن نفسـه « قـائـداً أعلى لفصـائل الهجوم » . وقامت ثورة أخرى ، في نيسان ١٩٣١ ، على أثر توصية فصائل الهجوم بتجنب حرب الشـوارع . وفي هـذه المرة ، كان يـوجـه الثـورة والتر شتينز ، وهـو نقيب شرطـة سـابق ، وزعيم فصـائل الهجـوم في شرقي ألمـانيـا . واضطر هتلر إلى التدخل شخصياً من جديد ، وأبعد شتينز فالتحق بجماعة الجبهة السوداء ، جمـاعـة اوتـو شتراسر . ولكن شتينز وشتراسر لم يتفـاهمـا ، وغـادر شتينز الجبهـة السـوداء بسرعة جداً . ولكن القوة الأساسية لمعارضة اليسار ، في داخل الحزب ، كانت مـا يسمى « المنظمة القوميـة ـ الاشتراكيـة لخلايـا المشروع » المعروف بـاسم الأحرف الأولى (N.S.B.O.) . وقد تشكلت هـذه المنظمـة في المعـامل لمحـاولـة كسب العمال الاشتراكيين ، ونظمت الاضرابـات ، بـاتفـاق مـع نقـابـات اليسـار . وكان المنظم لهذه الخلايا القومية ـ الاشتراكية **راينهولـد موشوف** الـذي كان يـدعمـه غريغور شتراسر . وقـد ألف موشوف كتـابـاً ، وعنوانـه لـه دلالتـه وهـو : « هـل القـوميـون ـ الاشتراكيـون هم اجتماعيـون ـ رجعيـون ؟ » وقـد صـدر في ١٩٣١ ، وأعرب فيه أن الاضراب وسيلة مطالبة اجتماعية وفعل ثوري .

يوجـد في حركـة الـ N.S.D.A.P. عـدة منظمات مستعـدة للتعـاون مـع أوسـاط اليسـار . وهـذا مـا جعل الجنرال فون شلايخر ، بعـد أن أصبح مستشـاراً للرايخ ، في آخر سنة ١٩٣٢ ، يقرر محاولـة القيـام بـاتصـال مع غريغور شتراسر ،

ويقدم له وظيفة نائب ـ المستشار . ومن البديهي أن شلايخر ، بهذا العرض ، كان يحاول تفريق وانقسام الحزب القومي ـ الاشتراكي بالاعتماد على غريغور شتراسر وبالتالي أن ينصب قوى يسار الحزب ضد هتلر . ولكن هذه المحاولة أخفقت بسبب رد الفعل العنيف جداً الذي قام به هتلر الذي سمي مستشاراً ، في آخر كانون الثاني ١٩٣٣ . ماهي أسباب إخفاق الأخوين شتراسر ؟

لقد أطري في الغالب بشخصية الأخوين شتراسر التي كانت مفعمة بالجاذبية والسحر . ولكن هذين الرجلين كانا دون مقدرة حقيقية . فمن ذلك أن غريغور شتراسر ، عندما عرض عليه شلايخر منصب نائب ـ المستشار ، ذهب إلى ايطاليا في رحلة ، مع عائلته ، وترك المكيدة كلها معلقة . ولكن السبب العميق للإخفاق يجب أن يبحث عنه في الضعف العقائدي في اليسار الشتراسري . وبالفعل ، إن الأخوين شتراسر ، على الصعيد الاقتصادي ، كانا يحبذان الرجوع إلى الحالة الاقتصادية قبل ـ الرأسمالية ، ولم يكن لهما أي نظرة في تنظيم المجتمع الحديث . لقد كانا مدافعين عن المشروع الصغير والمواقف الرجعية اجتماعياً . وعلى الصعيد السياسي ، كانا متعلقين بالتنظيم الصنفي المهني للدولة ، الذي يعتمد على الطبقات ، لأن هذا التمثيل يشجع الطبقات الوسطى . وهذا البرنامج له ، بالبداهة ، لون معاد للرأسمالية ، ولذا لا يمكن أن يجذب عالم العمال . وفي الوقت الذي يوجه الكادحين ضده ، كان يقلق الأوساط الرأسمالية ، الأوساط الموجهة ، بتعاطفه مع اليسار ومع الاتحاد السوفياتي . وهذا العجز عن حل القضايا الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا التنافس المزدوج الذي أقامه ضده يوضحان أخيراً إخفاق شتراسر والسهولة التي نجح فيها هتلر بالنصر على أعدائه .

الفصل الثالث

وصول هتلر إلى السلطة
في كانون الثاني ١٩٣٣

أي تفسير يعطي المؤرخون لوصول هتلر إلى السلطة في ١٩٣٣ :

١) نجدنا أولاً أمام عدد من النظريات التي تعتبر أن جمهورية فيمار كانت غير قابلة للحياة ، وأن وصول هتلر إلى السلطة يجب أن يفسر بفقدان دستور فيمار ١٩١٩ وبتطبيق هذا الدستور ، في الدور الذي يذهب من ١٩١٩ إلى ١٩٣٣ . إن المؤرخ الجرماني ـ الأميركي أ . روزانبرغ يرى أن جمهورية فيمار محكوم عليها بالمصير المحتوم منذ الأصل ، لأنها لم ترفق الثورة السياسية بثورة اجتماعية .

ومن جهة أخرى ، كتب كارل براخر في ١٩٥٧ مؤلفاً رئيسياً : « حل جمهورية فيمار » أوضح فيه إخفاق هذه الجمهورية ووصول هتلر إلى السلطة ببنية الرايخ السياسية . ودل براخر بأنه كان في جمهورية فيمار « مركز قوة » يحتله البرلمان . وقد خلق انحطاط البرلمان نوعاً من فراغ ، « فراغ قوة » . وهذا الفراغ الحاصل على هذا النحو احتلته جماعات جديدة ، لم تشعر بعناء في القبض على السلطة . وهذه القوى التي حلت محل البرلمان هي ، بصورة أساسية ، في نظره ، بوروقراطية الجيش . وإذن فإن نظرية براخر تهدف إلى الدلالة على أن الحفاظ ، في داخل جمهورية فيمار ، على النظم القديمة للعصر الإمبراطوري ، الحفاظ على ما يسمى « الدولة السلطوية والمصنفة[1] » ، كان بالإجمال سبباً في

---

(١) المصنمة أي التي تخضع لنظام التسلسل الوظيفي الذي يرتبط به المنصب الأدنى بالمنصب الأعلى .

إخفاق الجمهورية . ولم تعرف التقاليد الحقيقية الجمهورية كيف تنمو في ألمانيا . ومن هنا أخيراً ، في ١٩٣٠ ، وعلى أثر الفراغ الذي أحدثه تداعي النظم البرلمانية ، كانت العودة إلى النظام الرئاسي الذي يدعمه الجيش ، ولا يكون فيه البرلمان والأحزاب أكثر من مسموح لها . وقد أدخل النظام الهتلري نوعا ما في ألمانيا في إطار هذه الدولة السلطوية والرئاسية ، عن قناعة شاركت فيها الدوائر الموجهة وهي أن الحزب النازي ، كالأحزاب الأخرى ، يمكن أن يمثل ويستوعب بهذه الدولة الرئاسية .

وقد نوقشت هذه النظرية ، بخاصة من قبل ك . أو . اردمان في كتابه الممتاز « الكتاب اليدوي في تاريخ ألمانيا » ، وفيه إعادة لرسم تاريخ ألمانيا المعاصر . ويرى اردمان أن من غير الصحيح أن يفكر ، كما قال روزانبرغ وبراخر ، بأن جمهورية فيمار كان مقرراً لها أن يكون مصيرها الدمار . والحقيقة ، برأي اردمان ، أن أزمة النظم الجمهورية لم تؤرخ إلا من سنتي ١٩٢٨ - ١٩٢٩ ، في الوقت الذي انهار فيه الائتلاف البرلماني الكبير الذي أقامه المستشار مولر . ففي ذلك الحين فقط ، أظهر البرلمان عدم وجوده ، بحيث أن انقسام الأحزاب ، في رأي اردمان ، أي فقدان الوحدة في داخل الأحزاب نفسها ، كان سبب خراب جمهورية فيمار .

٢) وإلى جانب هذه النظريات التي ترمي إلى إعطاء إيضاح سياسي لوصول هتلر إلى السلطة ، توجد سلسلة نظريات تؤسس وصول القومية - الاشتراكية[٧] على أسباب اقتصادية ، وبخاصة على أزمة بداية سنوات الـ ١٩٣٠ ونتائجها . والمؤرخون الذين يعطون هذا الإيضاح لوصول هتلر إلى السلطة يضعون بالبداهة ، وهذه هي حجتهم الأساسية ، تقدم البطالة ، ويربطون هذا التقدم في البطالة مع التجذير المتعاظم للجماهير في ألمانيا : أي أن تقدم الأصوات النازية

كان على صلات وثيقة بعدد العاطلين عن العمل ويتبع المنحنى نفسه . وبالتالي عندما تنفجر الأزمة بعد ١٩٢٩ ، يشاهد أول دفعة للنازية : فقد وجد أكثر من ٦ ملايين صوت نازي في انتخابات تشرين الثاني ١٩٣٠[1] .

وعلى ما يبدو أن تصحيحات هامة أدخلت على هذه النظرية التي وسعت غالباً . وأن الأعمال التي قامت على طبيعة مجموع الناخبين النازيين ساعدت على وضع هذه التصحيحات . وبصورة خاصة ، إن أعمال علم الاجتماع الانتخابي التي جمعها ليبست في كتابه : « علم اجتماع الديموقراطية » الذي صدر في ١٩٦٢ ، أو أيضاً أعمال ر . هبرله « الشعب الريفي والقومية - الاشتراكية » الذي صدر في ١٩٦٣ ، دلت على أن تقدم النازية سجل بخاصة في الطبقات الوسطى وبين صغار ومتوسطي الملاك . فمن ذلك مثلاً ، أن تحقيقاً أجري في الشعب الريفي في شلزفيغ - هولشتاين - وهي إحدى المناطق التي أعطت أكثر الأصوات للنازية - ودلّ على أن النازية لم تنم في المناطق المرزغية في الشاطئ الغربي لشلزفيغ - هولشتاين - التي يختلف فيها كبار الملاك والطبقة الكادحة الريفية البائسة ، وإنما في المنطقة التي تسمى الـ جيست ، حيث بالعكس ، نجدنا أمام اقتصاد ريفي ، متين نسبياً ، على أساس متوسطي الملاكين وصغارهم ، وحيث ظهرت الأزمة الاقتصادية بشكل محسوس قليل نسبياً .

إن تحقيق ليبست في انتخابات ١٩٣٠ التي أعطت ١١٠ نواب نازيين في الرايخشتاغ ، يدل على أنه لا يوجد إلا ٢٨ ٪ من العمال - الشغيلة المختصين أو اليدويين صوتوا للحزب القومي - الاشتراكي ، على حين أن هذه الطبقة تؤلف ٤٦ ٪ من كامل السكان . وبالمقابل كان المستخدمون يؤلفون ٢٦ ٪ من الهيئة الانتخابية النازية على حين أنهم لا يمثلون إلا ١٢ ٪ من كامل الناخبين .

---

(١) راجع : M. Crouzet, Histoire Générale des civilisations: L'Époque Contemporaine.

وبالتالي فإن النازية لم تسق على حساب أحزاب اليسار ولكنها سيقت بصورة أساسية من بين العناصر التي صوتت لأحزاب الوسط أو اليمين . وقد أفادت القومية ـ الاشتراكية بخاصة من تدمير الأحزاب البورجوازية الوسطى . وكما قال ليبست : لقد ظهرت القومية ـ الاشتراكية كـ « تطرفية الوسط » التي يجب أن توضع على صلة بتجذير الطبقات الوسطى . وفي هذا الاعتبار ، يرى أن المثل الأكثر أهمية والأكثر دراسة هو مثل ما يسمى في ألمانيا «D. H. H. V.» أي : (الرابطة القومية الألمانية لتعاون العمال) التي تأسست في ١٨٩٣ وكانت من أهم دعامات الحزب القومي الألماني وانتقلت بكاملها تقريباً إلى القومية ـ الاشتراكية .

وهكذا شعرت الطبقات الوسطى بشدة بعاطفة نزع الطبقة ، أي التهديد بالتكديح .

إن أفضل تحليل سوسيولوجي (من علم الاجتماع) لهذه العاطفة ظهر في مؤلف لـ اريك فروم يدعى « حذف الحرية » ، وصدر في ١٩٤٥ . يدل اريك فروم على أنه ظهرت ، في الطبقات الوسطى ، عاطفة الانتماء إلى طبقة أخرى غير طبقة العمال ، وأيضاً عاطفة السقوط الاجتماعي الذي لا تستحقه إطلاقاً في الخلط بينها وبين هؤلاء العمال . ويميز فروم في الطبقات الوسطى اتجاهين مسيطرين : قبول الخضوع للأقوياء ـ أي الاعتراف بأرستقراطية سياسية واجتماعية تسيطر عليها ـ ومن جهة أخرى ، إرادة القوة . وقد وجدت هذه الطبقات الوسطى ما يرضيها من كل من هاتين العاطفتين في ألمانيا الإمبراطورية ، التي لا تطلب منها أي مشاركة فعلية في الحكم ، ولكنها كانت ترضي بسياستها الخارجية تذوق الطبقات الوسطى للسيطرة ، والطبقة الوسطى « طرحت نفسها في الخضوع إزاء الإمبراطورية ووحدت معها مصيرها » . وبعد إخفاق ١٩١٨ ، ردت إلى مصيرها المحزن ، فبحثت عن نظام سياسي يساعدها على الانسحاب من الحياة السياسية

ـ يعيد لها الأمن والوعي الصالح . فوجدته في النـازيـة ، والنـازيـة تفسر في آخر الأمر ، حسب رأي فروم ، كـ « فرار أمام المسؤولية » .

وقد تأكد الكثير من صفات هذا التحليل للطبقات الوسطى في مؤلف ألمـاني ظهر حديثاً وترجم حديثاً إلى الفرنسية ، وهو كتاب وليام آللن : « مدينة نازيـة صغرى » وهو دون منازع من أعظم الوثائق في النازية . فقد درس المؤلف حـالـة مدينة واضحة للغاية وسماها **تالبورغ** ، ولكنها في الواقع ، مدينـة نوردهـايم في ساكس ـ الدنيا ، وليست بعيدة عن هانوفر . ويعتبر المؤلف هذه المدينـة الصغيرة مميزة لعقلية قطاع هام من الشعب الألماني . وكانت نفوس مـدينـة نوردهـايم ، في ١٩٣٠ ، نحـو ١٠,٠٠٠ نسمـة ، وتجهـل تقريبـاً كل شيء عن النـازيـة قبـل الأزمـة الاقتصـاديـة . ولكنهـا ، في انتخـابـات تمـوز ١٩٣٢ ، أعطت ٣٧ ٪ من أصواتهـا للنازيين . وهي مدينة طبقة بورجوازية صغرى ووسطى ، وتوجـد فيهـا طبقـة عاملة تمثل بصورة أساسية بعمال مصانع السكر أو عمال السكـك الحـديـديـة ، على اعتبار نوردهـايم محطـة لقـاء سكـك حـديـديـة متعـددة . وسكان المـدينـة ، في أكثريتهم الواسعة ، لوثريون . وقد حـاول المؤلف انطلاقـاً من هـذه المعطيـات ، أن يوضح كيف أن مدينة لم يكن عندها أي فكرة عن النازية ، استطـاعت ، في قطاع كبير من ناخبيها ، أن تعطي دعمهـا لهتلر . والإيضـاح العظيم الـذي يخرج من هذا المؤلف يكمن في الملاحظـة التـاليـة : إن بورجوازيـة مـدينـة تـالبورغ ، بورجوازية ذات عواطف قوميـة ، وتحب الأمور العسكريـة ، وبـالتـالي متعلقـة بالذكريات التـاريخيـة ، وبـالعصر الإمبراطوري ـ تعيش في هـاجس ، في خوف دائم ، وفي كره لا يشفى غليله للاجتماعية ـ الديموقراطية ، اجتماعية ـ ديموقراطيـة تجعل منها لنفسها نوعاً من أسطورة وتمثلها حزبـاً معـاديـاً للقوميـة ، مـاركسيـاً وثوريـاً بعنف . وهـذه الصفـات لا تتفق بـأي شكل من الأشكال والواقع ، ولكن

يبدو أن الاجتماعية - الديموقراطية تبرر هذا الواقع باستعمال عدد من الشعارات وبنشيد الأممية وببعض العبارات الثورية البالية .

وهكذا ، بهذه المعارضة العنيفة للاجتماعية - الديموقراطية ، يجب في رأي آللين ، إيضاح ظفر النازية ، وأن الأزمة الاقتصادية التي كان لها حسب آللين تأثير عظيم ، هي التي ستثير بلورة العواطف . لقد أثرت الأزمة ، في هذا الاتجاه ، باعتبارها ،قوضت أولاً في مدينة صغيرة مثل تالبورغ ، جميع قوى المقاومة الجمهورية . لأن الحزب الاجتماعي - الديموقراطي كان مساقاً إلى الدفاع عن نظام ، النظام الجمهوري - الذي ولد البؤس الاقتصادي للعمال . ومن جهة أخرى ، عرف النازيون كيف ينادون بعاطفة مزدوجة : أولاً ضحايا التسلسل الاجتماعي ، الذين انتزعوا من طبقتهم ، وكل من كانوا يخشون التكديح ، وفي الوقت نفسه البورجوازية التي يزعمون حمايتها ضد الاضطراب والفوضى ، والتي اعتادت أن ترى فيهم الحصن الأساسي لمصالحها . وإذا استطاع النازيون أن يجمعوا في نفس المعسكر الذين انتزعت طبقتهم ، المعادين للدولة البورجوازية ، والبورجوازية الراضية والشبعانة ، فذلك لأنهم عرفوا كيف يوحدونهم ضد عدو مشترك ، وعرفوا كيف يعرضون عليهم خصماً واحداً وهو اليهودي الذي كان نفسه الدعامة الأساسية للاجتماعية - الديموقراطية والجمهورية .

٣) وأخيراً يوجد عدة نظريات أخرى تدع جانباً من جهة الإيضاحات البنيوية ، ومن جهة أخرى الأسباب الاقتصادية ، وتضع في الأمام تدخلات ومشاركات الطبقات الموجهة لصالح النازية ، وتوضح وصول النازية إلى السلطة ، بفعل هذه الطبقات الموجهة .

وفي هذا الاعتبار يجب أن نوضح قطاعين هامين في العالم الألماني الموجه في ذلك العصر : من جهة ، الأوساط الاقتصادية ؛ ومن جهة أخرى ، الأوساط العسكرية .

أ) توجد نظرية وسعها باستمرار المؤرخون الماركسيون وبخاصة مؤرخو ألمانيا الشرقية ، وهي أن ممثلي الصناعة الثقيلة الألمانية والبنوك الكبرى أيضاً هم الذين كانوا في أصل مجيء هتلر إلى السلطة[1] . والمؤلف الأساسي ، الذي يعتمد عليه في هذا الصعيد ، مؤلف هالغارتن وهو بعنوان : « هتلر والرايخوير والصناعة » ١٩٥٩[2] . وله سلطته في هذا الموضوع .

ويجب أن نرى أن الأوساط الصناعية الألمانية ، حتى ١٩٣٠ ، لم تعلق إلا قليلاً من الأهمية على هتلر ، باستثناء صناعيين ؛ تيسّين وكيردورف . فقد كتب تيسين كتاباً أحدث كثيراً من الضجة وهو : « كيف اشتريت هتلر » ، فقد سلف هتلر مبالغ جسيمة أي نحو مليون مارك قبل ١٩٣٣ ، وهو الذي سمح ببناء « البيت الأسمر » في مونيخ . ومع ذلك ، يلاحظ ، انطلاقاً من ١٩٣٠ ، تطور ، تقارب بين النازية والصناعة الثقيلة . ولاسيما تحت تأثير المصرفي شاخت ، وأيضاً الصناعي فوغلر . وهذا التقارب بين أوساط الصناعة وهتلر يعود بخاصة إلى تدخل شخصيتين مقربتين جداً من هتلر : أولاً ، اوتو ديتريش . أكثر أصدقاء هتلر نشاطاً ، وكان أبوه مالكاً للصحيفة الهامة جداً وهي : « الصحيفة الرينانية - الوستفالية » التي كانت تصدر في ايسّن وتمثل المصالح الصناعية العظمية ؛ ومن جهة أخرى ، **فالتر فونك** الذي كان في الأوساط الهتلرية منظراً للاقتصاد ومحرراً للصفحة الاقتصادية في « الجريدة المالية البرلينية » . ويجب أن يشار - وهذه علامة تقارب - إلى الخطاب الذي ألقاه هتلر في « **نادي الصناعة** » في دوسلدورف ، في ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٢ ، وأعطى فيه ضمانات لأعضاء هذا النادي بقوله : « أتكفل بالسياسة ولكم الاقتصاد »

---

(١) راجع : G . BADIA , Histoire de l ' ALLEMAGNE contemporaine

وكذلك أيضاً . التقرير الموجود في les ANNALES ، آدار - نيسان ١٩٦٧

(٢) W . F . HALLGARTEN , HITLER , La Reichswehr et L'Industrie , 1959 .

ومع ذلك ، فإن هذا التقارب لا يعني ، من جانب الصناعة الألمانية ، انضماماً لهتلر . ففي الانتخابات الرئاسية في ١٩٣٢ ، دعم الصناعيون الألمان ، في أكثريتهم العظمى « حزب الشعب الألماني » ، وهو حزب بورجوازي يميني لم يكن إلى جانب هتلر ، وإنما كان إلى جانب هندنبورغ . ووجد في تشرين الثاني ١٩٣٢ ، مسعى نظمه عدد من الصناعيين ، لدى هندنبورغ ليعهد بالمستشارية (رئاسة الوزراء) إلى هتلر ، ولكن هذا المسعى ظل دون نتيجة على الإطلاق .

ومن المؤكد أن مناورات شلايخر ، الذي أصبح مستشاراً ، وحاول أن يعتمد أولاً على يسار الحزب الهتلري ، على اوتوشتراسر ، ومن بعد قام باتصال مع عدد من الأوساط النقابية ـ وبخاصة النقابيين الأحرار ، أو بعض أعضاء النقابات المسيحية ـ التي قررت أن تدعم الصناعة الكبرى هتلر حتى الأعماق . وهذا هو الذي ساعد على لقاء هتلر وفون بابن عند المصرفي الكولوني ، من كولونيا ، شرودر ، في شهر كانون الثاني ١٩٣٣ ، وتشكيل كونسورتيوم مالي ليساعد على تنمية وتنظيم الانتخابات للنازيين . فمثلاً ، حصل الحزب النازي على ٣ ملايين مارك لانتخابات آذار ١٩٣٣ .

ويعتبر بصورة عامة أن تسلم هتلر للسلطة ، في ١٩٣٣ ، يمثل انتصاراً لقطاع هام في الصناعة المعدنية ، والصناعة الثقيلة ، وملاكي المناجم مثل تيسّين أو فوغلر ، وبعض الصناعات الكيميائية ، مثل ال كلرمان ، وشركات التأمين ، انتصاراً على عدد من المؤسسات المالية الخاصة الضخمة التي لم تحبذ أبداً وصول هتلر إلى السلطة مثل شتينز أو سيمنس ، بل وحتى ١٩٣٣ ، كروب .

ب) وأخيراً ، يفكر بعض المؤرخين أن وصول هتلر إلى السلطة كان بفضل العسكريين .

نجدنا هنا أمام أفكار مختلفة بصورة عميقة . فلصالح النظرية القائلة إن

العسكريين شجعوا الهتلريين على استلام السلطة ، يجب الإشارة إلى المؤلف الكلاسيكي الذي وضعه فيلر بينيت وصدر في ١٩٥٥ ، باللغة الألمانية وترجم إلى الفرنسية تحت عنوان : « درامة الجيش الألماني » ، وكتاب المؤرخ الأميركي غوردون كريغ وهو بعنوان : « الجيش البروسي الألماني » الذي صدر في ١٩٦٠ . وأثار المؤرخ الألماني جيراردت ريتر ، ضد هذه النظرية ، اعتراضات شديدة جداً في مقال له صدر في ١٩٥٧ في « صحيفة المكتب المركزي الأوربي » وهو بعنوان : « العسكريون والسياسة في ألمانيا » . وفيه يرى ريتر ، بالعكس ، إن الجيش ، باعتباره عنصراً محافظاً ، كان قوة مقاومة لوصول النازية إلى السلطة .

ومن الواضح جيداً ، لإمكان وضع وجهة نظر موضوعية جهد المستطاع ، بين وجهات نظر متعارضة ، أنه يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار بنية وعقائدية الجيش الألماني في السنوات التي سبقت مجيء هتلر إلى السلطة . والدراسة العظيمة في هذا الاعتبار هي كتاب حديث جداً لمؤلفه فرانسيس كارستن ويسمى : « الرايخوير والسياسة » وقد صدر في ١٩٦٣ . ويدل كارستن ، في هذا المؤلف ، على أن الرايخوير يعتبر « دولة في الدولة » في كل دور جمهورية فيمار . وسيكت الذي ترأس مصيره عدة سنوات ، أعطى لهذا الوضع أساساً عقائدياً ، بالإلحاح ، من جهة على الطابع غير السياسي للجيش الذي يرى واجبه في خدمة الدولة ، الدولة بمعنى مجرد ، في كل الظروف ؛ ومن جهة أخرى ، على حق الجيش في متابعة سياسة مستقلة ، ذاتية ، ولاسيا في موضوع السياسة الخارجية . وكذلك يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار البنية السوسيولوجية لهذا الجيش . فالجيش الألماني ، الذي وصل إلى هذا التاريخ ، هو هيئة مغلقة للغاية وقليل الاحتكاك بالبورجوازية الكبرى والمتوسطة ، وأقل احتكاكاً أيضاً بالأوساط الفكرية ، وليس له أي اتصال بالقوى الشعبية . لقد كان هيئة تسوق رجالها من طبقتها .

ونسبـة النبلاء فيـه مرتفعـة نسبيـاً . فقـد انتقلت من ١٧ ٪ في ١٩١٧ إلى ٢٨ ٪ في ١٩٣٢ ، في منصب ملازم . وهم على العموم أبناء ضباط وأصبحوا ضباطاً[1] .

ما هي الحالة الفكرية لهذا الجيش حيـال النـازيـة ؟ من المؤكـد في نطـاق الكوادر المسنة أنه يوجد حذر وعدم ثقة ، حيـال هتلر . فقـد كان الجيش يتحمل بمشقـة منـافسـة ال S . A . ويسخر من هيئـة « عريف بوهيميـا » الـديموقراطيـة . وتجدر الإشارة إلى ندرة كبار الضباط الذين انتموا للنازية . ومن أندر الأمثلة على ذلك الكولونيل فون رايزنو الذي لعب دوراً عظيماً في ١٩٣٣ . ومع ذلك ، توجـد عاطفة واضحة جداً ، حتى بين هؤلاء الضباط القدمـاء ، وهو أن النـازيين أسهموا في إعادة الإحترام للجيش والأمة . ويفكر بأن الكتائب المنظمة للشبيبة الهتلرية يمكن ، بين يوم وآخر ، أن تدخل في الجيش ، وأن صفاتها العسكرية ، ونظـامهـا بخاصة ، يمكن لحسن الحظ استخدامها . ولكن إذا كانت الكوادر المسنـة متحفظـة إزاء النازية ، وتأخذ بخاصة على هتلر موقفه عندما تقدم لرئـاسـة الجمهوريـة ضـد هندنبورغ ، فلم يكن على مثل هذه الحـال الضبـاط الشبـان . وإن الـدعوى التي رفعها ، في ١٩٣٠ ، وزير الحربية . غرونر ، ضد الضباط الشبان من حـاميـة أولم تدل على تقـدم الأفكار النـازيـة بين شبـاب الضبـاط ، من منصب ملازم ثـان أو ملازم . ويجب ، لإيضـاح هـذا الحـادث . إدخـال هـذا الواقع وهـو أن كثيراً من شبـاب الضبـاط شعروا بـأنفسهم بـأنهم نزعوا من طبقتهم ، وأنهم كادحـون ، وأنهم يعتمدون على الهتلرية لزيادة ، ولتذهيب ـ الطلي بالذهب ، نوعاً مـا ـ وجـاهتهم الاجتماعيـة . وقـد دل حـادث بشكل واضـح على شعبيـة الهتلريـة في هـذه الرتب الدنيا : ففي ١٩٣٠ ، **دعـا ضبـاط حـاميـة بوتسـدام** غوبلز لنـاديهم لتنـاول الطعام فكان له بعملهم هذا نجاح كبير جداً .

---

(١) راجع . P . AYCOBERRY , lecorps des officiers allemand , ANNALES , Mars - AVRIL 1967 .

وبصورة عامة ، وهذا ما يساعد على تعريف حالة رأي الجيش حيال الهتلرية ، نقول إن العسكريين كانوا مقتنعين أن بإمكانهم ، عندما يحين الوقت ، تعديل هتلر . وفي الحقيقة ، لم يكونوا معادين له . وهم يرون أن الميليشات الهتلرية مِنظمة وموجهة من قبلهم في الجيش . وأن القادة لا يريدون مكافحة الهتلرية ، لشعورهم ، بأن لا يتبعهم ، أو يتبعهم بصعوبة شباب الضباط إذا ما حدثت المجابهة . وهذا ما يوضح كيف أن شلايخر ، قبل وصول هتلر إلى السلطة بقليل من الزمن ، أعلم هندنبورغ بواسطة الجنرال فون هامرشتاين بالصعوبة التي ستوجد في حال تصور قمع الهتلرية بالقوة . لقد كان القادة أخيراً . يفضلون ترتيباً سلمياً للسلطة لصالح هتلر ، لاقتناعهم - وهنا يكمن خطؤهم - بأنه يمكنهم ، عند الأوان ، إضعاف هذه القوة ، الهتلرية ، وتنظيمها ، وتأطيرها لصالحهم .

الفصل الرابع

الدعاية النازية[١]

من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩

لفهم هذه القضية لا بد من تقديم شخصية غوبلز .

جوزيف غوبلز[٢] من أصل ريناني . ينتمي إلى أسرة كاثوليكية في مدينة ريدت الصغيرة الواقعة في شمال رينانيا . وبسبب أصوله البورجوازية ، البورجوازية الصغيرة حقاً ، لم يسقط من طبقته الاجتماعية . وهذا ما يميزه بالحال عن هتلر . فقد ولد مشوه القدم . وسيكون لهذا تأثير عظيم على حياته وعمله : وهذا يوضح كيف أنه ، وهو فتى جداً ، كان يقبل بنهم على الدراسة . فكر القيام بدراسات لاهوتية ، ولكن على ما يبدو أنه تحول عن الإيمان الذي تربى عليه في حضن عائلته . ويجب أن نذكر مع ذلك بأنه سيحافظ طوال حياته على تعلقه العاطفي بالكاثوليكية ، وهذا ما يظهر في قصة ترجمة حياته الذاتية وتسمى « ميكائيل » ، وسيبقى في أعماق نفسه ، معادياً لكل الجهود التي قام بها النظام النازي لنزع المسيحية من ألمانيا وفرض نوع من الدين « الشمالي » عليها . وهكذا لم يشأ أبداً ، وهو وزير للدعاية ، أن يحول عيد الميلاد إلى عيد انقلاب شتوي ، وحرص على أن يترك له طابعه المسيحي .

---

(١) راجع : Z . A . B . Zeman , Nazi propaganda , London , 1964 .

(٢) E BRAMSTED , Goebbels and national - socialist propaganda , 1963 .

R MANWELL . et H . Fraenkel . Goebbels , sa vie et sa mort , (1960) .

ولكن غوبلز في هذا التعطش للمعرفة ، في هذا السباق للدراسات ، كان يشعر بيأس عميق : لا سيا وأنه لم ينجح أبداً ، بالرغم من متابعته لدروسه ومثابرته عليها ، في المشاركة في حلقة دراسية لأحد أساتذة الأدب في جامعة هايدلبرغ ، وهو الأستاذ فريديريك غوندولف الذي كان ينتمي إلى وسط ستيفان جورج الذي كان يكن له غوبلز إعجاباً عظيماً جداً . ومن جهة أخرى ، إن محاولاته الأدبية الأولى عرفت إخفاقاً كاملاً .

دخل غوبلز الحزب القومي - الاشتراكي .N.S.D.A.P ، إلى جانب شتراسر في « دار الكفاح » التي أسسها هذا الأخير . ولكنه تخلى بسرعة جداً عن الوظائف التي قدمها إليه شتراسر وانضم منذ مؤتمر بامبرغ ، إلى هتلر ، وأصبح في ذلك التاريخ ، حاكم برلين . ووجه خلال سنوات كثيرة في برلين صحيفة « الهجوم » ، ثم انتخب نائباً عن برلين في الرايخشتاغ . وفي ١٩٢٨ ، أكسبته صفاته ، ومواهبه الخطابية تمييزاً عظيماً . وسمي زعيم دعاية الحزب النازي في الرايخ كله . ومن المؤكد أنه أسهم لحد كبير جداً في نجاح هتلر . فقد عرف كيف يخلق ، حول المظاهرات التي يبدو فيها هتلر ، هذا الجو العظيم من الإجماع الذي كان أحد ضمانات نجاحه .

وسمي غوبلز في ١٩٣٣ وزيراً للدعاية ، وحصل بهذه الصفة على نجاحات لا تصدق . وبين هذه النجاحات ، يجب أن يشار بخاصة إلى منظمة « معونات الشتاء » التي أفادت معاً في امتصاص التضخم ، وذلك بمساعدة مبالغ عظيمة على العودة تحت شكل هبات ، إلى خزائن الدولة ، وفي مراقبة حركات الرأي عن كثب للغاية . والنجاح الآخر ، هو الألعاب الأولمبية في ١٩٣٦ ، التي أعطت للأجانب ، الآتين بأعداد كثيرة جداً بهذه المناسبة إلى ألمانيا ، انطباعاً عن بلد يشع بالصحة ، مجمع على ثقته بالزعيم . وهو الذي هيأ مؤتمرات نورامبرغ التي كانت

تنعقد كل سنة وتفسح مجالاً لمظاهرات جماهيرية عظيمة . وهو الذي هيأ هذا التقويم الفضولي للأعياد الذي كان إحدى الصفات العظيمة للنظام النازي . ففي ٢٤ شباط احتفل بتأسيس الحزب ، وفي ٢٠ نيسان ، بعيد ميلاد الزعيم ، وفي الأول من أيار بعيد العمل ، وأيضاً في شهر أيار ، بعيد الأمهات . وفي تشرين الأول ، بعيد الحصاد ، وفي ١٩ تشرين الثاني بالذكرى السنوية للقومة (الثورة) التي أخفقت في مونيخ .

ويجب أن يشار إلى ما كانت عليه مواقف غوبلز ، في داخل الحزب النازي . فمن المؤكد أن غوبلز قد تابع ، لحد ، سياسة كانت بالنسبة إليه حتى نقطة ما شخصية . وبالرغم من العلاقات الوثيقة زمناً طويلاً ، فقد أظهر عداء عنيفاً جداً إلى روم ، وشهر بأخلاقه وعاداته الجنسية المحبة للذكر . ويرافق هذا العداء لروم بصورة عامة ، عداء عتيد إزاء الجيش عموماً ، ولا سيا الجنرالات ، القادة ، ويجب ألا ينسى أن هذه المواقف الأصلية كانت مواقف يسارية ، ويأسف ، في أعماقه ، من أن النازية « لا تنفذ » أي لا تؤدي إلى ثورة . ويكتفي في دور المدافع ، كما يقول ، عن المحرومين ، أي من لا يملكون شيئاً ، ضد البلوتوقراطيات (الطبقات الغنية الموسرة) الغربية . وهذا ما جعل الناس يقولون عنه في الغالب بأنه كان « راديكالياً مقصراً » .

وهذه المواقف اليسارية تظهر بصورة خاصة بعدائه للاكليروس . وبالرغم من تعلقه بالأشكال الخارجية للكاثوليكية التي تربى عليها . فقد كان معادياً للاكليروس . وهذا ما ذهب به ، في ١٩٣٧ ، إلى جذب الانتباه ، بنشر ملحوظ بخاصة ، إلى تجارة المال التي تقوم بها الأنظمة الدينية (الأديرة) ، وإلى الفضائح الجنسية التي اكتشفها في الأديرة ، وأعمال الفحش التي ترتكب في مقصورات الإعتراف .

ويجب أن نلاحظ من جهة أخرى ، على الصعيد السياسي ، أن غوبلز لم يكن له إلا قليل من العلاقات مع الزعماء النازيين الآخرين . وبالمقابل ، إن ما يميزه ، بالرغم من كل شيء ، هو تعلقه الذي لا يتزعزع بشخص هتلر ، وعليه اعتمد بحجة صحيحة في حياته ومهنته ، ومن المؤكد أنه ظل وفياً له حتى الموت .

وعاطفة الولاء إزاء الزعيم ذهبت به إلى الشعور بالخوف من الحرب . فقد كان غوبلز يخاف دوماً من دخول الرايخ في الحرب . ويخشى من أن تقلل الحرب سلطته الشخصية . ويصرح في الغالب : « الإنسان العاقل لا يمكن أن يقبل بالحرب » ويبرر هذا الموقف في الغالب بمعارضة الرأي العام الألماني لفكرة الحرب . ووقف ضد « طيش » سياسة الحرب ، وجعل قسماً من محيط هتلر مسؤولاً عنها . وعليه نرى منه وفاءً غير منازع للزعيم ، ولكنه عرف مع ذلك ارتفاعاً وانخفاضاً . غير أن وضعه ، في الواقع ، لدى هتلر قد تزعزع بعمق في بداية عام ١٩٣٩ إثر ارتباطه بشابة سينمائية تشيكية باسم ليندا باروفا . وهذه الصلة أثارت حنق هتلر عليه ، لا سيا وأن غوبلز ، في ذلك الحين ، فقد رشده وفكر ، على ما يبدو ، بالطلاق ، وهتلر لم يكد يخرج من فضيحة قضية الجنرالات ، ولذا لم يشأ أن يسمع الكلام بقضية جديدة من هذا النوع وأجبر غوبلز على التخلي عن السينمائية الجميلة والعودة إلى الحياة العائلية الرتيبة .

ويجب أن نشير إلى أن غوبلز إذا لعب دوراً رئيسياً بحق في الدعاية ، في داخل الرايخ الثالث . فقد كانت هنالك ، بالرغم من كل شيء ، حدود لنفوذه في هذا المضمار ، لا سيا وأنه اصطدم باستمرار بمعارضة روزانبرغ ، وكان وإياه على تناقض في جميع النقاط تقريباً . ومن جهة أخرى ، كان في الغالب في نزاع مع غورينغ على قضايا بروسيا . وكانت علاقاته سيئة مع أوتو ديتريش الذي كان يوجه منذ ١٩٢٤ صحافة الحزب والذي أصبح في ١٩٣٨ أمين دولة مساعداً

للدعاية . ويبدو أن هتلر قد لعب في هذه المعارضة بين ديتريش وغوبلز .

هذه هي شخصية الرجل الذي وجد على رأس وزارة الدعاية ، وزارة الدعاية التي استقرت في ساحة ولهلم ، في وسط برلين ، والتي نسخت في تنظيماتها الأساسية عن « دائرة دعاية الرايخ » التي كانت منظمة دعاية للحزب النازي قبل ١٩٣٣ . وعلى رأس هذه الوزارة وجد إذن الوزير ، غوبلز ، وأمين دولة مساعد . والأمينان المساعدان اللذان تعاقبا على هذا المنصب كانا : فالتر فونك ، وفي ١٩٣٨ ، أوتو ديتريش . وكانت الوزارة مقسمة إلى عدد من الإدارات . أهمها **الإدارة الثانية** ، المكلفة بتنسيق الدعاية والأخبار . ومن هذه الإدارة خرج الأساسي من الدعاية المعادية للسامية ، ومن جهة أخرى ، من الدعاية من أجل الألمانيين الذين يعيشون خارج حدود الرايخ - وكان دورها بالتالي عظيماً على صعيد السياسة الخارجية . وفي هذه الإدارة أيضاً اتخذت الأحكام الأساسية لتنظيم الرياضة في ألمانيا . ودون الدخول في تفاصيل تنظيم هذه الوزارة ، يجب أن نعلم أن **الإدارة الثالثة** كانت تهتم بالراديو ، **والإدارة الرابعة** بالصحافة ، والإدارة **الخامسة** بالسينما . وأخيراً انتقل عدد الإدارات من خمس إلى أربع عشرة إدارة في ١٩٤٢ .

ويجب أن يشار ، أخيراً ، إلى **غرفة الثقافة** الملحقة بوزارة الدعاية . وقد أحدثت هذه الغرفة في أيلول ١٩٣٣ ، وكان رئيسها غوبلز . ويتبع هذه الغرفة سبع غرف أخرى ، أقل أهمية ، وكانت لها مساعدة وتهتم بالأدب ، والمسرح ، والموسيقى ، والسينما ، والفنون الجميلة والصحافة والراديو .

وعلق غوبلز أهمية عظيمة على مراقبة الصحافة[1] . وظهر ذلك على صعيد

(١) راجع . ORON HALE , The Captive Press in the Third Reich , Princeton 1964

الحياة اليومية ، بواقع أن إدارة الصحافة تنظم كل صباح اجتماعاً لمحرري صحف برلين اليومية ولمراسلات جرائد الأقاليم . وفي هذا الاجتماع اليومي يدل على ما يجب في الغد توجيه المقالات الأساسية إليه ، والحملات التي يجب القيام بها أو الكف عنها . والافتتاحيات التي يحسن أن يقرأها الجمهور . ومن جهة أخرى ، يتبع هذا الاجتماع بتحرير نشرة يومية ترسل إلى الصحافيين . وكان مدير هذه الاجتماعات الصحفية في الدور من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩ المستشار الوزاري برندت . ويجب أن يضاف إلى هذه الاجتماعات اليومية التنظيم ، غير المنتظم لما يسمى « مؤتمرات التعليق والشرح » التي تدرس فيها ، في حلقة صغيرة من الصحافيين ، التفسيرات التي يحسن إعطاؤها للحوادث .

ومن الملاحظ أن الصحافة النازية كانت قليلة الأهمية للغاية عندما وصل هتلر إلى السلطة . فلم يوجد إلا ١٢١ صحيفة نازية . على الـ ٤٧٠٣ التي كانت تنشر في ألمانيا . ولكن هذه الحالة انقلبت بسرعة جداً . ففي ١٩٣٤ ، كان يوجد ٤٣٦ جريدة يشرف عليها الحزب النازي . وفي ١٩٤٤ ، في آخر النظام الهتلري ، لم يبق إلا ٩٧٧ جريدة ، ولكن ٨٢ ٪ كانت في أيدي الحزب . ومن جهة أخرى ، لقد وقعت الجرائد الأخرى التي لم تكن ناطقة باسم الحزب ، تحت الرقابة الضيقة لمنظمات وزارة الدعاية .

كيف كان التزام الصحافة بهذا التنظيم ، ممكناً ؟ يجب أن ندرس ثلاث وسائل أساسية توصل فيها غوبلز إلى هذه النتيجة .

أولاً ، وهذه أبسط وسيلة ، التحريم المباشر لعدد من الجرائد . فبعد حريق الرايخشتاغ ، بخاصة ، حرمت الجرائد الشيوعية كافة ، وبسرعة جداً ، معظم الصحف الاشتراكية ـ الديمقراطية . ومن جهة أخرى ، وفي خلال الأشهر الأولى من استلام السلطة أعيد تنظيم ما يسمى « رابطة صحافة الرايخ » التي

تعرف بالأحرف الأولى (R.V.D.P.) وهي رابطة صحافة الرايخ وأعضاؤها مناوئون للنازية ، مثل مدير (جريدة كولونيا الشعبية) دومونت الذي كان ينتمي إلى أسرة عريقة جداً من الصحافيين الكولونيين ، ولكنه كان من اتجاهات وسطى ، وقد صفوا جميعاً ، وحل محلهم نازيون ، وكان رئيس الرابطة الجديدة أوتو ديتريش .

والواسطة الثانية التي طوعت بها الصحافة هي **الوسيلة التشريعية .** وبخاصة قانون صحافة الرايخ ، المؤرخ في ٤ تشرين الأول ١٩٣٣ ، الذي يصرح بأن « الصحافة موهبة عامة » ، وكما هي ، يجب أن تنظم قانونياً ، وينص ، بالتالي ، على أن يكون جميع الصحافيين من الجنسية الألمانية ، وأن يكونوا من أجداد آريين ولم يتزوجوا يهودية . والمادة الرابعة من هذا القانون ، وهي الأهم ، تأمر المحررين بأن يعتبروا شؤماً نشر كل ما هو من طبيعة « خداع الجمهور » و « خلط الأهداف الأنانية بأهداف الأمة » ، و « ينال من قوة الرايخ » . وإن مخالفة هذه الأحكام تؤدي إلى منع مباشر للجريدة . ومما يلفت النظر أن غوبلز ، في مؤتمر صحافي عقده في يوم نشر هذا القانون ، في ٤ تشرين الأول ١٩٣٣ ، برر تدجين الصحافة الألمانية بفقدان النضج السياسي عند الشعب الألماني . الذي لا يمكن أن يصل إلا بقرن إلى نضج الشعب الإنكليزي .

وأخيراً ، **الوسيلة الثالثة** التي قيدت بها الصحافة هي سياسة **نزع الملكية** التي قام بها بخاصة ، أحد أعوان غوبلز ، **ماكس أمان** وهو مدير سابق لدار نشر ايهير . وقد أصبح أمان ، في النظام الهتلري ، رئيساً لغرفة الصحافة ، وبسياسة ماهرة للغاية ، استطاع أن يضع يده على وكالتي الأنباء الهامتين اللتين توجدان آنذاك في ألمانيا : وكالة فولف وتلغراف أونيون . وهذه الوكالة الأخيرة هي الوكالة التي كان يوجهها منذ زمن طويل جداً هوغنبرغ

وكانت موجهة باتجاه يميني متطرف . ثم اتحدت هاتان الوكالتان في هيئة واحدة سميت « مكتب الأخبار الألماني » وعرف بالأحرف الأولى (D . N . B.) ومن جهة أخرى ، اضطر عدد كبير جداً من مشاريع الصحافة ، مثل **دار أولشتاين** التي كانت تسير برؤوس أموال يهودية في معظمها ، إلى بيع عماراته ومصادرَ معلوماته . وبيعت هذه الدور من أجل لقمة خبز إلى دار ايهير التي شكلت على هذا النحو إمبراطورية نشر حقيقية . وأخيراً ، إن قانون ١٩٣٥ ، بحجة حماية الصحافة ، سمح ببساطة كلية بإيقاف نشر الجرائد التي تفسح مجالاً للفضائح أو لما يسميه الألمان « **المثير** » . وبهذا القانون أيضاً حرم نقل ملكية صحيفة ومكافآتها إلى منظمات ذات طابع مذهبي ديني . وبموجب قانون نيسان ١٩٣٥ ، اضطرت الصحافة الكاثوليكية كلها . ـ وكانت نامية جداً في ألمانيا ـ إلى التجمع في داخل « شركة فونيكس للنشر » . وأخيراً ، أعد أحد أعوان أمان ، وهو الدكتور **ماكس فينكلر** ما يسمى « اتحاد الصحافة » الذي يضم كبريات الجرائد الأخبارية ، من نموذج « دليل برلين » .

ونتيجة هذه التدابير التي كانت مخصصة لتقييد الصحافة هي أن الصحافة الألمانية فقدت كل أهمية على الإطلاق . وكانت الجرائد التي تطبع في كولونيا أو كونيكسبرغ تحمل بالضبط نفس الأخبار ، ولها بالضبط نفس الصفة . وتبع ذلك نقص مذهل في طباعة جميع الجرائد . وإذا كانت تصفية قدامى الصحافيين ، وبعضهم كان موهوباً ، لم تكن كليةً ، فذلك يرجع إلى شخص ولهلم فايس الذي كان رئيس تحرير « الرقيب الشعبي » ، فقد استعمل نفوذه لدى غوبلز لحماية وإبقاء عدد من الصحافيين المتهنين في عملهم . وهذا لم يمنع بعضهم ، ممن حاولوا بشكل أو باخر ، أن يقاوموا تقييد حرية الصحافة أن يدفعوا الثمن غالياً جداً . وهذه بخاصة حالة **فايك** الذي كان يدير مجلة عنوانها « البريد الأخضر » . وهي مجلة أسبوعية حاولت أن تقوم برد فعل ضد بعض

أشكال الدعاية الهتلرية . فعلقت بالحال ، وأرسل مديرها فايك إلى معسكر اعتقال .

ومع ذلك ، فمن المهم ، في تقييد حرية الصحافة ، إجراء استثناءين : أولاً ، من أجل : « جريدة برلين اليومية » وهي جريدة ديموقراطية ، متنفذة جداً في جمهورية فيار ، وكان يؤمن إدارتها منذ زمن طويل تيؤدور وولف ، واستطاعت أن تتماسك حتى ١٩٣٩ تحت إدارة بول شيفر . وتمتعت « جريدة برلين اليومية » حتى نقطة ما بحماية غوبلز . واستطاع شيفر أن يبقي الجريدة في روح مقاومة سرية ، إزاء النظام ، وبخاصة إزاء الأريانية ومقاومة السامية ، ولا سيا بنشر مقالات[١] انتقادية في الجريدة .

والاستثناء الآخر ، هو استثناء « جريدة فرانكفورت » وهي جريدة قديمة تأسست في ١٨٥٦ على يد تيؤدور زونمان ، وكانت تحرر في اتجاه ديموقراطي . وحصلت في عهد جمهورية فيار على شهرة عالمية ، مشابهة لشهرة الـ « التايمز » اللندنية . ونظراً إلى أن قسماً عظيماً من تحريرها كان إسرائيلياً ، فقد كان وجودها مهدداً في ١٩٣٣ . ومع ذلك لم تمس حكومة برلين الجريدة واستمرت في السنوات التالية في الحفاظ على موقف متحفظ إزاء النظام ، حتى إنها سجلت ، بأشكال خفيفة ، عداءها للتدابير المعادية لليهود أو المعادية للكاثوليك . ونجم عن ذلك أنها عاشت في حالة أزمة دائمة ، وبخاصة **برندت** - أحد كبار موظفي وزارة الدعاية - الذي فكر مراراً بحذفها . ومع ذلك فقد كانت محمية لأنها كانت تخدم مصالح الرايخ الثالث في الخارج بوزارتي الاقتصاد والشؤون الخارجية . وكانت « أداة سياسة خارجية » استخدمها بمهارة في وجهة النظر هذه ، رئيس تحريرها رودولف كيرشنر .

---

(١) راجع : Margaret BOUVERY , Wir Lügen ALLE , 1965 .

وما من شك في أن طرق دعـايـة[1] غوبلز كانت متـأثرة في قسم عظيم منهـا بالطرق اللينينية . ولكن الدعاية حسب لينين تعبير عن تاكتيك معين بينما هي في رأي غوبلز ، مدلول في ذاته ويستخدم لجميع الأهداف دونما تعيين . الـدعـايـة اللينينيـة تهاجم العقـل بينمـا الهتلريـة تنـادي الغرائـز وتحـاول غلفنـة عـدد من الأهواء . ومن هنا التغير المستمر للشعارات التي تستخدمها الدعايـة النـازيـة والتي غالباً ما يناقض بعضها بعضاً ـ ولا نريد أن نـذكر أكثر من مثـال واحـد وهو أن فكرة النظـام كانت تـؤلف في بعض الأوقـات صيـانـة جميـع القيم المسيحيـة ، وفي بعضها الآخر كانت تهدف إلى تهديمها .

لقد أصبحت الدعاية في ظل هذا النظام فنـاً خـاصـاً ، بقوانينـه الخـاصـة ، الـذي ينمي حسب تعبير غوبلز « نوعـاً من مـدفعيـة نفسيـة » . الفكرة لا تحسب شريطة أن تحمل الكلمة . وتنطلق من هذه الفكرة ـ التي يعبر عنها غالباً ـ وهي أن الجماهير كلما تكاثفت وتجمعت أخذت صفة « عاطفية ونسويـة » . ولـذا يجب أن يستحـوذ لـدى هـذه الجمـاهير الخيـال على الإيضـاح المعقـول ، والمحسـوس على العقلي .

ولكن ليس هذا كل شيء . فقـد أراد النـازيون أن يلتمسوا المنـاطق النفسيـة وغير الواعية ، حيث تجد الأهواء والمواقف العقيمـة واللامعقولـة أو المتنـاقضـة ، في نظر المنطق ، مكانها وتوازنها .

وهنا يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار الاستخدام الذي أجرته الدعاية النـازيـة لتجارب بافلوف . ويرى هذا أن « العامل الشرطي المعقـد » ، ويفقـد « العـامل الشرطي البسيط » قيمته . وهذا يعني أنه إذا أعطيت قطعة سكر إلى كلب ، سال لعابه بـالحـال . وإذا اصطحب هـذا الفعل بضربـة زمور ، فبعـد عـدد من المرات

---

(١) راجع : J. M. DOMENACH , La propagande politique , 1950.

يسيل لعابه لضربة الزمور وحدها ، دون أن يرى قطعة السكر . وعليه فإن العامل الشرطي المعقد - وهو الزمور هنا - يحل محل العامل الشرطي البسيط ، وهو قطعة السكر . وبالمقابل ، وهذه أيضاً ملاحظة من بافلوف ، وهي أن المنبهات لا تثير لعاباً متزايداً من الكلب ، وتوصل أخيراً إلى تعطيل الوظيفة المنعكسة . وانطلاقاً من ملاحظات بافلوف هذه أحلت الدعاية النازية محل العامل الشرطي البسيط - الذي هو عظمة الرايخ - رمزاً يذكر بهذه العظمة . وهذا الرمز هو مثلاً ، الصليب المعقوف ، والتحية الهتلرية ، وصورة الزعيم ، المنتشرة بألوف النسخ . ويسهر على أن يكون التحريض الثانوي باستمرار منتعشاً بالتحريض الأولي . وهكذا تطرح قطعة السكر على أجزاء مثل : إعادة تسليح رينانيا ، ضم النمسا ، واحتلال تشيكوسلوفاكيا .

ومن جهة أخرى . لقد دل بافلوف على أن شدة المحرض يمكن أن تمنع الأفعال المنعكسة الطبيعية عند الفرد . فمثلاً ، إن منظر الثعبان يمنع فجأة العصفور من الفرار : والعصفور المسحور ، يرتمي في فم الثعبان . وجرت ملاحظة بافلوف هذه ما يمكن تسميته بـ « الإرهاب الهتلري » الذي يخلق نوعاً من المنع المشروط بنمو القلق . وباختصار ، إن تطبيق الجدل الهيغيلي في السيد والعبد على الجماهير الحديثة ، قد تكيف هنا بشكل شبه طبيعي . ويقصد بذلك تذكير الجماهير بأنها أخضعت . ولهذا يُرونها الوقت الذي فرضت فيه البزات الرمادية ، والمطرقة (الدبوس) في قبضة اليد ، طوعاً أو كرهاً ، على الأمة الألمانية ميثاق العبودية . ولهذا تفيد الرموز والشعارات التي تجعل من يراها أو يسمعها يجري ، عن غير وعي ، المحاكمة التالية : « إن هتلر ، هو القوة ، القوة الحقيقية الوحيدة . وبما أن كل العالم مع هتلر فيجب عليّ أنا ، رجل الشارع ، أن أعمل نفس الشيء ، إذا لم أشأ أن أسحق » . وهذا ما جعل عالم الاجتماع تشاكوتين ، الذي وضح هذا

التكيف لتجارب بافلوف مع الدعاية النـازيـة[1] ، يقول بـأن الصليب المعقوف ، المخصص لإثارة قلق يعطل الفرد تماماً ، يشكل نوعاً من « مذكرة تهديد » .

ويصرح تشـاكوتين : « إن غريزة النضـال وقـد تزعـزعت ، يمكن أن تظهر بمظهرين متضادين : أحدهمـا سلبي ويخرج بـالخوف ومواقف الخور . والتعطيل ؛ والآخر، بالعكس ، إيجابي ، يؤدي إلى التمجيد ، إلى حـالـة تحريض وعـدوانيـة . والتحريض يمكن أن يؤدي إلى حالة الاختطـاف الروحي . إلى حـالـة ، كما يـدل عليها اسمها ، الخروج من الذات . وعلى هذا النحو ، وبهـذا التوالي من التحريض والقلق ، تخلق الدعاية النازية حالة عصبية لا يمكن وصفها . وهـذا هو الملاحـظ في ألمانيا وأيضاً في خارج ألمانيا ، حيث عاشت البشرية سنوات كثيرة منفصلة عن الواقع وفي حالة تخدير ، وفي حالة إرهاب دائم إزاء التهديدات التي تدخل في هـذا الشكل من الدعـايـة . ويعتمـد النظـام على نوع من التوالي بين الطريقتين ولكن دون أن ينقطع تنظيم الأفراد وإخضاعهم . لأن إحدى الصفات الأسـاسيـة لهـذه الدعاية هي ألا تنقطع في أي وقت . وبـالفعل يجب ، وبكل قوة ، منع الإنسـان من التفكير .

---

(١) راجع S. CHAKOTINE , le viol des foules par la propagande politique , Gallimard , 1952

الفصل الخامس

القضية اليهودية في الرايخ الثالث

بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩[1]

يجب أن نبدأ بفحص الحالة التي كان عليها اليهود في ألمانيا عند وصول هتلر إلى السلطة .

يلاحظ ، منذ عدة عقود ، تراجع دائم في السكان اليهود الألمان بالنسبة إلى كامل السكان في ألمانيا . ففي ١٩٣٣ ، كان في ألمانيا ٥٠٣,٠٠٠ يهودي وهذا الرقم يمثل ٧٦ ,٠ ٪ من كامل السكان ، على حين أن اليهود قبل نصف قرن . في ١٨٧٠ ، كانوا يؤلفون ٥ ,١ ٪ من كامل السكان . ويجب أن نلاحظ أن هؤلاء اليهود يعيشون جميعاً تقريباً في المدن الكبرى ، وبخاصة في برلين . حيث كان يقيم ثلث اليهود الذين يعيشون في ألمانيا . ونجد منهم كثيراً في فرانكفورت / على / الماين ، وفي بريسلو ، وفي كولونيا ... إلخ .

ما هي الحالة المهنية لهؤلاء اليهود ؟ من المعلوم أن الدور الذي لعبه اليهود كان عظيماً في تنمية الرأسمالية : هذا الدور الذي درسه بخاصة الاقتصادي الألماني زومبارت . لقد أنموا ما يسميه الاقتصاديون « الإتجار » بالحياة الاقتصادية . ولعبوا دوراً رئيسياً في تجارة الوسطاء بين المنتج والزبون ، وكذلك في تجارة المخازن الكبرى التي تبيع بالجملة . ويجب أن نشير أيضاً إلى دور اليهود الهام في المصارف وفي التجارة ، حيث يستخدم ما يقارب قليلاً ٥٠ ٪ من اليهود الذين

---

(١) راجع : L. poliakov, le bréviaire de la Haine, 1951.

يعيشـون في ألمـانيـا . ومن جهـة أخرى ، كان اليهـود نشيطين جـداً في عـدد من الصناعات ، وبخاصة الصنـاعـة الكيميـائيـة التي تستخـدم ٢٠ ٪ من اليهود . هـذا وتجب الإشارة بخاصة إلى أن اليهود توصلوا في هذه المهن التجارية والصنـاعيـة إلى مراكز الإدارة ، بينما هم قليلو العدد نسبياً ، كعمال ومستخدمين . وأصعـدة الحيـاة الاقتصادية التي يمارس فيها اليهود نفوذهم المتفوق هي البنوك الخاصة ، والبورصة وتجـارة السلـع الغـذائيـة والمنسـوجـات والمخـازن الكبرى . وفي صعيـد الـزراعـة يسيطرون على قسم كبير من تجارة الحيوانات .

وإلى جانب هذه الأعمال من النوع الاقتصـادي ، نجـد عـدداً كبيراً جـداً من اليهود في المهن الحرة ، وبخاصة ، محـامين ، كتـاب عـدل : إن ١٦ ٪ من المحـامين وكتـاب العـدل المكتوبين في ألمـانيـا هم من أصل يهودي . وهم أيضـاً كثر للغـايـة كأطبـاء حيث يؤلفون ١٠ ٪ من عـدد الأطبـاء العـام . وأخيراً ، يلعبون ، بسبب ثروتهم ، بقوتهم الاقتصادية ، دوراً عظيماً في الحياة الفكرية في البلاد . ويلاحـظ هـذا في أن ٩ ٪ من جوائز نوبل المـوزعـة في العقـود الأخيرة قـد ذهبت إلى يهـود ألمـان . وبين الشخصيـات المسيطرة التي تلعب دوراً في الحيـاة الفكريـة تجب الإشـارة إلى جـورج جيللينـك ، في ميـدان الحقـوق ، وأينشتـاين على صعيـد الفيزيـاء ، وعـدد عظيم جـداً من الأسماء الشهيرة في الأدب : هـوفمـانشتـال ، فـاسرمـان ، تسفـايغ ، فيرفـل . والـدور الرئيسي لليهـود أيضـاً في حيـاة الرايـخ الموسيقيـة ، لئـلا نـذكر غير أسماء أوتـو كلمبرر ، وبرونـو فـالتر ، وشـوفبرغ . وكورت فـايـل . وأخيراً الـدور العظيم على صعيـد المسرح ، والإخراج بخـاصـة . بشخصيات مثل ماكس راينهاردت أو يسّلر .

هـذا وتجب الإشـارة مع ذلـك إلى النقص العظيم في مكانـة اليهـود في الحيـاة الاقتصادية ، والاجتماعية ، والفكرية في ألمانيـا خلال العقود الأخيرة . فكثير من

غير اليهود يمارسون الآن مهناً كانت في العقود السالفة خاصة فردياً وعملياً باليهود ، أو محتكرة من قبلهم . ويجب أن نذكر أيضاً بأنه يوجد أكثر فأكثر تمثل لقسم كبير من السكان اليهود ، وبخاصة بكثرة الزواج المختلط . وعليه فاليهود بعيدون جداً ، في حياة الرايخ الاقتصادية والاجتماعية عن المكان الذي نسبه النازيون إليهم . ونجدنا في الواقع أمام عبرية متطورة للغاية وغير متجانسة للغاية .

وإذا قلنا هذا ، فمن المهم الآن أن نفحص ما سيكون عليه وضع اليهود في الرايخ الثالث . وفي دراستنا لمجموع هذه القضية ، نميز ثلاثة أدوار : دور يمكن تسميته : « **الإرهاب السلمي** » الذي يمتد من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٥ ؛ والدور الثاني ، من ١٩٣٥ إلى آخر ١٩٣٧ ويسيطر عليه **تشريع نورامبرغ** ، والدور الثالث ، الأخير ، الذي يغطي السنوات ١٩٣٨ - ١٩٣٩ ويتطابق مع **اضطهاد معمم** .

الدور الأول (١٩٣٣ - ١٩٣٥)

منذ وصول هتلر إلى مستشارية الرايخ وجدت إزاء اليهود مظاهرات عداء وعنف فظة للغاية ، ودون أن تقوم الشرطة بأي جهد لمحاولة قمعها . وأعظم هذه المظاهرات كانت المظاهرة التي وجهت ضد عدد من المحامين والقضاة اليهود في بريسلو ، في سياق شهر آذار ١٩٣٣ . وقد أدت أعمال الفظاظة المختلفة هذه إلى مظاهرة عامة كبرى في مقاطعة المخازن اليهودية أعدت بحملة صحافة من غوبلز ، وقررت في اجتماع وزاري ، في ٢٨ آذار ١٩٣٣ . وكان يراد إظهار استياء الشعب الألماني وإرادته في مقاطعة التجارة اليهودية . « الألماني لا يشتري من عند اليهودي » هذا هو الشعار الذي استعمل في ثلاثة أيام ، بين الأول والرابع من شهر نيسان ١٩٣٣ ، لمنع دخول المخازن اليهودية . ورافق هذه المقاطعة مظاهرات أخرى مخصصة لتسجيل عداء الشعب الألماني بصورة عامة لليهود .

وكان هدف مقاطعة ٤ نيسان ١٩٣٣ بصورة أساسية ، في فكر الذين نظموها ، أن يشعر اليهود الألمان بأنهم مهددون ويطلبون من أبناء دينهم المقيمين في الخارج بالكف عن تهجماتهم على الرايخ الثالث . وإذن ، كانت حكومة الرايخ تتابع هدفاً من أهداف السياسة الخارجية بتقرير هذا الإجراء .

والحق يقال ، إن مظاهرات مقاطعة المخازن اليهودية ، بين الأول والرابع من نيسان ١٩٣٣ ، لم يكن لها في ذلك الحين نتائج اقتصادية خطيرة بالنسبة لليهود[1] . إن حالة الرايخ الاقتصادية التي كانت بعد ذلك الحين ضعيفة للغاية ، منعت الحكومة من متابعة هجومها . لقد وجدت أعمال إرهاب منعزلة ، ونداءات إلى الألمان من الحزب بعدم شراء البضائع اليهودية ، وبالعكس الشراء من المخازن الآرية ، وإبعاد عدد من الإسرائيليين من الهيئات الاقتصادية ، ولكن المقاطعة بصورة عامة لم تمس بصورة محسوسة قدرة اليهود الاقتصادية وسيحتفظون بها خلال عدة سنوات أيضاً .

وبالمقابل ، إن مظاهرة أول نيسان كانت في أصل عدة قوانين : خصصت لتحديد الوضع القانوني لليهود في الرايخ . وكان يراد من ذلك ، لئلا نذكر إلا القوانين الأساسية ، قانون ٧ نيسان ١٩٣٣ ، الذي يبعد اليهود عن الوظائف العامة ، وذلك بإحالة جميع الموظفين اليهود سلفاً على التقاعد . وكان يجب ، منذ الآن ، على الإنسان ليكون موظفاً ، أن يأتي بالوثائق الثبوتية على نقاوة دمه ، وكان هذا في أصل كل التحقيقات التي فرضت على اليهود . ومن الصحيح أن هذا القانون ـ وهذا على طلب هندنبورغ الذي ضغط على هتلر في هذا الموضوع ـ لا يمتد على المحاربين اليهود في حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، ولا على اليهود الذين مات

---

(١) راجع H. Genschel, Die Vertreibung der yuden aus der wirtschaft im dritten Reich, 1966
طرد اليهود من إدارة الشؤون في الرايخ الثالث .

أولادهم في ساحات القتال . ووجد قانون ثان - وهو قانون ٣٠ حزيران ١٩٣٣ - الذي يمنع كل موظف من الزواج بيهودية ، ويطرد من جميع وظائف الدولة المرشحين المتزوجين بيهودية . ومن جهة أخرى ، وضع تشريع خاص باليهود الذين يدخلون الجامعة . وهذا التشريع الخاص حدد حسب نسبة اليهود بالنسبة لكامل سكان الرايخ . وبالتالي لا يمكن أن يكون في الجامعة طلاب يهود أكثر من العدد النسبي المسموح به . وهكذا كانت الحالة حتى الآن . وأخيراً ، في مؤتمر نورامبرغ ، في نفس السنة ، في أيلول ١٩٣٣ ، عرف روزانبرغ بالشكل التالي وضع اليهود في الرايخ الثالث : « إنهم ضيوف أجانب يتساهل معهم . ولكن عليهم أن يعيشوا جانباً عن بقية الأمة » .

وما هو أعظم من ذلك ، في هذا الدور ، هو الزوال التام تقريباً لليهود من الحياة الفكرية . وكان من المستحيل منذ الآن فصاعداً على اليهود أن يلعبوا دوراً في الحياة المسرحية ، وفي الحياة الموسيقية ، وفي الإنتاج السينمائي . وبدئ ، في تلك الفترة ، بحرق المؤلفات اليهودية ، حتى إن قراءة هذه المؤلفات حرمت في المكتبات العامة . وهكذا فإن رئيس جامعة فرانكفورت ، المربي الشهير ارنست كريك ، وجه بنفسه نار الفرح التي أشعلت في المؤلفات ذات النزعات الماركسية والخلاعية ، في ساحة رومربرغ الكبرى في ١٠ أيار ، في فرانكفورت . وفي هذه الفترة أيضاً زال هاينه ومندلسون من الحياة الثقافية الألمانية ، واضطر اينشتاين إلى مغادرة ألمانيا . وعلى الصعيد الموسيقي ، يعرف احتجاج رئيس الاوركسترا فورتفانغلر ، أحد رؤساء الفرق الموسيقية الألمان العظام الذي كان يدير في ذلك الحين اوركسترا برلين الفيلهارمونية ، ضد الإجراءات المعادية للسامية على صعيد الموسيقى . ولكن غوبلز أجابه بأن القصد ليس عمل موسيقى جيدة ، وإنما موسيقى مطابقة للذوق الشعبي الألماني .

هذا ويجب الاعتراف ، أن اليهود كانوا يعيشون في هذا الدور في قناعة بأن

هذه الإجراءات انتقالية . وظنوا بأنهم يستطيعون مع الزمن اجتذاب النازيين بالملاطفة والمالقة . حتى إنه أنشئ : « اتحاد اليهود القوميين - الألمان » الذي يرأسه الدكتور ماكس نومان ، والذي وافق على أهداف السياسات الخارجية التي يتابعها هتلر ، وكتب بعض اليهود إلى أصدقائهم في الخارج بأن يكفوا عن دعايتهم ضد الرايخ ، وأن حالتهم ، بالإجمال ، متسامح بها ومرضي عنها ، وأن النظام سائد ، وأن الذين يقلقون من مصيرهم ينتمون - كما تقول الرسالة - « إلى أحزاب اليسار البغيضة » . وهذه المحاولات في التهدئة انقطعت مع ذلك بسرعة ، وأدرك اليهود بسرعة أن ما من وسيلة لمقاومة الاتجاه المعادي للسامية . ولكن هذا لم يمنع اليهود من الانتظار زمناً طويلاً حتى اعتبروا أنفسهم مطروحين بشكل لا يقبل الرجوع من الجماعة القومية . ولذا كانت الهجرة خلال زمن طويل قليلة الأهمية نسبياً .

ومن جهة أخرى ، حاول اليهود إنجاز تنظيم يقوم بالدفاع عنهم . وكانت هذه المنظمة تحت هذا الاسم (تمثيل اليهود الألمان لدى الرايخ) وكان على رأسها ربان برلين الأعظم ، الدكتور ليوبيك وأخذ ليوبيك على عاتقه كل القضايا التي تمس هجرة اليهود ، والمدارس اليهودية ، والمساعدات للذين أصابتهم القوانين العرقية . ويتبع هذه المنظمة المركزية . « تمثيل اليهود الألمان لدى الرايخ » سلسلة تجمعات مثل « الاتحاد المركزي للمواطنين الألمان من الدين اليهودي » ونشر صحيفة « جريدة الاتحاد المركزي » التي حاولت خلال زمن طويل جداً أن تقاوم حملة العداء للسامية ، وعرفت اليهود بشكل أمين بالتهديدات التي تثقل عليهم . وجرت أيضاً في ذلك الحين محاولة تنظيم حياة مسرحية ، وحياة موسيقية يهودية بحتة ، وأنشئ لهذا الغرض « اتحاد ثقافة اليهود الألمان » . ولكن كل هذه الهيئات ، انطلاقاً من قرارات نورامبرغ بخاصة ، كانت تعاني حياة شاقة أكثر فأكثر ، وزالت جميعاً في بحر سنة ١٩٣٨ .

الدور الثاني (١٩٣٥ - ١٩٣٧)

في مؤتمر نورامبرغ ، وفي سياق صيف ١٩٣٥ ، حددت عدة مشاريع قانون وصوت عليها الرايخشتاغ بعد ذلك . وجمعت هذه القوانين تحت عنوانين : « قوانين مواطنية الرايخ » و « قوانين حماية الدم والشرف الألمانيين » .

وفي الواقع إن الدلالة العامة لهذه القوانين هي أنها سحبت منذ الآن من اليهود حق المواطنة الألمانية وأخرجتهم بهذا الواقع ، من الجماعة القومية . ولم يعد اليهود ، كباقي الألمان « مواطني الدولة » وإنما هم الآن فقط أناس يؤلفون جزءاً من الدولة . واليهودي هو من تحدر من ثلاثة أو أربعة جدود يهود ، و « الخلاسيون » يتميزون عن اليهود الصرف بأن لهم جدين يهوديين . وظل الخلاسيون في جماعة الرايخ ، ولكنهم أخضعوا لرقابة دائمة ، ولا يستطيعون الوصول إلى خدمة الدولة .

وأخيراً عدة قوانين مخصصة لحماية الآريين . وهكذا فإن اليهودي لا يمكنه أن يستخدم آرياً إلا إذا كان عمره خمساً وأربعين عاماً على الأقل . وحرمت على الإطلاق العلاقات الجنسية بين اليهود والآريين . ومن جهة أخرى حرم على اليهود إقامة الزينات في الأفراح بالأعلام الألمانية .

وبعد تشريع نورامبرغ يمكن الكلام عن « الموت المدني » لليهود . وبموجب ما يسميه الألمان « بنود الأريانية » حرمت على اليهود الأوضاع التي كان يتسامح بها حتى الآن . ومن جهة أخرى ، إن هذه القوانين تهدد عدداً من الكاثوليك ومن البروتستانت الذين كانوا من أصل يهودي ولكنهم لا يستطيعون إثبات اريانيتهم ، ووجدوا بهذا الواقع في حالة تهديد دائم .

ومع ذلك فإن طرد اليهود من الحياة السياسية والاجتماعية للرايخ لا يعني في السنتين ١٩٣٥ - ١٩٣٧ طردهم من الحياة الاقتصادية القومية . ففي الدور ١٩٣٥ -

١٩٣٧ لا يمكن بالفعل الكلام عن طرد منظم لليهود من الحياة الاقتصادية للرايخ ، وإنما فقط عن عمل مداج ومراء وباطني . وقد لعبت هذه العوامل لصالح بقاء اليهود في اقتصاد الرايخ . وكان القلق في محاباة الأجنبي وفي عدم إحداث الاضطراب في نظام الاقتصاد الألماني الذي ما زال في حالة نقاهة . وكان الدكتور شاخت الذي استلم في ١٩٣٤ وزارة الاقتصاد ، خصماً لتدابير العنف ، ويتمنى أن يظل اليهود يشاركون في الحياة الاقتصادية للبلاد . وكان يدعمه في ذلك قسم عظيم من الإدارة الألمانية العليا . وقد قال شاخت : « ما دمت أوجه وزارة الاقتصاد فلا شيء يحدث لليهود على الصعيد الاقتصادي » .

وهكذا حتى آخر ١٩٣٧ ، أظهرت حكومة الرايخ ، إزاء اليهود ، على صعيد الاقتصاد ، تسامحاً نسبياً . وفي الحقيقة إن الهيئات الموجهة في الحزب اتخذت عدداً من الإجراءات ، أو مارست ضغطاً بحيث تأرين عدد من المشاريع أي أصبح آرياً . إن القطاعات الهامة التي كان فيها اليهود متنفذين بخاصة . مثل قطاع المكتبة التي يباع فيها الكتب ، أو أيضاً بعض الصناعات ، مثل « الصناعة الصيدلانية » حيث كان اليهود كثراً ، حرمت في ذلك الحين على اليهود . وفي الأرياف تأرينت تجارة البيض بعد أن كان ٩٦ ٪ منها في أيدي اليهود . واتخذت عدة تدابير محلية ضد تجار المفرق الذين يمارسونها من أصل يهودي ، وكان على العديد من البنوك أن تزول أو تتحد مع بنوك أكثر أهمية . وهكذا نلاحظ أرينة ، بالقسر والإكراه ، لعدد من فروع الاقتصاد . ومع ذلك تجدر الملاحظة إلى أنه كان يوجد في ألمانيا ، في آخر سنة ١٩٣٧ ، ما يعادل ٤٠,٠٠٠ مصلحة (عمل) تشغل ٣٧٠,٠٠٠ يهودي . وكانت مقاومة المشاريع اليهودية بخاصة قوية في المدن الكبرى ، حيث كان باستطاعة اليهود أن يدعموا بعضهم بعضاً ، كما في برلين ، وفرانكفورت ، وبريسلو ، أكثر مما لو وجدت المشاريع اليهودية منعزلة .

الدور الثالث : (١٩٣٨ - ١٩٣٩)

لقد سجلت سنة ١٩٣٨ تطوراً جذرياً في سياسة الرايخ إزاء اليهود . ويرتبط ذلك في الجزء الأعظم منه بذهاب شاخت الذي فقد إدارة وزارة الاقتصاد ، وبإحلال اقتصاد الحرب ، الذي لا يمكن أن يتحمل وجود اليهود ، وعندئذ تغلبت المصالح الموجهة في الحزب على المصالح البوروقراطية ، على الإدارة القديمة ، وتلقت النور الأخضر لصالح عمل معاد لليهود على نطاق واسع .

ومن هنا ظهرت في ١٩٣٨ ، عدة إجراءات مخصصة لإقصاء اليهود عن الاقتصاد وطردهم تدريجياً من جميع المشاريع التي كانوا يوجهونها بعد في الرايخ . إن قانون ٢٦ نيسان ١٩٣٨ ، يجبر كل يهودي على أن يعطي تصريحاً مفصلاً عن أمواله فوق ٥٠٠٠ مارك . وإن قانون ١٤ حزيران ١٩٣٨ ، يجبر رؤساء المشاريع اليهود أن يعرفوا بالتفصيل بطبيعة دخولهم ، وفي تموز ١٩٣٨ ، طرد اليهود من البورصات الألمانية المختلفة ، ومن معظم المهن التجارية ، وحرمت عليهم منذ الآن مهن الطبيب والمحامي ، ويمكنهم ، ولا شك في هذا الصعيد الاحتفاظ ببعض النشاط ، وإنما فقط من أجل استشارات تعطى لليهود .

ومنذئذ يرى أرينة سريعة جداً للمشاريع . فمن ذلك أن أربعة آلاف مشروع يهودي قد تأرينت بين بداية نيسان وشهر تشرين الثاني ١٩٣٨ .

ومن جهة أخرى ، إن براءة ١٧ آب ١٩٣٨ تحرم منذ الآن على اليهود أن يحملوا أسماء مسيحية . ويجب إجبارياً عليهم حمل أسماء يهودية ، مثل سارة وإسرائيل .

وأخيراً ، كانت هذه الفترة الفترة التي بدأت فيها سلسلة التوقيفات ، وهذه التوقيفات تمس أولاً ، وبصورة قانونية ، كل اليهود الذين كان لهم سجل عدلي ، الذين عوقبوا بعقوبة قضائية أو مخالفة ما ، وعليهم بسبب هذا الواقع أن يساقوا

إلى معسكرات الاعتقال . ووجد في تموز ، بهذا الواقع ، ١,٥٠٠ توقيف منها أن ٩٠٠ يهودي اقتيدوا إلى معسكر بوخنفالد . وفي تشرين الأول أوقف جميع اليهود من أصل بولوني ، اليهود الذين احتفظوا بجنسيتهم البولونية ، والآخرون الذين أخذوا في ١٩١٩ ـ ويراد بذلك بخاصة يهود سيلزيا ـ المواطنة الألمانية . وهكذا أوقف سبعة عشر ألف يهودي بولوني واقتيدوا إلى الحدود البولونية ، ولكن الحكومة البولونية كانت تنظر إليهم ، من جهتها ـ يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار حالة البلاد الاقتصادية ـ بأنهم غير مرغوب بهم . وهاموا على وجوههم خلال عدة أسابيع في « منطقة حرام تفصل بين حدود الدولتين » بين ألمانيا وبولونيا ، حتى اليوم الذي رأت فيه الحكومة البولونية أخلاقياً أنها مجبرة على فتح الحدود لهم . وبينهم وجدت شخصية غرينسبان الذي كان في أصل الاضطهاد المعمم .

وبلغ الاضطهاد نقطة الذروة في ٩ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، في ما يسمى « ليلة الكريستال » وقد أثير هذا الحادث بمحاولة قتل وجهها غرينسبان ضد سفير ألمانيا في باريس وأدت إلى مقتل مستشار بريء للسفارة ، **فون رات** ، في ٩ تشرين الثاني ١٩٣٨ . وقدم غوبلز هذا الحادث في الصحافة الألمانية كـ « عمل إثارة من اليهودية العالمية » وكان في أصل القتل الجماعي الذي نظم على مجموع الأرض الألمانية في الليل من ١٠ إلى ١١ تشرين الثاني ، وأظهر « الاستنكار » الذي أثاره هذا العمل في داخل الشعب الألماني . وفي هذه الليلة أحرق عدد عظيم جداً من كنائس اليهود . وخرب ٧٥٠٠ مشروع يهودي ، وأوقف عدد عظيم جداً من اليهود ، نحو ٢٦,٠٠٠ شخص ذهبوا إلى معسكرات الاعتقال في **داخاو** ، **وبوخنفالد** ، **وزاخسنهاوزن** ، حيث لاقوا من سوء المعاملة وزالوا بسرعة .

وفي ١٢ تشرين الثاني ، عقد اجتماع وزاري ترأسه غورينغ واتخذ قرارات هامة في موضوع اليهود ، وقرارات تدل على نهاية كل نشاط اقتصادي من جانب

اليهود . وفرضت عليهم ضريبة مليار ، واضطر اليهود إلى دفع جميع الخسائر التي سببها القتل الجماعي ، وأخيراً ، قرار يأمر بأرينة جميع المشاريع اليهودية المتبقية .

كانت هذه القرارات نقطة انطلاق الاضطهاد المعمم . فانطلاقاً من هذا التاريخ ، حرمت المحلات العامة على اليهود ، وارتياد المدارس غير اليهودية ، وحرمت كذلك الجمعيات اليهودية ، واضطر اليهود إلى تشكيل « اتحاد يهود الرايخ » الذي وضع مباشرة تحت إشراف ، الشرطة .

عندئذ بدأت هجرة معظم الشعب اليهودي . ولم تعرف هذه الهجرة حتى ذلك الحين إلا دوراً ثانوياً . ففي ١٩٣٣ ، تحت تأثير وصول هتلر إلى السلطة ، هاجر ٣٧٠٠٠ يهودي ؛ ولكن في ١٩٣٤ لا يوجد أكثر من ٢٣٠٠٠ تركوا ألمانيا ؛ وفي ١٩٣٥ ، غادرها ٢١٠٠٠ ؛ وفي ١٩٣٦ ، ٢٥٠٠٠ ؛ وفي ١٩٣٧ ، ٢٣٠٠٠ . وبالمقابل ، في ١٩٣٨ ، وتحت تأثير الحوادث التي سببت « ليلة الكريستال » وجد ٤٠,٠٠٠ مهاجر ؛ وفي ١٩٣٩ ، ٧٨,٠٠٠ مهاجر يهودي .

ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الهجرة ، بالنسبة لليهود ، مشروع صعب . ولا شك في أن « رابطة نجدة اليهود الألمان » فاوضت مختلف البلاد . ولكن التأشيرة كانت تخول بصعوبة لليهود الذين يعوزهم المال ، وقد قلق الرئيس روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة ، لهذه الحالة ، وتحت ضغط الأوساط اليهودية الأميركية ، عقد في تموز ١٩٣٨ ، في ايفيان ، مؤتمراً أنشأ لجنة بين - حكومية لتأخذ على عاتقها أمر الهجرة اليهودية ، ولكن هذه اللجنة لم تعط إلا نتائج ضعيفة جداً .

ومع ذلك ، انطلاقاً من ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، يبدو أنه لم يكن لليهود من حل آخر غير الهجرة . وكان عدد من الزعماء السياسيين الألمان ، وبخاصة زعيم

أمن الرايخ ، هايدريك ، يحبذون انطلاق اليهود . ولكن بالمقابل ، كان عدد من السياسيين الآخرين ، وبخاصة غورينغ ، معادين لهذا الانطلاق نسبياً . لأن الخطر ، بالنسبة لغورينغ ، هو أن اليهود ، بذهابهم ، يأخذون رؤوس الأموال التي تفتقر أخيراً ألمانيا بذهابها . وقد سهر غورينغ بشكل دقيق للغاية على أن اليهود لا يَمكنهم أن ينطلقوا إلا بأخذ جزء تافه فقط من أموالهم ، ولا يمكنهم تصدير رؤوس أموالهم . وفي السنوات الأخيرة قبل الحرب ، يبدو أن شاخت ، بناء على طلب هتلر ، أجرى مناقشات مع عدد من الرجال السياسيين الأجانب وتصور خطة واسعة لهجرة اليهود الألمان ، على أن يستولي الرايخ على جميع الأموال اليهودية ـ التي كانت تقدر بمليار ونصف ـ كضمان لقرض أجنبي ، وبفضل هذا القرض يمكن تمويل الهجرة اليهودية . ولكن شاخت ، بعد زمن قليل ، فقد لقبه كمدير لبنك الرايخ ـ الذي حافظ عليه حتى بعد أن غادر إدارة الاقتصاد ـ وهجر المشروع . وفي الواقع ، إن الاتفاق الوحيد الذي أبرمته ألمانيا ، على صعيد الهجرة ، كان يلفت النظر ، وهو الاتفاق الذي تفاوضت به مع سلطة الانتداب في فلسطين والذي عرف تحت اسم « هافارا » . ومن المؤكد أن النازيين ، بهجرة اليهود ، كانوا ينوون بوضوح تنمية العداء للسامية في البلاد الأجنبية المجبرة على استقبال اليهود الألمان . وعنوا بتحريض هذا العداء للسامية ، بالدعاية . ويجب أن نشير في هذا الاعتبار ، في الولايات المتحدة ، التي التجأ إليها الكثير من اليهود الألمان ، إلى دور الكاهن المعادي للسامية **كوغلن** الذي كان عميلاً للشرطة الألمانية .

وأخيراً ، ما من شك ، منذ حوادث تشرين الثاني ١٩٣٨ ، ان الاتجاه في ألمانيا كان بوضوح نحو « الحل النهائي » . وقد تكلمت (الفصيل الأسود) جريدة الـ S.S انطلاقاً من تشرين الثاني ١٩٣٨ ، بتدمير اليهود تدميراً كاملاً . وصرح هتلر في الرايخشتاغ ، في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٩ :

« من جديد ، سأكون نبياً اليوم . وإذا نجحت اليهودية الدولية في أوربة أو في غيرها ، في إلقاء الشعوب في حرب عالمية ، فالنتيجة لن تكون بلشفة أوربة ، وانتصاراً لليهودية ، وإنما إبادة العرق اليهودي في أوربة » . ولقد كانت السيطرة على أوربة وإفناء اليهودية ، في نظر هتلر ، وجهي خطة واحدة .

الفصل السادس

علاقات الكنيسة الكاثوليكية

والقومية ـ الاشتراكية

إن القطعة المسرحية « النائب »[1] شدت ، أمام جمهور عظيم ، الانتباه إلى علاقات الكنيسة الكاثوليكية والرايخ الثالث : فقد أثارت أجوبة متعددة جداً من جانب الكاثوليك الألمان ، وأيضاً من البلاط الحبري الروماني ، الذين شعروا بالهجوم عليهم . وأثار هذا النزاع كتاب غونترليفي : « الكنيسة الكاثوليكية وألمانيا النازية » الذي صدر في الولايات المتحدة في ١٩٦٤ وترجم إلى اللغة الفرنسية . وهذا الكتاب يجب أن يتمم بالدراسة التي كتبت وصدرت فيما بعد لمؤلفها لودفيغ فوغت في « الأسقفية البافارية و القومية ـ الاشتراكية » الذي صدر في ١٩٦٥ .

وفي دراسة العلاقات النازية والكاثوليكية يجب تمييز دورين بوضوح : ففي السنة ١٩٣٣ ، توطد **تعاون** وثيق ، على ما يبدو ، بين الكنيسة الكاثوليكية والنازية . ولكن الملاحقة ثم تفاقم الاضطهاد اضطرا الكنيسة الكاثوليكية بسرعة إلى إقامة نوع من « تسوية » مع الدولة مؤسسة على تطبيق الكونكورداتو . وبعد فحص هذين العصرين في تاريخ علاقات الكنيسة الكاثوليكية والنازية ، يجب أن نحاول ، في قسم ثالث ، تفسير موقف الكاثوليك الألمان .

---

(١) « النائب » (HOCHHUT)

(- دور التعاون بين الكنيسة الكاثوليكية والنازيين) لقد جرى استلام النازيين للسلطة ، في آخر كانون الثاني ١٩٣٣ ، تحت شعار « العواطف الطيبة » . وكان على تاكتيك هتلر ، في الواقع ، أن يعد بالسلام الديني ، وبالتالي أن يتصالح مع الكاثوليك . وفي الرسالة التي وجهها هتلر ، في الأول من شباط ، إلى الشعب الألماني صرح : « سأصون وسأدافع عن المبادئ الأساسية التي شيدت عليها أمتنا » . ويعتبر هتلر المسيحية كـ « أساس أخلاقنا القومية » ، والعائلة كـ « أساس حياتنا القومية » . ومن الواضح جيداً أن هذه العبارات كانت مخصصة لجذب الإرادات الطيبة ، وتهدئة القلق . ولكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أيضاً أن هتلر كان يصرح دوماً في كتابه « كفاحي » بأنه من الضروري ألا تهاجم الكنيسة مجابهة ، وبخاصة الكنيسة الكاثوليكية . وكان يظهر دوماً حذراً إزاء من يريدون إقامة « مسيحية ألمانية » ، ثم صرح فيما بعد : « لقد قلت دوماً إلى روزانبرغ بألا تهاجم لا « التنورات » ولا « الجبات » أي اللباس الكهنوتي . وكان يشعر بلامبالاة وحتى بازدراء كامل ، إزاء الكاثوليكية ، ولكنه يرى ، بأنه من غير الممكن بجرة قلم ، حذف نفوذ الكنيسة الكاثوليكية . وقال مراراً ، إن بسمارك أخطأ بمكافحة الدين « لا يجب خلق شهداء » . والكهان يمكن جذبهم نحو السلطة . ومن الممكن مصالحتهم أو الاتفاق معهم إذا عرف كيف تصان مصالحهم المادية . وقد قال ذات ليلة إلى راوشننغ : « إنهم يقبلون بأي شيء للحفاظ على مصالحهم ، مصالح كل يوم » .

وكان حزب الوسط الكاثوليكي مستعداً ، في ١٩٣٣ ، للتفاهم مع الهتلرية ، وعندما وضعت قضية الانتخابات آذار ١٩٣٣ ، بالرغم من أن المحادثات ، بين هتلر والمونسنيور كاسّ ، زعيم حركة الوسط ، بقيت دون نتيجة ، ظل الوسط أثناء الحملة الانتخابية ثابتاً في تهجماته على اليمين - المتطرف البورجوازي ، وضد

هوغنبرغ وضد فون بابن ، وكان هؤلاء أعداءه الأساسيين وليس هتلر . وفكر زعماء الوسط أن في الهتلرية شيئاً صالحاً وكانت هجوماتهم موجهة بصورة أساسية ضد الماركسية والإلحاد . ويجب الاعتراف بأنه يمكنهم في هذه النقطة أن يروا في النازية حليفاً . ولذا فإن التصريحات الأسقفية ، عشية إنتخابات ٥ آذار ، كانت نوعاً مّا مبهمة . فقد طلبت الأسقفية من الكاثوليك أن يصوتوا لمرشحين « مواقفهم وصفتهم مجربة » . والواضح من ذلك أنها تعني المنتخبين التقليديين من جماعة الوسط . ولكنها تجنبت شجب القومية ـ الاشتراكية . إلا أن بعض الأساقفة المنعزلين ، وبخاصة ، مثل أسقف ايرميلاند ، في بروسيا ، اتخذوا موقفاً بوضوح ، ومنعوا رعاياهم من التصويت للنازيين . واكتفى مطران مونيخ ، الكاردينال فولابير بأن يذكر بشكل مجرد وعام ، بأن النظام مهما كان ، فإن سلطة الدولة ، المؤسسة دوماً على مشيئة الله ، لها حق الطاعة . وبالرغم من أن انتخابات ٥ آذار قد جرت في موجة عامة من الإرهاب ، فإن الوسط لم يبدل بصورة محسوسة موقفه . وإن تصريحات هتلر المهدئة ، بعد الانتخابات ، ولاسيا في ٢٣ آذار ، حيث وعد بالاعتراف بنفوذ الكنيسة فيا يتعلق بالتعليم والتربية ، قد أحدثت أثرها ، وكان من نتيجتها تثبيت مواقف الوسط . وهكذا قرر المونسنيور ـ كاسّ ، بالرغم من أنه لم يحصل على أي ضمان للمستقبل ، أن يصوت على السلطات الواسعة . وكان يرى في ذلك إنقاذاً لامتيازات الكنيسة .

ماذا يمكن أن يكون موقف الأسقفية الألمانية ، أمام موقف الوسط هذا الذي تشيع للنظام الهتلري ؟ في السنوات السابقة ، كانت الأسقفية قد اتخذت عدة تدابير معادية للقوميين ـ الاشتراكيين ، وحرمت بخاصة على القوميين ـ الاشتراكيين الدخول إلى الكنائس وهم بلباسهم الرسمي ، وحرمت إعطاءهم القداسات الأخيرة ، الخ . . . وآل الأمر بالأسقفية ، أمام تطور الوضع ، إلى

إعادة التفكير بموقفها حيال النازية . وإذا فعلت ذلك ، فذلك دون منازع ، تحت ضغط فريق عظيم من الرأي الكاثوليكي الألماني ، الذي يرى أن ساعة الانقسامات الدينية قد مضت . وأنه يجب تطبيق سياسة الانضمام إلى النظام الجديد . وهذا الاتجاه يتضح في فريق من الصحافة الكاثوليكية الألمانية وبخاصة في صحيفة « بريد أوغسبورغ » التي صرحت بقولها : « من غير المناسب ، وبخاصة للكاثوليكي ، أن يظل في موقف سلبي ، على حين أن الساعة للعمل وللأهداف الإيجابية » .

وإذا أرادت الأسقفية أن تستمر في الموقف السابق حيال الهتلرية ، فمن المؤكد أن يتنكر لها قسم عظيم من الكاثوليك الألمان . ومن جهة أخرى ، ترى الأسقفية أنه لا مندوحة عن محاولة إنقاذ الجمعيات الموجودة . وحاولت أن تمنع التسريح الكثيف للموظفين المعروفين بتبعيتهم لحزب ديني .

إن هذه الاعتبارات دفعت الأسقفية إلى إعادة النظر في موقفها السابق . حتى إن المونسنيور برترام ، مطران بريسلاو ، عميد الأحبار الألمان ، ورئيس مؤتمر الأساقفة الألمان في فولدا ، الذي ينعقد سنوياً لمناقشة شؤون الكنيسة الألمانية ، قرر عندئذ أن يسحب التحريمات المختلفة التي حكم بها ضد الحزب النازي وضد أعضائه . وقد رأى أن مشروعه قوبل « بانسجام مشجع » . وفي ٢٨ آذار ، اعترف مجلس الأساقفة ، المنعقد في فولدا ، بأن الحكومة القومية - الاشتراكية كانت قد أعطت « تطمينات صريحة » تتعلق بصلاحية كل بنود الكونكوردات التي أبرمتها الدول الألمانية بصورة فردية مع الكنيسة واختتمت بقولها : « في هذه الآونة ، إن المسيحيين الكاثوليكيين ، الذين يعتبرون صوت كنيستهم مقدساً ، ليسوا بحاجة إلى من يحثهم بخاصة ليظهروا موالين للسلطات الشرعية . وعليهم أن يقوموا وجدانياً بواجباتهم المدنية ، متخلين مبدئياً عن كل سلوك غير شرعي وهدام » . ومنذ الآن قبل القوميون - الاشتراكيون في

القداسات ؛ كما أن الدفن الديني خول لهم بعد أن حرم عليهم منذ بضع سنوات .

وتبنت الرسالة الرعوية للأسقفية البافارية ، المؤرخة في ١٠ نيسان ، نفس المواقف التي تبناها مؤتمر فولدا - باعتبارها منعت قرع الأجراس في الكنائس ، بمناسبة الأعياد الرسمية للدولة . ومن المؤكد عقب مؤتمر فولدا أن سياسة التعاون مع النظام قد ارتسمت ، وأن موقف الأسقفية يعني الاعتراف الصريح بشرعية النظام الجديد . وقبلت الكنيسة بانتساب الكاثوليك للحركة التي توجه ألمانيا منذ الآن .

وما من شك ، في أنه يوجد ، منذ ذلك الحين لهذا الموقف ، معارضة . وهذه المعارضة اتضحت بخاصة في « عصبة الكاثوليكيين الألمان للسلام » ، وكانت هذه رابطة ذات نزعات سلمية . ولكن هذا الموقف المعارض كان محدوداً للغاية وضيقاً . وبالمقابل ، يرى عند الكاثوليك نمو حركة واسعة جداً لصالح التعاون مع النازيين ، الذي قدم منذ الآن للكاثوليكيين على أنه واجب . وكان هذا بخاصة الموقف الذي اتخذه المونسنيور فور ، زعيم حزب الوسط في دولة باد ، والمونسنيور غروبر ، مطران فريبورغ - إن - بريسغو . وهذا الموقف الذي يجعل من الواجب على الكاثوليكيين أن يتفاهموا مع النظام يتضح بخاصة في مجلة « الصليب والنسر » ، وهذه المجلة أنشئت في محيط وتحت تأثير فون بابن . وكان تحريرها يضم عدداً عظيماً من اللاهوتيين . وهدفها ، تحت شعار الكاثوليكية ، تنظيم ثورة ألمانية مضادة ومخصصة لدحر الليبرالية (الحرية) والماركسية ، وبصورة عامة مبادئ عام ١٧٨٩ .

أما من جهة الأسقفية . فقد أعدت بنشاط الطريق لسياسة عملية للتعاون مع السلطة . ومن هذه السياسة المؤتمر الأسقفي الذي عقد في برلين في ٢٥ و ٢٦ نيسان ، ورسم الخطوط الكبرى . وكان العنصر النشيط ، في هذا المؤتمر ، المونسنيور برنينغ ، أسقف **اوسنابروك** . وقد أجرى هذا مع هتلر ، في ذلك

التاريخ ، حديثاً قال عنه بأنه « صريح وودي » ، وفيه أشار هتلر بأنه من الأهمية بمكان العمل باتحاد وثيق مع الكنائس المسيحية . وجرى تبادل مراسلة بين هتلر والمونسنيور - برترام ، وفيه يصرح أسقف بريسلو بأن الكنيسة تشعر دوماً بواجبها المقدس الذي يقضي « بأن يرسى ، بعمق في قلب المؤمنين ، هذا الإحترام ، وهذه الطاعة الناجمان عن الجمعيات المتشكلة . واللذين هما أيضاً ، فضائل دينية » . وكذلك أيضاً ، الرسالة الرعوية الجماعية للأسقفية البافارية تدعو المؤمنين لدعم البرنامج الحكومي في « التجديد الروحاني والأخلاقي والاقتصادي » . « وما من أحد اليوم له الحق ، عن تثبيط أو عن مرارة ، في أن يبقى جانباً ، وأن ينعزل ويختلي في أحقاده . وإن جميع المستعدين بإخلاص للإسهام بالجهد المشترك عليهم ألا يكونوا منعزلين عن ضيق فكر ، أو عن نقص كرم » .

ومن المؤكد ، إن كثيراً من الدلالات تري ، ولاسيا في المراسلات ، أن الأساقفة كانوا قلقين . فقد لاحظوا العزل الدائم والمستمر للموظفين الكاثوليك ، وحذف النقابات ، والصحف ، ولكنهم فكروا بأن المفاوضات مع روما ، التي كانت جارية في ذلك الحين ، بغية توقيع كونكوردات جديدة . ستسمح بتسوية جميع المسائل بشكل ودي .

لقد وجدت ، قبل ١٩٣٣ ، محاولات لعقد كونكورداتو بين الكنيسة الكاثوليكية والدولة الألمانية . وقد شرع بالمفاوضات في ١٩١٩ ، ثم في ١٩٢٢ ، وأخفقت باستمرار أمام معارضة المجلس الأعلى ، **الرايخسرات** الذي يمثل الدول . لقد تألفت أكثريات من الاشتراكيين والليبراليين والبروتستانتيين لمعارضة المشروع الكونكورداتو هذا . ولذا لم يكن ليوجد في ذلك الدور إلا كونكوردات جزئية ، موقعة بين روما وبعض الدول الألمانية ، مع بافاريا ، في ١٩٢٤ ،

وبروسيا ، في ١٩٢٩ ، وباد ، في ١٩٣٢ ، ومع ذلك لم تحل هذه الكونكوردات قضية من القضايا الأساسية ، قضية ممارسة الوظيفة الرعوية في الرايخوير . والرايخوير مؤسسة دولة ، ولذا كانت الحكومة ترجو أن يخضع المرشدون الدينيون العسكريون إلى أسقف « مرشد الجيوش » ، على حين أن الأسقفية الألمانية ، وهيئة الكرسي - الأقدس (البلاط البابوي) يرجوان أن يخضع هؤلاء المرشدون العسكريون إلى التسلسل المحلي . وحول هذه القضية عقدت من جديد ، في ١٩٣١ ، مفاوضات ، وكان يوجهها المونسنيور كاسّ ، وفي أثنائها ارتبط المونسنيور كاس بصورة وثيقة بالمونسنيور باتشيللي ، أمين سر دولة الكرسي - الأقدس . ومع ذلك فإن هذه المفاوضات لم تفض إلى شيء في الوقت الذي استلم فيه هتلر السلطة .

وإذن ، فالقضية المطروحة هي معرفة من يستلم زمام المبادرة في المفاوضات[١] في ١٩٣٣ . لقد أفاد بابن في « مذكراته » بأنه كان يريد ، بالمفاوضة بكونكوردات ، كفاح النزعات المعادية للإكليروس واللا دينية ، في داخل الحزب النازي . وفي الواقع ، إذا لعب بابن دوراً في مفاوضة الكونكوردات ، فقد كان يريد بخاصة أن يثأر لنفسه من حزب الوسط ، الذي أقصاه عنه في ١٩٣٢ ، والذي قام ضده بدعاية شديدة . ومن عجب ، أن يلاحظ ، في قضية الكونكوردات هذه ، أن بابن وجد على اتفاق ، مع عدوه السابق ، المونسنيور كاس ، زعيم حزب الوسط ، وقد تصالح وإياه في هذه المناسبة . ولكن يجب أن نفكر بأن المونسنيور كاسّ كان منذ ١٩٣١ ، على صلات وثيقة مع البلاط الحبري الروماني ، أي مع الكرسي - الأقدس ، وأنه كان يعرف هذا البلاط الروماني - وكان ذلك أمنية قديمة للمونسنيور باتشيللي ، المشجع لاتفاق مع هتلر . وعليه

---

(١) راجع مقال R . MORSEY في NEÜE POLITISCHE LITTERATURE , 1960 .

فإن المونسنيور كاس أفاد كوسيط أساسي بين الكرسي ـ الأقدس وحكومة الرايخ . وهو الذي نقل إلى الحكومة الألمانية رغبة الكرسي ـ الأقدس في إبرام كونكوردات . أما هتلر ، فقد رأى في الكونكوردات فائدتين أساسيتين : أولاً ، إمكان إبعاد الكاثوليك عن الحياة السياسية إبعاداً كاملاً ، وتدمير ما كان يسميه النازيون الكاثوليكية السياسية ؛ ومن جهة أخرى ، إمكان حصول النظام الجديد على نجاح واسع في السياسة الخارجية .

لقد أجرى المفاوضات ، بدءاً من نيسان ١٩٣٣ ، في روما ، فون بابن وكاسّ . ولا مجال هنا للدخول في تفاصيل هذه المفاوضات ، ولكنها تعتمد على التسوية التالية : إن البلاط البابوي كان مستعداً لأن يضحي بالوسط ، كحزب سياسي (وكان البلاط البابوي يبدي دوماً حيال هذا الحزب ، في عصر جمهورية فيمار ، بل وحتى قبل ذلك ، بعض العداء ، وبعض الحذر) مقابل عدد من الفوائد والضمانات للكنيسة . وقد ألفت هذه المفاوضات ، كما قال المؤرخ الألماني كارل براخر ، نوعاً من « طعنة خنجر في ظهر الحزب الكاثوليكي » . إن موجهي الوسط ـ ومنذ أن ذهب المونسنيور كاسّ إلى روما ، وحل محله برونينغ على رأس الحزب ـ كانوا يشعرون بأن كل مقاومة كانت منتحيلة على الإطلاق . « فبعد أن أعلن الأساقفة بالإجماع اعترافهم بالحكومة الجديدة ، كانت هذه المقاومة بالنسبة لنا غير مبرره ومستحيلة معنوياً ولم يكن لدينا اختيار آخر غير اتباع مثل الأساقفة » هذه هي الملاحظة الإجماعية لزعماء الحزب . ومع ذلك فإن المفاوضات مع روما اصطدمت في ألمانيا بمعارضة فريق عظيم من الحزب النازي ، وبصورة أساسية غوبلز وهايدريك اللذين حاولا خلق عدة حوادث معادية للإكليروس ، ضد الإكليروس ، وضد المنظمات الكاثوليكية ، وبالتالي أفسدت المفاوضات . ولكن هتلر تمسك ضدهم بوجهة نظر وهي أن المفاوضات يجب أن تصل إلى خير . وعليه أنهى الوسط نشاطه ، في ٥ تموز ١٩٣٣ ، وكذلك الحزب الشعبي البافاري .

وبعد يومين ، في ٧ تموز ، وقعت الكونكوردات ، وأعلنت في ٢٢ تموز .

ومن الواضح ، ظاهراً على الأقل ، أن الكونكوردات أتت للكنيسة الكاثوليكية ببعض الفوائد . فالمادة الأولى تضمن حرية التبشير والممارسة العلنية للدين الكاثوليكي . والمادة الرابعة تؤمن الحرية الكاملة للاتصالات بين الكرسي ـ الأقدس والأسقفية الألمانية . والمادة ١٧ تضمن سلامة التعليم الديني في كافة المدارس العامة والإلقاء وحتى الإنشاء الممكن لمدارس دينية ، وتضمن التشكيل الديني للأشخاص المخصصين للتعليم في المدارس . والمادة ٢٦ تقبل في بعض الحالات أن يسبق الزواج الديني الزواج المدني .

ومع ذلك تجب الإشارة إلى أن المادة ١٤ تنص على أن الأساقفة الذين يعينهم البابا لا تمكن تسميتهم إلا إذا لم تبد الدولة اعتراضات من طبيعة سياسية ضد الأشخاص المعينين . وهذا يترك للدولة نوعا من حق الرفض (الاعتراض) حيال التسميات الأسقفية . والمادة ٣٢ تحرم على الإكليروس زج نفسه بالسياسة . ومن جهة أخرى ، إن المادة ٣١ ، وهنا الواقع الخطير ، التي كانت موضع مفاوضات طويلة وكادت تثير القطيعة ، وتبحث في الجمعيات الكاثوليكية ، تصرح بأنه لا يمكن الاعتراف إلا بالجمعيات التي كانت مؤهلة ، على وجه الحصر ، لغايات دينية . وثقافية وإحسانية . ومن الواضح أن النقاش الأساسي قد دار في هذه المادة ٣١ على التفسير الذي يجب إعطاؤه للكونكوردات .

ولاقى التصديق على هذه الكونكوردات ، المعدة على هذا النحو ، بعض الانتظار فقد قلق البلاط البابوي في الواقع من التفسير الذي أعطته للكونكوردات « الرقيب الشعبي » هذا التفسير الذي تؤلف الكونكوردات بموجبه « اعترافاً علنياً بالقومية ـ الاشتراكية » . وبسرعة أدرك البلاط الحبري أن المادة

٣١ قد استخدمها الرايخ بشكل معاد جداً للجمعيات الكاثوليكية . ومع ذلك فقد استشير مجلس الأسقفية الألمانية ، في آخر آب . من قبل المونسنيور باتشيللي ، فأبدى رأيه بشكل إجماعي ، لصالح التصديق السريع . وكانت وجهة نظر الأسقفية دوماً أن الكونكوردات تنظم جميع الشؤون الجارية . وتم التصديق على الكونكوردات في ١٠ أيلول .

وما من شك في أنه كان للكونكوردات انعكاسات خطيرة للغاية . فمن الواضح ، عدا أنها ـ وهذا ما كان ينتظره هتلر ـ تشكل بالنسبة للنظام الجديد نجاحاً في الهيبة والوجاهة غير منازع ، أنه كان لها نتيجة أساسية عند الكاثوليك ، وهي كسر روح كل مقاومة للنازية . والواقع إن الكرسي الأقدس ، بإبرامه هذا الميثاق مع النازيين ، شل إرادة مقاومة هؤلاء الكاثوليكيين ، الذين ، بالرغم من التقارب الدبلوماسي ، لا يعتبرون أن النازيين قد عدلوا موقفهم أو استرجعوا اعتبارهم وحظوتهم عند الناس .

ولا شك في أن هتلر حصل من الكونكوردات على نتائج إيجابية هي : منع الإكليروس من الاشتغال بالسياسة ، بخاصة ـ على حين أن التنازلات التي قام بها هتلر قد حررت بعبارات مبهمة وتحتمل التأويل ولم يحصل البلاط الحبري الروماني على أي ضمان جادّ في التطبيق .

ومن الممكن القول إن البلاط الروماني خدع . ويبقى أن نشرح لماذا وقع البلاط الحبري الروماني هذه الكونكوردات . لقد أعطي غالباً الإيضاح التالي : في الوقت الذي وقع فيه هذا النص ، كانت روما تفكر في أن النظام الهتلري قصير الأمد ، وأن هذه المعاهدة يمكن أن تفيد فيا بعد أساساً قانونياً في المستقبل ، لتحديد موقف الكنيسة في ألمانيا ، وعلاقات هذه الكنيسة مع الدولة .

وفي كل حال ، إن الشيء الرئيسي ، الذي تجدر الإشارة إليه ، هو أنه

يلاحظ ، عند توقيع الكونكوردات ، مصالحة وثيقة بين الكاثوليك والدولة . وأن مؤتمر فولدا ، الذي انعقد في ٣١ أيار والأول من حزيران ، وفحص مشاريع الكونكوردات ، قد أظهر في رسالة رعوية ، ولاءه الكامل حيال الدولة الجديدة ، ودون أي قيد . وفي الحقيقة ، أبدى الأساقفة بعض التمنيات ، ولكنهم قبلوا مبدأ الحزب الوحيد ، ولم يحتجوا على حذف الحقوق المدنية . وعلى كل حال ، كانت الدولة النازية السلطة الشرعية ويجب أن تطاع ، طبقاً لأوامر الله . وقد لخص اللاهوتي هانس بيتر اللاهوتي الكاثوليكي الرسمي ، على هذا النحو معنى إعلان فولدا : « إن الأساقفة الألمان ، أثناء انعقاد مجلسهم الحديث العهد ، أبانوا بلغة واضحة ، الأفكار والأهداف المشتركة بيننا مع الحركة القومية ـ الاشتراكية . وعلى هذا النحو أعدُّوا مأتى حزبنا إلى العمل الذي تقوم به الدولة الجديدة » .

لقد أثار توقيع الكونكوردات مظاهرات شديدة جداً من الفرح والرضى في الأسقفية . وكانت هذه عازمة على القيام بتنازلات هامة جداً لتأمين نجاح هذه الكونكوردات . فمن ذلك ، في بافاريا ، أن المونسنيور فاولابر تدخل شخصياً لدى الكرسي ـ الأقدس لرفع الحرمان الذي أصاب راهباً بافارياً ، الأب شاختلايتر الذي أعلن عن نفسه وبشكل مشجع للغاية بأنه إلى جانب النازية ، ولكن الكرسي ـ الأقدس شجبه واضطره إلى الدخول في وظيفته الدينية . وأعلم المونسنيور فولابر إلى الكاهن البافاري أدولف فاغنر في صيف ١٩٣٣ ، بأنه أعطى إلى الإكليروس تعليمات بأن يجنب ، في الوعظ وفي المحادثات الخاصة ، كل ما يمكن أن يقوض الثقة بالحكومة القومية ، أو يسيء إلى التعاون السلمي بين الكنيسة والدولة .

وفي الحقيقة ، كانت الأسقفية قلقة من تطور الحالة ، ولكنها كانت تميل إلى

اتهام السلطات الأدنى ، وتزعم أن الصعوبات ستزول في اليوم الذي تطبق فيه الكونكوردات . وأوضح الكاردينال فولابر ، غداة تنفيذ الكونكوردات : « إن ما لم تتمه البرلمانات السابقة والأحزاب في ثلثمائة عام ، قد حققته بصيرة رجل الدولة هذا في ستة أشهر ، من أجل هيبة ألمانيا في الغرب وفي الشرق ؛ وأمام العالم كله هذه المصافحة مع البابوية ، أكبر سلطة معنوية في تاريخ العالم ، هي حادث سامٍ لما فيه من فوائد لا حد لها » . وقامت مظاهرات حماسية من أوساط كاثوليكية عديدة . وأقيمت قداسات خاصة شكراً لله في عدد عظيم جداً من الكنائس الألمانية ، حسب خطة حددت باتفاق مع القاصد الرسولي المونسنيور اورسينيغو .

وذكر الدكتور لودفيغ فولكر ، رئيس « اتحاد الشباب الألمان » أن الكونكوردات تفرض على الكاثوليك واجب الانضمام للدولة الجديدة ، ذات الصفة القومية الاشتراكية ، ولأفكارها ، وإدارتها ، وأشكالها ، والوضع تحت تصرفها بنشاط دائم . وهناك لاهوتيون ، مثل الأستاذ جوزيف لورتز ، مؤرخ الكنيسة العظيم الذي اكتشف تشابهات أساسية بين فلسفة الحياة النازية والكاثوليكية ، وصرح بأن كلا الاثنتين تقاومان البولشفية ، والليبرالية ، والنسبية والإلحاد واللاأخلاق العامة ، وتمتدحان باتفاق مشترك المبادئ الجماعية ، والعودة إلى الشعب الألماني ، إلى مصادره الجرمانية ، وبطولة الإيمان العلوية . وأشار أستاذ اللاهوت العقائدي في جامعة مونستر ، في وستفاليا ، ميكائيل شماوس ، الذي غير رأيه فيما بعد ، إلى أن تعزيز الدولة ، على الصعيد القومي ، يمثل معادلاً لسلطة الكنيسة على الصعيد الفوق طبيعي . وظهرت كتب لورتز وشماوس في مجموعة جديدة تسمى « الرايخ والكنيسة » وهدفها « أن تخدم تشييد الرايخ الثالث بتشجيع اتحاد قوى الدولة القومية - الاشتراكية والمسيحية

الكاثوليكية » . ووسعت النظريات نفسها في مجلدات عرفت في ذلك الحين نمواً كبيراً جداً ، مثل « الزمن والشعب » أو أيضاً « الشعب الألماني » . وبخاصة ، في بداية شهر تشرين الأول ١٩٣٣ ، شكل فون بابن حركة الـ (A . K . D) « اتحاد عمل الآلمان الكاثوليك » بغية وضع همزة وصل رسمية بين الكاثوليكية والقومية - الاشتراكية . وقد أعطى عدد من الأساقفة ، وعلى رأسهم المونسنيور غروبر ، في فريبورغ ، والمونسنيور برنينغ ، في اوسنابروك ، كامل مساندتهم لهذه المواقف حتى إنهم أسهموا ، وذراعهم ممدودة ، في المظاهرات النازية . ولكن هذا لم يمنع النازية من الحفاظ حيال الكنيسة الكاثوليكية على موقف العداء المزدري . والحالة التالية لها دلالتها : فعندما اقترح النائب الأسقفي العام لمدينة مانيس ، المونسنيور ماير ، أن يقدس قبر حاكم هسّ ، الذي لم تقم له ، في ١٩٣١ ، صلاة دينية ، أجابت أرملة هذا الحاكم بأنه لا يمكن أن تقبل « الصدقة » التي يراد تقديمها لجثة زوجها . ولاشيء يدل بشكل أفضل على حالة رأي النازيين إزاء الكنيسة الكاثوليكية .

الفصل السابع

دور التسوية بين الكنيسة الكاثوليكة والقومية - الاشتراكية

لقد تلا دور التعاون بين الكنيسة الكاثوليكية والدولة القومية - الاشتراكية بين ١٩٣٤ و ١٩٣٩ ، دور توتر ملحوظ ذهب بالكنيسة الكاثوليكية إلى وضع نوع من تسوية مع الدولة القومية - الاشتراكية . وفي الحقيقة ، لقد ظهر بسرعة جداً أن هتلر لا يحترم الكونكوردات ، وأن النظام الجمعي ، النازية ، يتابع حذف المنظمات الكنسية التي لا يمكن أن يتسامح بوجودها ، كما يوالي تأسيس كنيسة وثنية - حديثة هدفها غير خفي وهو تدمير الإيمان المسيحي .

أمام هذا الخطر المزدوج ، لم تجرب الكنيسة محاولة مقاومة علنية ، وانطوت على تطبيق الكونكوردات ، وبتجربتها تطبيق الكونكوردات ، حاولت تجنب القطيعة ، وبالتالي تجنب ما تراه أقبح ، ووضعت مع النظام القومي - الاشتراكي نوعاً من تسوية ظلت حتى الحرب العالمية الثانية . ودارت احتجاجات الأسقفية ، في هذه الظروف ، على نقاط واضحة ، على قضايا تفصيلية ، أو تطبيقية ، ولكنها تجنبت لحد ممكن الشجب العلني للنازية والقطيعة مع الدولة الهتلرية .

لذا من الضروري أن نفحص تباعاً قضية المنظمات الكاثوليكية وقضية الوثنية - الحديثة .

أ) قضية المنظمات الكاثوليكية

إن أخطر نقطة للاحتكاك بين الجانبين ، في نظر الكنيسة ، كانت قضية الجمعيات الكاثوليكية ، التي لم يحدد مصيرها إلا بكثير من الغموض والإبهام في المادة / ٣١ / من الكونكوردات . فقد ظلت الدولة الهتلرية تعتبر هذه الجمعيات الكاثوليكية كبقاءٍ لهذه « الكاثوليكية السياسية » التي أقسم على تدميرها . ودار الاحتكاك بخاصة على قضية الشبيبة الكاثوليكية التي ما لبثت أن أظهرت معارضتها للشبيبة الهتلرية . وكل تنازل في هذا الصعيد رفضه إطلاقاً زعيم حركات الشبيبة الهتلرية ، بالدور فون شيراخ : الذي اتخذ دوماً موقفاً ضد ما يسمى « الانتماء المزدوج » أي إمكانية الانتماء إلى التجمعات الكاثوليكية وإلى الشبيبة الهتلرية معاً . ولكن فون بابن ، من جانبه ، كان يحاول الحصول على إمكان بقاء الشبيبة الكاثوليكية في إطار الشبيبة الهتلرية ، مع احتفاظها ببعض الاستقلال الذاتي ومتابعة ممارساتها الدينية . وفي الواقع ، إن جميع المفاوضات التي أجريت من الجانب الكاثوليكي ، بغية الحصول على نظام لمنظمات الشبيبة ، المفاوضات التي أجراها بخاصة في روما ، المونسنيور برنينغ ، أسقف اوسنابروك ، قد باءت بالفشل . وكان من المستحيل إطلاقاً الحصول على تفسير مشترك وواضح للمادة / ٣١ / .

وأمام التهديد الذي أخذ يتضح أكثر فأكثر ويثقل على الرابطات الكاثوليكية ، رأى معظم الأساقفة من واجبهم القيام بتنازلات هامة جداً . وما فتئوا يؤكدون الولاء الأساسي لهذه الرابطات إزاء الدولة الهتلرية . ولكن هذه التنازلات ظلت دون نتيجة . وأصبحت أيام رابطات الشبيبة الكاثوليكية محسوبة . ففي ١٩٣٧ ، عمم مبدأ تحريم الانتماء المزدوج . وشهدت السنة نفسها حل رابطة « الشبيبة الكاثوليكية » . وفي السنة التالية زالت أخريات رابطات

الطلاب الكاثوليك . ومن الواضح ، أن عدداً من الأساقفة ، وبخاصة المونسنيور فون غالن أسقف مونستر ، احتجوا على هذا الزوال . ولكن الأسقفية في الواقع ، مع رفضها طرح مبدأ الدولة الجمعية على بساط البحث ، جردت نفسها من السلاح أمام الاضطهاد الذي كان يستهدف الرابطات الكاثوليكية .

وكان الأمر كذلك بالنسبة للصحافة الكاثوليكية التي اختفت بسرعة إما لأنها اتخذت موقفاً بالنسبة للنظام الجديد ـ وكانت هذه حال : « بريد اوغسبورغ » أو أيضاً « جرمانيا » أكبر ناطقة باسم حزب الوسط ، التي أصبحت في الواقع ، ناطقة باسم فون بابن واتحاد العمال الكاثوليك الألمان (A. K. D) ، وإما بكل بساطة ، لأن الصحافة سقطت تحت ضربة الغلايكشالتونغ أي القوانين التي تمنع بالإجمال كل ظاهرة معارضة . ومن الممكن اعتباراً من نيسان ١٩٣٣ ، القول بأنه لا يوجد أثر لصحافة كاثوليكية في ألمانيا . ومع ذلك بقيت صحافة أبرشية ، دورية ، هامة للغاية لأنها مازالت تضم أيضاً ، في بداية ١٩٣٦ ، ٤١٦ دورية ، مع ما يقارب قليلاً ١٠ ملايين نسخة مطبوعة . وهذه الصحافة الأبرشية التي ترتبط مباشرة بالأساقفة ، وضعتها الحكومة تحت رقابة « الرابطة الدينية للصحافة الكاثوليكية » ، وهذه الهيئة نفسها تتبع « **مجلس صحافة الرايخ** » ، وكان على رأس هذا المجلس ماكس أمّان معاون غوبلز . وفي بعض الوقت ، وبفضل شخصية فالتر أدولف ، الذي كان مديراً لهذه الرابطة الدينية ، تمتعت الصحافة الأبرشية ببعض الحرية . ولكن هذه الحالة تبدلت إنطلاقاً من ١٩٣٦ ، وشيئاً فشيئاً ، ردت هذه الصحافة إلى صحيفة لكل أبرشية ، واضطرت أن تدخل فيها الأدب الرسمي للنظام .

ولم تحاول الأسقفية أن تقوم جدياً برد فعل . ففي مايّنسْ ، حيث نشرت « صحيفة القديس ـ مارتن » ، التي كانت إحدى أهم الصحف الأبرشية ، وحاول

مديرها الأب **ميرتنس** المقاومة ، ولكن السلطات الكنسية استنكرت عمله في صيف ١٩٣٧ . وكانت نتيجة هذا الموقف الملائم للنظام من قبل هذه الصحف ، أن كاثوليكيين عديدين جداً كانوا وما زالوا بعد مترددين ، قد اقتنعوا الآن بالامتثال للسياسة الهتلرية . وقد أضر بقاء الصحافة الأبرشية قطعاً أكثر مما أفاد القضية الكاثوليكية . والجريدة الكاثوليكية الوحيدة التي رفضت بعض الوقت اتباع توجيهات وزارة الدعاية ، كانت « صحيفة الكنيسة الكاثوليكية » لأبرشية مونستر التي كان المونسنيور فون غالن أسقفها . وهذه الصحيفة التي ظلت زمناً طويلاً تقاوم مقاومة دائمة بمساندة الأسقف ، حذفت في ١٩٣٧ ، بأمر من غوبلز .

ب) قضية الوثنية - الحديثة

والنقطة الثانية التي يجب التشديد عليها ، هي قضية الوثنية - الحديثة ، التي وضعت بجدة ابتداءً من كانون الثاني ١٩٣٤ ، أي في التاريخ الذي كلف فيه روزانبرغ بمراقبة الحياة الروحية والفكرية في الرايخ ، وفي الوقت الذي أعلن فيه المكتب - الأقدس وضع كتابه « أسطورة القرن العشرين » على قائمة الكتب الخطرة الممنوعة ، على القائمة السوداء .

وللنضال ضد الوثنية - الحديثة والمذاهب التي تنجم عنها ، كانت الكنيسة الكاثوليكية متضايقة للغاية بالعطف الذي أبدته طويلاً إزاء العداء للسامية - العداء للسامية الذي كان تقليدياً في الكنيسة الكاثوليكية الألمانية ولم تستنكره كلياً بين السنوات ١٩٣٣ و ١٩٣٩ . ومع ذلك ففي سنة ١٩٣٣ ، مال بعض الأساقفة إلى اتخاذ موقف ضد بعض مواقف النازيين المعادية للسامية ، وضد مذهب « نقاوة الدم » . وتبنى هذا الموقف الكاردينال فولابر ، رئيس أساقفة مونيخ ، أثناء تبشيره في « زمان المجيء »[1] في ١٩٣٣ ، الذي أبان فيه الطابع

(١) زمان المجيء هو الزمان الذي تحدده الكنيسة الكاثوليكية للاستعداد لعيد الميلاد وهو يضم الأربعة آحاد التي تسبق هذا العيد (Avent) .

المقدس للعهد القديم . وهـذا الموقف من المونسنيور فولابر لا يعني مع ذلـك ، من جانبه ، دفاعاً عن معاصريـه اليهود . فقـد صرح الكاردينـال : « يجب التمييز بين الشعب اليهودي كما كان قبـل مـوت المسيـح ، حـامـل الـوحي الإلّهي ، والشعب اليهودي كما أصبح بعـد وفـاة المسيح ، تـائهـاً أزليـاً على الأرض » . وراعى فولابر بعد حين ، أن يوضح فكره في مذكرة خاصة إلى الصحافـة السويسريـة المعـاديـة للنـازيـة التي « أعطت أهميـة شـديـدة » لتصريحـاتـه في مونيـخ . وقـال في هـذه المذكرة ، أنه في وعظه بمنـاسبـة زمـان المجيء « قـد دافع عن العهـد القـديم لأولاد إسرائيل ، ولكنه لم يتخذ موقفاً فيما يتعلق بالقضية اليهودية الأزلية » .

وأكثر من ذلـك ، يرى أن عـدداً عظيمـاً من الأسـاقفـة حـاولـوا أن يفصلـوا المسيحية عن أصولها اليهودية ، وأن يسجلوا بالعكس ، الاتحـاد الودي للمسيحيـة مع الروح الجرمانيـة . وذكر المونسنيور غروبر ، مطران فريبورغ ، أن ابن الربّ كان يختلف بصورة أسـاسيـة عن يهود عصره ، لـدرجـة أن هؤلاء كرهوه وطـالبوا بصلبـه ، وأن حقـدهم القـاتل توالى في القرون الـلاحقـة . وفي الـواقـع ، إن بعض الكنسيين المنعزلين وحدهم اتخذوا موقفـاً ضـد التشريع المعـادي للسـاميـة . ولكن الصحافة الرسمية للأسقفيـة بـدت بصورة عـامـة صـامتـة ، أو موافقـة . وقـدمت الكنيسـة الـوثـائـق التي طلبت منهـا لانتقـاء الأشخـاص من وراثــة يهـوديــة . والإجراءات الوحيدة التي اتخذتها الكنيسة الكاثوليكية كانت لصالح الكاثوليك غير الآريين أي اليهود الـذين اعتنقوا الكاثوليكيـة . وشجع الأكليروس عمل « الجمعيـة الرافائيلية » الذي كان مخصصاً لنجدة الكاثوليك من أصل سامٍ ، ومسـاعـدتهم على الهجرة . وكانت هذه هي النقطة الوحيدة الإيجابية لعمل الأسقفية الكاثوليكية .

ولم تكن الاحتجاجات على طرق كرم الأصل قوية كثيراً . وفي الحقيقة ، أن الكنيسة الكاثوليكية ما فتئت تحتج بشكل نظري ضد ممـارسـة التعقيم الإجبـاري

لكل الأشخاص المصابين ببعض الأمراض أو العاهات ، الذي قررته الحكومة الهتلرية في تموز ١٩٣٣ ، في الوقت الذي كانت توقع فيه الكونكوردات . فمن ذلك أن المونسنيور برترام ، مطران بريسلو وعميد الهيئة الأسقفية ، بلغ الحكومة ، باسم الأسقفية ، احتجاجاً على قانون التعقيم ، وشهر بهذا الخرق للأخلاق الكاثوليكية . حتى إن بعض الأساقفة ، وبخاصة المونسنيور فون غالن ، كانوا أكثر وضوحاً أيضاً . ولكن يجب أن نشير إلى أن الأسقفية لم تحصل إلا على تنازلات ثانوية تماماً على هذا الصعيد . وظل الأطباء والقضاة الكاثوليك مجبرين بالقانون على تشكيل إضبارات (ملفات) التعقيم . وأمام استحالة الحصول على إعادة النظر بالقانون ، ارتأى المونسنيور برترام أن يرفض الكهان تبرئة الموظفين الذين يستسلمون لممارسة التعقيم ، أو على الأقل يشجعونه . ولكن المونسنيور برترام ، في هذه الإرادة بفرض رفض التبرئة على الكهان ، اصطدم بمعارضة شديدة جداً من قسم من أكليروسه ، حتى إن عدداً من اللاهوتيين ، مثل هانس باريون الذي ينتسب إلى جامعة شترومبرغ ، في بروسيا الشرقية ، أفادوا بأن التعقيم لا يتعارض مع المذهب الكاثوليكي التقليدي . وفي التعامل ، بالرغم من هذا الشجب الرسمي ، انتهت الأسقفية بأن قبلت بأن معظم الموظفين الكاثوليك يمكنهم أن يساعدوا في تطبيق قانون التعقيم . وبموجب نوع من الإفتاء ، قبل الأساقفة أن الأطباء الكاثوليك يمكنهم أن « يشيروا » إلى السلطات عن المرضى الذين يجب تعقيمهم . وبقي عليهم محرماً الإسهام بتشكيل الإضبارات . ويجب أن تحصل أزمة الموت دون ألم (الاوتانازيا) ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، لإيقاظ الوجدان الكاثوليكي في هذا الصعيد .

وفي هذه الظروف ، وأخذاً بعين الاعتبار هذا الضعف ، نرى أن النضال ضد الوثنية - الحديثة قامت به الكنيسة الكاثوليكية بغموض وإبهام عظيم . وأن مؤتمر فولدا ، في حزيران ١٩٣٤ ، سجل قلقه ، على عكس التأكيدات السابقة من

الزعيم هتلر ، عندما رأى أن الحركة القومية - الاشتراكية أرادت الحفاظ على مفهومها الخاص للعالم ، ولكن هذه الرسالة ميزت بين القومية - الاشتراكية نفسها ، وبين وثنية - حديثة يدعمها بعض موجهي الحزب .

ومن الواضح أن هجومات الكنيسة تركزت على مذاهب روزانبرغ . فقد حررت عدة كراريس ضد « أسطورة القرن العشرين » ، ونشرت في بداية سنة ١٩٣٤ ، بخاصة في مطابع سرية في كولونيا . وفي خريف ١٩٣٤ ، نشر المونسنيور فون غالن ، أسقف مونستر ، في صحيفة الأبرشية دراسات في « أسطورة القرن العشرين » تعدد عدم الصحة والأخطاء التي لا عد لها التي يتضمنها هذا الكتاب . وهذا الكراس الذي وزع على أكثر من ١٠٠,٠٠٠ نسخة ، أثار في ألمانيا هياجاً شديداً جداً ، وأقلق ، في هذه النقطة ، النازيين حتى أن الحزب اتخذ في ذلك العصر عدداً من الأحكام لمعارضة الحركات الوثنية - الحديثة التي نمت آنذاك . ولكن هذا الموقف الذي اتخذته الكنيسة الكاثوليكية ضد كتابات روزانبرغ لم يؤثر مطلقاً على الوضع العام للأسقفية التي ظلت تجعل المسؤولين عن هذه الصعوبات ليس هتلر ، وحكومته وحزبه ، وإنما الذين تزعم فقط بأنهم يخدعون أنفسهم ويخلطون بين المذهب النازي والمسيحية البدائية .

ومع ذلك نمت الاضطهادات ضد الكنيسة الكاثوليكية في سياق سنة ١٩٣٦ ، ما عدا وقت قصير ، كتمت فيه المنازعات الدينية أثناء الألعاب الأولمبية ، لإعطاء انطباع جيد للأجانب الذين يأتون إلى هذه الأعياد . وفي سياق ١٩٣٦ ، أغلقت مدارس دينية عديدة . ومن جهة أخرى ، لوحقت نظم دينية تحت شبهة المتاجرة بالعملات والفسق الجنسي . وقامت حملة عنيفة في صحف الحزب ضد اولئك الذين يسمون « الرجال السود » أي رجال الدين .

إن عنف هذه الحملة جعل البابا بيوس الحادي عشر يتدخل أخيراً . وبالرغم

من نصائح أمين دولة البابا ، المونسنيور باتشيللي الذي يخشى القطيعة ، رأى بيوس الحادي عشر في آذار ١٩٣٧ أن من الواجب أن ينشر الرسالة البابوية (مع القلق الحارق) التي تؤلف شجباً واضحاً للغاية لعدد من المذاهب التي يعلمها القوميون - الاشتراكيون . تشهر الرسالة البابوية بالتحريفات التي أجريت في الكونكوردات ، وزوال الرابطات الكاثوليكية - وتشجب علناً الوثنية - الحديثة : إن الرب المسيحي لا يمكن أن يسجن في حدود دولة خاصة ، في أصول عرق خاص . وتذكر الرسالة البابوية ، من جهة أخرى ، بعدد من المبادئ الكاثوليكية ، مثل تفوق أسقف روما ، وتدعو الكاثوليك الألمان إلى الاستمرار في خدمة الحقيقة ، والكشف عن الخطأ ، مهما يكن شكله وحتى كلامه .

وأثارت الرسالة « مع القلق الحارق » ردود فعل عنيفة جداً في الأوساط النازية . وتم الاستيلاء على المطابع التي عرفت في ألمانيا النص الحبري . وأوقف عدد عظيم جداً من الشخصيات . وتحاشى هتلر ، في ١٩٣٨ ، الذهاب لرؤية البابا في روما ، أثناء إقامته في العاصمة الإيطالية ، ولو من أجل زيارة مجاملة بسيطة .

ومع ذلك يجب ألا يبالغ في أهمية هذه الرسالة البابوية ، وذلك لثلاثة أسباب .

- أولاً ، لأن الرسالة البابوية حررت بشكل معتدل للغاية ، متجنبة على الإطلاق كل شجب للنظام ، وحتى الشكل الجمعي لهذا النظام . والرسالة تعبر بالتالي عن الحد الأقصى لاحتجاجات الكرسي - الأقدس . وتدل على أن الكرسي - الأقدس لا يريد القطيعة مع الحكومة الألمانية .

- النقطة الثانية : لقد ظلت الرسالة البابوية حادثاً منعزلاً ، في تاريخ العلاقات بين الفاتيكان والرايخ . وبعد قليل من الزمن ، أعلن البابا رسالة

مخصصة لـدعم قضيـة فرنسـا في إسبـانيـا ، واعتبرت بـأنهـا تؤلف نوعـاً من معـادل لرسالة « مع القلق الحارق » .

- وأخيراً ، إن الأسقفية الألمانية لم تعتقد بأنه يجب استخدام الرسالـة لمتـابعـة نضالها ضد الحكومة . وترى بأنـه كان من المستحيل الـذهـاب ضـد التيـار . وإذا تبنت الأسقفية هذا الموقف ، فذلك في الجزء الأعظم منه بسبب نجاحات السياسـة الخارجية لهتلر في ذلك الحين .

لقد أعرب الرأي الكاثوليكي ، منذ ١٩٣٣ ، عن اتفاقـه مع سيـاسـة المستشـار الخـارجيـة . وأوصت الأسقفيـة بـالتصـويت « نعم » أثنـاء الإستفتـاء الشعبي في تشرين الثـاني ١٩٣٣ الـذي أيـد انسحـاب ألمـانيـا من عصبـة الأمم . وعلى العموم تقريباً تبعت الأسقفية في اتخاذ هـذا الموقف وكان ٩٠٪ من الأصوات في بـافـاريـا الكاثوليكية لصالح هذا الموقف . وظهر التعاون بين الأسقفية والسلطة بشكل أكثر وضوحاً أيضاً أثناء الاستفتاء لعودة إقليم السار إلى ألمانيـا في كانون الثـاني ١٩٣٥ . وفي قضيـة الاستفتـاء السـاري هـذه - نرى أن موقف الأسقفين المعينين المونسنيور بـورنيفـاسّر ، أسقف تريف من أجـل الجـزء البروسي من الســار ، والمـونسنيـور سباستيان ، أسقف سبير ، من أجل الجزء البافاري من الأرض الساريـة ، كان لـه تـأثير حـاسم . لأنـه يجب أن نضع أمـام أعيننـا أن الرأي الكاثوليكي السـاري كان مضطرباً بصورة عميقة بعملية « التطهير » في ٣٠ حزيران ١٩٣٤ . ويبدو أنه كان متردداً في أثر هذه الحوادث ، هذا فضلاً عن أن دعاية نشيطة قـامت بهـا الجريـدة الكاثوليكية « بريد السار الجديد » ضد عودة السار إلى ألمـانيـا النـازيـة : « نحن ألمان ، والسار ألمانية ، ولكننا نطـالب الكاثوليـك بـألا يصوتوا لصـالح العودة إلى ألمـانيـا النـازيـة » . ولكن الأسقفين اللـذين اتخـذا موقفها في السـابق ، ومراراً ، لعودة السار إلى ألمانيا ، تبنيا ، أثناء حملة الاستفتاء ، موقفاً محايداً ، وطلبـا في ٣

كانون الثاني ، وهما على المنبر ، قراءة رسالة اثني عشر خورياً ـ عميداً في البلاد . تذكر « بالحب والإخلاص الذي يجب علينا نحو شعبنا ووطننا » . وفي ٦ كانون الثاني ، قرئ من على المنبر أيضاً تصريح أسقفي ، حرره المونسنيور شولته ، مطرانِ كولونيا ، وفيه يقول : « إن مسعى ١٣ كانون الثاني . على كل أرض السار ، سيكون استفتاء بغية تقرير أن هذه الأرض الألمانية وسكانها سيظلون متعلقين بشكل أزلي بألمانيا . وما من ألماني حقيقي يريد أن يبقى لا مبالياً بهذا القرار » . ولا شك أيضاً في أن الحياد ، الذي تبنته البابوية في قضية الإستفتاء الساري هذه ، لم يخدم في آخر الأمر قضية المانيا . لأن الموقف الذي تبنته الكنيسة الكاثوليكية ، وبخاصة الأساقفة ، لا يوضح طبيعة التصويت ، أي الأكثرية التي أعربت عن نفسها لصالح العودة إلى ألمانيا ، ولكنه يوضح الطابع الكثيف لهذه الأكثرية ، التي تجاوزت ٩٠٪ لصالح عودة السار إلى ألمانيا .

وكان على الكنيسة الكاثوليكية ، في سياق السنوات التالية . أن تحافظ على موقفها الإيجابي حيال سياسة الرايخ الثالث الخارجية . فبمناسبة الاستفتاء على إعادة تسليح إقليم رينانيا ، في نيسان ١٩٣٦ . ـ هذا الاستفتاء الذي اتفق إجراؤه مع دور اضطهادات عنيفة ضد الكنيسة الكاثوليكية ـ رأت الأسقفية من غير المناسب اتخاذ موقف عام ، ولكن معظم الأساقفة طلبوا من رعاياهم التصويت بـ « نعم » . ومن جهة أخرى ، اتخذت الأسقفية ، خلال عدة مرات ، موقفاً لصالح تدخل الجيوش الألمانية في حرب اسبانيا . وقدمت الكفاح الذي قام ضد الجمهوريين كـ « نضال الخير ضد الشر » . وصرح مؤتمر فولدا ، في آب ١٩٣٦ : « إذا سقطت إسبانيا تحت النير الشيوعي ، فإن مستقبل أوربا معرض لخطر خطير . فهل يستطيع زعيمنا ، بعون الله ، أن يعمل على نجاح هذا المشروع العسير بفظاعته ، بعزم لا يتزعزع وبالإسهام الصادق من جميع الألمان » . وبعد أن قام المونسنيور فولابر بزيارة لهتلر في اوبرسالزبرغ في جبال الألب

البافارية ، هذه الزيارة التي على مايبدو أنها تركت في نفسه تأثيراً عظيماً جداً - نشر رسالة رعوية قرئت في ٣ كانون الثاني ١٩٣٧ ، وفيها أشار إلى ضرورة النضال المنضم من الدولة والكنيسة ضد البولشفية : « وبالتالي ، نحن ، أساقفتكم ، نختتم بهذا الوعظ والإرشاد : لا تدعوا أنفسكم مندفعين إلى عدم الرضى وإلى الاستياء بغير القانعين . إن حالة الرأي هذه تهيئ دوماً تربة خصبة للعواطف البولشفية » .

ووجدت الحالة أكثر توتراً أثناء ضم النمسا ، في آذار ١٩٣٨ . ففي ذلك الحين يرى أن مطران ڤيَنّا المونسنيور اينيتزر الذي كان زمناً طويلاً موالياً لاستقلال النمسا ، حتى إنه حث منذ عهد قريب الكاثوليك إلى الدفاع عن استقلالهم ، قد انضم فجأة إلى ضربة القوة الهتلرية وطلب من مؤمنيه ، أثناء استفتاء ١٠ نيسان ، التصويت للاتحاد مع ألمانيا . وهذا الموقف العجل كثيراً من قبل المونسنيور اينيتزر أغم روما كثيراً . فقد دعي الكاردينال إلى الفاتيكان وعنف تعنيفاً خطيراً . ولذا لم تجرأ الأسقفية الألمانية . على أثر حادث اينيتزر على اتخاذ إعلان مشترك لصالح استفتاء ١٠ نيسان ؛ حتى إن بعض الأساقفة رفضوا بهذه المناسبة أن يضعوا الصحافة الأبرشية في خدمة الدعاية النازية . وكانت هذه بخاصة حالة أسقف برلين الجديد ، الذي سيلعب في الاجل دوراً كبيراً ، كخصم للنازية ، وهو المونسنيور بريزينغ . ووجد أيضاً أسقف آخر وهو المونسنيور شبول ، أسقف راتسبون الذي رفض بصورة مكشوفة الإسهام بالاستفتاء . ولكن هذه الحالات كانت منعزلة . وعلى العموم وقفت الصحافة الأبرشية . إلى جانب الاستفتاء . أما الكهان الذين رفضوا الذهاب إلى صناديق الاستفتاء أو ألزموا مؤمنيهم بعدم الذهاب ، فقد كانوا موضع عقوبة من جانب رؤسائهم .

على أن الشرط المقيد الذي ظهر بالرغم من كل شيء ، أثناء ضم النمسا ، لم يحدث في السنة التالية ، بمناسبة تدمير الدولة التشيكوسلوفاكية . فقد أثارت

أزمة مونيخ رسالة شكر المونسنيور فولابر ، باسم مجموع الأسقفية الألمانية ، التي مدحت هتلر لإنقاذه السلام . وفي نيسان ١٩٣٩ ، بمناسبة الذكرى الخمسين لميلاد الفوهور (الزعيم) - وبعد بضعة أسابيع على احتلال الجيوش الألمانية براغ - هنأ المونسنيور برترام باسم مجموع الأسقفية الفوهرر على « طعنه الطعنة الأخيرة لتشيكوسلوفاكيا » واشتركت الكنائس بقرع الأجراس ، في هذا التاريخ ، لميلاد « الرايخ العظيم » .

ويجب أن نشير إلى أنه ، منذ شهر شباط ١٩٣٩ ، صدرت في فرنكفورت جريدة أسبوعية كاثوليكية جديدة تسمى « الإرادة الجديدة » تلح على ضرورة إقامة علاقات ودية بين الكاثوليكية الألمانية والحركة القومية - الاشتراكية ، تحت شعار « النظام الأوربي الجديد » الذي شرع هتلر بتشييده . ويبدو أن هذا الاتجاه في المصالحة كان مدعوماً بشدة من قبل البابا الجديد . بيوس الثاني عشر ، الذي خلف بيوس الحادي عشر ، الذي أظهر في السنوات الأخيرة من حياته ، مرارة كبرى إزاء النظام القومي - الإشتراكي . لقد أعرب البابا الجديد في رسالة إلى مستشار الرايخ « عن أمله الحار بأن يرى من جديد إقامة علاقات ودية مع ألمانيا » . ويذكر سفير ألمانيا لدى الكرسي - الأقدس ، فون برغن ، بالشكل التالي أول حديث له مع البابا الجديد : « لقد أشار البابا ، أثناء المقابلة ، بعد أن جددت له تهاني ، بأنني أول سفير يستقبله . وعلق كثيراً على تكليفي شخصياً بأن أعرب للفوهرر ومستشار الرايخ شكره العميق جداً ، وأضاف تمنياته الخالصة لسعادة الشعب الألماني الذي علمه كيف يقدره ويحبه كل يوم أكثر فأكثر ، خلال تجربة مديدة ، طوال نشاطه في مونيخ وفي برلين . لقد أعرب لي البابا عن تمنياته الحارة من أجل السلام بين الدولة والكنيسة . وكرر علي ذلك غالباً ، عندما كان أميناً للدولة . ولكنه بصفته بابا حرص اليوم على تأكيد ذلك بصراحة » .

وإذن أسهمت السياسة الخارجية في توكيد التحالف بين السلطتين . ولقد فعلت الأسقفية الألمانية كل إمكانها لتبرهن على أنها كانت على اتفاق مع سياسة هتلر الخارجية . وعلى مايبدو ، لم تطرح قضية معرفة ما إذا كانت هذه السياسة ستؤدي إلى الحرب ، ولا ما إذا كانت هذه الحرب ، المدبرة باسم أهداف التوسعية الألمانية ، ستكون حرباً عادلة أولا . وبهذا الواقع ، تجد نفسها عزلاء من السلاح كاملاً ، في اليوم الذي تحين فيه الحرب ، لتفرض وجهة نظر صحيحة على الأمة الألمانية .

ج) قضية علاقات الكنيسة الكاثوليكية والنازية

يبقى أن نفسر وأن نحكم على العوامل التي قيدت المجاراة العجيبة للكنيسة الكاثوليكية حيال النظام الهتلري ، ومحاولتها ، بالرغم من كل شيء ، الإبقاء على « الوضع الراهن » . ورفضها ، بالتالي الدخول في طريق الشهادة .

لقد وجد عدد من المؤرخين - والمؤرخين الكاثوليك - حاولوا تبرير موقف الأسقفية ، وبرهنوا عن حق ، على أن الكنيسة الكاثوليكية نجحت ، بالرغم من كل شيء ، في الحفاظ على نقاوة العقيدة بالنسبة للعقائدية النازية . والواقع أن السلطات الكنسية لم تعترف أبداً باحتكار الدولة للتربية ولم توافق أبداً على ممارسة التعقيم الإجباري ، كما لم تقبل الكنيسة أبداً بأن العرق يمكن أن يكفي لتأسيس أخلاق ، وأن تضحي لمصالح هذا العرق كل الاعتبارات الأخرى . وأكثر من ذلك ، وهذا ما وضحه هؤلاء المؤرخون ، أن الكنيسة الألمانية لم تقبل أبداً بأن تقبع وتقتصر على خدمة الكنيسة ، ولم تقبل أبداً بتحديد نشاطها على ممارسة العبادة ، والحفاظ على الطقوس . لقد أرادت دوماً أن تستمر في نفوذ تعليمها إلى الحياة السياسية ، وأن تحكم في كل القضايا التي تمس الأخلاق العامة . وكررت الأسقفية مراراً بأنه لا يمكن أن تتخلى عن مجموع هذه المبادئ . ولذا فإن هؤلاء المؤرخين ، استطاعوا أن يثبتوا أن الكنيسة ، إذا قامت ببعض التنازلات

التفصيلية ، فقد صانت الأساسي من المذهب الكاثوليكي . وقد وسعت هذه النظرية في كتاب مفعم بالمعلومات ، وهو « الصليب والصليب المعقوف » الذي صدر في ١٩٤٦ ، تحت إدارة **يوهان نويهاوسلر** ويشكل الموقف الرسمي الذي اتخذته الأسقفية الألمانية .

ومن جهة أخرى ، استطاعت الأسقفية ، بدفاعها ، أن تثبت أن مجموع المؤمنين لم يتبعوا موقف المقاومة الشديدة . وقد نصحت الأسقفية بالمقاومة مراراً مختلفة من قبل كاثوليك ، ولكن من قبل كاثوليك يعيشون دوماً في الخارج . وهذه بخاصة حالة صحافي عظيم وهو فالدمار غوريان في « الرسائل الألمانية » التي نشرها في لوسرن (في سويسرا) ؛ وأيضاً حالة اليسوعي فريد ريك موكرمان الذي نشر في هولاندا المجلة « الطريق الألماني » وفيه يعبر في الغالب جداً عن حزنه ودهشته أمام موقف بعض الأساقفة الألمان ؛ وأخيراً ، هذه حالة النشرة التي نشرها كاثوليكيون ألمان في المهجر ، في باريس تحت عنوان « الكفاح من أجل الحضارة » . وإن عدداً من المراقبين الأجانب ، الذين يعيشون في ألمانيا ، مثل المؤلف الكاثوليكي الانكليزي وليام تيلنغ المراقب الثاقب لحوادث ذلك العصر ، كانوا يفكرون بأن الأساقفة لو صلبوا موقفهم وتشددوا فيه لتبعهم عدد من الكاثوليك . ولكن يبدو أن الأساقفة حاكموا الأمور بشكل مغاير . ففي حزيران ١٩٣٥ ، كتب أسقف راتسبون إلى الكاردينال برتام ، أسقف بريسلو وعميد الهيئة الأسقفية الألمانية ، « إن وفاء الكاثوليك لن يقاوم المحنة » في حال القطيعة مع النظام . وقال المونسنيور فون غالن نفسه ، أسقف مونستر ، مراراً ، في محاضراته على أعضاء الاكليروس ، بأنه ينبغي ألا يعتمد على مقاومة الشعب الكاثوليكي .

ومع ذلك ، فإن هذه الإيضاحات وهذه التبريرات لا تأخذ بعين الإعتبار الحادث الأساسي ، وهو التعاطف الذي لا جدال فيه للقسم الأكبر من الأسقفية

الألمانية إزاء النازية . وهذا التعاطف النشيط كشف عنه كتاب غونترليفي عبر المحفوظات الأسقفية .

وما من شك في أن الأسقفية تأسف لبعض مظاهر العقائدية النازية . ولكنها ترى ، بالرغم من كل شيء ، بأن النظام يصنع خيراً لألمانيا ، لأنه دفاع ضد البولشفية وضد الإلحاد . وهما العدوان الأساسيان للشعب الألماني . ومن هنا ينجم الجهد المستمر من هذه الأسقفية لإيجاد صعيد للتفاهم مع النازية . إن إقامة علاقة بين الصليب المعقوف والصليب ، ومحاولة اللاهوتيين لتحقيق نوع من التركيب بين الجرمانية والنازية ، قد لوحقا باستمرار بين ١٩٣٣ و١٩٣٩ . وفي هذا الإعتبار ينبغي أن نشير إلى كتاب يمثل ذلك بخاصة وهو الكتاب اليدوي الذي يحمل هذا العنوان : « الكتاب اليدوي للقضايا الدينية المعاصرة » . الذي نشره في ١٩٣٧ ، المونسنيور غروبر ، مطران فريبورغ . وفي العصر نفسه ، تمكن النائب العام لأسقفية فورتزبورغ أن يكتب : « إذا أثقل كاهن بالاحتقار أو سخر من مفاهيم الدم والتراب والعرق ، فهو لا يتعرض للهجومات السياسية والملاحقات القضائية فحسب ، وإنما أيضاً يذنب ضد اللاهوت وضد الكنيسة ، لأن ما تعبر عنه هذه المفاهيم خاص بالثروة القومية الثمينة بخاصة ، التي أعطاناها الله وتمثل الأساس الطبيعي للرابطة فوق الطبيعية . لأننا إذا كنا مسيحيين وكاثوليك ، فذلك قبل كل شيء ، لأننا ولدنا ، بفضل الحكمة الإلهية ، في الوسط العائلي الذي هو وسطنا . يجب أن نساعد الشعب على أن يدخل في مفهومه للعالم الديني جميع هذه المفاهيم التي اقترحت عليه بحماسة عظيمة جداً » .

وهذا الموقف من الأسقفية ، موقف التعاطف حيال النازية ، يوضح في آخر المطاف سكوت الكنيسة أمام الجرائم التي يرتكبها النظام النازي . وهكذا لم يأت أي احتجاج من جانب الأسقفية بعد « تطهير » ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ، الذي كلف ، إلى جانب روم حياة العديد من الشخصيات الكاثوليكية ، مثل الدكتور ايريك

كلاوزينر ، زعيم العمل الكاثوليكي في برلين ، والذي لعب دوراً عظيماً في الدفاع عن الرابطات الكاثوليكية ، وآدم بروبست ، الذي كان زعيم الشبيبة الكاثوليكية . ولم يوجد بهذه المناسبة أي حركة احتجاج من الأسقفية . إلا أن المونسنيور فون غالن وحده تكلم بعد عامين ، في وعظه عن « القبور الحديثة العهد » التي يرقد فيها رماد أولئك الذين « ينظر إليهم الكاثوليك الألمان شهداء الإيمان » .

وأخطر من ذلك أيضاً الغياب الكلي للاحتجاج على معسكرات الاعتقال التي سجن فيها ، في وقت مبكر ، عدد من الكهان الكاثوليك . لقد كان الاهتمام الوحيد للأسقفية على هذا الصعيد الحفاظ أو محاولة الحفاظ في المعسكرات على سماع الاعتراف ، وهذا مالم تحصل عليه . وبالمقابل . إن أسقف اوسنابروك ، المونسنيور برنينغ ، عضو مجلس الدولة البروسية ، زار معسكرات الاعتقال في أبرشيته ، في ١٩٣٦ ، واثنى على نصبها .

وأخيراً ، إن الأساقفة ، في كل وقت وباستمرار ، ثبطوا كل نوع لمقاومة النظام ، واعتبروه تمرداً على الدولة وعلى السلطات الدينية معاً . وإن تصريح فولدا ، في آب ١٩٣٥ ، يحض المؤمنين على آلا ينجرفوا بالمقاومة . ولم يكن هذا التصريح إلا مثالاً بين أمثلة كثيرة أخرى . وكان يكرر باستمرار على الكاثوليك بأن عمل الثورة يتعارض مع الكنيسة الكاثوليكية التي تأمر باحترام السلطة المؤسسة على مشيئة الله .

وفي هذه الظروف هل توجد مقاومة كاثوليكية ضد الهتلرية ؟

لقد زعم غالباً لتبرير الغياب شبه الكامل للمقاومة ، أن هذه المقاومه كانت دون جدوى على الإطلاق . وهذا غير صحيح ، ففي مرات مختلفة كانت هذه المقاومة عندما تظهر تنجح في كبح السلطة ، على إعتبار أنها كانت تظهر طاقة

كافية . والحالة النموذجية هي حالة حزيران ١٩٣٦ ، عندما حررت الأسقفية البافارية رسالة جماعية لمنع الطرد غير الشعبي جداً في بافاريا ، الذي نال الراهبات اللائي يعلمن في المدارس العامة . وهذه الرسالة منعتها السلطات ، ولكنها مع ذلك قرئت على المنبر في جميع الكنائس وأجبرت الحكومة على التنازل تماماً . والحالة الثانية التي نجحت فيها المقاومة ، كانت حالة المونسنيور فون غالن . فقد عارض ، في تشرين الثاني ، قرار لاند اولدانبورغ بسحب الشعارات الدينية من جميع المباني العامة . وفي هذه الحالة أيضاً تراجعت السلطة أمام موقف الأسقف .

ولكن يجب الاعتراف بأن هذه المواقف كانت استثنائية . فقد اقتصرت مقاومة النظام ، في الأوساط الكاثوليكية ، على عدد من أعضاء الاكليروس الأدنى . ويشار في هذا الاعتبار إلى دور كاهن من برلين وهو برنارت ليشتانبرغ ، الذي كان عظيماً بخاصة ؛ أو رهبان نظاميين ، مثل اليسوعي روبرخت ماير الذي أوقف في أيار ١٩٣٧ . ومن المؤكد أن عدداً من الكهان الكاثوليك ، وبخاصة من أبرشيه كولونيا ، قد حبستهم السلطات النازية . ومن المستحيل ، وللأسف ، في هذه الظروف الحالية ، تحديد الأرقام . ومن المؤكد أيضاً أن المعارضة الكاثوليكية ظهرت في إطار الجماعات النقابية الكاثوليكية القديمة . وبخاصة بين التي كانت قد كافحت في كتلرهاوس كولونيا الذي كان واحداً من مراكز الحياة النقابية الكاثوليكية الألمانية قبل النازية . وكانت الشخصية المرموقة الهامة في هذا الاعتبار شخصية جاكوب كيزر الذي كانت له اتصالات مع عدد من الاجتماعيين ـ الديموقراطيين ، وفي وقت مبكر أيضاً ، مع الأوساط العسكرية المعادية للنظام وبخاصة مع بيك وغوردلر . ولكن هذه المقاومات كانت مقاومات فردية . إن الكنيسة الكاثوليكية ، كما هي ، دعمت النظام أو اتفقت معه ولم تحاول كفاحه .

الفصل الثامن

علاقات الكنيسة البروتستانتية والهتلرية

بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩[١]

وعلى نقيض ما مرّ في الكنيسة الكاثوليكية ، التي تتصرف بنظام تسلسلي موطد بقوة ، لايوجد أي نوع من الوحدة في الكنيسة البروتستانتية الألمانية . وتتألف هذه الكنيسة البروتستانتية في الواقع من ثمان وعشرين كنيسة ، لوثرية ومصلحة ، وأهمها كنيسة « اتحاد بروسيا القديم » (A.P.U) التي تضم وحدها ١٨ مليون عضو . وفي الواقع ، يوجد بين هذه الكنائس الألمانية المختلفة عدد من الهيئات المشتركة . ولكن يجب أن نوضح بخاصة استقلالها التام ، الذي يعترف به دستور فيار ، فيا يتعلق بالإيمان ، والتشكيل ، والإدارة . وإذن لايمكن الكلام عن كنائس دولة . وتؤلف الكنائس « أصنافاً للحق العام » :

وفي هذه الكنائس البروتستانتية ، نفذت العقائدية القومية ـ الاشتراكية في دور جمهورية فيار . ووجد ثلاثة تجمعات أساسية متعاطفة مع النازية : **الحركة المسيحية الألمانية** ، تحت إدارة الراعي (القس) فينكه ، **واتحاد الكنيسة الألمانية** ، وأهم شخصية فيه شخصية الراعي اندرسون ، وأخيراً **مسيحيو تورنجه الألمان** ، مع الراعي ديتر Dieter . وقد ألفت هذه الرابطات الثلاث « **حركة المسيحيين الألمان** » وكان على رأسها ، قبل وصول هتلر إلى

---

(١) راجع : H. Buchheim, Glaubenskrise, im Dritten Reich, (1953).

و : R. THALMAN, Protestantisme et National - Sacialisme (Revue d'histoire Moderne et Contemporaine, Paris, 1965

السلطة ، الراعي هوسنفولدر ، وأصله من سيليزيا ، وقد وجه تعليم الكنيسة ، في كتاب يسمى « توجيهات الحركة الدينية » نحو العقائدية القومية ـ الاشتراكية في العرق والفولكشتوم وحاول أن يدخل في الكنيسة « مبدأ الزعيم » وكافح في الكنيسة جميع التأثيرات المناصرة لليهود ، التي تأخذ مصدرها من العهد القديم . وكما قيل في العصر : « المسيحيون الألمان يريدون أنفسهم مسيحيين S.A »

١ ـ اضطراب الكنيسة الإنجيلية (١٩٣٣ ـ ١٩٣٥)

لقد أظهر الاكليروس البروتستانتي في كامله تقريباً رضىً ملحوظاً حيال وصول هتلر إلى السلطة . وفي البلاغ الذي أذاعه ، في ٨ آذار ١٩٣٣ ، القائد الأعلى للتخوم ، الدكتور اوتّو ديبليوس ، الذي لم يحتفظ طويلاً بضلاله في النظام ، لم يخف فرحه العميق « بالمنعطف الذي أنهى خمسة عشر عاماً من المرارة » . وأن تصريح كنيسة بافاريا المؤرخ في ١٦ آذار يستلهم من الروح نفسها : « إن دولة تبدأ بالحكم حسب قانون الله يمكن أن تكون مطمئنة لا من موافقة الكنيسة فحسب ، وإنما من تعاونها النشيط والفرح أيضاً » . « ولكن يجب ألا يذهب عن بال الكنيسة أنها تصدر عن نظام يختلف عن نظام الدولة » . (وهذا يشكل ، رغم كل شيء ، حيطة كاملة إزاء العبارة السابقة) .

وبصورة عامة ، كانت الأوساط البروتستانتية مجمعة على تحية انتصار النازية . وقد صرح فيما بعد المنظر كارل بارت ، أحد خصوم النظام : « إن من كان لايعتقد في ١٩٣٣ برسالة هتلر كان محكوماً عليه بالهلاك الأبدي (لعيناً) في صفوف الكنيسة البروتستانتية » . وإن الأكثرية الواسعة للرعاة الألمان ، القريبة قليلاً من ٧٠ إلى ٨٠٪ ، بالرغم من تبشيرهم بالإيمان بعدم الاهتمام بالسياسة ، كانوا محبذين للحزب القومي الألماني إلى الـ D.N.V.P. وكانوا متعلقين بالمفهوم اللوثيري ، وبموجبه ، الأمير مؤسسة أقامها الله . وهذا المفهوم يجعل من الطاعة

إلى السلطة (اوبريغكايت) قانوناً مطلقاً للمسيحي . وكانوا رجـالاً على الإطلاق محافظين وقوميين . ورأوا ، كالاسقفية الكاثوليكية ، في النازية ، حمـايـة نـافـذة ضد البولشفية والليبرالية والإلحاد .

إن قضية علاقات الكنيسة الإنجيلية والـدولـة القوميـة ـ الاشتراكيـة وضعت منذ شهر نيسان ١٩٣٣ بمناسبة المؤتمر الأول لـ « المسيحيين الألمـان » الـذي عقـد في برلين من ٣ إلى ١٠ نيسان ١٩٣٣ . ووضعت هذه المظاهرة تحت شعار له دلالتـه : « دولـة هتلر تـدعو الكنيسـة . على الكنيسـة أن تسمع هـذا النـداء » . وفي هـذه المظاهرة أفصح عن الأمنية بأن « كنيسـة الرايخ الإنجيليـة » قـد أنشئت . أي أن كنيسـة وضعت فوق الكنـائس الخـاصـة : كنيسـة الرايخ المرتبطـة بصورة عميقـة بالدولة . وقد استقبلت هذه الفكرة بصورة طبيعية في الأوساط النازية .

ومع ذلك ، عندما أريد تعيين الشخصية المكلفة بـإعـداد « كنيسـة الرايخ » هذه ، لم يقع اختيار هتلر . على هوسنفولـدر ، زعيم المسيحيين الألمـان ، كما يتوقع الرأي العام ، وإنما وقع على شخصية غامضة . وهو المرشد الديني العسكري القـديم من بروسيـا الشرقيـة وهو الـدكتور لودفيغ موللر الـذي كان بـاصـولـه وبصـلاتـه الشخصية وقناعاته الدينية ، قريباً جداً من الأوساط المحـافظـة ، وكان هتلر منـذ زمن طويل جـداً يكن لـه بعض الـود والصـداقـة . وفكر كل من هتلر ولـودفيـغ موللر أن الكنيسـة الانغليكانيـة التـابعـة للـدولـة ، كما تعمل في انكلترا ، يجب أن تخدم كنموذج للكنيسة الألمانية الجديدة . وكان كل منهما يحبذ مـا يمكن أن يسمى ، « بروتستانتيـة الـدولـة » . ومن الواضح أن هتلر كان يريـد من تسميـة موللر أن يدخل العقائدية القومية ـ الاشتراكية في الأوساط البروتستانتية الألمانيـة . ولكن يبدو ، في ذلك العصر على الأقل ، أنـه كان يحـذر من « المسيحيين الألمـان » وأراد أن يداري ، في الكنيسة ، العناصر المحـافظـة والمتعلقـة بـالإيمـان الحنيف . إذ من الممكن إجراء مقارنة بين أول سياسة دينية لهتلر ، وموقفه حيال الجيش ، عنـدمـا

وقف في ذلك الحين ، وأثناء عدة سنوات أيضاً ، ضد الأوساط « S.A. » ومع الأوساط العسكرية المحافظة . ووجد نوع من موازاة بين سياسته حيال الكنيسة وسياسته إزاء الجيش .

ومن الواضح أن تسمية موللر كان لها دوي هام في داخل الأوساط البروتستانتية . فقد استاء من ذلك بشدة الجناح الراديكالي للمسيحيين الألمان الذي أخذ يشتم موللر . وبالمقابل - وضد المسيحيين الألمان - يرى نمو الحركة التي تسمى حركة « الشباب المصلحين » . وهي تجمع من اللاهوتيين والرعاة والرابطات الإنجيلية ، المتعلقة ، بالرغم من موقفها الأساسي المؤيد للقومية - الاشتراكية ، بالحرية الدينية التي أرادوا الدفاع عنها ضد اعتداءات سلطة الدولة . وتتضح . بشدة حركة الشباب المصلحين في آن واحد ضد اتجاهات الماركسية الملحدة وضد الوثنية الجديدة التي أراد المسيحيون الألمان تأسيسها .

ظهر الخلاف بين هذين الاتجاهين عندما أريد تعيين الزعيم الروحي لكنيسة الرايخ الجديدة . ووقع اختيار ممثلي الكنائس المجتمعين في ايزناخ على رجل ينتسب لحركة الشباب المصلحين ، وهو الراعي فريدريك فون بودلشفينغ الذي فضل ، كزعيم للكنيسة الجديدة ، على لودفيغ موللر . وكان بودلشفينغ شخصية خرجت من الأوساط التبشيرية الألمانية ، واعتبر فكراً متجهاً نحو الاهتمامات الدينية وحدها ، ومتعلقاً باستقلال الكنيسة . وتسمية بودلشفينغ اشعلت النار بالبارود وافتتحت العداء .

وفي الواقع ، تصلبت الجبهات غداة انتخاب بودلشفينغ . فقد اعلم لودفيغ موللر بالحال بأنه لن يعترف بأسقف الرايخ الجديد . لأن هذا الأسقف منتخب ممثلي الكنائس وليس ممثلاً لجمهور المؤمنين أنفسهم . وبمقاومة مولر تشجع أنصار هولسنفولدر ، المسيحيون الألمان ، ونظموا مظاهرات جماهيرية تساندها الأوساط النازية .

وعندئذ سمت الحكومة مديراً جديداً للشؤون الثقافية بشخص الدكتور اوغست يغر واستطاع هذا بفضل غيرته النازية الحديثة العهد وثقافته الحقوقية أن يرقى بسرعة في الجهاز الجديد للدولة . فقد كان اوغست يغر ابن مشاور لمجمع الرعاة البروتستانت ، وكان يعرف صغريات أجهزة الإدارة الكنسية كما عرف كيف يغطي ، بدلائل حقوقية ، تدخل الدولة في الشؤون الداخلية للكنيسة . ومنذ ذلك الحين يرى النصر السريع للمسيحيين الألمان . أما الأسقف بودلشفينغ فقد حرمه يغر من كل جهاز إداري ، واضطر للاستقالة ، وفي ١٤ تموز ١٩٣٣ ظهر دستور جديد للكنيسة الإنجيلية الألمانية - دستور يعتمد على « مبدأ الزعيم » . ووجد على رأس هذه الكنيسة « أسقف لوثري للرايخ » يعينه المجمع القومي ، وتحت سلطة أسقف الرايخ هذا يوجد سبع وعشرون أسقفاً إقليمياً » تنتخبهم المجامع الإقليمية .

وحددت الانتخابات لتشكيل المجامع الكنسية في ٢٣ تموز . ووضع النازيون كامل جهاز الحزب للعمل لصالح المسيحيين الألمان . وتدخل هتلر نفسه عشية الانتخابات لصالح المرشحين الذي ينتسبون إلى وسط المسيحيين الألمان . وكانت النتيجة ماكان متوقعاً : فقد حصل المسيحيون الألمان ، وسطياً ، على ٧٥٪ من المقاعد . وانعقد المجمع العام في بروسيا غداة هذه الانتخابات ، واتخذ بالحال عدداً من الاجراءات البالغة الخطورة ، وقسم ، مثلاً ، البلاد إلى عشر أسقفيات وسمي أصحابها مباشرة - وهذا يفترض حذفاً فظاً لقدامى كبار الرؤساء الدينيين الذين طردوا من وظائفهم . وعزل الموظفون الكنسيون الذين لم يقدموا ضمانات كافية من الولاء . وحرمت الوظائف الدينية على الرعاة غير الآريين أو المتزوجين بغير آريات . وفي هذا العمل أدخل التشريع العرقي في الكنيسة الإنجيلية . ويجب أن نشير إلى أن أياً من الأساقفة الإقليميين الآخرين لم يبد أقل مقاومة . وأخيراً ، في ٢٧ أيلول ١٩٣٣ ، انتخب لودفيغ موللر بالاجماع أسقفاً للرايخ . وبعد أيام

قلائل . اطلق أسقف الرايخ الجديد ، بمناسبة الذكرى الـ ٤٥٠ لميلاد المصلح مارتن لوثير (١٤٨٣ - ١٥٤٦) ، نداءً عاماً ، حض فيه المؤمنين البروتستانت على الاتحاد في ذكرى المصلح ، والبرهان على تعلقهم بالمستشار وبسياسته ، اللذين ، كما قال ، « هبات حقيقية من الله » ، وأخيراً القيام بعملهم الوطني بغية النهوض بألمانيا . ومن الممكن أن نفكر ، في آخر أيلول ١٩٣٣ - وهذا هو الحين الذي أحرز فيه هتلر على نجاحات كبيرة على الصعيد الكاثوليكي ، إذ في هذا الحين وقعت الكونكوردات ووضعت في حيز التطبيق - بأن تحالف الكنيسة الإنجيلية والدولة النازية قد التحم تماماً .

ومع ذلك فقد ظهرت بسرعة في هذه المنظومة مثالب خطيرة للغاية دلت على ضعف العمل الذي قامت به الحكومة الألمانية .

وفي الواقع ، ظهر بسرعة أن موقع الأسقف موللر لم يكن جذرياً بكفاية لعدد من المسيحيين الألمان . وأن موللر يحرص على ضمان حماية الدولة لعدد من الموظفين الكنسيين ، حتى ولو أن هؤلاء لا ينتسبون إلى أوساط « المسيحيين الألمان » وارتسمت بسرعة جداً معارضة ضد موللر ووجد على رأسها هوسنفولدر . وفي هذه الظروف ، وبفظاظة قام عضو من كنيسة المسيحيين الألمان ، وهو الدكتور رينولد كراوزه ، الذي كان مرتبطاً شخصياً بروزانبرغ ، وألقى ، في ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٣ ، في قصر الألعاب في برلين ، خطاباً انتقد فيه لين موجهي كنيسة الرايخ وطالب فيه المباشرة بإصلاح ثان يحرر البروتستانتية من « الكتاب المقدس ومن العبادة » . ووجهت في هذا الخطاب هجمات عنيفة ضد « العهد القديم » ، « بأخلاقه اليهودية في الثواب ، وقصص التجار ، والأنعام والسفلة » . ويصرح كراوزه يجب الإكتفاء بـ « بتأليه مسيح بطلي ، وبإيمان جرماني محض » . وأثار هذا الخطاب المشين رد فعل عنيف جداً في بعض الأوساط الألمانية . وقرر الأسقف موللر عزل الدكتور كراوزه وطرده من « طائفة

المسيحيين الألمان » . وكان لخطاب قصر الألعاب نتيجة في إثارة القطيعة في داخل حركة المسيحيين الألمان ، بإظهاره في داخلها اتجاهين : الأول معتدل ، ويرتبط بالرغم من كل شيء بالإيمان التقليدي ، والآخر جذري ينزع إلى تأليه وثني - حديث لشخصية المسيح .

وفي هذه الظروف نتساءل ما هو مصير مختلف أحزاب الكنيسة الإنجيلية الألمانية ؟

لقد التحق الجزء الراديكالي (الجذري) للمسيحيين الألمان ، أمام تصريحات الدكتور كراوزه ، **بحركة الإيمان الألماني** ، الحركة التي أسسها منذ قليل ، انطلاقاً من عدد من الجماعات الصغيرة ، الراعي جاكوب ولهلم هاور . وكان هاور هذا لاهونياً ، ومبشراً زمناً طويلاً في الهند ، واهتم فيها بالقضايا العرقية وأصبح متخصصاً بقضايا التاريخ الديني في الشرق . وهو شخصية معقدة ، ويستحق الاهتمام . ويبدو أنه أخذ ، بعض الوقت ، بأفكار غاندي وبمبدأ اللاعنف . وفي حزيران ١٩٢٣ ، أسس « **جمعية شغل الإيمان الألماني** » التي ضمت ، بشكل يلفت النظر ، رابطات عرقية ومنظمات المفكرين الأحرار والذين لسان حالهم الأساسي مجلة « الدرشبروخ » التي أصبحت احدى مجلات الكفاح ضد المسيحية . واستطاع هاور ، في حركة الإيمان الألماني هذه ، أن يجمع حوله عدداً من الشخصيات المعتبرة ، مثل الكونت روفنتلو الذي اتصل عن كثب بلودندورف ، ولكن ، يجب أن نذكر ، أنه لم يحصل على الاتفاق التام والمساندة الكاملة للحزب القومي - الاشتراكي .

واذا انضم المسيحيون الألمان المتطرفون إلى حركة هاور ، فبالمقابل يرى أن عدداً عظيماً من الكنسيين ، الذين قلقوا بعمق من مظاهرة قصر الألعاب ، سجلوا تدريجياً ابتعادهم حيال المسيحيين الألمان واقبلوا نحو الحركات الأصلية الحنيفة .

وحاول هوسنفولدر ، زعيم المسيحيين الألمان . أثناء المؤتمر الذي عقد في فيار ، في تشرين الثاني ١٩٣٣ ، أن يعيد الالتحام بين مختلف فروع الحركة . وفي الواقع ، أنكر عليه عمله عدد عظيم من الجمعيات الإنجيلية والرعاة واللاهوتيين . وفي تشرين الثاني ، أعلم أساقفة الكنائس اللوثرية في بافاريا ، وفرتامبرغ ، وهانوفر . وتورنجه . واولدانبورغ ، وهامبورغ ، وباد ، إلى أسقف الرايخ ، موللر ، بأن كنائسهم نزعت تضامنها تماماً مع هوسنفولدر ، وهذا يعني المسيحيين الألمان ، و « جمعية غنادو » التي تضم شخصيات معتبرة في الأوساط التبشيرية اللوثرية الألمانية ـ وهي جمعية أسسها أهل التقوى الرينانيون في ١٨٩٧ ، وتمتعت بجاه عظيم جداً ـ أعلنت جهاراً قطيعتها مع حركة المسيحيين الألمان واتهمتها بأنها جرفتها « في طريق معاكس للكنيسة » . والموقف المميز ، في هذا الاعتبار ، كان الموقف الذي اتخذه أستاذ اللاهوت في جامعة غوتنغن ، إيمانوئيل هيرش ، وكان في السابق نازياً ، فقد رفض اطلاقاً تبطيل (جعله بطلاً) شخصية المسيح . وشجب علناً طرد اليهود الصابئين من الكنيسة البروتستانتية .

ويبدو بالتالي أن تجاوزات بعض العناصر الراديكاليين ردت الى حنيفية الدين عدداً عظيماً من **المسيحيين الألمان** . ومن البديهي أن هذا لايعني من جانبهم عداءً منظماً ضد النظام . وإنما إرادة عدد عظيم من البروتستانت في إنقاذ استقلال الكنيسة إزاء الدولة . وعلى هذا الصعيد في الدفاع عن استقلال الكنيسة ، تأسس في الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٣٣ ، فريق صغير ، وإنما نشيط بخاصة ، يسمى « فريق الدفاع عن الرعاة » . وهذا الفريق الذي جمع أعضاءه من الأوساط التي كانت تنتسب إلى حركة الشبيبة المصلحين ، كان على رأسه الراعي مارتن نيوللر الذي يمارس وظائفه في خورية برلين ـ دالم . وكان نيموللر في حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ضابطاً في البحرية . وقاد غواصة . وكان مشايعاً للنازية في

١٩٣٣ ، عندما استلم هتلر السلطة . وفريق الدفاع عن الرعاة هو الذي سيؤلف نواة ماسمي في ألمانيا ، انطلاقاً من هذا التاريخ ، « **الكنيسة المعترفة** » والكنيسة المعترفة هي التي رفضت حالاً الاعتراف بالمجمع الذي انتخب الدكتور موللر أسقفاً للرايخ ، وجعلت رسالتها الدفاع عن استقلال الكنيسة وسلامة الإيمان . ومنذ آخر سنة ١٩٣٣ ، ضم اتحاد الدفاع عن الرعاة نحو ستة آلاف راع ألماني . وتبنت على الصعيد الديني ، مواقف اللاهوتي السويسري **كارل بارت** الذي اضطر منذ ١٩٣٣ إلى التخلي عن كرسيه كأستاذ في كلية اللاهوت في بون ، ولجأ إلى سويسرا . وفي مجمع عام عقد ، في أيار ١٩٣٤ ، في بارمن ، وهي مدينة لها تقاليدها البروتستانتية القديمة ولاسيا في أوساط أهل التقوى ، اعلنت الكنيسة المعترفة بأنها الكنيسة القانونية الوحيدة في ألمانيا ، وأقامت « حكومة موقتة » لهذه الكنيسة . وكان هدفها الحفاظ على نقاوة الإيمان الإنجيلي ضد جميع الأخطاء التي صنعتها الوثنية - الحديثة ، والمعارضة بكل قواها لمزاعم الدولة الجمعية . وانعقد مجمع بارمن في جو من الحماسة ، وفي إقبال شعبي عظيم جداً جاء بخاصة من الكتل الريفية والعمالية في منطقة نهر الرور ، وكل منطقة رينانيا ووستفاليا .

وبالتالي ، نجدنا ، بعد بضعة أشهر على انتخاب لودفيغ موللر ، أمام انقسام عميق للغاية في داخل الكنيسة البروتستانتية وبدا الراعي موللر ، أسقف الرايخ غير قادر بصورة مطلقة على حل قضايا دمج الكنيسة البروتستانتية في الدولة القومية - الاشتراكية . ومن الممكن القول إنه يلاحظ ، في منتصف سنة ١٩٣٤ إخفاق كلي لسياسة الرايخ الثالث في السيطرة على الكنيسة البروتستانتية .

٢ - اضطهاد الكنيسة المعترفة (١٩٣٥ - ١٩٣٩)

ومالبث الكفاح أن نشب بين السلطات الهتلرية والكنيسة المعترفة .

منذ سنة ١٩٣٤ ، تكاثرت الخلافات بين السلطات الانجيلية الممثلة بالدكتور

موللر ، و « الرعاة المعترفين » . وقعت هذه الخلافات بصورة أساسية على النقاط التالية : قضية دستور وتنظيم الكنيسة ؛ يمين الولاء الشخصي لهتلر التي يجب أن يقسمها الرعاة ؛ وأخيراً تطبيق « البنود الآرية » . واتخذت إجراءات تأديبية مراراً مختلفة ضد عدد من الأساقفة اللوثريين المتعاطفين مع « الكنيسة المعترفة » ، وبخاصة ضد الراعي فورم - اسقف فرتامبرغ ، وضد الدكتور مايزر أسقف بافاريا . وقد سجن هذان الأسقفان مراراً ، ولكن كان يطلق سراحهما في كل مرة ، أمام مظاهرات شعبية ضخمة فائقة للعادة قامت في شتوتغارت وفي مونيخ . وفي ١٩٣٥ وجد سبعمائة راع سجين .

وكان الحادث الأساسي للمقاومة القرارات التي اتخذها مجمع الكنيسة المعترفة لـ « الاتحاد البروسي القديم » ومنه ساقت (جمعت) الكنيسة المعترفة معظم المنتسبين لها . وفي قرارات آذار ١٩٣٥ صرحت الكنيسة المعترفة بقولها : « نرى شعبنا مهدداً بخطر مميت . وهذا الخطر يكمن في مؤسسة لدين جديد يعتمد على الدم والعرق » . وعرف المجمع بشكل واضح حدود الطاعة المتوجبة على المسيحي للسلطات المدنية ، أي حق المقاومة لسلطة تخالف الدين .

ماموقف الحكومة أمام هذه المعارضة ؟ يجب في هذا الاعتبار تمييز مرحلتين :

في المرحلة الأولى ، حاولت الحكومة الهتلرية أن تفرق الكنيسة المعترفة . ففي تموز ١٩٣٥ ، عين هتلر وزيراً مكلفاً بالشؤون الدينية ، وكان أحد معاونيه السابقين واسمه **هانس كيرل** ، ومهمته محاولة توطيد النظام في الوجدان الانجيلي . وكان كيرل رجلاً حذراً ، ونازياً معتدلاً . ويبدو أن تسميته استقبلت بارتياح في مجموع الأوساط الإنجيلية الألمانية . وكانت الغاية التي يتابعها كيرل أن يجعل مختلف أحزاب الكنيسة البروتستانتية تتعاون معاً في داخل « لجان

كنسيـة » تقوم مقـام سلطـة أسقف الرايـخ ، الـدكتـور مـوللر . وعلى رأس هـذه اللجان وضع كيرل راعياً محترمـاً ، الـدكتور تسولنر ، وكان يلقى تعـاطفـاً عـامـاً تقريباً من الأوساط الإنجيلية الألمانية .

وقـد أحرزت سيـاسـة كيرل في البـدء بعض النجـاح . وفي الـواقـع انقسمت الكنيسـة المعترفـة في مـوضـوع التعـاون في داخـل اللجـان الكنسيـة . إن بعض الكنـائس ، الكنـائس التي كانت مـؤسسـة بصـورة أصلب من غيرهـا ، ولم يمسهـا الاضطهاد ، كنائس فورتامبرغ ، وبافاريا ، وهانوفر بخاصة ، قبلت التعـاون في هذه اللجـان الكنسيـة وألفت مـايسمى « مجلس الكنيسـة الإنجيليـة اللوثريـة » ـ ووضعت شروطـاً لهـذا التعـاون . ولكن كنـائس أخرى ولا سيا كنـائس اتحـاد بروسيا القديم ، التي يدعمها نيموللر ، رفضت الإسهام في عمل اللجان .

وعرف الفريـق المقـاوم ، بمـذكرة وجهت شخصيـاً لهتلر ، في أيـار ١٩٣٦ ، معـارضتـه الصريحـة حيـال النظـام الهتلري . وشهر بوضوح لايجـارى كل مـاكان يفصل النظام الهتلري عن المفاهيم المسيحية ، ولاسيا عداءه للسامية ، والإرهـاب الذي ران بواسطة الغستابو ، واحتقاره الكلي للحق وللشخص الإنساني ، وهكـذا شجبت مـذكرة أيـار ١٩٣٦ ، الـدولـة الجمعيـة ، بشكل لايقبـل النقـاش على الإطلاق .

لقد أثار نشر هذه المذكرة ، في الصحافة الأجنبية ، هياجاً عظيماً في ألمانيـا ، وخلق مرحلـة جـديـدة كانت في هـذه المرة **مرحلـة اضطهـاد ضـد الكنيسـة المعترفـة** . ففي غـداة نشر هـذه المـذكرة أوقف عـدد من الرعـاة المنتسبين إلى الكنيسة المعترفة وسيقوا إلى معسكر الاعتقال في **زاخسنهـاوزن** وصودرت أموال الكنيسـة المعترفـة في كل مكان تقريبـاً . وأوقفت سيـاسـة التنـازلات أو التوفيـق والمصالحة التي طبقها كيرل عند استلامـه السلطـة . وحـذفت اللجـان الكنسيـة ، وإستقال تسولنر .

وبلغت نقطة الذروة في الخلاف في حزيران ١٩٣٧ ، عندما أوقف الغستابو عدة شخصيات - علمانية وكنسية - تنتسب إلى الكنيسة المعترفة ، أثناء مؤتمر كانت تعقده في برلين . ففي الأول من تموز ١٩٣٧ ، أوقف نيموللر نفسه واقتيد إلى سجن مؤابيت . فقد قال قبل بضعة أيام أثناء آخر وعظ له في كنيسة دالم : « إننا لا نفكر أبداً في استعمال سلطاتنا الخاصة للفرار من إساءات السلطة كما كان يفعل الحواريون في الماضي ، ولسنا مستعدين للبقاء ساكتين على نظام الإنسان عندما يأمرنا الله بالكلام ، لأن الأحرى بنا اليوم ودوماً الطاعة لله لا للإنسان » . وبعد سجن ثمانية أشهر ، حاكمت ، في آذار ١٩٣٨ ، محكمة خاصة للدولة نيموللر وحكمت عليه بالسجن سبعة أشهر ، لأنه « أساء استعمال كرسيه » . وبعد أن قضى المدة المقررة في السجن أطلق سراحه بالحال ، وعند خروجه قبض عليه الغستابو ، واقتيد إلى زاخسنهاوزن ، ثم إلى داخاو ، ولم يحرر إلا بمجيء جيوش الحلفاء ، في ١٩٤٥ . وفي آخر سنة ١٩٣٧ ، أوقف ثمانمائة راع وعلماني مشهورين بأمر من السلطات النازية ، وكان فيهم مائة وعشرون راعياً برلينياً . وصدرت عدة قرارات جعلت من المستحيل تقريباً ممارسة النشاطات الكنسية في الكنيسة المعترفة ، وبخاصة تحريم جمع الهبات والتبرعات .

ومع ذلك ، يجب أن نشير إلى أن الحكومة ترددت أمام سياسة القمع المعمم إزاء الكنيسة المعترفة . لقد اتخذت تدابير تفصيلية ، ولكن الحكومة لم تشأ أن تطلق نفسها في سياسة قمع عامة . ويبدو أن هتلر ، إذا أخذنا بحديث له على المائدة ، فكر بأن الكفاح من أجل الحضارة المكشوف ضد الكنيسة البروتستانتية سيكون خطراً على النظام ، وعلى الأقل ، حتى النصر التام للنظام على أعدائه الخارجيين .

وأمام هذا الاضطهاد الذي كانت الكنيسة المعترفة هدفاً له ، كان موقف

الأوساط البروتستانتية الأخرى مختلفاً . فقد عقد عدة رعاة ، وعلى رأسهم الدكتور فورم ، أسقف فرتامبرغ ، في تموز ١٩٣٧ في كاسّل ، اجتماعاً عرف تحت الاسم « اجتماع لجنة كاسّل المختصة » وشددت هذه اللجنة المختصة على ضرورة الحفاظ على استقلال الكنيسة ، والنضال ضد الاتجاهات الوثنية ، في داخل القومية - الاشتراكية .

ومع ذلك ، إذا اتخذت لجنة كاسل المختصة موقفاً واضحاً جداً ، فإن نجاحات سياسة هتلر الخارجية في ١٩٣٨ : ضم النمسا وتدمير الدولة التشيكوسلوفاكية أضعفت المقاومة ، في داخل الأوساط الكنسية البروتستانتية . فقد ألح الدكتور فورم ، في مذكرة ١٨ نيسان ١٩٣٨ ، على ضرورة اتفاق مباشر بين السلطات الكنسية الإنجيلية والدولة الألمانية . وقبل بعض الأحبار الإنجيليين ، مثل مارارين ، أسقف هانوفر ، مبدأ اليمين الشخصية للفوهرر . وأقسم هذه اليمين عدد عظيم جداً من الكنسيين . وضعفت حالة المقاومين برسالة الأستاذ كارل بارتْ اللاجئ في بال ، في سويسرا ، التي وجهها في ذلك الحين إلى الأسقفية الإنجيلية التشيكية ، أثناء أزمة السوديت ، هذه الرسالة التي أخذ فيها موقفاً مكشوفاً من أجل قضية التشيكيين ضد قضية الألمان . ومن المؤكد أن رسالة الأستاذ بارتْ أحدثت تأثيراً أليماً على عدد كبير جداً من الرعاة الألمان الذين ظلوا وطنيين . وتبع ذلك ، بالتالي ، في السنة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، بعض النقص في التوتر بين الكنيسة الإنجيلية والدولة . وحاول الدكتور كيرل ، الذي كان وزير العبادات ، في آخر سنة ١٩٣٨ ، أن يفيد من هذا الوضع ، ليفرض على الكنيسة الإنجيلية ، وجهة النظر القومية - الاشتراكية . وبهذه المناسبة أنشئ « معهد البحث عن التأثير اليهودي على الحياة الدينية الألمانية » الذي وضع تحت إدارة ، « مسيحي ألماني » قديم قدّم للنظام خدمات كبيرة جداً ، وهو الدكتور ليفلر . ومن جهة أخرى ، أعدت مصالح كيرل نوعاً من مذكرة تشكل نظاماً

جديداً للكنيسة البروتستانتية مؤلفاً من ست نقاط ، ويريد من ذلك ادخال العقائدية القومية - الاشتراكية في الكنيسة البروتستانتية . ولكن يجب الاعتراف أيضاً بأن محاولات الدكتور كيرل لم تحصل أيضاً على أي نتيجة عندما نشبت الحرب العالمية الثانية .

إن نقص المقاومة الكنسية ، في آخر سنة ١٩٣٨ وبداية سنة ١٩٣٩ ، لا يعني زوال الكنيسة المعترفة . لا ولا نقص قابليتها للكفاح . لقد ظلت الكنيسة المعترفة ، في وسط الاضطهاد ، تحيا حياة نشيطة عبرت عنه مثلاً . أثناء المؤتمر السري الذي عقدته في هالّه في أيار ١٩٣٧ ، في إيضاح عدة تجارب ليتورجيه مخصصة للتقريب بين الكنيسة البروتستانتية من الديانة الكاثوليكية ، على صعيد تضحية القداس والأفخارستيا (سر القربان المقدس) . ومن جهة أخرى - وهذا على الصعيد السياسي - أقيم في ٣٠ ايلول ١٩٣٨ ، في كنيسة المسيح ، في دالم قداس ديني غرضه « ذنب الشعب الألماني » - وقد جرى هذا الاحتفال أثناء أزمة السوديت - وأخذت دلالته صفة سياسية بشكل واضح جداً ، وقد حضر هذا الاحتفال عدد كبير من ضباط الجيش الألماني ، وكبار الموظفين ، وأخذ في ذلك الحين صورة ظاهرة مميزة ضد النظام الهتلري . ويجب أن نشير أن قدرة حركة الكنيسة المعترفة وبخاصة في داخل اتحاد بروسيا القديمة - ظلت قوية للغاية ، وجذبت بخاصة في ذلك الحين أيضاً ، في وسط الاضطهاد ، عدداً عظيماً من اللاهوتيين والرعاة والشباب المؤمنين .

تفسير الحوادث والمواقف

بقي أن نحاول تفسير هذه الحوادث ، وإيضاح هذه المواقف المختلفة التي تبنتها الأوساط البروتستانتية حيال الرايخ الثالث .

من البديهي ، أنه من العسير للغاية معرفة كيف كان موقف الشعب البروتستانتي ، والمؤمنين ، والمبشرين بالإنجيل ، في ألمانيا . ويبدو ، حسب التحقيقات المحلية التي أجريت ، أن معظم الرعاة ، والأكثرية العريضة من المؤمنين والعلمانيين ظلوا محايدين بين الموقفين المتطرفين اللذين تبناهما المسيحيون الألمان من جهة ، والكنيسة المعترفة ، من جهة أخرى . لقد حاولت أكثرية المؤمنين العريضة أن توفق بين مشايعتها للنظام والدفاع عن الإيمان على أمل إيجاد حل وسط نهائياً يساعدهم على قضاء حياة دينية سلمية في داخل الرايخ الثالث .

ومع ذلك ، تجب الإشارة إلى أن نزع المسيحية الذي تمنته الحكومة علناً ، لم يعط ، على ما يبدو ، في داخل الكنيسة البروتستانتية ، إلا نتائج ضعيفة جداً[1] . ففي برلين مثلاً ، كان الشعب البروتستانتي ، الذي يدفع ضرائب للكنيسة ، ٧١ ٪ في ١٩٣٣ ، وهو أيضاً ٧٠ ٪ في ١٩٣٨ . وهذا يدل بالتالي ، على أن عدد المؤمنين الذين خرجوا من الكنيسة ، تحت تأثير العقائدية السياسية ، كان ضعيفاً للغاية . وذهبت دراسات إلى أبعد من ذلك ، وبرهنت بأن قسماً كبيراً من جيش الـ S. A. والـ S. S. ، بقي متعلقاً بالكنيسة بالرغم من مواقعه السياسية .

وخارج هذا الجمهور الذي ظل محايداً وتجنب تعريض نفسه للخطر ، نجدنا أمام اتجاهين مسيطرين : اتجاه الراديكاليين الذين اتجهوا شطر المسيحيين الألمان ، واتجاه الأحناف (الأورثودوكس) الذين شايعوا الكنيسة المعترفة .

ومن المؤكد ، للكلام عن الأولين ، إن اللوثرية شجعت في الجماهير البروتستانتية ، تنمية العقائدية القومية - الاشتراكية . وفي الواقع ، إن الفلسفة

---

(١) راجع : F. Zipfel, Kirchenk ampf in Deutschland (1965)

السياسية التي نجمت عن تبشير لوثر وتميز بين الكنيسة اللامرئية وكنيسة هذا العالم ، وتكون فيها الطاعة للسلطة فضيلة دينية ، شجعت مذهب الطاعة غير المشروطة إلى ما يسمى « اوبريغكايت » أي السلطة . ومن جهة أخرى ، إن فكر لوثير كان مشجعاً لبعض العداء للسامية . وهذا العداء للسامية كان ، بالبداهة ، إحدى صفات الاتحاد بين البروتستانتية والقومية ـ الاشتراكية . فلا عجب إذن إذا شايع عدد عظيم من البروتستانت النظام القومي ـ الاشتراكي واصطف في معسكر المسيحيين الألمان . وفي هذا الاعتبار ، كان اللوثريون أقل منعاً من الكاثوليك ضد دعاية العقائدية النازية .

ومن الصحيح أيضاً أن المقاومة إزاء العقائدية النازية كانت أشد بشكل لا متناه في داخل البروتستانتية منها في داخل الكاثوليكية . إذ يلاحظ ردة عدد عظيم من الرعاة ونخبة المؤمنين الذي قطعوا صلتهم بالتقاليد وبأشكال النظر العادية وانحازوا أخيراً لمذهب المقاومة حيال السلطة ، الذي كان معاكساً إطلاقاً للتقاليد العميقة للوثرية ، ولكنه عاش طويلاً ، منذ القرن السادس عشر في داخل الكنيسة الكالفنية . وهكذا تهيأ بالتدريج ، في الأوساط البروتستانتية . مذهب مقاومة السلطة ، الذي وضحه بخاصة اللاهوتي ديتريك بونوفر الذي كان حبيساً زمناً طويلاً في المعسكرات النازية .

وإذن كانت في المعسكر البروتستانتي معارضة حقيقية ، لا كما كان عند الكاثوليك حيال بعض تجاوزات شخصيات النظام النازي ، وإنما مقاومة حيال النظام نفسه ، الذي كوفح في مفهومه الجمعي وفي احتقاره للشّخص الإنساني . ونجحت الكنيسة المعترفة في معارضتها لسيطرة الدولة على الدين ، ولإنشاء « كنيسة الرايخ » التي كادت تدمر الحريات التقليدية لتلك الكنيسة . لقد حشدت لجنة دفاع الرعاة قوة عظيمة في الكنيسة . وكان وراء « فريق الدفاع عن

الرعاة » ثمانية آلاف راع مقابل ألفين فقط شايعوا اتجاهات المسيحيين الألمان ، وتسعة آلاف ظلوا محايدين . وهذا على الأقل ثلث الرعوية الألمانية التي كانت وراء الكنيسة المعترفة . وعبر إشعاع الكنيسة المعترفة عن نفسه بنشر فائق للعادة لعدد من الكراريس التي نشرتها بنفسها ، مثل الكراس الذي نشره الدكتور كيرن : « يا ألمانيتي ، إلى أين ؟ » الذي نشر منه ٧٥٠,٠٠٠ نسخة . ويجب أن نشير إلى أن القصد لم يكن قضية طبقة . لأن جميع طبقات المجتمع ساندت الكنيسة المعترفة : الكتل الشعبية ، العمال أو الفلاحين ، في رينانيا أو في وستفاليا ، والبورجوازية العليا في برلين . ويجب أن نشير أيضاً إلى أن المقاومة كانت أشد في المدن الكبرى ، وبخاصة في المراكز مثل برلين ، شتوتغارت ، نورامبرغ ، منها في الأماكن الثانوية . وهذا الموقف أخيراً ، من وجهة النظر الدينية ، شجع في الكنيسة المفاهيم الدينية الحنيفة الصارمة ، في داخل البروتستانتية ، على حساب المفاهيم الليبرالية التي قبلت بسهولة العقائدية النازية . وارتبطت المقاومة بعمق الإيمان .

وننهي البحث بمحاولة إيضاح أسباب هذه المقاومة في الأوساط البروتستانتية . فقد وضع ، لإيضاح هذه المقاومة البروتستانتية ، كثرة المنظمات والرابطات الدينية أو العلمانية التي كانت تحت تصرف الكنيسة البروتستانتية ، والعمل الخفي الذي عرفت كيف تقوم به منذ عدة سنوات وجعل من العسير على الغستابو اكتشاف مراكز النشر ومراكز الاجتماع . ومن الممكن أيضاً أن يعتبر ، كعنصر إيضاح ، تعقيد الوسط الذي عملت به الكنيسة البروتستانتية ، والدعم الذي قدمه عدد عظيم من كبار الموظفين ، والعسكريين ، والقضاة إلى الكنيسة البروتستانتية . وفي الغالب ، عندما كان الرعاة يمثلون أمام المحاكم ، كان القضاة يحاولون إلى الحد الأعظم تخفيف العقوبات . وفي الواقع ، إن هذه الإيضاحات

لا تقف أمام الأساسي ، وهو أنه يجب لإيضـاح هـذه المقـاومـة ، وقبل كل شيء ، إيضاح العـامل البشري ، أي هيبـة رجل : وهو الراعي نيموللر الـذي عرف كيف يفرض وجهة نظره على عـدد عظيم من الرعـاة والمؤمنين ، وجعلهم يقررون أخيراً اللحاق به على طريق الشهادة .

الفصل التاسع

الجامعات والعلم الألماني

من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩

لا يوجد في هذه القضية أي عمل عام بعد ، ولكن عدداً من الجامعات الألمانية ، نشرت حديثاً دراسات عن تنظيمها الخاص في الدور النازي ، ونخص بالذكر جامعات برلين ، ومونيخ ، وتوبنغن .

وبصورة عامة ، إن الهيئة التعليمية ، في الجامعات الألمانية ، كانت معادية جداً لجمهورية فيار . وبالرغم من تأكيد الجامعيين المستمر بعدم الاشتغال بالسياسة ، فإن هؤلاء بأكثريتهم العريضة شايعوا الاتجاهات المحافظة والقومية . وأظهروا أسفاً عميقاً ، وحنيناً إزاء الرايخ الثاني . ووسعوا الفكرة القائلة بأنه كان على ألمانيا في ١٩١٨ أن تلقي السلاح لا بسبب هزيمة عسكرية وإنما بسبب « طعنة الخنجر في الظهر » ، وبسبب الديموقراطية التي فرضها الأجنبي على ألمانيا .

وفي الحقيقة ، يوجد عدد من أساتذة الجامعة الألمان الذين شايعوا النظام الجمهوري . وينتسب معظمهم ، في هذه الحالة ، إلى الحزب الديموقراطي . وهذه بخاصة حال الحقوقي رادبروخ ، الذي كان وزيراً ، وهرمان هللر . ويوجد من جهة أخرى عدد من « جمهوريو العقل » أي أساتذة يأسفون على الزمن الماضي ،

ويرون بأن هذا الأسف في غير زمانه ، ويجب التكيف مع النظام الجديد ، مع المحافظة ، في داخل الديموقراطية الألمانية ، على فكرة سلطة تنفيذية قوية تصون سلطة الدولة . وكان هذا مثلاً ، الموقف الذي تبناه اللاهوتي ماينيكه ، واللاهوتي هارناك ، والحقوقي البرليني ولهلم كال . وقد عقدت هذه العناصر الديموقراطية ، في فيار ، في نيسان ١٩٢٦ ، نوعاً من مؤتمر وقع « بياناً ديموقراطياً » ، ولكن يجب أن نلاحظ بأنهم لم ينجحوا في ضم أكثر من ستين زميلاً . وبالمقابل نرى شواهد عديدة للغاية على المواقف القومية التي أشار إليها بخاصة المؤرخ تيؤدور ايشنبورغ الذي قص ذكرياته كطالب في جامعة برلين . فقد أظهر ، في سياق جمهورية فيار ، تصاعد الأهواء القومية ، وذكر بأن مدير جامعة برلين طلب أن ينقش على النصب الذي أقيم للاحتفال بذكرى الطلاب الذين سقطوا في الحرب هذه العبارة : « هؤلاء المغلوبون هم المنتصرون » . ومع ذلك تجب الإشارة إلى أنه لا يوجد ، في ١٩٣٣ ، أي أستاذ جامعة انتسب إلى الحزب القومي - الاشتراكي .

ولم تكن الحال نفسها بالنسبة للطلاب ، الذين اتخذت رابطاتهم ، إذا استثنينا مع ذلك الرابطات الكاثوليكية ، موقفاً واضحاً ، انطلاقاً من ١٩٣٠ ، بالنسبة للقومية - الاشتراكية . وقبل وصول هتلر إلى السلطة كان الطلاب يحدثون مشاكل للأساتذة الذين يعلمون أفكارهم الديموقراطية والسلمية . وكانت هذه بخاصة حال الأستاذ اميل غومبل الأستاذ الحر في جامعة هايدلبرغ الذي اضطر إلى التخلي عن وظيفته أمام المظاهرات التي كان هدفاً لها .

إن رابطة الطلاب القوميين - الاشتراكيين ، التي تعرف بأحرفها الأولى .A .S. T. A تغلبت في ١٩٣١ في جامعة ارلانغن بـ ٧٦ ٪ من الأصوات ، وفي جامعة ايينا بـ ٦٦ ٪ من الأصوات ، وأيضاً في معظم المدارس الفنية العليا . وفي مؤتمر الطلاب الألمان الذي عقد في **غراتْزْ** ، في النمسا (ليكن معلوماً أن رابطات

الطلاب تضم كافة الجامعات الناطقة باللغة الألمانية) ، في ١٩٣١ ، حصل النازيون على الأكثرية المطلقة في الرابطات الطلابية . ولكن إذا أخذ كامل الطلاب - لا الطلاب الذين ينتسبون إلى الرابطات فقط - فإن النازيين في الحقيقة ، لا يؤلفون بينهم إلا أقلية . وظل معظم الطلاب ، وبصورة أساسية ، محافظين ، قوميين . ولكن يجب أن نذكر بأنهم ، وإن لم ينتسبوا إلى الرابطات النازية ، كانوا يتعاطفون مع النازيين أكثر مما يتعاطفون مع المنظمات الطلابية الديموقراطية . وهذا يعني التأثير العظيم الذي كانت تمارسه النازية لدن الطلاب الألمان ، عند وصول هتلر إلى السلطة .

دور الانتقال (بداية ١٩٣٣ - أيار ١٩٣٤)

توجد ثلاث ظاهرات أساسية في الفكر الجامعي يجب حفظها وهي :

إن **الظاهرة الجامعية** الأولى التي قامت عند وصول هتلر إلى السلطة ، أثارها الطلاب القوميون - الاشتراكيون الذين حصلوا في السنوات السابقة على مكان مسيطر في عدة منظمات . ومارس هؤلاء الطلاب ضغوطهم بالحال لدى السلطات الجامعية بغية تطهير هيئة الأساتذة . وقدمت ثلاثة مبادئ أفادت كشعارات وهي : « خلق نموذج جديد من الطلاب ، وخلق نموذج جديد من أستاذ الجامعة ، وخلق نموذج جديد من العلم » . وهكذا أجبر الطلاب القوميون - الاشتراكيون في برلين مدير الجامعة على نشر اثنتي عشرة أطروحة موجهة « ضد الفكر الألماني السائد في الجامعات » ، وتطالب بتنحية الأساتذة اليهود ، أو على الأقل - حسب صيغة لا يعوزها طعم - « الترخيص لهم بالتعليم فقط باللغة العبرية » . وكذلك ، في كيل ، طالب الطلاب بعزل ثمان وعشرين أستاذاً يرون بأنه غير مرغوب بهم . وأحرقت الكتب المعروفة بميولها الشيوعية أو التي مؤلفها

يهودي ، في نيران الفرح ، مثلاً ، كالنار التي أشعلت في الساحة الكبرى في مدينة فرانكفورت ، رومربرغ ، وتحت رئاسة مدير الجامعة كريك .

والظاهرة الثانية التي يجب إيضاحها ، هي القضاء السريع جداً على هيئة أساتذة الجامعة . وقد أجرى هذا الإعدام بموجب قانون ٤ تموز ١٩٣٣ على هيئة الموظفين . ومسَّ هذا القانون كل من « أفصحوا عن أنفسهم في اتجاه الشيوعية » أثناء حياتهم الجامعية ، وكل من كانوا من أصل يهودي ، باستثناء محاربي حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، أو من سقط أبوهم أو ابن لهم في الجبهة . وأخيراً ، وهذا أيضاً أوسع بكثير ـ كل من كان موقعهم السياسي معتبراً غير مرغوب فيه . وفي هذه الفئة الثالثة صف كل من ناضلوا في سياق حياتهم ، في منظمات جمهورية ، واجتماعية ـ ديموقراطية ، أو نصيرة للسلام . وهكذا ، في الثمانية عشر شهراً الأولى للنظام ، طرد من الجامعات أكثر من ١٤ ٪ من الهيئة التعليمية ، ومن أصحاب الألقاب من الأساتذة أي الأساتذة أصحاب الكراسي ، الذين يسمون في الجامعات الألمانية « اوردينـاري » ١١ ٪ . ولكن يجب أن نذكر بأن هذا التطهير الأول لم يكن إلا بداية . وعلى كل حال ، وحتى ١٩٣٩ غادر ألمانيا ٣١٢٠ أستاذاً ، منهم ٨٠٠ أستاذ « اورديناري » . وبالتالي فإن خسارة الجوهر كانت عظيمة بالنسبة للجامعات الألمانية . وكانت عمليات الطرد عديدة بخاصة في كليات الحقوق حيث كان الأساتذة الإسرائيليون كثراً . وكانت متفاوتة للغاية حسب الجامعات . وكان عددها مرتفعاً جداً في جامعات برلين ، وفرانكفورت (في هاتين الجامعتين كانت نسبتها ٣٢ ٪) وأيضاً في هايدلبرغ . وكانت قليلة العدد كثيراً في جامعات ألمانيا الجنوبية ، وبخاصة في مونيخ وفي توبنغن . وكان بين الشخصيات المطرودة علماء من المستوى الأول . ويجب أن نذكر على سبيل المثال ، الفيزيائيين اينشتاين وفرانك ، واللاهوتي تيلليك وعنده اتجاهات اشتراكية ملحوظة بكفاية ،

والكيميائيين هوبر وفاربورغ ، والفيلسوف كاسّيرر ، والمؤرخين فالنتين وروتفلس . وفي العلوم الإنسانية ، كانت الهيئة التي قضي على معظم أعضائها هيئة علماء الاجتماع . ونذكر بخاصة أن شخصيات مثل ادورنو ، وكارل مانهايم ، اضطروا إلى مغادرة ألمانيا .

والظاهرة الثالثة التي يجب إيضاحها هي أن السلطات النازية حاولت أن تعرف وتعد نموذجاً جديداً لأستاذ الجامعة ، لما يسميه الألمان « أستاذ المدرسة العليا » ، أستاذ لا يقصر نفسه على عمله العلمي ، وإنما يضحي بنفسه كلياً لتشكيل رجال ألمان جدد ، ووطنيين ألمانيين محبين لوطنهم ومتفانين كلياً في خدمته . وفي هذه الجهة ساند عدد عظيم من الجامعات السلطات النازية . وهكذا ، في ١١ تشرين الثاني ١٩٣٣ ، بادر سبعمائة أستاذ إلى تحرير وتوقيع **« صك اعتراف أساتذة الجامعات والمدارس العليا بهتلر والدولة القومية - الاشتراكية »** . وبين الموقعين وجدت شخصيات شهيرة ، مثل عالم الإنسان (انتروبولوغ) اوجين فيشر والفيلسوف ، الأستاذ في جامعة فريبورغ ، هايديغر . وقد وسعت الأفكار الموجهة ، لتشكيل هذا النموذج الجديد من الأستاذ ، وهذه الجامعة الألمانية الجديدة ، في عدد عظيم جداً من الكراريس التي صدرت في ذلك الحين ، وكان أهم مؤلفيها ارنست كريك الذي اشتهر ، منذ ما قبل الحرب ، بأعماله في التربية ، أو أيضاً الفرد بويملر . فقد وسع كل منهما هذه الفكرة : وهي أن تحول الجامعة إلى « مراكز الثقافة الرجولية » حيث تكون العلاقات بين الأساتذة والطلاب من نوع عسكري ، وأن تطرد منها بالبداهة ، العناصر غير المرغوب بها ، أي النساء وكل من كانوا غير قادرين ، بسبب نقص بدني أو معنوي ، على تحمل هذا « التقويم » . أما هايديغر ، الذي أسهم أيضاً بخطابه الجامعي كمدير للجامعة في ١٩٣٣ ، حيث كان مديراً لجامعة فريبورغ ، في تشكيل هذه العقائدية ، فقد برهن على أن التخصص العلمي ، الذي كان البلاء

الأعظم لألمانيا السالفة ، يجب أن يتجاوز لصالح مفهوم للعالم القومي - الاشتراكي . وعلى الجامعة ، في هذه الروح ، أن تصبح مركز التعليم لمفهوم جديد للعرق يجب أن ترتبط به جميع الفروع الجامعية ، العلوم الحقوقية ، واللاهوتية ، والطبية والاجتماعية أو الإنسانية .

دور التنظيم (١٩٣٤ - ١٩٣٩)

في شهر أيار ١٩٣٤ ، أنشئت « وزارة الرايخ للعلوم والتربية والتعليم الشعبي » . وكان هذا العمل تجديداً . فحتى ذلك الحين ، كانت وزارات التربية وزارات إقليمية ، وهذا ما أصبح أيضاً في الجمهورية الحالية . وفي الحقيقة أراد هتلر إنشاء وزارة إمبراطورية للعلوم والتربية والتعليم الشعبي . ووضعت هذه الوزارة تحت إدارة رفيق قديم ، برنارت روست ، وكلف بمهمة وضع نظام مركزي للجامعات الألمانية ، على حين أن هذه الجامعات كانت تتمتع حتى ذلك الحين بحرية عظيمة جداً ، وكان ذلك مصدراً لإشعاعها الفكري العظيم .

وتناولت محاولات روست من جهة ، صعيد الإدارة ، ومن جهة أخرى ، صعيد العلم .

على الصعيد الإداري ، كان المبدأ الذي ألهم روست مبدأ الغلايكشالتونغ أي مبدأ نظام السلطة المركزية الجامعية . ولتحقيق ذلك أراد روست أن يدخل في الجامعات « مبدأ الزعيم » أي مبدأ السلطة ، وذلك بأن يوضع على رأس كل من الجامعات « مدير » ولكن هذا المدير ، عوضاً عن أن ينتخب ، كما في السابق ، من قبل كافة أساتذة « أوردينارى » الكليات ، تعينه الحكومة . وهذا المدير بدوره ، يعين عمداء الكليات . ومن جهة أخرى ، إن السلطات المالية لمجلس « الشيوخ » أي مجلس أساتذة الجامعة يجب أن تنتقل بكاملها إلى أيدي المدير

والعمداء . ولسير هذا النظام أنشئ في كل جامعة « هيئة تعليمية »[1] وعلى رأسها وضع قومي - اشتراكي ، ويمكن أن يكون هذا في الغالب مساعداً .

وحاول الوزير أن يقوم بتجديد سريع في الكراسي الجامعية . وفي سياق الدور ١٩٣٤ - ١٩٣٩ أحيل ٤٥ ٪ من الجهاز التعليمي على التقاعد واستعيض عنه بجهاز جديد . وكان هذا بقصد خضد شوكة العناصر التي لا تشارك في عملية الإصلاح الجامعي الجديد أو التي تبدي حياله بعض السلبية .

وأخيراً ، اتخذ عدد عظيم من القرارات ليسحب من الجامعات آخر عناصر استقلالها . وأعلن تشريع موحد للجامعات . وفي الواقع إن هذا التشريع العام لكل الجامعات لم يقنن أبداً . وظلت الفوضى سائدة حتى ١٩٣٩ ، وحتى إلى ما بعد ١٩٣٩ في الإدارة الجامعية . وكانت تسميات مديري الجامعات موضع خلافات دائمة ومنافسات ، منافسات صلاحية بين الهيئة التعليمية S. S والسلطة المحلية . وإن تاريخ تسميات مديري الجامعات - الذي درسه ، في مقال ممتع جداً ، هلموت زاير ، وظهر في : « دفاتر فصول السنة في تاريخ العصر » لعام ١٩٦٤ (Vierteljahrhefte Für Zeit Geschichte 1964) ، مطبوع بخلافات الصلاحية هذه ، وبالاعتراضات الدائمة التي تتعلق بهذا الشخص أو ذاك والتي تأتي من هذه السلطة القومية - الاشتراكية أو تلك . حتى إنه من الممكن الكلام عن إخفاق تام لتنظيم إدارة الجامعات الألمانية .

وعلى الصعيد العلمي ، كان المبدأ متابعة الجهد المبذول في التنزية (جعل الشيء أو الفرد نازياً) ، ولكن هذا الجهد بذل بشكل مستقل أكثر فأكثر عن الجامعة نفسها التي اعتبرت أداةً تتكيف بشكل سيئ مع تثقيف الشبيبة النازية .

---

(١) DOZENTENSCHAFT S S

ولهذا أنشأ الوزير **روست** إلى جانب الجامعة ، عدداً من المعاهد العلمية المستقلة . فمثلاً ، على صعيد العلوم الفيزيائية ، **المعهد الألماني للعلوم الفيزيائية** الذي وضع تحت إدارة فيزيائي قومي - اشتراكي ، يوهانس شتارك ، أو أيضاً للعلوم الإنسانية ، **معهد الرايخ لتاريخ ألمانيا الجديدة** ، الذي أنشئ في مونيخ ووضع تحت إدارة شخصية لعبت دوراً عظيماً في الحياة الفكرية في ذلك العصر ، وهو فالتر فرانك .

ويجب الاعتراف أن القوميين - الاشتراكيين كانوا يبدون دوماً ، على الصعيد العلمي ، حذراً عظيماً حيال الجامعة . واعتبروها طوراً مركزاً لليبرالية ، وطوراً مركزاً لرد الفعل . وعلى كل حال ، إن النخبات الفكرية ، في نظرهم ، لا يمكن أن تخرج من الجامعات ، ولا يمكن أن تتشكل إلا في مدارس مختصة . ولهذه الغاية أنشئت « المدارس النظامية » الشهيرة التي تشكل فيها هذه النخبة .

وكان النظام القومي - الاشتراكي يهدد الجامعات دوماً بحذفها ، وتحويلها إلى أنواع من المدارس التقنية المتخصصة . وفي الختام يمكن القول : إن القومية - الاشتراكية إذا نجحت تماماً في تدمير الجامعات الألمانية القديمة ، فهي لم تنجح على هذا الصعيد في تشكيل نظام جديد .

ردود فعل الهيئة التعليمية

لقد كانت ردود فعل الهيئة التعليمية متعددة . ولم يكن وحدة سلوك بين الأساتذة الألمان . ومن المؤكد أنه لم يكن من جانبهم ، في أي حين ، جهد جاد في المقاومة . وإن عدداً عظيماً من الأساتذة قبلوا تماماً المصير الذي قدر عليهم ، ولم يترددوا في مساندتهم الرسمية لعقائدية النظام النازي . ولكن وجد من جانب عدد من الأساتذة ، وكانوا كثراً ، استقالة فكرية حقيقية . ونذكر على سبيل المثال استقالة الفيزيائي الحائز على جائزة نوبيل ، فيليب لينارد . فقد نشر في

١٩٣٥ كتاباً بعنوان « الفيزيـاء الألمانية » وكتب فيه : « ولكن ، سيقال لي ، العلم واحـد ، ويظـل دوليـاً . هـذا خطـأ . وفي الـواقـع ، العلم ، ككل نتـاج آخر للبشرية ، عرقي ومشروط بالدم . والفيزيـاء اليهودية بـالتـالي ، شبح ، وحـادث انحطاط للفيزياء الألمانية الأساسية » . وكذلك ، على صعيـد العلوم التـاريخيـة ، صدرت آثار هامة ، في ذلك العصر ، تشير إلى أنه يوجد عند مؤلفيها روح تـامـة للعبودية إزاء نظريات السلطة . وهذه بخاصة حال كتاب كان زمناً طويلاً نوعـاً من كتاب يدرس للتعليم العالي وهو بعنوان : « عصور التـاريخ الألمـاني » لمؤلفـه يوهانس هـاللر ، حيث تـذكر الأفكار عن بروسيـا بفكرة موللر فون در بروك أو شبنغلر . ومؤرخ العصور الوسطى الـذي مـا زال إلى اليوم شهيراً وهو هـاينريـك هـايمبـل الـذي اعترف بـ « خطـأي » وأصبـح في ١٩٤١ أستـاذاً في جـامعـة ستراسبورغ ، وألف كتاباً بعنوان « فرنسـا والرايخ » ، ينفي نفيـاً تـامـاً الثقـافـة الفرنسية في العصور الوسطى .

على أن هنالك بعض فروع علمية هامة بخاصة في ألمـانيـا ، مثل فرع تـاريخ بلاد الشرق ، نمت بخاصـة على يـد القوميـة ـ الاشتراكيـة . فمن ذلـك أن الأستـاذ الشهير الاختصاصي بالقضايا السلافية ، اوتو هوتزش الـذي نشر « **مجلـة تـاريخ أوربـة الشرقيـة** » وشكر في ١٩٣٥ ، بـالرغم من مـواقفـه المحـافظـة . وأصبحت الدراسات السلافية في ألمانيا تحت إدارة هرمن غرايفـه ، وكان هـدفـه أن يظهر ، بشكل أولي ، تفوق الشعوب الجرمانية على الشعوب السلافية .

والشخصية التي لعبت دوراً عظيماً ، على صعيد التاريخ ، هو **فالتر فرانـك** الـذي كان لـه على مختلف التسميـات التي قررت في ذلـك العصر في الجـامعـات الألمانيـة ، دور عظيم . وهكـذا نحى عن الجـامعـات عـدداً من الشخصيـات : من المؤرخين الفاترين كثيراً إزاء النظام ، مثل **هرمان اونكن** ، وكان أحد أسـاتـذة

التـاريخ الحـديث في جـامعـة برلين . وبـالعكس يجب أن نشير ، إلى أنـه أعطى مسـانـدتـه إلى أحـد منظري فكرة « ألمـانيـا الكبرى » ، وهـو المـؤرخ الفينّي (الفينوازي) هاينريك فون سربيك ، فقد ألف كتاباً في الوحدة الألمانية ، وأبان فيه بأنه يجب على الرايخ أن يضم كامل الشعوب الألمانية ، وأعطى بذلـك أسـاسـاً علمياً لفكرة التوسع الإمبريالي للرايخ في أوربة الوسطى وفي أوربة الشرقية .

ومـع ذلـك ، يجب ألا تعمم هـذه الروح العبـوديـة التي كانت عليهـا الهيئـة التعليمية . فقد وجد بخاصة ، من جـانب الأسـاتـذة الشيوخ ، حـذر كبير جـداً ، وعلى الأقـل ، لا مبـالاة عظيـة جـداً ، إزاء النظـام . ويجب أن نشير من جهـة أخرى ، إلى أن الجامعات الألمانيـة ، بـالرغم من الأحكام التي اتخـذتهـا الحكومـة ، استطاعت الاستمرار في سوق أعضائها بشكل طبيعي ، بفضل الحق ، الـذي تملكـه مجالس الكلية في اختيار أعضاء هيئة التدريس ، ولم يحذفه النازيون أبـداً . ولـذا بقي أساتذة الكلية أصحاب الحق في اختيار زملائهم ، وهـذا مـا جعل من العسير « تنزية » الهيئة التعليمية . وفي الغـالب كان الأسـاتـذة عنـد البـدء بتـدريسهم ، يقـدمون بعض الاحترام للنظـام ، ولكنهم ظلوا يعملون بنفس الشكل الـذي كان في الماضي ، وكذلك المنشورات التي يوجهها هؤلاء الأساتذة ، ظلت في الغـالـب ، تحتفظ بقيمة علمية .

ويجب أن نشير في هـذا الاعتبـار إلى أن المجلات التـاريخيـة الكبرى ظلت تصدر ، بواسطة بعض التقلبات ونجحت في الحفاظ غالباً على قيمة علمية عـاليـة . وهذه بخاصة حال مجلة « المحفوظات الألمانيـة » النـاطقـة بـاسم « جمعيـة التـاريخ الألمـاني في العصر الوسيـط » ونشر : « مجموعـة التـاريخ الجرمـاني » ، وبـالرغم من بعض التغييرات في الإدارة بقيت ، حتى ١٩٤١ ، مجلة حيةً للغـايـة . وهـذه أيضـاً حال « المجلـة التـاريخيـة الألمـانيـة الكبرى » . وفي الحقيقـة ، إن مـديرهـا المؤرخ

مـاينكـه كان مشبوهـاً في النظـام ، واضطر إلى التخلي عن إدارتهـا ، وحل محلـه نازي باسم **كارل ـ الكسندر فون موللر** . وبالرغم من هـذا التغيير في الإدارة ، فـإن أمـانـة سر التحرير التي بقيت في يـدي **كيـنـاست** ، استطـاعت ولا سيما في التقارير عن الكتب ، أن تحافظ على حرية فكر معتبرة .

وبالتـالي لا يمكن الكلام عن « نظـام مبـدأ السلطـة المركزيـة » الكلي للعلم التاريخي الألماني . ومن المحتمل أن تكون الأمور على الصعد الأخرى مرت بالشكل نفسه .

☆ ☆ ☆

ردود فعل الطلاب

بقي أن نفحص ردود فعـل الطـلاب الـذين تبنـوا مـوقفـاً مـلائمـاً جـداً إزاء النظام .

في نيسـان ١٩٣٣ ، تشكلت « منظمـة الطـلاب الألمـانيـة » التي اعترف ـ ولم تكن هـذه الحـال في عصر جمهوريـة فيمار ـ بوجودهـا القـانوني ، وكانت تضم جميع الطلاب الناطقين باللغة الألمـانيـة ، وبـالتـالي ، من ضمنهم كل من كان يعمل في الجامعات النمساوية أو التشيكية . أما التربية ، في داخل منظمة الطلاب الألمانية فيجب أن تبلـغ هـدفهـا بمـا يسمى « رابطـة الطـلاب القـوميين ـ الاشتراكيين الألمـان » . التي تعرف بحروفهـا الأولى « N. S. D. S. B. » وكان زعيم رابطـة الطلاب القوميين ـ الاشتراكيين هذه ، **غوستاف ـ ادولف شيل** الـذي عبر عن موقعه في ١٩٣٧ على هذا النحو : « لا نريد قومية ـ اشتراكية علميـة ، وإنما علماً قومياً ـ اشتراكياً » .

وهنالك ثلاثة عناصر أصبحت أساسية في حيـاة الطـالـب : **أولاً « خدمـة العمل »** التي تجبر الطالب في السنتين الأوليتين من دراسته أن يخصص مـدة ستـة

أشهر للإسهام في حياة العمال في المعمل . **والنقطة الثانية هي الخدمة الريفية** التي تجبر الطلاب على الإسهام ، أثناء العطلة الصيفية ، في أعمال المحصول . **والعنصر الثالث** هو « **دار منظمة الرفقاء** » وعلى الطلاب أن يقيموا فيها إجبارياً خلال السنة والنصف الأوليين من دراستهم . ولكن هذا النوع من الدار الجامعية ، بنظامها النازي ، لم تنظم إلا بصورة ضعيفة .

أما الفتيات فكانت السلطات النازية تعتبرهن غير مرغوب فيهن في الجامعات ، وفرض عليهن نسبة معينة من $\frac{١}{١٠}$ ، وكن خاضعات لأنظمة مشابهة لأنظمة الشباب .

ويجب أن نعترف بأنه لم يكن ، من جانب هيئة الطلاب الألمان ، وعلى الأقل حتى ١٩٣٩ ، أي بادرة مقاومة . وقد قبلت كافة هذه الإجراءات من قبل أكثرية الطلاب الذين ظلوا مقتنعين بأن النظام الهتلري سيفتح لألمانيا مصيراً مشرقاً ، ومنحوه مساندتهم الكاملة . إلا أن أقليات قليلة سجلت قلقها في صيانة استقلالها الفكري ضد النظام ، واتجهت بخاصة نحو المهن التي يكون فيها وزن الحزب أقل ثقلاً مما في غيرها . ومن هنا كثر الاتجاه نحو الوسط العسكري ، وكان الجيش ، في نظر الشبيبة الألمانية ، الهيئة الوحيدة في الدولة التي تنجو ، بشكل أو بآخر من سيطرة الحزب . أو أيضاً كانت تلتف حول أستاذ عرف بآرائه الباردة إزاء النظام . وهكذا نرى فرقاً من الطلاب ، إن لم تكن مقاومة ، فعلى الأقل جامدة إزاء النظام ، تشكلت في فريبورغ حول المؤرخ جيرارد ريتر أو أيضاً حول الاقتصادي قسطنطين فون ديتزه . وقد لعب الاثنان فيما بعد دوراً في المقاومة الألمانية ، أو أيضاً في برلين حول المربي الشهير ادوارد شبرانغر . وإذن وجدت حول بعض الأساتذة تجمعات طلاب سجلت سلبية ، ولا مبالاة ، وعداءً مقنعاً إزاء النظام .

☆ ☆ ☆

وفي الختام ، يجب الاعتراف بأن الجامعة لم تكن في ألمانيا مركز مقاومـة . ولم تقم بأي وقت بعمل احتجاج على النظام . فقد سجلت بصورة عامة خنوعها إزاء السلطـة ، ولكن لم تكن أيضـاً أداة لأفكار النظـام . وبـالتـالي ، شكلت على العموم ، هيئة محايدة ، انتظرت ريثما تمضي الأمور ، محاولة أكثر ما يمكن صيانـة طرقها التقليدية في العمل ، والإنتاج العلمي .

الفصل العاشر

العدل والشرطة في النظام الهتلري
من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩

العدل[1]

كانت المبادئ الحقوقية التي سادت في الرايخ الثالث بسيطة للغاية . فقد شوهد بسرعة جداً زوال الريختشتات أي الدولة المؤسسة على الحق والقانون - وقد ساد هذا المفهوم في الفلسفة السياسية الألمانية منذ كَنْت أي منذ آخر القرن الثامن عشر - للإعلان منذ الآن بأن الحق يعتمد على ما يسميه الألمان « الحس الشعبي السليم » .

وهذا « الحس الشعبي السليم » هو الذي أصبح منذ الآن أساس الحق . وينجم عن هذا القول أن الحق أصبح شيئاً نسبياً ليس له أي قيمة عامة ، ولكن يجب أن يكون على صلة مع الروح نفسها ، الروح العميقة للشعب التي يجب أن تكون على علاقة بالاهتمامات والمصالح القومية . ومن الواضح أنه يوجد في هذا المفهوم للحق التقليد الرومانتي الذي نما في بداية القرن التاسع عشر على يد الحقوقي الألماني العظيم كارل فون سافيني . الحق ، بكلمة ، هو ما يفيد الشعب . والقوانين والنظم الحقوقية هي ذرائعية ببساطة . وغايتها سلامة الآمة والحفاظ على أصالتها وتنمية قدرتها .

---

(١) راجع : H. Schorn, Der Richter im Dritten Reich, Francfort, 1959.

ومن جهة أخرى ، إن الإرادة الشعبية مطابقة في كل النقاط لإرادة هتلر وتتطابق معها ، وينتج عن ذلك أن الحق هو التعبير عن إرادة الزعيم - الزعيم الذي تظهر فيه روح الشعب الألماني . وهذا ما عناه غورينغ ، في تموز ١٩٣٤ : « القانون وإرادة الزعيم ليسا إلا واحداً » فالحق أصبح ما يأمر به الزعيم ، والزعيم هو القاضي الأوحد ، القاضي الأعلى لجميع الألمان .

وقد وسع هذه الأفكار عدد عظيم جداً من الحقوقيين . ومن البديهي أن نشير إلى اسم كارل شميت هذا الحقوقي الذي لعب دوراً عظيماً في فهم الأفكار الحقوقية لألمانيا في عصر جمهورية فيمار ، وبخاصة في مقالاته في المجلة « العمل » . وترى هذه النظرية أيضاً عند حقوقيين لعبوا دوراً عظيماً في الرايخ الثالث ، مثل رولاند فرايسلر أو أيضاً كورت روتنبرغر .

إن الشخصية التي كلفت بإعداد التنظيم الجديد للحق والعدالة ، هو هانس فرانك الذي كان منذ ١٩٢٧ مديراً للقطاع الحقوقي في داخل الحزب ، ثم أصبح نائباً في الرايخشتاغ في ١٩٣٠ ، ووزيراً للعدل في بافاريا في ١٩٣٣ ، وأخيراً وزيراً للدولة دون حقيبة في حكومة الرايخ الثالث ، ابتداءً من ١٩٣٤ . وفي الوقت الذي كان فيه هانس فرانك ، بهذه الصفة ، معتبراً زعيم الرايخ في القضايا الحقوقية ، كان رئيساً لـ « أكاديمية الحق الألماني » التي أسست في مونيخ في ١٩٣٣ ، وبالرغم من مجاملاته الاستثنائية إزاء النظام ، لم يتمتع فرانك مع ذلك ، بثقة هتلر الذي كان يأخذ عليه دون انقطاع تعاطفه مع النظام القديم للأمور ، من أجل مفهوم متخلف للحق ، وعندما سمي فرانك ، في ١٩٣٩ ، حاكماً عاماً لبولونيا التي فتحتها الجيوش الألمانية ، اعتبرت هذه التسمية فقداً لحظوته .

لقد عرف فرانك ، في ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٦ ، في خطاب ظل شهيراً ، المبادئ الأساسية الخمسة التي يستند إليها الحق الألماني منذ الآن ، وهذه المبادئ

هي : دم الشعب ، أرض الشعب ، شرف الشعب ، قـدرة الشعب العسكريـة ، عمل الشعب . وهذه الأفكار الخمس تشكل ، كما قـال ، القيم الجوهريـة التي يرجع إليها الحق الألماني منـذ الآن. لقـد أنشأ فرانـك « جبهـة الحق الألمـاني » وهـدفها الأساسي تعريف الشعب الألماني بالحق ، وتقريب الشعب الألماني من حقـه . ومن جهة أخرى ، أنشأ : « رابطـة الحقوقيين القوميين ـ الاشتراكيين الألمـان » ، وكان على كافـة الحقـوقيين والمحـامين والقضـاة ، وأسـاتـذة الحقـوق أن ينتسبـوا إليهـا إجبارياً . ومـارست هـذه الرابطـة ضغطـاً عليهم لجـذبهم للعقـائـديـة القوميـة ـ الاشتراكية ، ولتحقيق توجيه السلطة المركزية في الأوساط الحقوقية الألمانية .

ما هي النقاط الأساسية التي يجب التمسك بها في عمل فرانك الحقوقي ؟

أ) مراجعة الحق

لقد تناول الأساسي من جهد فرانـك ، في هـذه النقطـة ، الحقوق الجزائيـة . ففي ١٩٣٥ ، وضع القانون المسمى « قانون تحويل الحقوق الجزائيـة » . وقـد أكـد هذا القانون في البدء ، على عدد من المبادئ :

أولاً ، وسع بصورة عظيمة ساحة الصفة الإجراميـة ، لأن القـاضي في حـالـة إجرامية لم يعد منذ الآن النص الحقوقي نفسه وإنما « الحس الشعبي السليم » .

ثانياً : شدد العقوبات ، لأن عدد الحالات التي يحكم بها المجرم ، منذ الآن ، بعقوبة الموت ، انتقل من ثلاثة إلى خمسين .

ثالثاً : وحَّدَ بين النية والفعل .

رابعـاً : وأخيراً ، خفض الضمانـات التي كانت مخـولـة للمتهمين وسـارع في الأصول الجزائية وتنفيذ العقوبة .

وطبق هذا القانون في تحويل الحقوق الجزائية وزير عدليـة الرايخ الـدكتور

غورتنر ، وكان هذا الشخص وزيراً للعدلية في بافاريا ، في ١٩٢٢ . وكان ينتسب آنذاك إلى الحزب القومي ـ الألماني ، وقدم في ذلك الحين خدمات جلى جداً لهتلر وللنازيين . وشكل الدكتور غورتنر لجنة كلفت بمراجعة الحق الجزائي وكان الدور الأساسي فيها لقاضيين نازيين : دام و شافشتاين . ثم قامت حكومة الرايخ في السنوات الأخيرة قبل الحرب ، بتخفيض الصفة الإجرامية ، في الرايخ الثالث ، وأوضحت أن عدد الجرائم المرتكبة في تراجع، وبالتالي ، فإن إصلاحاتها كانت سعيدة . ولكن يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار نمو جرائم الدولة التي ترك لها توسع الشرطة في ذلك العصر ، مجالاً رحباً : لأن عدداً عظيماً من المجرمين بالقوة وجدوا الواسطة لتحقيق غرائزهم في داخل شرطة الدولة .

٢ً) تحويل المحاكم

من البديهي أن يحذر النظام من المحاكم الموجودة ، وبخاصة العالية منها ، **المحكمة العليا للإمبراطورية** . فقد حكمت هذه المحكمة العليا للإمبراطورية بعدة أحكام براءات في دعوى فون در لوبه (دعوى محرقي أو محرقي الرايخشتاغ المزعومين) الذين أوغروا صدر النازيين ، وبالتالي ، حذفت قضايا الخيانة من صلاحيتها ، وعهد بها إلى محكمة جديدة تسمى « محكمة الشعب » . وكانت هذه المحكمة تتألف من خمسة أعضاء ، وكان اثنان منهم فقط قاضيين ممتهنين . وكان هتلر يسمي جميع الأعضاء شخصياً ، وتعقد هذه المحكمة جلساتها سراً ، وأحكامها نافذة دون استئناف . والنظرية التي يجب على هذه المحكمة أن تحكم بموجبها ، كان يعينها أحد نواب رئيسها ، **كارل انغرت** ، الذي أعلن بأنه يتوجب على القضاة أن يكونوا أولاً رجالاً سياسيين ومن بعد قضاة . وسيرت المؤسسة بروح ترضي النظام ، وبقوة وحشية ، من قبل رئيسها تيراك الذي بلغ فيما بعد ، في زمن الحرب ، أعلى المناصب في القضاء الألماني .

ومن جهة أخرى ، أنشئ في ١٩٣٣ ، عدد من المحاكم الخاصة كلفت بصفة خاصة بالقضاء في « التهجمات الخاتلة على الحكومة » . وكانت كل محكمة تضم ثلاثة قضاة ينتمون إجبارياً إلى الحزب ، ولم يكن لجنة محلفين ، وعلى محامي الدفاع أن تقبل بهم السلطات النازية وترضى عنهم . وهؤلاء المحامون الذين يقومون بالدفاع عن المتهمين ، ولو رضيت عنهم السلطات ، كانوا يتعرضون لأكبر الأخطار . وهذه كانت ، مثلاً ، حال المدافعين عن أرملة الدكتور كلاوزينر ، أحد زعماء العمل الكاثوليكي الألماني ، الذي اغتيل في ١٩٣٤ . فقد اقتيدوا جميعاً إلى معسكر الاعتقال في زاخسنهاوزن . وأحكام هذه المحاكم يمكن أن تكسرها ، وهذا ما حصل في الغالب جداً ، السلطات البوليسية . وهذه ، كما رأينا ، حال الراعي نيمبلر الذي برأته المحاكم أخيراً من التهم الموجهة ضده ، وأوقفته الشرطة عند خروجه من الجلسة .

☆ ☆ ☆

بقيت القضية النهائية وهي : كيف تصرف الحقوقيون أمام هذه الإجراءات ؟

لم يكن لدى القضاة الألمان إلا قليل جداً من التعاطف مع جمهورية فيمار . وكانت عواطف معظمهم قومية ، ومحافظة . وقد ظهر هذا في الأحكام التي أصدروها ضد الرابطات الجمهورية في السنوات ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ ، وأبدوا قبولاً سريعاً للنظام النازي . وانجرفوا دون أي مقاومة في ميكانيكية النظام النازي وقبلوا وأعطوا مساندتهم لعدد كبير جداً من الإجراءات التي تشكل خرقاً للحق فاضحاً .

غير أن عدداً منهم أدركوا ، فيما بعد ، عدم الاعتبار ، أو فقدان الثقة الذي

وقعت فيه العدالة ، فاحتجوا على تعديات السلطات البوليسية على أحكامهم ، كما احتجوا على عدد من الأعمال التعسفية ، حتى إن بعض كبار القضاة ، مثل الحقوقي كورت روتنبرغ ، رئيس المحكمة العدلية في هامبورغ ، اسمعوا احتجاجاتهم العلنية الصريحة ، وتدخل روتنبرغ لدى السلطات العليا مراراً ، ولدى هتلر نفسه . ولكن ما إن يتبنى الموقف عدد من القضاة ، إلا ويفوت الأوان وما بعد الأوان ، والضرر قد حصل . وفي الواقع ، إن شرطة الدولة هي التي أخذت على عاتقها ، في ذلك الحين ، توجيه الحكومة ، وليس للمحاكم ما تقوله ، وكانت غير قادرة على منع الظلم الذي ساد على يد هذه الضابطة .

لذا من الضروري الآن أن نفحص في قسم آخر تاريخ هذه الشرطة .

الشرطة[1]

إن الحادث المميز ، وبه يجب البدء ، منذ بدايات الرايخ الثالث ، هو إنشاء **الشرطة السرية للدولة** في بروسيا ، وهي هيئة معروفة تحت اسم « غستابو » . وقد أنشأ هذه الشرطة ، شرطة الدولة ، غورينغ ، ووضعت تحت إدارته المباشرة . وفعل غورينغ هذا باعتباره وزيراً للداخلية في بروسيا .

وهذه الشرطة السرية للدولة ، التي رأت النور منذ بدايات النظام ، خلفت ، في الواقع ، ما يسمى **القسم السياسي لشرطة بروسيا** ، (I. A) ، وكان يديره منذ عدة سنوات شخصية باسم رودولف ديلس . وقد شارك هذا ، في فترة جمهورية فيمار ، بكثير من التحقيقات ضد النازيين ، واستطاع أن يشكل لنفسه مجموعة جذاذات هامة للغاية . وكان ، منذ زمن طويل ، على اتصال

---

(١) راجع : J. Delarue, Histoire de la Gestapo (1962)

وبخاصة أجزاء المجموعة : Anatomie des S S. Staater (1965)

بغورينغ ، وعندما استلم النازيون السلطة ، وضع بين يدي غورينغ إضبارات عديدة ، في الوقت الذي كان يسلمه عدداً من الوسائل للمضاربة في البورصة وأصبح بهذه الصفة المزدوجة رجل ثقة غورينغ ، ووجه ، منذ آخر كانون الثاني ١٩٣٣ ، كل إجراءات الشرطة التي اتخذت في بروسيا ضد خصوم النازية . وقد أخذ غورينغ مسؤولية هذا القمع على عاتقه .

وبفضل هذه الشخصية أنشئت ، في ٢٦ نيسان ١٩٣٣ ، الشرطة السرية « الغستابو » وأصبح فيها ديلس رئيساً مساعداً لغورينغ . وأقيمت مكاتب الغستابو في برلين في بناية في شارع الأمير البرت وظلت فيها حتى نهاية النظام .

ومع ذلك فإن وضع ديلس لم يكن مريحاً كل الراحة ، لأن **فريك** ، الذي كان يمارس في الوزارة وظائف وزير داخلية الرايخ لم يكن راضيا عن الشكل الذي نظمت به الشرطة ، ونجح بإجبار ديلس على مغادرة إدارة الغستابو . ولكن خلف ديلس ، وهو **هينكلر** ، كان شخصية ضعيفة ، مدمناً للكحول ، مزمناً ، واستطاع ديلس أن يسترد مكانه بسرعة جداً ، ويتخذ تدابير انتقامية لا ترحم ضد من خدموا هينكلر ، وكان ديلس يوجه دعوى لايبزيغ التي أقيمت على مرتكبي حريق الريخشتاغ ، وعلى **فون در لوبه** الذي ألحق به ، حسب سياسة معروفة ، عدد من الشيوعيين ، كان من بينهم البلغاري ديمتروف . وكادت هذه الدعوى أن تدور على غورينغ ، ولكنها انتهت ، إلى جانب عدد من التبرئات ، بإعدام المتهمين الأساسيين .

وكان هتلر يتصور الخلاص من روم ، فرجا غورينغ ، في اول نيسان ١٩٣٤ ، أن يحول إدارة الغستابو إلى شخصية يرى بأنها قوية ويعتمد عليها أكثر من ديلس ، ولم يقع الخيار على محظي فريك ، وهو دالويغه ، الذي ظن بأن له

حظه في هذا التعيين ، وإنما وقع الخيار على شخص آخر يتمسك به هتلر ، وهو هاينريك هيملر وكان وراءه ماضٍ سياسي هام .

ولد هيملر في مونيخ ، ولكن أصله من **لاندشوت** ، وينتسب إلى أسرة من صغار التجار ، وتربى تربية جادة للغاية على الإيمان الكاثوليكي . وشارك في ثورة مونيخ ، وارتبط بخاصة بهتلر إبتداءً من ١٩٢٥ ، فقدره كل التقدير على فكره المنظم ، وسلوكه المحترم . وبهذه الصفة عهد إليه هتلر ، في ١٩٢٩ ، بإدارة جيش الـ S. S. أي جيش الحماية ، وكان هذا الجيش في ذلك الحين قليل الأهمية للغاية ، ويؤلف حرساً شخصياً لهتلر ، ولكن هيملر وسعه كثيراً وجعل منه جيش نخبة في داخل الحزب .

وعرف هيملر تصاعداً سريعاً جداً بعد أن استلم هتلر السلطة ، وفي آذار ١٩٣٣ ، سماه مفوض الإمبراطورية ريترفون هيب ، مديراً للشرطة في مونيخ ، ثم مديراً للشرطة في بافاريا ، ثم نجح ، عبر عدة مكايد ودسائس ، في التدخل في عدد عظيم جداً من الشرطات المحلية ، والسيطرة عملياً على كافة المنظمات البوليسية في ألمانيا . وعندما استدعاه غورينغ ، في نيسان ١٩٣٤ ، لإدارة الغستابو البروسية ، كان يوجه في الواقع كافة الشرطات الألمانية . وانطلاقاً من هذا التاريخ ، نيسان ١٩٣٤ ، مارس هيملر دكتاتورية حقيقية على كافة الشرطة الألمانية ، ونظم لهذه الغاية ، في برلين مكتباً مركزياً تتعاون فيه الشرطات السياسية لمختلف « الأقاليم » .

ومع ذلك ، لا شيء يبدو أنه يهيئ هيملر إلى هذه المهنة المشرقة . فقد كان بائساً جداً في حياته المنزلية ، تزوج بولونية تكبره بسبع سنوات وتحتقره بعمق ، ويشكو دون شك من عجز جزئي ، ويعزي نفسه من مصائبه بتربية الدجاج وزراعة الأعشاب الطبية ، ويبدو أنه كان فكراً رومانتياً يعتقد بالتنويم

المغناطيسي ، **والطب التجانسي** والخواص النفسانية للتغذية . وكان رجلاً متواضع المظهر يوحي - كما قال معاصر - بأنه معلم صغير في الريف أكثر منه زعيماً مهيباً لجيوش الـ S. S. . وعلى ما يبدو أنه كان قليل الموهبة فكرياً ، وغير كفء ، على كل حال ، للأفكار الأصيلة ، ولكنه بالمقابل شغيل قوي ، عنيد بعمق ، ومتمسك بأفكاره إلى أقصى حد ، ولا شك في أن هذا العناد جعله يستحق ثقة هتلر ، ويجعل منه ، بعد هتلر ، وحتى نهاية النظام ، أول شخص في الدولة .

وترتبط أهمية هيملر في أنه ضم بصورة وثيقة جيش الـ S. S. إلى الشرطة السياسية وهو الذي أنشأ ما يسمى اليوم دولة الـ S. S. .

ولكن للوصول إلى هذا كانت تلزم ثورة حقيقية : كان يجب تنظيم الانتقال من دولة الـ S. A. إلى دولة الـ S. S. ونقل السلطة من أيدي الـ S. A. إلى أيدي الـ S. S. وهذا الانتقال هو الذي شكل بحق الثورة الثانية[1] .

لقد وجد خلاف عتيد قديم قدم الحزب نفسه بين صحف الحزب والـ S. A. . والـ S. A.[2] ، أي « فصيل العاصفة » أو فصيل المغاوير ، يمثل بصورة أساسية العنصر المقاتل ، ويتألف من رجال خدموا في الجيش ، أو في الجيوش الحرة . ويرجع تنظيمه إلى روم الذي لعب دوراً عظيماً ، قبل ١٩٢٣ في تنظيم الحزب ، وقد أنشئ الـ S. A. في ١٩٢١ ، انطلاقاً من « فصيل الجمناستيك والرياضة » وفي ١٩٢٣ ، تقبل غورينغ إدارته خلال بضعة أشهر ، وفي ثورة مونيخ ، في تشرين الثاني ١٩٢٣ ، كانت هذه المنظمة تضم نحو ١٥,٠٠٠ عضو ، وعندما خرج هتلر من السجن ، كلف روم بتنظيم الـ S. A. من جديد . بيد أن نزاعاً انطلق بسرعة جداً

---

(١) راجع . Ch. BLOCH, La Nuit des longs couteaux (1967).

(٢) إن الـ S. A يمكن تسميته « فصيل العاصفة » أو فصيل المغاوير أو « قطاع الهجوم » وكل هذه التسميات لها مدلول واحد .

بين روم وهتلر . وكان هتلر يريـد بخـاصـة أن يجعـل من الـ .S. A هيئـة كفــاح سياسية ، ولكن بكفاح يقوم على الصعيد القانوني .

وأمـا روم فكان يريـد أن يـؤمن عبر جمـاعـة الـ .S. A تفـوق العسكري على السيـاسِي ، وأراد تحويل الـ .S. A إلى نوع من جيش نموذجي بـالنسبـة لـلألمـان . وجرت طموحات روم الخلاف ، وغادر روم المستاء ألمانيـا إلى أمريكا الجنوبيـة ، حيث عــاش من ١٩٢٥ إلى ١٩٣٠ ، وحــل محلــه على رأس الـ .S. A فرانتس بففّر فون سـالومون الـذي كانَ هو أيضـاً ، عضواً سـابقـاً ، في الجيوش الحرة ، وحكمت عليه بالموت محكمة فرنسيـة أثنـاء احتلال الرور ، وفي عـدة سنوات اتبع بففر فون سـالومـون تـوجيهـات هتلر الـذي أراد أن يجعـل من الـ .S. A عنصراً لـلاستيـلاء القـانوني على السلطـة . ومع ذلـك فقـد ترك بففر نـزعـات منـاصرة لـلاشتراكيـة وقريبة بكفايـة من نزعـات الأخوين شتراسر ، وجعلهـا تنمو في داخل الـ .S. A . وظهر ذلك بثورات في داخل الـ .S. A التي استاءت من توجيـه الحزب ، وكان أهم هذه الثورات الثورة التي كان يوجهها في برلين الميجر شتينس . وفي ١٩٣٠ ، استاء هتلر ، وشكر بففر فـون سـالـومـون وأخـذ بنفسـه تـوجيـه الـ .S. A . وعنـدئـذ استدعى روم من بوليفيا ووضعه تحت أوامره ، باعتباره رئيس الأركان العـامـة ، على رأس الـ .S. A .

ومضت السنوات التالية بـانشراح وبهجـة ، وأبـدى هتلر في الغـالـب اعترافـه بجميل الـ .S. A الذي نقل روم عدد أعضـائـه بين ١٩٣٠ و١٩٣٣ من ١٠٠,٠٠٠ إلى ٢٠٠,٠٠٠ عضو . ولكن منذ أن استلم هتلر السلطة توترت الحالـة من جـديـد بين الرجلين . ففي أوساط الـ .S. A كانت الغاية الخلاص من جيش الضبـاط الرجعي في الرايخـوير ، وابتـداءً من الـ .S. A إنشـاء جيش شعبي نـازي . إلا أن هتلر ، في السنـوات الأولى من سلطتـه ، كان مقرراً ألا يضحي بـالرايخـوير ، ويرى بـأنــه

لا يمكن أن يستغني عنه ما لم ينته التسلح من جديد ، وفي الخلاف الذي ما لبث أن انفجر بين روم والجنرال فون بلومبرغ وزير الرايخوير ، أخذ هتلر جانب الثاني ، وحاول مع ذلك ألا يدفع الـ .S. A إلى النهاية . وفي ٢٨ شباط ١٩٣٤ ، جمع هتلر في لقاء في برلين زعماء الجيش وزعماء الـ .S. A ، ومن بينهم روم وتقرر في هذا اللقاء - ووقع اتفاق في هذا المعنى - ألا يكون إلا جيش واحد ، الرايخوير ، وعلى الـ .S. A أن يخدم التربية ما قبل العسكرية ، والتربية شبه العسكرية وأيضاً جيوش الحماية على حدود الشرق . ويؤكد الاتفاق بقوة على أن الرايخوير هو القوة العسكرية الوحيدة .

ويبدو ، بالرغم من ذلك ، أن روم لم يتخل عن مشاريعه ويأمل تارة بفصل هتلر عن مشاوريه الرجعيين ، وتارة يفكر بالعكس بعمل موجه ضد هؤلاء المستشارين أنفسهم . إذن يوجد ، في كل الأحوال ، غموض عظيم جداً على خطط روم في الأشهر الأخيرة قبل سقوطه . وبالرغم من أنه كان يتكلم باستمرار عن ثورة اجتماعية ، ويؤكد ضرورة التمسك بالمبادئ الاشتراكية في برنامج الحزب ، فعلى ما يبدو أن روم ، بالرغم من كل شيء ، كانت له مواقف سياسية أكثر اعتدالاً من مواقف هتلر ، وبخاصة حيال اليهود ، وحيال الكنائس ، وأنه شجب عدداً من الإجراءات غير القانونية ، مراراً مختلفة في هذه الأشهر الأخيرة ، ويبدو أيضاً أن لروم وجهات نظر أكثر اعتدالاً من هتلر فيما يتعلق بالسياسة الخارجية ، وبخاصة أنه تصور وفاقاً (تفاهماً) مع فرنسا . ومن المؤكد أن روم لم يفكر أبداً بانقلاب ضد النظام ، وأن الترتيبات التي اتخذها كانت ترتيبات دفاعية بصورة محضة .

وإذا تردد هتلر باتخاذ إجراءات ضد روم الذي كان يرتبط به بصداقة قديمة ، فقد كان بالمقابل في ذلك مدفوعاً بقوة ، في داخل الحزب ، بما يسمى « تنظيم الحزب » (.P. O) وكان مدفوعاً في ذلك بكبار زعماء الحزب ، وبخاصة

غورينغ ، وكان مدفوعاً بزعماء الغستابو ، ولا سيا هيملر ، وأخيراً بزعماء الرايخوير ، وبخاصة بزعيم الإدارة العسكرية في الرايخوير ، الكولونيل فون رايخناو الذي ظهر آنذاك ، أيضاً أكثر من الوزير فون بلومبرغ بأنه أهم شخصية في داخل الجيش ، والقضية معلقة في معرفة ما إذا كان هتلر اشترى رضى جنرالات الرايخوير عنه في خلافته لهاندنبورغ ، الذي كان في ذلك الحين مريضاً كثيراً ، مقابل تدمير الـ .S. A وإعدام روم . وهل يوجد عقد بين هتلر والرايخوير ؟ هذه قضية لم تحل بعد إلى اليوم .

ومضى شهرا أيار وحزيران ١٩٣٤ في جو من التوتر البالغ ، وفي هذه الظروف ، ألقى نائب المستشار فون بابن ، في ١٧ حزيران ١٩٣٤ ، في جامعة فورتسبورغ ، خطاباً حرره أمين سره ادغار يونغ ولمح فيه إلى تجاوزات الثورة ، وخطر النظريات الجمعية ، وأدى هذا الخطاب بهتلر إلى اتخاذ ترتيبات نهائية ، لأن هتلر تساءل ما إذا كان فون بابن على اتفاق مع الجيش لقلبه ، في الحالة التي يبقى فيها في حالة انتظار حيال روم . وعندئذ قرر أن يكسر بنفس الضربة الـ .S. A والمعارضة المحافظة التي كان يمثلها فون بابن . ونصب هتلر لروم وأصدقائه كميناً ، في بافاريا ، في فيسّيه ، وألقي القبض عليهم في ٣٠ حزيران ، واقتيدوا إلى السجن ، ثم أعدموا . وجرت إعدامات كثيرة في الـ .S. A في الوقت نفسه في سجن **ليشتنفلده** ، في برلين . ولكن القمع تجاوز كثيراً أوساط الـ .S. A وبين الضحايا يجب أن نشير إلى مساعد فون بابن ادغار يونغ . ولم يستطع بابن أن ينجو إلا بحماية هاندنبورغ . وأعدم أيضاً الجنرال فون شلايخر وزوجته ، ومدير العمل الكاثوليكي في برلين ، فون كلاوزينر ، ووزير بافاريا السابق فون كار ، وشتراسير وأصدقاؤه . وكان الرقم الرسمي للضحايا ٧٧ ، ولكن مما لا شك فيه أنه كان أخفض بكثير جداً من الواقع .

وأعلمت الدعاية الرسمية أن هتلر أنقذ ألمانيا من مؤامرة مريعة حتى إنه صرح بأن روم كان قد تآمر مع دولة أجنبية ، وأريد بذلك فرنسا ، على اعتبار أن روم التقى مراراً بفرانسوا ـ بونسيه سفير فرنسا في برلين . وقبل الشعب الألماني كافة الإيضاحات . ولم يوجد أي نوع لاحتجاج ـ إن لم يكن ، مقنعاً ، في صحيفة فرانكفورت ، ولقي هذا العمل دعم الأوساط الحقوقية ، وبخاصة كارل شميت الذي ناقش بهذه المناسبة الأطروحة : « الزعيم يحمي الحق » . أما الجيش الذي كان الغالب الحقيقي في القضية ، فقد أعرب عن اعترافه بجميل هتلر في إعلان له على الجنود . وإن إعدام رجلين من الرايخوير ، فون شلايخر وفون بريدوف ، على ما يبدو ، لم يقلق ، إلى الحد الأقصى ، الجيش الذي جعله هتلر شريكاً له في سياسته .

وبالتالي ، فإن الانقلاب انتهى بنصر هتلر نصراً تاماً ، وبدا منذ الآن دكتاتوراً ولا شيء يمكن أن يحدد سلطته . ولكن ، من بعيد ، يرى أن أهم نتيجة ، لهذا الانقلاب ، لهذه الليلة « ليلة سان ـ بارتيليمي »[1] كانت في نقل السلطة إلى أيدي الـ S. S. ، وأن تاريخ ٣٠ حزيران يعني نهاية الدور السياسي لقوات الـ S. A. التي وضعت تحت إمرة شخصية تافهة ، لوتسيه ، وكان في الواقع تماماً ، بين أيدي الرايخوير . وشهدت الـ S. A. تناقص أعدادها واكتفت منذ الآن بالتربية الرياضية والشبه عسكرية . ووجدت أيضاً « منظمة المطالبين بثأر روم » التي تشكلت وقامت ببعض اغتيالات ، ولكن عمرها كان مؤقتاً . لقد كان الانقلاب يعني نقطة انطلاق سلطة الـ S. S. .

---

(١) تشبيهاً بمذبحة سان ـ بارتيليمي ، في فرنسا ، في ليل ٢٣ آب ١٥٧٢ ، وكان ضحيتها ٢٠٠٠ بروتستانتي .

الفصل الحادي عشر

الشرطة ومعسكرات الاعتقال في النظام الهتلري

من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩

الشرطة

لقد عنت ثورة حزيران ١٩٣٤ احلال فصيل ال S . S[١] ، في داخل الحزب ، محل فصيل ال S . A . الذي اقتصر على دور ثانوي تماماً . وأصبحت شخصية هيملر ، الذي كان في أصل هذه المحاولة المدبرة ضد ال S . A ، تسيطر ، منذ الآن ، على تاريخ الشرطة الألمانية .

إن ال S . S هي الأحرف الأولى التي تدل على « فصائل الحماية » التي أنشئت ، في ١٩٢٥ ، بمناسبة الذكرى الثانية لثورة مونيخ . وفي ١٩٢٩ لم تكن هذه المصلحة غير ثلثمائة شخص ، ولكنها أصبحت ٥٠,٠٠٠ أثناء استلام السلطة .

كان الهدف البدائي لهذه ال S . S حماية الزعيم الشخصية أي كانت مرتبطة بالحرس لحماية شخص هتلر ، وتابعا في الأصل إلى ال S . A ، وفي ١٩٢٩ ، أصبح جيش ال S . S تحت امرة هيملر ، وقد أخذ على نفسه أن يجعل من جيش ال S . S نخبة ، ميزته الأساسية الطاعة غير المشروطة للزعيم . وكان شعاره الذي ظل حتى النهاية شعار ال S . A : « شرفي يعني الولاء » .

---

(١) ال S S هي الأحرف الاولى من SCHUTZ STAFFELN

راجع : KOGAN , DER S S . STAAT , 1945

و RETTLINGER . S S ALIBI OF A NATION , 1956

وبسرعة حداً ، طهر بن هده ال « S.S » ، تنظيمان هامان بخاصة : **مكتب العرق والاستيطان** « الذي كلف باختيار أعضاء ال S.S ، وبخاصة ما سمي « مصلحة الأمن » التي عرفت في تاريخ النازية بالحروف الأولى « S.D » وعلى رأسها وصع هيملر ، في ١٩٣٩ ، ملازم البحرية رينارد هايدريك الذي أصبح فيا بعد من أعظم شخصيات الرايخ الهتلري .

كان هايدريك رجلاً ذا ماض ثقيل . فقد كان ضابطا سابقاً في استخبارات البحرية ، ثم عزل على أثر حكم صدر بحقه من أمرائه ، تحت رئاسة الأميرال ريدر ، لأنه رفض ، في سن السادسة والعشرين أن يتزوج بنتاً لأحد أصحاب السفن لطخ شرفها بالعار . كان رجلاً موهوباً بشكل عطيم ، وغاوية فن مستنير ، وعازفاً على القيثار ممتازاً . ولكنه كان عديم الوجدان تماماً . وانطلاقاً من ١٩٣٤ كان سيداً حقيقياً لمصالح شرطة ال S.S ، أي ال S.D التي جعل منها هيئة استخبارات مدعاة للعجب ، وكان وثيق الصلة بهيملر . وقد سماه ، في ١٩٣٣ . أثناء استلام السلطة ، زعيماً للشرطة البافارية . وفي نيسان ١٩٣٤ ، عينه هيملر ، ليكون تحت إدارته ، رئيساً لمصلحة الغستابو المركزية .

وتحدد وصع ال S.S ، على أثر الثورة ضد روم ، ببراءة من هتلر ، في ٢٠ تموز ١٩٣٤ ، بهذه العبارات : « نظراً للخدمات العظيمة التي قدمتها ال S.S ، إثر حوادث ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ، أرفع ال S S . إلى مرتبة منظمة مستقلة في داخل الحزب القومي - الاشتراكي الألماني (N.S.D.A.P) . وعليه تؤلف الـ S.S ، منذ الآن ، منظمة لا ترتبط إلا بشخص هتلر ، كما تضع البراءة هيملر تحت إشراف هتلر وحده .

وستطبع الـ S.S منذ الآن بعد تصفية « عوام » الـ S.A اسلوبها على

النظـام . ورجـال هـذه الـ S . S ، على العموم ، رجـال من أصـل أعلى من أصـل الـ S . A ، لأن كثيراً منهم ينتسبون إلى الطبقة البورجوازية العليا وحتى أحيـانـاً إلى الطبقة الأرستقراطية ، ويدعون بأنهم يشكلون نخبـة النظـام . وظهر بسرعـة جداً أن نفاذهم أعلى من نفاذ رجـال الـ S . A . لأن نظـام قمعهم لم يكن فيـه شيء من العفوية ، والفظاعة التي أظهروها كانت فظاعة منظمة ، وثمرة تربيـة كسرت فيهم من قبل كل عاطفة إنسانية وشفقة . وإذا ارتكبت الـ S . A تجاوزات ، فـإن هذه التجـاوزات تعود إلى عنف فردي . أمـا الإجراءات التي تتخـذهـا الـ S . S ، إجراءات عن سابق تصور وتصميم ومنظمة حسب خطة محددة بوضوح .

ونشـاهـد في التشكيل المبـاشر ، إلى جـانب من يسمون « الليغماين S . S »[١] فريقين يؤلفـان ، في داخل الـ S . S ، نوعـاً من نخبـة وهمـا : « جيـوش الـزحف والإنـذار »[٢] التي أصبحت عـديـدة وتؤلف بصورة دقيقـة حرس هتلر الشخصي ؛ ومن جهـة أخرى سريـة « S . S رأس الموت »[٣] التي كان رجـالهـا مكلفون بصورة خاصة بحراسة معسكرات الاعتقال .

ومن جهة أخرى ، نشاهد غداة براءة ٢٠ تموز ١٩٣٤ ، نمواً عظيماً في « مصلحة الأمن »[٤] التي كان هايـدريـك على رأسهـا ، وصنع منهـا مصلحـة كبيرة تتصرف بنحو ٣,٠٠٠ عميل دائم ، وبعدد عظيم جداً من الشرطيين المتطوعين وعـددهم نحو ٣٠,٠٠٠ . ونفـذ في مصـالح الأمن عمـل تـوثيـق عظيم يسـاعـد على تنظيم وجمـع جذاذات يوضع عليها أسماء العناصر التي يمكن أن تنشأ عنهم مقاومة للنظام . وقد نظم هذه المصلحة بخاصـة الـدكتور ميلورن . وهو محـام سـاكسوني سـابق ، أعـد

---

(١) ALLGEMEINE S .S

(٢) VERFÜGUNGS TRUPPEN

(٣) S . S . TOTENKOPF

(٤) SICHER HEIT DIENST مصلحة الأمن (S . D)

مجموعة كاملة من الجذاذات المثقوبة ووضعها في صندوق كبير مستدير يحرك بواسطة محرك كهربائي . ويضاف له شخص آخر قام بقسط نشيط في هذا التنظيم وهو الدكتور بست . وهو قاض سابق ، انتقل إلى الإدارة ، وألف كتاباً في الشرطة الألمانية وكلف بالمصالح المالية .

ونظم هايدريك شخصياً ما سمي « صالون كيتي »[1] . وهو دار رحبة للبغاء ، رتبت ببذخ ، وجهزت بميكروفونات وآلات تسجيل خفية ، ويرتادها زبائن مصطفون تجتذبهم بغايا شهيرات بجمالهن وثقافتهن . ومن هؤلاء الزبائن بخاصة عدد عظيم من كبار الموظفين والدبلوماسيين الأجانب . وتسجل الآلات اللاقطة كلامهم بعناية فائقة .

وبين ١٩٣٤ و ١٩٣٦ تشكل الأساسي من الجهاز ، ولعب هذا الجهاز في شرطة الرايخ في السنوات التالية دوراً عظيماً . وفي هذه الفترة دخل في مصلحة الأمن شخصيات ظل اسمهم مظلماً مشؤوماً مثل ادولف ايخمان ، وفالتر شلنبرغ ، وآرثور نيبه ، المختص بالشرطة الإجرامية .

وهكذا سيقوم ، تحت إدارة هايدريك ، وتحت شخصه تعاون وثيق جداً ، بين ال « S . D.» والغستابو . وكانت ال S . D. تحتكر الاستخبارات العملية : فقد كانت تمسك بصناديق الجذاذات التي تساعد على الاستخبارات عن الأفراد المشبوهين . وبالمقابل ، كان للغستابو وحده الحق بالقيام بتوقيفات ، واستنطاقات ، وتفتيشات دقيقة ، والحبس ، والنفي المحتمل في المعسكرات . كما كان للغستابو ، بالتالي ، في داخل هذه المنظمة البوليسية ، سلطة تنفيذية . ويجب أن نلاحظ أن الـ S . D منظمة خاصة - لأنها ترتبط بالـ S . S - بينما الغستابو هيئة دولة . والغستابو ، باعتباره مؤسسة دولة ، يخضع لإشراف الـ S . D ، باعتبارها مؤسسة حزب .

---

(١) كيتي KITTY

واتخذ إجراءان في سنة ١٩٣٦ لتسوية وضع الشرطة . **أولاً** ، براءة ١٠ شباط ١٩٣٦ ، وتنص على أن للغستابو الحق في التحقيق عن كل القوى المعادية للدولة ، وإعلام الحكومة ، وتجهيزها بالدوافع أي الإيحاء إليها بوسائل العمل . وبموجب هذه البراءة ، اعترف بالغستابو مصلحة ذات سيادة ولا ترتبط بقرارات المحاكم الادارية ، أي باختصار ، أن قرارات الغستابو لا يمكن أن تهاجم أمام المحاكم .

ثانياً ، البراءة الثانية المؤرخة ، في ١٧ حزيران ١٩٣٦ ، تضع هيملر الذي أسيء تحديد وظائفه على الصعيد السياسي ، على رأس شرطة الرايخ جميعاً . وانطلاقاً من هذا التاريخ أفلتت الشرطة تماماً من صلاحية الدول الألمانية المحلية ، وأصبحت بكاملها من صلاحية الدولة ، وباختصار : أصبح هيملر وزيراً للشرطة في ألمانيا كلها .

وبعد أن استلم هيملر الشرطة بيده ، بدأ تنظيم عام لمصالحها وأنشئ في هذه الفترة فرعان في الشرطة الألمانية :

أولاً : شرطة النظام أو بالأحرف الأولى « اوربو »[1] وتسمى أيضاً شرطة الحماية ، وعهد بها إلى دالويغه وتضم بصورة أساسية قوى الدرك (الجندرمة) ، والشرطات البلدية ، وشرطات المرور والدفاع السلبي ، وليس لها على الصعيد السياسي إلا أهمية ثانوية .

ثانياً : شرطة الأمن أو بالأحرف الأولى « سيبو »[2] وعهد بها إلى هايدريك . وهي تنقسم إلى مصلحتين :

١) الشرطة السرية للدولة أو بالأحرف الأولى « غستابو »[3] ، وعهد بها إلى

---

(١) « اوربو » هي الأحرف الأولى من : ORDNUNGS POLIZEI = (ORPO)

(٢) « سيبو » (SIPO) هي الأحرف الأولى من SICHERHEITS POLIZEI

(٣) « غستابو » (GESTAPO) هي الأحرف الأولى من : GEHEIMNISS - STAATS POLIZEI

هاينريك موللر . وهو شخص فاسد حقاً ، أراد أن يكفر عن ماضيه الثقيل بالعداء للنازية ، قبل ١٩٣٣ ، عندما كان من قبل في الشرطة ، فأصبح خادماً ذليلاً دنيئاً حيال ذي الشوكة من رجال اليوم . وظهر في الواقع ، خلال سنوات عديدة رجلاً يعمل كل شيء لهيملر وهايدريك .

٢) الشرطة الجنائية أو بالأحرف الأولى « كريبو »(١) التي عهد بها إلى نيبه .

معسكرات الاعتقال من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩

يرتبط وجود معسكرات الاعتقال بإجراء شرطة يسمى « الاعتقال الحامي »(٢) ، ومن البديهي أن كلمة « حامي » لا تهدف الشخص الذي سيحمى ضد هذه القنبلة أو تلك ، وإنما الدولة التي تجد نفسها محمية ضد أعمال هذا أو ذاك .

لقد اتخذ القرار المؤسس للاعتقال الحامي ، في ٢٨ شباط ١٩٣٣ ، وطبق بالحال ، في شباط - آذار ، عقب حريق الرايخشتاغ ، ثم بعد بضعة أشهر ، على أعضاء الأحزاب القديمة التي زالت آنذاك ، وبخاصة على الاشتراكيين الذين أوقفوا أيضاً بعدد عظيم جداً في سياق صيف ١٩٣٣ .

ولإيواء هؤلاء الموقوفين فتحت أولى معسكرات الاعتقال . وكانت تدار في معظمها ، في الأصل ، برجال ال S . A . ووجد ، دون شك ، في بداية هذا العام ١٩٣٣ ، أربعون معسكراً على هذا النحو ، وأشهرها « معسكر اورينبورغ » وحشر في هذه المعسكرات ألوف المعتقلين . ولم يحدد عددهم بالضبط . وكانوا يوقفون دون إعطائهم أي إيضاح ، وأحياناً بموجب إجراءات بسيطة للمساومة . وفي هذه

---

(١) « كريبو » (KRIPO) هي الأحرف الأولى من : KRIMINAL POLIZEI

(٢) « الاعتقال الحامي » DIE SCHÜTZHAFT

المعسكرات كانت تختلط شخصيات سياسية ومحكومون بالحق العام . ويجب أن يلاحظ ، مع ذلك ، أنه لم يكن في هذه المعسكرات أي إسرائيلي .

وفي هذه المعسكرات الأولى كان السجناء موضع عنف شخصي ، ويجب أن نلاحظ أن هذا العنف لم يكن صادراً عن تنظيم سادي للألم . ولدينا عما مر في هذه المعسكرات شاهد كوغان ، وفي ذلك يقول : « الحياة في معسكرات الاعتقال الأولى (ك . ز)[1] تتجاوز كل ما يمكن تخيله » . وتتفق قصص بعض المعتقلين القدامى الذين عاشوا إلى هذه السنوات على القول بأنه من المحتمل ألا يوجد شكل من أشكال السادية الفاسدة إلا وطبقه رجال الـ S . A . ومع ذلك كان هذا العمل دوماً عمل بهيمية فردية ، ولم يوجد بعد جهاز منظم على البارد ودون هوى أو حقد أو تشفي ويشمل جماهير عديدة . لأن هذا العمل قام به رجال الـ « S . S وحدهم » . ولدينا عدة شواهد عن معسكرات الاعتقال الأولى هذه ، وبخاصة شاهد النائب الاشتراكي زغر الذي استطاع أن يهرب ونشر كتاباً بعنوان « اورينبورغ » .

وبسرعة جداً ظهر رد الفعل ضد طرق التوقيف التي شغلت معسكرات الاعتقال الأولى هذه ، لاسيا وأن مصالح ديلس أظهرت لغورينغ الخطر الذي يمكن أن تجره هذه الأعمال التعسفية على النظام ، ولوحظ بسرعة كافية ، في النصف الثاني من سنة ١٩٣٣ ، تصفية أهم معسكرات الـ S . A . ويجب أن نذكر أن معسكرات الـ S . A . وحدها أغلقت ، وإن معسكرات الـ S . S التي تشكلت من قبل ، مثل معسكر داخاو DACHAU بالقرب من مونيخ ، لم تغلق . أما معتقلو المعسكرات التي أغلقت فقد حشروا في أربعة معسكرات حكومية أقيمت حول برلين ، وأخذتها الدولة على عاتقها .

---

(١) الأحرف الأولى K . Z . تدل على معسكرات الاعتقال . (KON ZENTRATIONSLAGER)

وفي هـذا النصف الثـاني من سنـة ١٩٣٣ ، ظهر رد فعـل في بعض الأوسـاط الإدارية أو السياسية ، ضد التدابير التعسفية وضـد « الاعتقـال الحـامي » . ولـذا أصدر فريك ، وزير داخلية الرايخ ، البلاغ المؤرخ في ١٢ نيسـان ١٩٣٤ ، الـذي لا يقبل الاعتقـال إلا إذا هـدد الأشخـاص المعنيون النظـام العـام بشكل مبـاشر . واتخذت عقوبات ، في بعض الحالات ، ضـد الموظفين أو العملاء النـازيين الـذين تجـاوزوا حقوقهم . ومن الممكن أن يفكر ، في آخر ١٩٣٣ وبـدايـة ١٩٣٤ ، بعودة النظـام إلى الحيـاة الطبيعيـة ، أي تطبيـع النظـام وزوال إجراءات الاعتقـال الحامي .

والواقع أنه لم يكن شيء من هذا ، وسنرى تطوراً سريعـاً في نظـام الاعتقـال انطلاقاً من ١٩٣٥ .

في مـؤتمر نـورامبرغ ، في صيف ١٩٣٥ ، أشـار هتلر إلى أن صـلابـة النظـام تتعلق بنمو الإجراءات القمعية : « إن المبادئ القاسيـة والحزم الحـديـدي وحـدهمـا قـادران على الجمع في جسـد مقـاوم أمـة تشكـو على كل حـال من تركيبهـا غير المتجانس تماماً ، وتوجيهها على هذا النحو سياسياً بنجاح » .

وبهـذه المنـاسبـة تكلم ، في الخطـاب نفسـه ، عن تسـويـة حـاسمـة للقضيـة اليهودية . وصرح : « إن النضال ضد أعداء النظام يجب أن تقوم به المنظمات التي تكيفت أفضل من غيرها مع هذا العمل » ومن الواضح أنه يعني بهذا ال S.S تحت هذه الصيغة .

إذن نرى ، انطـلاقـاً من آخر سنـة ١٩٣٥ ، كثرة ، التـوقيفـات التي كانت بخاصة ، في ١٩٣٦ ، على علاقة بتنفيـذ خطـة الأربعـة أعوام التي تنـذر بـاقتصـاد الحرب . ولا تسمح للنظـام بـالتسـاهل مـع أي عـدو داخلي . وفي هـاتين السنتين ١٩٣٦ - ١٩٣٧ ، أخذ تطبيق الاعتقال الوقائي يتزايد تـدريجيـاً إلى أن توج أخيراً

بقرار ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٨ . وهذا القرار عظيم الأهمية في تاريخ الاعتقال لأنه يعلن أن ، الاعتقال الحامي ليس موجهاً ضد الأعمال فحسب ، وإنما ضد النزعات التي تهدد الشعب والدولة . ومن جهة أخرى ، إن الحبس الذي يقرره الغستابو وحده سيكون بعد اليوم إجبارياً في معسكرات الاعتقال .

وانطلاقاً من آخر ١٩٣٥ ، كانت معسكرات الاعتقال بكاملها في أيدي ال S.S . وفي الحقيقة ، إن الغستابو كانت ممثلة في المعسكرات تحت شكل يسمى « القسم السياسي » . وهي التي تقرر الحبس ، وعلى وجه الاحتمال ، التحرير . ولكن سلطة ال S . S هي التي تصوغ نظام الاعتقال بكامله . إذن يجب أن يرى أن ال S . S هي المسؤولة تماماً ، عبر « S . S رأس الموت » عن تنظيم الاعتقال في المعسكرات . ويقصد هتلر بذلك أن يقاوم « نفايات البشرية » التي تقطن معسكرات الاعتقال ، والتي تؤلف ما يسمى ، « العرق المضاد » ، لجماعة ال S . S التي ترمز إلى الخصائص العرقية العليا ، وأن عنصر معسكرات الاعتقال مُعَدٌّ لتشكيل نوع من قطب سلبي ، بالنسبة ال S . S .

إن الشخصية ، التي عهد إليها هيملر بتشكيل إدارة هذه المعسكرات ، هي **تيؤدور هايكه** . وكان هذا منذ ١٩٢٨ ، يناضل في الـ S.S . وقدم ، ولا شك ، خدمات كبرى جداً ، بالرغم من أن مهنته قد توقفت زمناً طويلاً إثر مرض عقلي ، وأمر هتلر بالعناية به في مستشفى الأمراض العقلية في فرتسبورغ ، وعند خروجه من هذا المستشفى عهد إليه هيملر بإدارة معسكر داخاو ، بالقرب من مونيخ . وحرر تيؤدور هايكه نظام هذا المعسكر وأدخل فيه نظام العقوبات الجسدية ، والتوقيفات ، وحتى عقوبة الموت ، في داخل المعسكر . وقد أفاد نظام داخاو هذا ، فيما بعد ، مجموع نظام معسكرات الاعتقال الألماني . وهو الذي أدخل الروح التي يجب على الـ S.S أن تعامل بها سجناء

معسكرات الاعتقال . وكان يريد تنمية عاطفة الاستعلاء عند رجال الـ S. S ، وتدريبهم ضد كل رحمة ، وضد كل ضعف . وعند السجناء المعتقلين ، كان يقصد ، بصورة أساسية ، بحياة معسكرات الاعتقال ، تدمير شخصيتهم والضغط عليهم وتهديمهم أيضاً بغية تنمية أدنى الغرائز عندهم ، وأخزى قوى البشرية . ويجب أن يرى أنه لا يوجد في معسكرات الاعتقال هذه ، منذ الأصل ، وقد أوضح ذلك بخاصة كوغان ، أي نوع لفكرة تربية جديدة . ولم يكن القصد فيها النهوض بالناس ، ولا السير بهم في الطريق المستقيم ، بل كان القصد ، بالعكس ، تنمية أدنى الغرائز الإجرامية فيهم .

ويجب أن نشير أن هيملر ، انطلاقاً من ١٩٣٧ ، أدخل العمل في معسكرات الاعتقال ، وشغل المعتقلين ، وعلى الأقل في بعض المعسكرات ، باستخراج الأحجار من المقالع ، أو بتجفيف المرازغ . ولكن هذه الأشغال ، في فكر هيملر ، لا تليق بالأمة الألمانية ولم يكن قصده إطلاقاً تحرير المعتقلين بالعمل ، ويرى أن المعتقل غير قابل للتقويم .

ومن جهة أخرى ، كان من صفات نظام معسكرات الاعتقال ، قبل ١٩٣٩ ، الخلط في المعسكرات ، بين المحتجزين السياسيين ومحتجزي الحق العام : ففي زاخسنهاوزن بخاصة ، كان يوجد عدد عظيم من المتخلفين الاجتماعيين ، ومحبي الجنس المذكر ، ومجرمي الحق العام . ويخلط مع هؤلاء الأشخاص الحزانى المحزنين ، رجال يحركهم مثل أعلى ، ونذكر على سبيل المثال « شهود يهوه » أو « جماعة الكتاب المقدس » وهم فرقة بروتستانتية اشتبه بها لأنها رفضت الخدمة العسكرية ، ولوحقت في الرايخ كله وحبست في معسكرات الاعتقال . وأخيراً يجب أن نشير إلى دخول اليهود التدريجي والبطيء ، في معسكرات الاعتقال : فبعد « ليلة الكريستال » الشهيرة اقتيد ٣٥,٠٠٠ يهودي ، كما هم ، إلى معسكرات

الاعتقـال . وقـد أطلق سراح الكثير منهم ، في الأشهر التـاليـة ، بعـد أن تعهـدوا بالهجرة إلى الخارج .

وللختام ، نرى أن مـا يجب حفظـه عن معسكرات الاعتقـال هـذه ، هو أن نظام معسكرات الاعتقال ، كما سار بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ ، ليس له على الإطلاق أي علاقة مع النظام الذي نما انطلاقاً من اللحظـة التي سيطرت فيهـا ألمـانيـا المنتصرة على عدد عظيم من الشعوب الأوربيـة . فقـد أدت الحرب إلى تحويل كامل لنظـام معسكرات الاعتقـال . وتجب الإشـارة أيضـاً إلى أن المعسكرات الهتلريـة ، قبـل ١٩٣٩ ، لم تكن معسكرات إبادة . ولم يكن في ذلـك الحين سيـاسـة إبـادة منظمـة كالتي وجدت في المعسكرات الكبرى ، مثل أوشفيتز أثناء الحرب . ولكن مـا من شك أيضاً في أن فلسفة النظام ، التي تعتمد على فكرة تسلسل الأعراق ، أي وجود عـالم من « السـادة » ووجود مـا كان يسميـه النـازيون « أعـداء العرق » ، تتضح بنظام معسكرات الاعتقـال قبل ١٩٣٩ . وبـالتـالي ، فـإن جزءاً عظيمـاً جـداً من العقائـديـة التي سـادت نظـام معسكرات الاعتقـال أثنـاء الحرب ، وامتـدت على الشعـوب الخـاضعـة ، قـد طبـق من قبـل في ألمـانيـا ، حيـال الألمـان بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ .

الفصل الثاني عشر

مقاومة الهتلرية

من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩[1]

ماذا يجب أن نفهم من « مقاومة الهتلرية » ؟ ينبغي أن نرى أن القصد منها لا يشبه في شيء ما مرَّ في فرنسا أو في البلاد التي احتلها الألمان ، بين ١٩٤٠ و ١٩٤٥ ، إذ لا يوجد أي نقطة مشتركة بين المقاومة الألمانية والمقاومة الأجنبية للسيطرة الألمانية .

أولاً ، إن النقطة الأولى التي يجب إيضاحها ، هي أنه لا يوجد أي حزب ، أي هيئة مشكلة ، أي منظمة اجتماعية أو دينية كانت ، كما هي ، قادرة على مقاومة الهتلرية . ولذا فإن المعارضة لا يمكن أن تكون غير واقع شخصيات منفردة تعمل لحسابها ولا تمثل إلا نفسها . ومن العسير ، في هذه الظروف ، أن نقيس الأهمية العددية لهذه المعارضة . فقد لوحظ نحو مليون ألماني حبسوا بين ١٩٣٣ و ١٩٤٠ في معسكرات الاعتقال ، ولكن هذا ، بالبداهة ، لم يكن سوى نوع قَدَري ، ولا يمكن أن يعلمنا بأهمية المعارضة . ويجب أن نلاحظ أيضاً أن كثيراً من هؤلاء المعارضين كانوا في الأصل ، وفي بعض الأوقات ، معجبين متعصبين للهتلرية ، وخاب ظنهم وارتدوا ضدها .

والنقطة الثانية ، التي يجب توضيحها ، هي أن هذه المقاومة لا يمكن أن تعتبر كظاهرة لهذه الطبقة الاجتماعية أو تلك ، ولا يمكن ربطها بأي برنامج ،

---

(١) راجع : T PRITTIE , les Allemands contre Hitler ; H. Rothfels , Der Widerstand gegen Hitler (la résistance contre Hitler)

أو بأي وجهة نظر مجموعة سباسية أو اجتماعية . فقد كان قصد المعارضين للنظام أمراً معنوياً . وهذه المقاومة الهم بها النفور الذي يثيره نظام مؤسس على القوة وعلى القهر ، وعليه فبموجب نوع من قناعة داخلية قام عدد من الألمان ضد الهتلرية ، وأحياناً بشكل لا يمكن أن يعتبر مجاناً تماماً . وهذه ، مثلاً ، حال الكاتبَ أرنست فيشرت : الذي دعا في ١٩٣٥ ، الطلاب في مدينة مونيخ بألا يسكتوا عندما يجبرهم وجدانهم على الكلام ، والذي ، احتج علناً بعد عامين ، على توقيف نيمولّر ، وعلى أثر هذه الحوادث سجن في معسكر اعتقال . وهذا الشكل من المقاومة ، الذي خرج من نوع من القناعة الداخلية ، كان غير مفهوم على الإطلاق في الخارج . فهو لا يتفق في الواقع مع الرأي الذي تكونه الشعوب الأجنبية عن ألمانيا التي ترى فيها شعباً مستعبداً تماماً ، ومتعصباً بالهتلرية . ولذا فإن الأجنبي يلاحظ ، إزاء هذا الشكل من المعارضة عموماً ، حذراً كبيراً جداً أو لامبالاة عظمى جداً ، وإن المقاومين الألمان لم يكن لهم من ينجدهم إلا قليلاً جداً في خارج حدودهم .

ومع ذلك ، فلرسم لوحة منطقية لهذه المقاومة ، ينبغي أن نميز ، بالرغم من كل شيء . شكلين للمقاومة : مقاومة اليسار ، والمقاومة المحافظة .

مقاومة اليسار

لا مندوحة لنا عند معالجة هذه المعارضة ، عن التمييز بين ما مرّ في المهجر وما مر في ألمانيا نفسها .

١ً) في المهجر

في ٢٤ نيسان ١٩٣٣، أعطى الحزب الاجتماعي الديموقراطي لنفسه توجيهاً جديداً . وفي ٤ أيار ، على أثر تدابير القمع التي وقعت في ذلك الحين على

النقابات ، كان القرار ، الذي اتخذته اللجنة الجديدة الموجهة للحزب الاجتماعي - الديموقراطي (S. P. D.) ، أثناء مؤتمر سري عقد في السار أن يشكل تمثيلاً له في الخارج . وبالتالي ، في ذلك التاريخ ، قرر عدد من الزعماء الاجتماعيين - الديموقراطيين الألمان أن يذهبوا للخارج . وبسرعة عارض هذا التمثيل الاجتماعي - الديموقراطي في الخارج ، الاجتماعيين - الديموقراطيين الألمان الذين بقوا في الرايخ ، وفي الواقع ، في ١٧ أيار ، إن الرئيس لوبه ، رئيس مجلس الرايخشتاغ ، شايع ، تحت التهديد ، سياسة الفوهرر الخارجية . وقد أثارت هذه المشايعة من قبل الرئيس لوبه احتجاجاً شديداً من جانب ممثلي الاجتماعية - الديموقراطية الألمانية في الخارج .

لقد أقام هؤلاء الممثلون للاجتماعية - الديموقراطية الألمانية في البدء في براغ . وهنا ألفوا حزباً جديداً عرف بأحرفه الأولى . تحت اسم « سوباده » (SOPADE)[1] . وقد نشرت هذه الهيئة الجديدة في براغ الجريدة الاجتماعية الديموقراطية « إلى الأمام من جديد » ، ونشرت لإعلام الاجتماعيين الديموقراطيين الباقين في ألمانيا « النشرات الخضراء » التي أدخلت إلى ألمانيا سراً ، من جهة بطريق كارلسباد - كمنيتز ، ومن جهة أخرى ، بعدد من الشعاب الألبية ، بين النمسا وبافاريا ، ولكن بصعوبات ضخمة جداً وبخسائر في الرجال .

وبين موزعي هذه « النشرات الخضراء » والمناشير التي نشرتها الاجتماعية - الديموقراطية في براغ ، يجب أن نشير إلى شخص فيللي برانت الذي استقر بسرعة في أوسلو ، ثم عاد إلى ألمانيا ، إلى برلين وأسس فيها منظمة اجتماعية - ديموقراطية سرية . ثم ذهب بعد ذلك وقاتل بعض الوقت في إسبانيا ليعمل فيما بعد في المقاومة النورفيجية للهتلرية .

---

(١) Socialistisch partei Deutschlands .

ويجب أن نشير ، بين الشخصيات التي تزعمت في ذلك الحين الاجتماعية - الديمقراطية في الخارج ، إلى النائب في الرايخشتاغ ، فيلس ، الذي ألقى في ٢٣ آذار ، في الرايخشتاغ ، الخطاب الشهير الذي رفض فيه أصوات الاجتماعية - الديموقراطية على السلطات الواسعة التي طلبها هتلر . وإلى جانب فيلس ، على رأس « **السوباده** » ، نجد أيضاً **شتامبفر** وهو رئيس تحرير سابق لـ « إلى الأمام » الجريدة الأساسية للاجتماعية - الديموقراطية الألمانية ؛ وإيريك اوللنهاور الذي لعب بعد الحرب دوراً في تاريخ الاجتماعية - الديموقراطية ، كان في ذلك الحين مديراً لحركات شبيبة الحزب ، السوباده ، بعد أن استقر به المقام في براغ ، ثم اضطر ، في ١٩٣٧ ، أمام التهديدات ، التي ظهرت على استقلال تشيكوسلوفاكيا ، إلى نقل مقره إلى باريس .

في أوساط السوباده هذه ساد الاعتقاد بأن الشعب الألماني سينتهي بالثورة على الهتلرية . وكان سقوط هتلر بالنسبة لها ، محتوماً . ويوجد في هذه الأوساط تفاؤل عظيم جداً ، وأوهام عديدة ، ونظرة غير صحيحة كاملاً عن القوى التي كانت تمثلها بنفسها وعن القوى المخاصمة . وكان لها قليل من الجمهور الذي يستمع لها في الخارج . وفي الحد الأعظم كانت تلاقي بعض مظاهرات التشجيع الشخصية ، أو الرحمة الجماعية . وبالرغم من هذه العزلة ، ظل الاشتراكيون قليلي الرغبة في تأسيس جبهة مشتركة مع العناصر الشيوعية ، قدامى أعضاء الحزب الشيوعي الألماني الذين يعيشون في الخارج .

ولاغنى ، في داخل هذه الأوساط الاجتماعية - الديموقراطية في المهجر ، من تمييز ثلاثة اتجاهات مختلفة ، وما من واحد منها استطاع أن ينجح في فرض نفسه على الاخرى .

١ً) اتجاه اليسار وهو يتمثل بفريق يسمى « الحرس الجديد » ويطالب

بخاصة ، بالقطيعة التامة مع تقاليد إعادة النظر (المراجعة) ، وتنظيم الطبقة الكادحة على أساس نزاع الطبقات ـ وبخاصة بفريق « البداية الجديدة » وعلى رأسه وجد اشتراكي إسرائيلي ، ريشار لوفنتال المعروف تحت اسمه الحربي بول سيرينغ . وفريق « الهداية الجديدة » هذا يعارض الحتمية الاقتصادية التي سادت طويلاً في الاجتماعية ـ الديموقراطية ، ويحاول أن يعرّف الجانب المهيج في الماركسية . وهذه الاتجاهات اليسارية التي أتينا على ذكر بعض عناصرها تتضح بخاصة في مجلة « المجلة من أجل الاشتراكية » ، التي أسسها الزعيم الاشتراكي القديم هيلفر دينغ ، في سويسرا .

٢ً) اتجاه الوسط ـ الذي يتمثل بأكثرية السوباده أي أركان الحزب الاجتماعي ـ الديموقراطي ـ ويفصح عن نفسه بخاصة في كتاب كورت غيير ويسمى « حزب الحرية » وهو اتجاه يحبذ اشتراكية ذات طابع ديموقراطي .

٣ً) وأخيراً يوجد اتجاه تمكن تسميته ، إذا أردنا ، بالاتجاه « اللاسّالي[١] » الذي كان يحبذ إقامة اشتراكية قومية ، ويبحث عن تحالفات مع عدد من الفرق الأخرى ، وبخاصة مع زعماء يسار الهتلرية ، الأوساط القريبة من أوتو شتراسر ، ومع عدد من ممثلي الأحزاب المسيحية .

وهذه النزعة البينية في داخل الاشتراكية ـ الاشتراكية القومية ـ كان يمثلها شخص وجيه وهو بنسل ياكش الذي كان زمناً طويلا زعيم الاشتراكية ـ الديموقراطية في بلاد السوديت أي السكان الألمان الذين يقطنون في تشيكوسلوفاكيا . وقد كافح ياكش ، بشجاعة عظية سياسة الحكومة التشيكوسلوفاكية المركزية ، حكومة بينيش ، وفي الوقت نفسه أيضاً الاتجاهات القومية ـ الاشتراكية حول كونراد هنلاين ، وحاول أن يحافظ ، بين هؤلاء

(١) بالنسبة إلى لاسال Lassalle أحد مؤسسي الاشتراكية الألمانية وصاحب « القانون النحاسي » في الأجور .

السكان الألمـان في السـويد ، بـالرغم من ضغـط القـوميـة ، على مثـل أعلى ديموقراطي واشتراكي . وكان على يـاكش أن يغـادر بـلاد السـويد ، بعـد ثـورة مونيخ ، ويلجأ في إنكلترا .

والحق يقال ، لم يكن بالإمكان أي توفيق بين هذه الاتجاهات الثلاثـة . وفي دور الحرب سيتألف في لندن « اتحاد المنظمات الاشتراكية الألمـانيـة في بريطـانيـا العظمى » ويحاول إقامة اتصـال ووحـدة وجهـات نظر بين مختلف هـذه الفرق ، وبـالتـالي يمـارس نفـوذاً على إعـادة تشكيـل الحـزب الاجتماعي ـ الـديمـوقراطي الألماني ، في ١٩٤٥ .

٢ً) في ألمانيا

لقـد عرفنـا أن هتلر استلم السلطـة في ١٩٣٣ ، وأن استـلامـه السلطـة كان مصحوباً بتوقيفات عديدة في الأوسـاط العمالية الألمـانيـة وبين زعمـاء الأحزاب : الاشتراكي ، والاجتماعي ـ الـديمـوقراطي ، والشيـوعي . وهكـذا نرى أن كـورت شـومـاخر ، الـذي أصبـح في ١٩٤٥ المنظم الجـديـد لـلاجتماعيـة ـ الـديمـوقراطيـة الألمـانيـة ، قـد أوقف في ٦ تمـوز ١٩٣٣ . وقضى عـدة سنـوات في السجن أو في معسكرات الاعتقـال ، إلى أن أطلـق سراحـه في ١٩٤٣ ، ثم أوقف من جـديـد في أيلول ١٩٤٤ . وبين الزعماء الشيوعيين ، تجدر الإشارة لحالة **تلمان** الذي أوقف في شهر آذار ١٩٣٣ ، وبعد أحد عشر عاماً على بقائه في معسكر الاعتقال قضى نحبه في بوخنفالد ، في آب ١٩٤٤ . ولتحديد مجموع هذا النظـام القمعي ، ينبغي الـدلالـة على أن ٥٧ برلمـانيـاً شيوعيـاً أعـدموا في الزنزانـات النـازيـة بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ ، وكذلك ٦٢ برلمانياً اشتراكياً . وهذا يعني ما كانت عليه أهمية القمع .

ومن المؤكد أن العمال كانوا أحد العناصر الأساسيـة في معسكرات الاعتقـال ، وأن الطبقة العاملة هي التي ، من بعيد ، عانت ما عـانت من ألم ، وأن كثيرا من

الشواهد تدل على ثبات واستحكام روح المقاومة في الأوساط العمالية . على الأقل حتى ١٩٣٦ . والمثال الذي يستشهد به غالباً في هذا الاعتبار هو الانتخابات لمجالس المشاريع في ١٩٣٥ ، التي أعطت أيضاً نتائج منافية جداً للنظام النازي

كيف ظهرت هذه المعارضة في أوساط اليسار ، في ألمانيا ؟ لقد ظهرت ، غداة استلام السلطة ، في ١٩٣٣ ، بتشكيل عدة جماعات صغيرة أتت بخاصة من أوساط الشبيبة الاشتراكية : شبيبة راية الرايخ ، والرابطة الديموقراطية . والأوساط الطلابية الاشتراكية . وبشكل عام ، على العكس ، إذا كانت العناصر الفتية النشيطة ، عديدة في المقاومة ، فإن قدامى زعماء الاجتماعية ـ الديموقراطية ـ الذين لم يهاجروا ـ ظلوا خارج الحركة ، أو أنهم استنكروها تماماً ، واعتبروها عبثاً تماماً ودون جدوى . وهذه بخاصة حالة سيفيرينغ الذي كان أحد الوجوه الهامة في الاجتماعية ـ الديوقراطية البروسية ، وحالة زعيم النقابات الاشتراكية ، ليبارت .

وبين فرق المقاومة ، غداة ١٩٣٣ ، تجدر الإشارة إلى حركة « سرية الصراع الحمراء » التي تضم عدداً من الطلاب والعمال البرلينيين ، وأيضاً الفروع الآلمانية لفريق « البداية الجديدة » التي كانت لها ، في الواقع ، فروع في ألمانيا . وقد تألفت هذه الحركة « البداية الجديدة » في ألمانيا ، في ١٩٣١ ، للنضال ضد الهتلرية . وضمت عناصر اشتراكية وشيوعية وكان بينها شخصية مثل شخصية **فريتز ارلر** الذي أوقف في ١٩٣٣ وحكم عليه بسجن القلعة عشرة أعوام . والجريدة السرية التي كانت أهم من غيرها وينشرها هذا الفريق ، جريدة عرفت تحت الاسم « أوتو الأخضر » وكانت تعرف بخاصة برأي الأنظمة الأجنبية في النازية .

وبين هذه الفرق المقاومة في ألمانيا ، تجدر الإشارة إلى أن الفرق ، التي كانت

أنشط من الاجتماعيين ـ الديموقراطيين أنفسهم ، كانت فرق اليسار التي ابتعدت في سياق السنوات السابقة عن الاجتماعية ـ الديموقراطية ، مثل « حزب العمال الاشتراكي » (S. P. A.) الذي ألف حزباً يسارياً بالنسبة للاجتماعية ـ الديموقراطية ؛ أو بخاصة فريق الـ « I. S. K. B. » أي « رابطة الكفاح الاشتراكي الدولي » التي أسسها قبل بضع سنوات أستاذ الفلسفة ليؤنارد نلسون .

وكذلك ، يظهر نفس الحادث في داخل الشيوعية الألمانية أن من كانوا أنشط من الشيوعيين أنفسهم ، هم عدد من الجماعات المنشقة ، مثل الـ « K. P. O. » أي « حزب المعارضة الشيوعي » الذي ضم في ذلك الحين عدداً من الجماعات ذات النزعات التروتسكية .

إن معظم هذه الحركات اشتراكية كانت أو شيوعية ، كانت مقتنعة بأن عمر النظام الهتلري قصير الأجل . ولذا كانت تحاول أن تصون العاطفة الديموقراطية ، وإرادة النضال ، وذلك بالقيام بعمل دعاية حار ، بتوزيع الرسالات النقدية والكراريس .

ومع ذلك ، فإن حركات المقاومة هذه في داخل ألمانيا لم يكن لها إلا وجود مؤقت عابر . إن استقرار النظام ، والنجاحات التي أحرزها على صعيد السياسة الاجتماعية ، ثبطت بالتدريج العمل غير القانوني . وانطلاقاً من ١٩٣٦ يمكن القول بأن الغستابو أتى على آخر جزيرات المقاومة . ومن جهة أخرى ، يوجد في الأوساط المقاومة في اليسار الألماني شك عظيم في الموقف الذي يجب تبنيه حيال روسيا البولشفية . وهذه قضية لم تتفاهم المعارضة عليها . ففي ١٩٣٥ وفي ١٩٣٦ ، وجه تشكيل الجبهة الشعبية في فرنسا الاشتراكيين نحو البحث عن تحالف مع الشيوعيين . ولكن هذه النزعة وجدت مثبطة العزم بـ « التطهيرات » التي جرت

في ١٩٣٦ في الجيش وفي الحزب ، في الاتحاد السوفياتي ، وأدت بالرأي الاشتراكي من جديد إلى تبني موقف حرج إزاء الشيوعيين . وهكذا فإن فريق « البداية الجديدة » الذي كان ، في الأصل ، محبذاً جداً لتفاهم بين حزبي اليسار الكبيرين ، قد تحول في ١٩٣٩ عن الشيوعية .

وعشية الحرب العالمية الثانية ، كانت الشخصيات الاشتراكية الأكثر نشاطاً من غيرها في ألمانيا ، تلك التي تمثل الحركة النقابية . ويجب أن يشار ، من بينها ، أولاً ، إلى شخصية يوليوس ليبير المناضل النقابي المسنّ ، الذي كان قد أسهم في ١٩٣٢ في قمع ثورة كاب Kapp ، وكان سجيناً في ١٩٣٣ ووضع في معسكر الاعتقال في زاخسنهاوزن ، ثم أطلق سراحه في ١٩٣٧ واستقر في برلين بائع فحم ، يقضي حياة هادئة في الظاهر ، ولكنه كان على صلات مع أوساط المقاومة . والشخصية الثانية كانت ولهلم لويشنر . وهو أيضاً مناضل نقابي ، وزعيم لـ « النقابات الحرة » ، أي النقابات الاشتراكية ، في ١٩٣٢ . وقد بدأ ، في السنوات الأخيرة قبل الحرب ، بإقامة علاقات مع الأوساط العسكرية في المقاومة ، وبخاصة مع الجنرال فون هامرشتاين ، ومع كاناريس ، وأيضاً مع عدد من أعضاء المقاومة الكاثوليكية ـ وهنا أيضاً كان للنقابيين المكان الأهم وبخاصة مع جاكوب قيصر .

وقد أدركت هذه الأوساط اليسارية تماماً بأنه لا يمكن لأي معارضة أن تتغلب على الهتلرية إلا إذا ساندها الجيش . وهذا ما دفعها إلى إقامة صلات مع أوساط سياسية من طبيعة أخرى غير طبيعتها . وعلى هذا النحو طرح أساس ما سيكون ، بعد ١٩٤٠ ، الفريق الأساسي للمقاومة الألمانية ، ويسمى « حلقة كرايزو » التي ضمت معاً أوساطاً محافظة وأوساطاً تنتسب للاجتماعية ـ الديموقراطية الألمانية .

المقاومة المحافظة

لقد ظهرت المعارضة المحافظة الأولى ، في الآونة التي استلم فيها هتلر السلطة ، في الأوساط « المحافظة - الحديثة » التي كانت قد أبدت قبل ١٩٣٣ تعاطفها معَ ثورة « على الطريقة الألمانية » معادية للحرية ومعادية للبرلمان ، وباعثة للقيم القومية ، ولكنها مع ذلك بقيت بعيدة عن النازية أو تستنكرها .

وكانت الشخصية المرموقة ، في هذه الأوساط المحافظة - الحديثة ، شخصية إدغار يونغ . فقد ألف في ١٩٢٧ كتاباً بعنوان « سيطرة من لا قيمة لهم » أو « سيطرة عديمي القيمة » ، ثم أصبح أميناً لسر فون بابن ، وهو الذي حرر ، في ١٩٣٤ ، خطاب ماربورغ الشهير الذي كان أحد أسباب القمع في ٣٠ حزيران . ولكن هذا الشكل لمعارضة المحافظين - المحدثين بقي متماسكاً عند عدد من أعضاء الأرستقراطية الألمانية ، وفي بعض الأوساط الفكرية ، وبخاصة في بعض الأوساط التي تنتسب إلى معجبي موللر فون دربروك أو يونغر .

ظهر هذا الشكل من المعارضة في مجلتين ظلتا تصدران في الدور الذي يشغلنا ، وهما : « المجلة الألمانية » أو « منظر ألمانيا العام » التي كان يديرها رودولف بيكيل ، وكان ينتسب إلى أوساط قريبة من البولشفية - القومية ؛ ومجلة « الأوراق البيضاء » التي كان رئيس تحريرها كارل - لودفيغ فون غوتنبرغ ، وهاتان المجلتان ، على الصعيد الأدبي على الأقل ، وبالتقارير التي أعطتاها عن عدد من المؤلفات ، ظلتا تحافظان ، بالرغم من صعوبات كبيرة جداً ، على التقاليد الفكرية لليمين غير النازي .

ومع ذلك ، فإن المعارضة المحافظة لم تظهر إلا بعد ذلك بكثير ، ولم تأخذ إلا في ١٩٣٨ طابعاً عدوانياً حقاً إزاء النظام . وكان ذلك بتأثير شخصيتين : إحداهما

مدنية ، والأخرى عسكرية وهما غوردلر وبيك . وبالتالي ، عند تحليل هذه المعارضة المحافظة ، يجب أن نرى ما هي الاتجاهات التي تمثلها هاتان الشخصيتان .

ينتسب غوردلر[1] إلى أسرة بروسية محافظة . وكان أبوه نائباً في دياط بروسيا . درس الحقوق في توبنغن ، ثم دخل الحياة الإدارية ، وفي حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ أرسل بعض الوقت إدارياً في منطقة روسيا البيضاء التي فتحتها الجيوش الألمانية . وكافح بنفسه في الجيوش الحرة ليمنع البولونيين من احتلال ممر دانتزيغ . وكان في هذا الدور يشاطر أفكار القسم الأعظم من أمثاله من أبناء جيله . وكان معادياً بصورة مطلقة للنظام البرلماني ، ويرى أن الحكم يجب أن يكون خاصاً بإدارة عليا مستنيرة وكفؤاً . وقضى في الإدارة الألمانية حياة لامعة ، وسمي عمدة ليبزيغ ، ولم يخالجه أي هاجس في التعاون مع النازيين . حتى إنه قبل ، في ١٩٣٤ - ١٩٣٥ وظائف مفوض للأسعار . وعلى ما يبدو أنه لم يتزعزع في قناعاته المناصرة للنازية ، « بحمام الدم » في ٣٠ حزيران ١٩٣٤ .

ولكن الحادث الحاسم لتطوره السياسي كان قرار الحاكم المحلي في نزع تمثال الموسيقي مندلسون ، في ليبزيغ ، لأن مندلسون هذا كان يهودياً واعتبر غوردلر أن هذه الظاهرة سُبَّة حقيقية للأمة الألمانية . ولما كان نزع التمثال قد جرى أثناء غيابه عن ليبزيغ ، استقال عند عودته مباشرة وجرد من جميع وظائفه ، في نيسان ١٩٣٧ .

وعلى أثر هذه الحوادث ، عرضت عليه إدارة الشؤون المالية عند كروب ، باعتباره كان يتمتع بشهرة عظيمة في أوساط الرايخ الصناعية والمالية . ولكنه رفض هذا العرض ، واستلم في ذلك الحين وظائف ممثل عند الصناعي روبرت

(١) راجع : Ritter Geshard, Carl Goerdeler und die deutsche Widérstandsbewegung, Stuttgart, 1954.

بوش ، في شتوتغارت . وكان روبرت بوش شخصية لعبت دوراً عظيماً في تاريخ الحزب الديموقراطي في فورتامبرغ . ومن جهة أخرى ، كان بوش مسيحياً مؤمناً جداً ، وينتسب إلى الكنيسة المعترفة ، وقد شكل في شتوتغارت مركزاً لمقاومة الهتلرية . وهو الذي كان بخاصة يدعم دار نشر ر . بيكيل . وكان بوش يقيم علاقات في عدة أوساط يسارية ، في بلاد مختلفة ، وبخاصة مع غودنهوف - كاليرجي أحد منظري « فكرة أوربة » . وهكذا أصبح غودلر نوعاً ما ممثلاً لمؤسسة بوش الصناعية في الخارج ، واستطاع عندئذ أن يقوم برحلات عديدة جداً ، واتصالات في أوربه ، وفي أمريكا ويستعمل هذه الاتصالات للدلالة على الخطر الذي تجابه الهتلرية السلام به . وكان غوردلر في ذلك الحين يرى أن الحل الوحيد والمقبول لألمانيا هو عودة الملكية الدستورية .

هذا ويجب أن نعترف أن غوردلر ، باعتباره رجل مؤامرة ، وخصماً للنظام ، له مثالب كبيرة . لقد كان قليل الفطنة ، ثرثاراً جداً ، وبهذا كان عنده نوع من تفاؤل لا يتزعزع بالقضية التي يدافع عنها . لقد كان يحركه ، دون منازع ، إحساس سام بالواجب ، وعاطفة عميقة بالقيم الأخلاقية . ومارس نفوذاً عظيماً على كل من صاحبه وتقرب منه .

وبسرعة ، انطلاقاً من ١٩٣٧ ، تشكل حول غوردلرَ فريق من الرجال الذين قلقوا من سياسة ألمانيا الخارجية ورأوا أنها ستقود بعد قليل من الزمن إلى الحرب . وهكذا فإن محادثات « نادي الأربعاء » الذي عقد في برلين ، انتهت بجمع عدد من الشخصيات التي أقلقها تطور النظام النازي ولم تكن في الأصل خصوماً للنازية ، وإنما أناس يفكرون بأن سياسة هتلر ستؤدي حتماً إلى حرب ، ولم تكن ألمانيا مهيأة لها لا بأحلافها ولا بوضعها الداخلي .

بين هذه الشخصيات تجدر الإشارة بخاصة إلى شخصيتين شخصية يوهانس

بوبيتز الذي كان وزيراً للمالية في بروسيا ، ومن أنشط مساعدي شاخت (حتى إن شاخت نفسه اتجه هو أيضاً نحو موقف معاد للنازية ، ولكن الأوساط المعارضة ظلت تضعه جانباً دوماً) . وكان بوبيتز نموذج التكنوقراطي الألماني ، وفي هذا الاعتبار لم يتفاهم مطلقاً مع غوردلر الذي يحتقر اعتباراته الاجتماعية . وإلى جانب بوبيتز يجب أن نشير إلى الدبلوماسي اولريخ فون هاسّل . وكان دبلوماسياً ممتهناً وصهراً لفون تيربيتز منظم البحرية الألمانية ، وسفيراً في روما ، عندما استلم هتلر السلطة ، ولكنه ما لبث أن أظهر عداءه لمحور روما - برلين مقدراً أن الجيش الإيطالي لا قيمة له ، وبالمقابل معادياً للتطور الذي يدفع ألمانيا لمعاداة روسيا ، ومعادياً للميثاق المعادي للشيوعية الدولية - وهذا ما وضعه في معارضة مع ريبا نتروب . وكان هاسل ينتمي إلى هذه الطبقة من الدبلوماسيين الألمان الذين يرون الحفاظ على علاقات ألمانيا مع روسيا السوفياتية .

وكان نادي الأربعاء يتألف من كبار الموظفين ، والجامعيين ، وبين هذه الشخصيات نجد عدداً من الرجال الذين ينتمون إلى المعارضة الدينية ضد النظام ، مثل ديتريك بونوفر الذي ينتسب إلى أسرة لاهوتيين وكان راعياً للكنيسة اللوثرية في لندن ، وعاد إلى ألمانيا ليشارك في النضال لصالح الكنيسة المعترفة . وحافظت اختا بونوفر على علاقات مفيدة للغاية ونتيطة في الإكليروس الأنغليكاني ، في إنكلترا ، وتزوجتا حقوقيين يدعمان ، هما أيضاً ، حركة المقاومة في داخل هيئة القضاة الألمان . ومن جهة أخرى ، إن أخ ديتريك ، وهو كلاوس بونوفر ، الذي كان يدير المصالح المالية لشركة طيران اللوفتهانسا ، كان على صلات وثيقة للغاية بأسرة اوتو جون التي كانت نفسها على صلات ببعض الأوساط الملكية ، مع أوساط آل هوهنتسولرن التي كانت تعارض النظام الهتلري .

ومن الواضح ، في نظر هؤلاء المحافظين ، أن الواسطة الوحيدة للقضاء على

هتلر هي انقلاب عسكري ، وأن العسكريين وحدهم عندهم الوسائط لإنهاء النظام الهتلري بالقوة . وهذا ما يفسر لنا الاتصالات التي جرت بين نادي الأربعاء والجنرال لودفيغ بيك الذي أصبح زعيماً للمقاومة العسكرية .

لم يكن عند بيك شيء من بروسي ، ولا من يونكر[1] . لقد كان ابن بورجوازيين رينانيين . وتربى تربية دينية كاثوليكية . وكان يهتم بخاصة بالقضايا العلمية ، وبطريق العلم دخل الجيش : وكان نموذج الضابط المثقف ، ومنظراً عظيماً في القضايا العسكرية وهذا ما جعله يشبه غالباً شارنهوست وكان رجلاً متحفظاً ، ويشعر بأنه متضايق في العالم .

وعلى ما يبدو ، أنه لم يكن منحازاً ، في الأصل ، ضد النظام ، حتى إنه في ١٩٣٠ دافع أمام المحاكم عن ضباط نازيين . وسمي في تشرين الأول ١٩٣٣ مديراً لهيئة الأركان العامة في الجيش « تروبنامت » قبل أن يعاد توطيدها . وكان قلقاً من إمكانية حرب سابقة لأوانها . وفي ١٩٣٤ أخبر هتلر بمخاوفه . وبدا دوماً معادياً للمشاريع التي يمكن أن تؤدي إلى حرب ينتج عنها ، في رأيه ، دمار الحضارة الأوربية ، وتفيد منها البولشفية وحدها . وفي ١٩٣٥ . قدم إلى هتلر استقالته ، لأنه لم يحول الخطة الدفاعية ضد تشيكوسلوفاكيا ، أي ما يسمى « الحالة الخضراء » إلى نظام هجومي . وفي ١٩٣٦ حذر هتلر من العودة إلى احتلال الضفة اليسرى لنهر الراين الذي يمكن أن يؤدي في رأيه إلى ردود فعل عنيفة من جانب الفرنسيين ، وعلى وجه الاحتمال احتلال الرور . وفي كانون الثاني ١٩٣٧ ، قدم إلى الجنرال فون فريتش القائد العام للجيوش ، مذكرة صرح فيها بأن على الجيش أن يعارض الحرب بصورة مطلقة ، هذه الحرب التي ستكون

---

(١) اليونكر شريف ريفي من طبقة نبيلة صغيرة يعيش على أراضيه .

نكبة لألمانيا . وعندما سمع في تشرين الثاني ١٩٣٧ تصريحات هتلر إلى الدبلوماسيين وإلى الجيش التي عرفت تحت اسم « ضبط هوسباخ » صرح بأنه ذعر .

وحتى ذلك الحين ، كانت معارضته لهتلر تقنية على وجه الدقة ، ولم يبد بعد مقيداً ، في ذلك الدور من حياته ، باعتبارات أخلاقية أو عقائدية . إن ما جر بيك في المعارضة هو قضية بلومبرغ - فون فريتش المزدوجة . ولكن قبل أن نتناول هذه القضية ، التي ستكون حاسمة من أجل تشكيل المعارضة العسكرية ، نرى من الضروري فحص كيف كانت حتى ١٩٣٨ ، في اللحظة التي انفجرت فيها هذه القضية ، علاقات هتلر والجيش .

كان الجيش الألماني ، كما خرج من جمهورية فيمار[1] ، جيشاً منطوياً على نفسه . وكان يساق بصورة أساسية من بين قدامى ضباط الجيش المتهنين ، وبخاصة من بين ضباط الأركان ، وعندما يتوجه لسوق جديد ، كان يستدعي على وجه التفضيل أبناء الضباط . وكان في هذا الجيش ، جيش جمهورية فيمار ، قليل من البورجوازيين ، وكثير من النبلاء نسبياً : ١٧ ٪ من النبلاء بين مساعدي الملازمين في ١٩٢٠ - وهذا يدل بالعكس ، على أن الجيش الإمبريالي أصبح ديموقراطياً - وبالمقابل ٢٨ ٪ في ١٩٣٢ .

والضابط الألماني ، في عهد جمهورية فيمار ، في أغلب الحالات ، رجل منصرف بصورة أساسية لمهنته ، لعمله المهني ، وغير سياسي . وهذا الجيش بصورة عامة ما كان ليشعر إلا بقليل من العطف للقومية - الاشتراكية . غير أن عودة تسلح الرايخ السري أدخل بصورة سريعة جداً في هذا الجيش عناصر جديدة شعبية وأكثر نشاطاً وأكثر دفعاً نحو القومية - الاشتراكية . وإن دعوى (محاكمة)

---

(١) راجع مقال P . Ageoburg في Annales . ١٩٦٧ .

مساعدي ملازمي المدفعية في اولم ، في ١٩٣٠ ، تدل بوضوح جداً في ذلك التاريخ على تقدم العناصر القومية ـ الاشتراكية في طبقات الشبيبة العسكرية وبالتالي ، عندما استلم هتلر السلطة ، وجد في الجيش عنصران : الأطر القديمة التي تنظر بقلق لمجيء العناصر التي لا يمكن ضبطها ، ومن الصعب تأطيرها في مؤسسات الرايخوير ، وهي بالتالي حذرة إزاء القومية ـ الاشتراكية . وعلى العكس كانت أكثر الأطر الفتية محبذة للغاية للنظام الجديد .

وفي هذه الظروف ، يرى أن سيطرة هتلر على الرايخوير ـ كما سيفعل فيما بعد ويفرض عليه الطاعة ضد وجدانه نفسه ـ لم تحدث دفعة واحدة . ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار روح الاستقلال القوية للغاية في الجيش الألماني الذي اعتاد أن يسير بنفسه شؤونه ويتحمل بصعوبة جداً التدخل في العالم السياسي .

وهذا يوضح كيف أن هتلر أظهر منذ البدء عناية كبرى في مداراة الجيش ، وعدم إقحامه . وفي ٣ شباط ١٩٣٣ ، عرف المستشار ثلاثة أمور : إن إعادة تسلح ألمانيا لن يكون متسارعاً ؛ وعدم دمج ال S.A. في الجيش ؛ وأخيراً أن يبقى العسكريون في منأى عن السياسة . وعليه فإن النظام الجديد أعطى إلى الجيش كثيراً من الوسائط وقليلاً من المسؤوليات المحرجة . وهذا في الحقيقة ، ما كان يتمناه الضباط .

وأقام هتلر علاقاته الطيبة مع الجيش على شخصيتين بصورة أساسية : وزير الدفاع فرنر فون بلومبرغ ، والجنرال فون فريتش . وفون بلومبرغ ، وإن لم يكن نازياً ، كان معجباً مؤمناً بهتلر . وكان أحد الضباط النادرين من رتبة عليا الذي أعرب علناً ، قبل كانون الثاني ١٩٣٣ ، عن رأيه في تحبيذه لاستلام هتلر السلطة . وعندما استلم وزارة الدفاع كان همه الأكبر أن يصفي ، في البندلرشتراسه (وزارة الحربية) جميع أنصار الجنرال فون شلايخر الذي يعلم عداءه

لهتلر ، وأن يتعاون إلى الحد الأعظم مع النازيين . وبالتالي أسهم فون بلومبرغ في تنزية الجيش ، أي جعله نازياً ، مع احتفاظه مع ذلك بثقة هذا الجيش . وكان يعمل بصورة لطيفة وحاذقة أطلق عليها في ألمانيا اسم « اسد الكاوتشوك » . والثاني الجنرال فون فريتش الذي رفع إلى رتبة قائد أعلى للرايخوير ، عندما أحرج الجنرال فون هامر شتاين في مركزه على مواقفه السابقة وعرفت ارتباطاته بجمهورية فيار ، واضطر إلى تقديم استقالته ، في كانون الثاني ١٩٣٤ . وفي ذلك الحين ، كان هتلر ، على ما يبدو ، يرجو أن يستعيض عن فون هامر شتاين ، بالجنرال فون رايخنو الذي كانت عواطفه النازية معروفة تماماً ، ولكن العناصر المحافظة ، في الجيش ، والماريشال فون هاندنبورغ أيضاً ، ما كانت لتريد رايخنو . وكان فرنر فون فريتش ضابط أركان لامعاً وتدرب عسكرياً على يد لودندورف ، ثم أصبح فيا بعد أحد أعوان فون زيكت ، وحفظ عنه معظم أفكاره التي تلح على جعل الجيش بعيداً عن السياسة ، وعلى ضرورة تسلح ألمانيا من جديد سراً - وكان هذا التسلح لها عنصراً هاماً - وأخيراً على التحالف العسكري مع روسيا . وبدا فريتش الرجل الذي يحافظ على تقاليد الجيش الألماني العسكرية ، وعلى تقاليده البروسية ، مع مراعاة علاقاته مع النازيين الذين كان يوافق بشكل عام على كافة تدابيرهم . ومع ذلك ، ومنذ الأصل ، كانت نقطة استفهام تثقل على كاهل فون فريتش الشخصية الغامضة للغاية ، والمنعزل في الحقيقة ، وليس له إلا قليل من الأصدقاء ويقال عنه في الغالب بأنه كان « أبو الهول » ، وفي نظر عدد من الضباط ، في الأصل ، يبدو أن فريتش كان الرجل الذي يستطيع ذات يوم أن يخلص ألمانيا من الهتلرية ويعيد توطيد الملكية ، ومن المحتمل أكثر أن يفكر بأن فريتش كان يأمل بخاصة أن بالإمكان أن يقوم بعمله تدريجياً ، وأن يهيئ فترات انتقالية ، ويحافظ على تقاليد الجيش في نطاق النظام النازي .

إن التحالف الذي أقيم على هذا النحو بين هتلر والجنرالات عاش حتى ضربة قوة ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ضد روم ، بالرغم من اغتيال جنرالين من أهم جنرالات الرايخوير ، فون شلايخر وفون بريدوف في هذا الانقلاب . وكان الهياج الذي أحدثه في الأوساط العسكرية اغتيال هذين الجنرالين ، ملحوظاً بمذكرة أرسلت في ذلك الحين إلى هاندنبورغ بواسطة الجنرال فون هامرشتاين ، وبشخص آخر أكثر جاذبية ، اوغست ماكنسن ، وهو كولونيل فرسان الموت ، وكان في ذلك الحين مسناً جداً ويتمتع بعد بالرغم من كل شيء بجاه عظيم جداً في الجيش . وفي هذه المذكرة طلب من هاندنبورغ معاقبة المسؤولين ، وتعديل وزارة الرايخ ، وإنابة هذه الوزارة بـ حكومة إدارة (ديركتوار) من أربعة أعضاء ، وأن تعطى فيها وظيفة نائب المستشار إلى فون فريتش ، ووزارة الشؤون الخارجية إلى الدبلوماسي ، **رودولف نادولني** الذي كان في ذلك الحين سفيراً في موسكو وتعلم ميوله المحبذة للتحالف الروسي .

ومع ذلك ، فإن مذكرة ماكنسن ـ هامرشتاين لم يكن لها نتائج كثيراً ، ولم يأخذها هاندنبورغ بعين الاعتبار . وبعد بضعة أشهر خلف هتلر هاندنبورغ ، في ٢ آب ١٩٣٤ ، وبهذه المناسبة أقسم الجيش يمين الولاء بين يدي رئيس الرايخ الجديد ، أي بين يدي هتلر .

وجاءت الصعوبات بين النظام والعسكريين من ضخامة تسلح ألمانيا من جديد الذي تلا قرار ١٦ آذار ١٩٣٥ الذي وطد من جديد الخدمة العسكرية الإجبارية وتشكيل ٣٦ فرقة جديدة في ذلك الحين . ومن حيث المبدأ ، إن تسلح ألمانيا الجديد تجاوز تمنيات الجيش . ومع ذلك ، فإن القيادة العليا وجدت فيه بالحال خطرين خطيرين : أولاً ، أن التسلح الجديد يهدد تجانس هيئة الضباط . وفي الواقع ، أراد هتلر استعمال زيادة الأعداد لكسر الحلقة التي انغلقت

فيها النخبة العسكرية على نفسها منذ أمد طويل . وظهرت ، منذ الآن ، الأكاديمية الحربية مؤلفة في القسم الأعظم منها من عناصر ديموقراطية نازية متعصبة ، ويبدو أن ليس للجيش سلطة عليها ، وتبشر في الغالب ، وبشكل مفتوح ، باحتقارها للنظم العسكرية القديمة . وبعد أن كان ، في ١٩٣٣ ، لا يوجد إلا عدد صغير من الضباط النازيين ، وجد منهم ، منذ الآن ، ألوف . وفي هذا الاعتبار توجد شواهد هامة جداً في مذكرات ضابط في الجيش الألماني ، آدولف هويزنغر . وبين هؤلاء الضباط تجدر الإشارة إلى ظهور عدد من المنظرين المتعطشين للأفكار الجديدة ، والتحديث ، مثل الجنرال غودريان الذي لم يتمكن من الحصول على موافقة قدامى ضباط الجيش على أفكاره في الاستخدام الكثيف والمستقل للدبابات ، وكان يشعر ، بالعكس ، بأنه على انسجام موطد مسبقاً مع هتلر . والنقطة الثانية التي تجدر الإشارة إليها ، هي أن الجيش ، في نظر الزعماء ، يشكو من فرط النمو ، الأمر الذي أوجد ارتباكاً من الثروة التي قدمها هتلر إليه . ويرى الضباط بأنه يجب أولاً هضم زيادة الأعداد ، قبل الانطلاق في مشاريع خارجية واسعة . ولكن هتلر لم يفهم الأمر على هذا النحو . فقد قرر بأن تكون إعادة تسلح إقليم رينانيا في ربيع ١٩٣٦ ، ولما بدا أن مشاريع هتلر أصبحت يقيناً ، تملكت معارضة شديدة الجنرالات وعدداً من الدبلوماسيين القلقين للغاية . وعقدت اجتماعات حول بلومبرغ ، وحول فون نويرات ، وزير الشؤون الخارجية ، لمحاولة منع تنفيذ الخطط المتوقعة . ولكن لم يكن بإمكان أي من هذه المساعي إيقاف هتلر .

وعلى وجه الدقة ، إن نتيجة إعادة تسلح الضفة اليسرى للراين كان منها أن أيقظت عند هتلر ازدراء عميقا إزاء جنرالاته . فقد لامهم على عدم قدرتهم على القبض على الحالة السياسية ، وقلة إيمانهم ومبادرتهم . واعتبر نفسه « بأنه أعلى للغاية من هذه الكائنات ذات الرأس الحليق ، والنظارة الأزلية الوحيدة

الزجاجة ، هؤلاء البوذات الغامضين الذين يبدون دوماً حاملين على أعينهم كامات »[1] ومن جهة أخرى ظهرت معارضة عميقة على صعيد السياسة الخارجية : فقد كانت وزارة الحربية ، البندلرشتراسه ، ترجو سياسة صداقة مع روسيا والصين ، وتظهر ، بالعكس ، حذراً شديداً حيال اليابان . وتبدي ازدراء كاملا لإيطاليا - وهكذا أوجدت عدة مواقف وضعتها في معارضة مع سياسة هتلر في ذلك العصر .

وهذه المعارضات ، إن على الصعيد العسكري أو على الصعيد الدبلوماسي ، استخدمها آنئذ زعماء الشرطة ، وبخاصة هيملر وهيدريك ، لمحاولة إخضاع الجيش نهائياً ، وإذلاله أمام النظام . ويحكى - وهذا الصخب وصل حتى هتلر - أن فون فريتش محيطه أرادا قلب النظام لإعادة الملكية لصالح لويس - فرديناند ، الابن الثاني لولي العهد . ولا يوجد في هذا الكلام إلا افتراء محض . لأن فريتش لم يتصور أبداً عمل تمرد ، كان ولا شك سريع الغيظ على امتيازات هيئة الضباط . فمن ذلك ، مثلاً - وقد اغتاظ هتلر من ذلك ، ولكنه ، بالرغم من كل شيء ، أعطى الحق إلى فون فريتش - أنه تدخل في آخر ١٩٣٦ ، ليحول دون إنشاء ناد للجنود القوميين الاشتراكيين حيث يسمح لهم بالاكتتاب فيه مباشرة عند الخروج من الخدمة العسكرية ، ولكن لا يوجد في تلك الآونة أي أثر عند فريتش ، لإرادة في كفاح النظام .

ومع ذلك ، طرأ حادثان : قضية بلومبرغ ، وقضية فريتش ، غيرا موقف بعض الأوساط العسكرية .

---

(١) راجع :

WHEELER - BENNETT, The NEMESIS of POWER The German Army in politics 1918 - 1945, London and New York, 1954; 2 nd., 1964.

على ما يبدو ، خلال زمن طويل جداً ، أن بلومبرغ باعتباره وزيراً للحربية ، أعطى مشايعته الكاملة لسياسة هتلر ، وأن هتلر كان يثق به ثقة عظيمة . وفي ١٢ كانون الثاني ١٩٣٨ ، تزوج بلومبرغ فتاة باسم ايفا غرون . وكان هتلر وغورينغ شاهدي هذا الزواج ، بيد أنه اكتشف بعد قليل من الزمن ، أنه كان لهذه الفتاة ماض فاضح ، وأن اسمها مسطور على جذاذات الشرطة ، وبعد أسبوعين ، في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٨ ، أعلم هتلر فون بلومبرغ أن مثل هذا الزواج الفاضح يمنعه من الحفاظ على مركزه ، وعزله من وظائفه .

والقضية الثانية ، التي يبدو أنه لم يكن لها إلا قليل من العلاقة بالأولى ، هي قضية فون فريتش ، القائد الأعلى للجيش ، ففي اليوم الذي دعي فيه فون بلومبرغ ، مثل فون فريتش أيضاً في مكتب هتلر ، وأخرجت ضده إضبارة من الغستابو ، من ١٩٣٥ ، تتهمه في قضية جنسية مذكرة ، وزعم غلام أخرج في ذلك الحين من السجن أنه يعرفه صراحة ، وأنه رآه في دار لقاء يتعاطى فيها الجنس . وفي شباط عزل فون فريتش ، هو أيضاً ، من وظائفه . وأمام الهجمات التي كان هدفاً لها ، عجز تماماً عن رد الفعل هذا « الخليط من العذراء الجفلة والأرنب المتحجر » كما قال المؤلف ويلر بينيت . ومع ذلك ، فقد انعقد مجلس حربي ، برئاسة غورينغ ، للنظر في قضية فون فريتش ، بعد بضعة أسابيع ، في ٣٠ آذار ١٩٣٨ . وفي هذا المجلس انفجرت الحقيقة : لقد كانت الإضبارة مزورة تماماً . وكان يراد منها شخص آخر يدعى فريتش ، ولكن ليس له أي علاقة مع زعيم الرايخوير . ثم أعيد للجنرال اعتباره ، واستلم قيادةً مؤقتاً ، ولكن لم ترد له وظائفه كزعيم للرايخوير . وبعد أن حاول عبثاً ، ولكن دون إصرار حقيقي أن يعاقب هيملر المزيف على فعلته ، انتحر أمام وارسو (فارصوفيا) في أيلول ١٩٣٩ ، معرضاً نفسه عن إرادته ، لقنابل الأعداء .

إن إقامة رابطـة ، بين هـاتين القضيتين ، صعبـة جـداً ، وإلى اليوم أيضـاً لم تظهر الحقيقـة التـاريخيـة ولن تظهر ولا شـك أبـداً . ويرى البعض أن فضيحـة مزدوجة دبرت في محيـط أوسـاط الشرطـة ، ولا شـك بـاشتراك غورينغ ، قـائـد القوى الجويـة الـذي مـا كان ليشعر إلا بقليـل من العطف لقـادة الجيش البري . ويرى آخرون - وهـذا الإيضـاح هـو ولا شـك الأكثر احتمالا - أن الجيش كان يطـالب هتلر بطرد فـون بلـومبرغ لأسبـاب أخـلاقيـة . بينما كانت قضيـة فـون فريتش تشكل ثأراً للحزب ضد القوى المسلحة .

وفي جميع الأحوال ، استغلت الفضيحـة بسرعـة ، لأن فون فريتش استعيض عنـه بـالجنرال فون براوخيتش الزعيم الحربي العظيم الـذي أبـدى ، مـع ذلـك إزاء هتلر ، عواطف الطاعة الصريحة . أما وزارة الحربية ، التي يشغلها فون بلومبرغ ، فقد حذفت واستعيضت بـ « اللجنة العليا للقوى المسلحة » التي عرفت تحت الاسم O. K. W. ووضع على رأسها الجنرال فون كايتل الذي كان ، هو أيضاً ، عسكرياً ، ولم يكن عنده إزاء هتلر ، إلا عواطف تقدير واحترام .

وبـالتـالي ، فـإن التـأثير الشخصي لهتلر تعزز بصورة عظيمـة . وعليـه فـإن الحـالـةالاستثنـائيـة التي كان يتصرف بهـا الجيش حتى ١٩٣٨ في الرايخ - وحتى في الرايخ الهتلري ، قد تهـدمت منـذ الآن . وأبـدى هتلر ، على الصعيـد السيـاسي ، بغزو النمسا ، أنه لايقيم أي اعتبار لرأي العسكريين .

ولكن هـذه الحوادث ستكون في أصل المقـاومـة العسكريـة للنظـام . وهنـا يجب العود إلى موقف لودفيغ بيك الذي لم يكن له حتى ذلك الحين إلا اعتراضـات من نوع مهني ، غير أن قضية فون فريتش بالنسبة له ، كشفت الغشاوة عن بصره وأخـذ منـذ الآن مـوقف المعـارضـة للنظـام . ومن غير الممكن في نظره أن يقبـل

الجيش الإهانة التي حملها . ومن جهة أخرى ، إن المعارضة بخلاصها من هتلر ، تنقذ ألمانيا ، من نكبة الحرب ، التي لم تكن في حالة تمكنها من قيادتها بصورة منتصرة .

وأدرك بيك تماماً أنه سيصطدم ، في الجيش ، باليمين الشهيرة التي أقسمها لهتلر عند وفاة هاندنبورغ ، في ٢ آب ١٩٣٤ - وهذه حجة قوية ، في نظر عدد كبير من الضباط ، ضد كل ما يمكن أن يشبه مؤامرة ضد شخص هتلر وسلطته . أما في نظر بيك ، بالرغم من هذه اليمين ، فإن المعارضة أصبحت واجباً ، ومطلباً وجدانياً ، وأنها أمر أخلاقي ، وديني . وهذا الموقف يقربه من موقف رجل مثل غوردلر الذي تعرف اهتماماته الأخلاقية. وتلقى بيك مساندة عدد من كبار العسكريين . مثل كورت فون هامرشتاين والجنرال فون فنتزلين ، وبخاصة الجنرال فرانتز هالدر وهو ضابط بافاري محافظ وملكي وقضى كل حياته العسكرية في ثلم بيك . وأخيراً وجد من يستمع له لدى عدد من الشبيبة العسكرية ، ولكنها تنتمي إلى وسط مغلق جداً ، وسط الأبفير أي وسط المصالح المعاكسة للجاسوسية ، وبخاصة في محيط هانس اوستر الذي كان في ذلك الحين ، مديراً لهذه المصالح . وكان لأوستر هذا زعيم وهو الجنرال فون بريدوف الذي قتل مع شلايخر في ١٩٣٤ ، وكان شخصياً على صلة وثيقة جداً مع فريتش ، وكان رجلاً محافظاً ومتديناً في أعماقه . وكان أبوه راعياً ، وكانت تسيره مبادئ أخلاقية . وكانت مصلحة معاكسة الجاسوسية (الآبفير) قلعة المحافظة الأصلية ، ومعادية للنازية جداً ، منذ البداية ، بتشكيلها وبتقليدها وبفطرتها . وبين موظفي الآبفير وجد أيضاً الأميرال كاناريس ، ودوره في المعارضة موضع جدل عظيم ، وكان أيضاً محافظاً ومعادياً متعصباً للشيوعية ، ودون أن يقطع الصلة تماماً وأبداً مع النازيين ، عرف كيف ينظم تغطية عظيمة لنشاطات اوستر ، ويأتي لهذا المشروع بمعنى وذوق عظيمين للمكيدة . ومما سهل نشاط كاناريس أنه كان على صلة بعدد من أوساط

الشرطة التي كانت في الغالب تلامس عن قرب هيملر ، مثل آرثور نيبه مدير الشرطة الجنائية .

ولما نمي إلى بيك خبر المشاريع ضد تشيكوسلوفاكيا ، في ١٩٣٨ ، أعدَّ مذكرة معادية لهذا المشروع ودعم دوماً أن القضية التشيكوسلوفاكية ستؤدي إلى حرب عامة ، وأن ألمانيا لا يمكنها أن تدعم هذه الحرب . وقدمت مذكرة بيك إلى هتلر في بداية آب ، ودعمتها أمام هتلر أكثرية واسعة من العسكريين الحاضرين . ولكن هتلر لم يعرها أي اهتمام . ولم يبق على بيك عندئذ إلا أن يقدم استقالته ، هذه الاستقالة التي كان يفكر بيك بأنها ستحرك الجيش بعمق ، وتؤدي بالتالي إلى سلسلة استقالات ، ولكنها في الواقع مرت دون أن تلاحظ تقريباً تماماً . وهذا يدل على أي درجة كان الجيش متنزياً (أصبح نازياً) بعمق . وغادر بيك وظائفه العسكرية واستمر في ملاحقة عمله بشكلين : من جهة ، حاول بيك أن يحذر الدول الأجنبية ويضعها أمام مسؤولياتها . فمن ذلك أن أحد أعضاء المؤامرة ، ايفالد فون كلايست ، اليونكر البروسي ، وسليل المؤلف الدرامي الألماني العظيم ، ذهب إلى لندن ، واتصل ببعض أوساط وزارة الخارجية البريطانية ، مع السور روبرت فانسيتارت ، أهم مستشار دبلوماسي للحكومة ، ودعا الحكومة الانكليزية أن تظهر صعبة المراس متشددة في قضية تشيكوسلوفاكيا . والبعثة الثانية أرسلت بعد ذلك بقليل ، في هذه المرة ، تحت إدارة دبلوماسي ممتهن ، وهو تيؤدور كوردت الذي كان معاوناً مقرباً ، من أمين الدولة للشؤون الخارجية لألمانيا ، وهو فون فايسزكر . ويبدو أن فايسزكر ، دون أن يشارك بالمؤامرة ، كان على اطلاع تام بعدد من خطط بعض المتآمرين . وحاول كاناريس ، من جهته ، الحصول ، بواسطة جنرال ملكي إيطالي ، مقرب جداً من الملك ، واسمه بواتّا ، أن تبقى إيطاليا بعيداً عن النزاع ، وألا تحول

مساندتها لهتلر . والواسطة الأخرى للعمل ، هي خطة ثورة عسكرية تنفذ في الحالة التي توضع فيها « الحالة الخضراء » أي خطة الحرب ضد تشيكوسلوفاكيا ، موضع التنفيذ . وفي هذا الحين يوقف هتلر ويسجن في ملجأ ، وتتألف وزارة محافظة . واعتمد العمل العسكري بصورة أساسية على شخص الجنرال فون فيتزلبن الذي كان آمراً للمنطقة العسكرية الثالثة أي منطقة برلين ـ براندبورغ .

ومع ذلك ، انهار كل هذا المشروع عند استسلام الدول أمام هتلر في مونيخ ، في ٢٩ أيلول ١٩٣٨ . ويرى بعض المؤرخين أن خطط الثورة (الانقلاب على هتلر) قد تخلى عنها المتآمرون قبل مونيخ لأنهم كانوا ، في الحقيقة ، في حالة تردد كبير ولأن مشاريعهم أبعد ما تكون عن التقدم الذي أرادوه لها ليجعلوا محدثيهم الانكليز يصدقون بها في ذلك الحين .

وانطلاقاً من مونيخ ، ضعفت المقاومة العسكرية ، ولكن دون أن تزول . ومع ذلك فإن محاولة قصوى ظهرت ضد النظام عندما أعدّ الانقلاب ضد براغ في ربيع ١٩٣٩ . ولكن رئيس الأركان العامة الجديد ، الجنرال فرانتزهالدر ، الذي خلف بيك المستقيل ، بقي في هذه المرة بعيداً عن المؤامرة . لقد شارك في المؤامرة السابقة ، ولكنه في قضية براغ بقي خارجاً . وهذا لم يمنع أوساط الابفير من أن تظهر نشيطة جداً آنذاك ، وأن تسوق العديد من الأنصار ، كشخص هام للغاية ، الجنرال هورست توماس الذي كان رئيساً للقسم الاقتصادي في « اللجنة العليا للقوى المسلحة » (O. K. W.) وينتمي إلى مدرسة زيكت ». ومع ذلك فإن محاولات القيام بانقلاب ظهرت مخيبة حين براغ كما كانت حين مونيخ . وعندئذ ، وعلى أثر إخفاق هذه المحاولة الجديدة ، اكتفى المتآمرون أن يوصلوا للخارج الأخبار عن العدوان المتوقع ضد بولونيا . وكان ذلك في الوقت الذي كان فيه بيك واوستر من جهة ، وغوردلر وشاخت من جهة أخرى ، يبلغون الدول

بالعديد من الرسائل لدعم المقاومة الأجنبية ، وتحذير الرأي ، وبخاصة الرأي الانكليزي ـ من مونيخ جديدة . ومع ذلك ، فقد أدرك المتآمرون أنفسهم أن كل محاولة ، بمناسبة الحرب التي رسمت ضد بولونيا ، كانت عبثاً ، من جهة ، بسبب العواطف العامة لعداء الشعب الألماني إزاء البولونيين ، ومن جهة أخرى أيضاً ، لعاطفة الجنرالات بأن الجيش الألماني سينتصر في هذه المرة بسهولة على خصومه في بولونيا ، وأن هذه الحالة الآن لن تكون كحالة تشيكوسلوفاكيا .

وبالتالي ، أبعد تماماً كل أمل بسقوط النظام في ذلك الحين .

☆ ☆ ☆

ومن المهم الآن أن نستخلص النتائج ونحدد أهمية هذه المقاومة العسكرية .

وهنا يجب إيضاح حادثين :

أولاً ، إن هذه المقاومة لم تمس إلا عدداً صغيراً جداً من الأفراد . وفي كل الأحوال ـ وهذا يستخلص من كل الأعمال التي ظهرت حديثاً ـ لم تكن هذه المقاومة إلا مقاومة عدد من الضباط الأعلين الذين ينتمون وحدهم تقريباً إلى جيش المدفعية أي السلاح الذي كانت فيه التقاليد البروسية ، وبالتالي المعادية للهتلرية ، اغنى مما في غيره ، على حين أنها لم توجد مطلقاً في سلاح البحرية ، إذا استثنينا شخصية الأميرال كاناريس الوحيدة ، وهذا أيضاً ، كان ينتمي إلى مصالح معاكسة ـ الجاسوسية ، وأقل أيضاً في القوى الجوية حيث كان الضباط مخلصين للنظام كلياً . ومن المؤكد أيضاً أن هذه الحالة الروحية للمقاومة لم تبلغ أبداً الجنود .

والنقطة الثانية التي يجب إيضاحها ، هي أن هؤلاء المعارضين يظهرون عواطف عنيفة جداً للقومية . وإذ يرغبون في تحرير ألمانيا من هتلر ، فلا

يفكرون مطلقاً في طرح نجاحات السياسة الهتلرية السابقة على بساط البحث ، حتى إن غوردلر ، الذي كان مقرباً للغاية من الأوساط العسكرية المعارضة ، حرر في ١٩٣٩ ، قبل حرب بولونيا ، خطة السلام ، وطالب فيها ، في الحالة التي تحرر فيها ألمانيا من هتلر ، بأن تحافظ ألمانيا على ضم السوديت ، وبتحييد باقي تشيكوسلوفاكيا ، وإرجاع جميع الأراضي الألمانية التي تخلي عنها في عام ١٩١٩ إلى البولونيين ، وحصول ألمانيا على امبراطورية استعمارية واسعة ، وقد أصاب فيلر - بينيت حين قال : « إن الرابطة التي كانت توحد المتآمرين لم تكن عداءهم للطغيان النازي فحسب ، وإنما قوميتهم الألمانية القديمة جداً » .

فهرس الأعلام الأجنبية

Bernstein, Eduard — برنشتاين ، ادوارد
Bertram, Ernest — برترام ، ارنست
Best, Werner — بست ، فرنر
Bethmann - Hollweg, Theobald Von
بتمان ، هولفيغ ، تيؤبالد ، فون
Beumelberg, Werner — بويملربرغ ، فرنر
Binding, Rudolf — بندبع ، رودولف
Birkenau — بركناو ، معسكر اعتقال
Blomberg, Gen, Werner von
بلومبرغ ، جنرال ، فرنر فون
Blunck, Hans Friedrich
بلونك ، هانس ، فريدريك
Bock, Gen, Fedor von
بوك ، جنرال ، فيدور فون
Bodelsch Wingh, Fritz von
بوديلش فينغ ، فريتز فون
Boeckel, Otto — بوكل ، اوتو
Boehm, Max - Hildebert
بوم ، ماكس هيلدوبرت
Botticher, Paul — بوتيشر ، بول
Bohle, Ernest Wilhelm — بول ، ارنست ولهلم
Bolz, Eugen — بولتز ، اوجين
Bonhoeffer, Dietrich — بونوفير ، ديتريش
Bonhoeffer, Karl — بونوفير ، كارل
Bonhoeffer, Klaus — بونوفير ، كلاوس
Bormann, Martin — بورمان ، مارتن
Bosch, Robert — بوش ، روبرت
Bose, Herbert von — بوزه ، هربرت فون
Bouhler, Philipp — بولر ، فيليب
Boxheim Documents — وثائق بوكسهايم
Brack, Victor — براك ، فيكتور

Brandt, Willy — براندت ، فيللي
Brass, Otto — براسّ ، اوتو
Brauchitsch, Walther von
براوخيتش ، فالتر فون
Braun, Eva — براون ، إيفا ، خليلة هتلر
Braun, Otto — براون ، اوتو
Brecht, Bertoldt — بريخت ، برتولدت
Bredow, Kurt von — بريدو ، كورت فون
Brehm, Bruno — بريم ، برونو
Breker, Arno — بركر ، ارنو
Brill, Hermann — بريل ، هرمان
Brod, Max — برود ، ماكس
Broszat, Martin — بروزات ، مارتن
Bruckmann, Elsa — بروكمان ، الزا
Bruckner, Wilhelm — بروكنر ، ولهلم
Bruning, Heinrich (DR)
برونغ ، هينريك (دكتور)
Brunner, Alfred — برونر ، الفرد
Buch, Walter — بوخ ، فالتر
Buchenwald — بوخنفالد ، معسكر اعتقال
Buchheim, Hans — بوخهايم ، هانس
Buchrucker, Hans — بوخروكر ، هانس
Buhler, Josef — بولر ، جوزيف
Bulow, Bernhard von — بولو ، برنارد فون
Burckel, Josef — بوركل ، جوزيف
Bullock, Alan — بولّوك ، آلان
Bund Oberland — بوند اوبرلاند
Bundestag — البوندستاغ
Burckhardt, Carl Jacob
بوركاردت ، كارل جاكوب

G

غرون ، ارنا	Grühn, Erna
غروندجانس ، غوستاف	Grundgens, Gustaf
غروتزنر ، ادوارد	Grützner, Eduard
غرززنسكي ، البرت	Grzesinski, Albert
غودريان ، هاينز ، جنرال	Guderian, Heinz, Gen.
غونشه ، اوتو	Guensche, Otto
عونتر ، هانس ف . ك	Günther, Hans F.K.
غورتنر ، فرانتز	Gürtner, Franz
غوتمان ، ولهلم	Gutmann, Wilhelm

H

هابر ، فريتز	Haber, Fritz
هابرمان ، ماكس	Habermann, Max
هابيشت ، تيو	Habicht, Theo
هاسا ، اميل	Hacha, Emil
همتن ، هانس ـ برند فون	Haeften, Hans - Bernd von
هفتن ، فرنر فون	Haeften, Werner von
هاغن ، هانس	Hagen, Hans
هالبه ، ماكس	Halbe, Max
هامرشتاين اكورد ، كورت فرايهر فون	Hammerstein - Equord, Kurt Freiherr von
هانفشتانغل ، ارنست	Hanfstaengl, Ernst
هانفشتانغل ، هيلين	Hanfstaengl, Helene
هانيش ، رينهولد	Hanisch, Reinhold
هانوسن ، اريك حان	Hanussen, Erik Jan
هابسبورغ ، اوتو فون	Hapsburg Otto von
هارير ، كارل	Harrer, Karl
هازه ، بول فون	Hase, Paul von
هاسلباخ ، فون	Hasselbach, von
هاسّل ، اولريخ فون	Hassell, Ulrich von
هوباخ ، تيو	Haubach, Theo,
هاور ، ولهلم	Hauer, Wilhelm
هاوبتمان ، كارل	Hauptmann, Carl
هاوبتمان ، جرهارت	Hauptmann Gerhart
هاوسوفر ، البرخت	Haushofer, Albrecht
هاوسوفر ، كارل	Haushofer, Karl
هيكل ، تيودور	Heckel, Theodor
هايبر ، هلموت	Heiber, Helmut
هايدعر ، مارتن	Heidegger, Martin
هايدن ارهارد (زعيم الـ S.S)	Heiden, Erhard (S.S leader)
هايدن ، كونراد	Heiden, Konrad
هايمانسبرغ ، مانفريد ، آمر الشرطة	Heimannsberg, Manfried
هاينس ، ادموند	Heines, Edmund
هاينز ، فريدريك ولهلم	Heinz, Friedrich Wilhelm
هاينزه ، رودولف	Heinze, Rudolf
هايس ، ادولف	Heiss, Adolf
هيلد ، دكتور هينريك وزير اول بافاريا	Held, Dr Heinrich
الكونت وولف هينريك	Helldorf, Wolf Heinrich
هلباخ ، فيلّي	Hellpach, Willy
هنلاين ، كونراد	Henlein, Konrad
هرتلنغ ، جورج فون	Hertling, Georg von
هسّ ، اوتو	Hess, Otto
هسّ ، رودولف	Hess, Rudolf
هسّه ، هرمان	Hesse, Hermann

Knusch, Hans كنيرتس ، هانس
Koch, Erich كوح ، اريك
Koch, Robert كوخ ، روبرت
Koellreuther, Otto كولرويتر ، اوتو
Kohn, Hans كون ، هانس
Koller, Karl
كولير ، كارل . زعيم سلاح الطيران الألماني
Konrad, Gen Rudolf كونراد ، جنرال رودولف
Kordt, Theo كوردت ، تيو
Korner, Oskar كورنر اوسكار
Kortzfleisch, Joachim von
كورتز فلايش يواكيم فون
Kraus, Verner كراوس ، فرنر
Krebs, Gen. Albert كريبس ، جنرال البرت
Krebs, Gen. Hans كريبس ، جنرال هانس
Kreis, Wilhelm كرايس ، ولهلم
Krreisau, Circle كرايزو (حلقة)
Kress Von Kressenstein, Friedrich
كريس ، فون كرسنشتاين ، فريدريك
Kreibel, General كرايبل ، جنرال
Kreibel, Hermann كرايبل . هرمان
Krieger, Leonard كريغر ، ليؤنارد
Krohn, Friedrich كرون ، فريدريك
Krüger, Friedrich Wilhelm
كروغر ، فريد ريك ولهلم
Krüger, Gehard كروغر ، جيهارد
Krüger, Herbert كروغر ، هربرت
Krupp Company كروب (شركة)
Krupp von Bohlen und Halbach
كروب فون بولن وهالباخ

Kube, Wilhelm كوبه ، ولهلم
Kubizek, August كوبيتسك ، اوغوست
Küchler, Georg von كوخلر ، جورج فون
Kulenkampff, Georg كولن كامبف ، جورج

L

Lagarde, Paul de لاغارد ، بول دو
Lammers, Dr Hans Heinrich
لامرس ، دكتور هانس هاينريك
Landauer, Gustav لانداور ، غوستاف
Langbehn, Julus لانغبن ، يولوس
Lange, Heinrich لانغه . هاينريك
Lanz, Adolf لانتس ، ادولف
Lanz von Liebenfels, Jörg
لانتس فون ليبنفلس ، يورغ
Lasker - Schüler, Else لاسكر ـ شولر ، إلزه
Lassalc, Ferdinand لاسّال ، فرديناند
LEbens Raum المجال الحيوي (ليبنسراوم)
Leber, Julius ليبر ، يوليوس
Leeb, Wilhelm von ليب ، ولهلم فون
Lehmann J.F. ليمان . ج . ف .
Lehmann Verlag ليمان فرلاغ (دار نشر)
Lehndorff. Count Steinart H. Von
ليندورف ، كونت شتاينارت هـ . فون .
Leibbrandt, Georg لايبراندت ، جورج
Leipart, Theador لايبارت ، تيؤدور
Lejeune - Jung, Paul ليونه ـ يونغ ، بول
Lemmer, Ernest ليمر ، ارنست
Lenard, Philipp لينارد ، فيليب
Lenbach, Franz von لنباخ ، فرانتز فون
Lerchenfeld, Hugo von ليرشملد ، هوغو فون

M

N

Schottendorf, Rudolf Freiherr von
زيبونن دورف ، رودولف فرايبر فون

Seebohm, Hans - Christoph
ريبوم ، هانس - كريستوف

Seeckt, Hans von — زيكت ، هانس فون

Seghers, Anna — زبكرس ، انّا

Seisser, Hans Von — زايسر ، هانس فون

Sekira, Frau — زيكيرا ، فراو

Seldte, Franz — زيلدته ، فرانتز

SS (Schutz Staffel) — سرايا الدفاع

Severing, Carl
زيفرنغ - كارل ، وزير الداخلية البروسي

Seydlitz, General Walter
زيدليتز ، جنرال فالتر

Seyss - Inquart, Arthur
زيس - انكوارت ، أرتور

Shirer, Wiliam L — شيرر ، وليم ل

Siegfried Line — خط سيغفريد

Six, Franz — ريكس ، فرانتز

Skorzeny, Otto — زكورتسني ، اوتو

Sogemeyer, Martin — زوغماير ، مارتن

Sombart, Werner — رومبارت ، فرنر

Sorel, Albert — سوريل ، البرت

Sorel, Georges — سوريل ، جورج

Spann, Othmar — شبان ، أوتمار

Specht, General Karl - Wilhelm
سبخت ، جنرال ، كارل - ولهلم

Speer, Albert — شبير ، البرت

Speidel, General Hans — شبايدل ، جنرال هانس

Spengler, Oswald — شبنغلر ، اوسفالد

Spitzweg, Karl — شبتزفيغ ، كارل

Sponeck, General Count Hans
شبونك ، جنرال ، كونت هانس

Stadtler, Eduard — شتاتدلر ، ادوارد

Stahl, Friedrich Julius
ستال ، فريدريك يوليوس .

Stahlhelm — شتالهلم

Starhemberg Ernst Rüdiger von
شتار همبرغ ، ارنست روديغر فون

Stark, Johannes — شتارك ، يوهانس

Stauffenberg, Berthold von
شتاوفنبرغ ، برتولد فون

Stauffenberg, Claus Schenk von
شتاوفنبرغ ، كلاوس شنك فون

Stauss, Emil Georg von
شتاوس ، اميل جورج فون

Steengracht, Gustav - Adolf von
شتينغراخت ، غوستاف - ادولف فون

Stefanie — ستفاني

Stein, Franz — شتاين ، فرانتز

Steinacher, Hans — شتايناخر ، هانس

Steiner, Felix — شتاينر ، فيلكس

Steltzer, Theodor — شتلتزر ، تيؤدور

Stempfle, Father Bernhard
شتمبفل ، الأب برنارد

Stennes, Captain Walter — شتينس ، كابتن فالتر

Stieff, General Helmuth
شتيف ، جنرال هلموت

Stinnes, Hugo — شتينس ، هوغو

Stoecker, Adolf — شتوكر ، ادولف

Stohr, Franz — شتور ، فرانتز

Strasser, Gregor شتراسر ، غريغور

Strasser, Otto شتراسر ، اوتو

Strauss, Emil شتراوس ، اميل

Strauss, Franz - Joseph شتراوس ، فرانتز - جوزيف

Strauss, Richard شتراوس ، ريشارد

Streibel, Otto شترايبل ، اوتو

Streicher, Julius شترايخر ، يوليوس

Stresemann, Gustov شتريسمان ، غوستاف

Stuck, Franz von شتوك ، فرانتز فون

Stuckart, Wilhelm شتوكّارت ، ولهلم

Stülpnagel, General Karl Heinrich von شتولنناغل ، جنرال كارل هينريك فون

Stumpfegger, Dr Ludwig شتومبفيغر ، دكتور لودفيغ

Sturm, Ernst شتورم ، ارنست

Stuzel, Karl شتوتزل ، كارل

Swastika زفاستيكا (الصليب المعقوف)

T

Taffe, Count Eduard von تافه ، كونت ادوارد فون

Terboven, Josef تربوفن ، جوزيف

Thadden, Adolf von تادن ، ادولف فون

Thalmann, Ernst تالمان ، ارنست

Theresienstadt Camp معسكر ترزينتشتادت

Thielen, Fritz تيلن ، فريتز

Thierack تيراك

Thomas, Ferdinand توماس ، فرديناند

Thomas Georg توماس ، جورج

Thyssen, Fritz تيسّن ، فريتز

Tiso, Monsignor Josef تيزو ، المونسيور جوزيف

Tobias, Fritz توبياس ، فريتز

Toller, Ernst تولر ، ارنست

Tönnies, Ferdinand تونيس ، فرديناند

Torgler, Ernst تورغلر ، ارنست

Treblinka تربلينكا ، معسكر ابادة

Treitschke, Heinrich von ترايتشكه ، هينريك فون

Tresckow, Henning von ترسكوف ، هننغ فون

Trevor - Roper, Hugh تريفور - روبر ، هوغ

Trotha, Carl Dietrich von تروتا ، كارل ديتريش فون

Trottzu Solz, Adam von تروتسو زولز ، آدم فون

Trummelschlager, Johann تروملشلاغر ، يوهان

Tucholsky, Kurt توكولسكي ، كورت

Turner, H A تورنر ، هـ . أ

U

Udet, Ernst اوديت ، ارنست

Uhrig, Robert اوريغ ، روبرت

Ulbricht Walter اولبرخت ، فالتر

Ulrich, Kurt von اولريخ ، كورت فون

Unruh, Fritz von انرو ، فريتز فون

V

Vacher de Lapouge, Georges فاشر دو لابوج ، جورج

Vahlen, Theodor فالن ، تيؤدور

فيبلن ، تورشتاين — Veblen, Thorstein

فرمي ، ادمون — Vermeil, Edmond

فوغل ، لودفيغ — Vogel, Ludwig

فوغلر ، البرت — Vögler, Albert

الرقيب الشعبي — Völkischer Beobachter

Von Derpfardten, Theodor
فون در بفوردتن ، تيؤدور

W

فيكرل ، هيلمار — Wäckerle, Hilmar

فاغنر ، ادولف — Wagner, Adolf

فاغنر ، كوزيما — Wagner, Cosima

فاغنر ، ادوارد — Wagner, Eduard

فاغنر ، جيرارد — Wagner, Gerhard

فاغنر ، اوتو — Wagner, Otto

فاغنر ، ريشارد — Wagner, Richard

Wagner, Robert Heinrich
فاغنر ، روبرت هنريك

فاغنر ، فالتر — Wagner, Walter

فاغنر ، فيسيفرد — Wagner, Winifred

فالدمولر ، فرديناند — Waldmüler, Ferdinand

فالوفيتر ، و . — Wallowitz, W.

فالتر برونو — Walter, Bruno

فالتر ، فريتز — Walter, Fritz

فارد برايس ، ج — Wardprice, G.

Wartenburg, Yorck von
فارتنبورغ ، يورك فون

فاسرمان ، ياكوب — Wassermann, Jocob

فبر ، الفرد — Weber, Alfred

فبر ، كريستيان — Weber, Christian

فبر ، فريدريك — Weber, Friedrich

فبر ، ماكس — Weber, Max

فيديكند ، فرانك — Wedekind, Frank

Wehner, Josef Magnus
فنر ، جوزيف ماغنوس

Wehrmacht
فرماخت : اسم اطلق على مجموع الجيوش الألمانية من ١٩٣٥ ـ ١٩٤٥ .

فيمار — Weimar

فيبرت ، جورج — Weippert, Georg

فايس نائب مفوض شرطة — Weiss

فيس ، ولهلم — Wiss, Wilhelm

فايسلر ، جورج — Weissler, Georg

فايزكر ، ارنست فون — Weizsäcker, Ernst von

ويلز سمنر — Welles, Sumner

فيلس ، اوتو — Wels, Otto

Wenck, General Walther
فينك ، جنرال فالتر

فرفيل ، فرانتز — Werfel, Franz

فيسّل ، هورست — Wessel, Horst

Westarp, Cuno, Count
فيستارب ، كونو ، كونت

Westarp, Heila, countess
فيستارب ، هيلا ، كونتس

فيلر ، بنيت ، جون — Wheeler, Bennet, John

Wictersheim, Gen, von
فيترسهايم ، جنرال فون

Widukind, von Sachsen
فيدوكند ، فون زاخسن

Winckelmann, Johann Joaohim
فينكلمان ، يوهان يواكيم

فينتر ، فرانتز فلوريان — Winter, Franz Florian

فهرس

تاريخ الحركات القومية

القسم الأول

من ١٨٧١ إلى ١٩٣٣

الجزء الأول

القومية في الرايخ الثاني

١٨٧١ - ١٩١٨

الفصل الأول

النقد القومي للرايخ الثاني

الفصل الثاني

الاتجاهات الفكرية في داخل القومية الألمانية

١٨٧١ - ١٩١٤

الفصل الثاني

بوادر القومية في ألمانيا

في جمهورية فيار

الفصل الثالث

التجمعات المحافظة الثورية

الفصل الرابع

الأحزاب السياسية القومية

في جمهورية فيار

الفصل الخامس

استلام هتلر السلطة

في ١٩٣٣

الفصل السادس

الاتجاهات القومية في المانيا الهتلرية

القسم الثاني

القومية - الاشتراكية

الفصل الأول

ثورة هتلر في مونيخ عام ١٩٢٣

الفصل الثاني

يسار الحزب القومي - الاشتراكي

بين ١٩٢٥ و ١٩٣٣

الفصل السابع

دور التسوية بين الكنيسة الكاثوليكية
والقومية ـ الاشتراكية

الفصل الثامن

علاقات الكنيسة البروتستانتية والهتلرية
بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩

الفصل التاسع

الجامعات والعلم والألماني
من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩

الفصل العاشر

العدل والشرطة في النظام الهتلري

من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩

الفصل الحادي عشر

الشرطة ومعسكرات الاعتقال في النظام الهتلري

من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩

الفصل الثاني عشر

مقاومة الهتلرية

من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩

ملاحظة

أسماء الأشهر في البلاد العربية

كانون الثاني	يناير
شباط	فبراير
آذار	مارس
نيسان	ابريل
أيار	مايو
حزيران	يونيو
تموز	يوليو
آب	اغسطوس
أيلول	سبتمبر
تشرين الأول	اكتوبر
تشرين الثاني	نوفمبر
كانون الأول	دسمبر

تاريخ

الحركات القومية

في أوروبة

تأليف

الدكتور نور الدين حاطوم

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة دمشق